مَجَانِي ٱلأَدَبِ

في

حَدَائِقِ ٱلْعَرَبِ

عُنِيَ بجمعهِ وضبطهِ وتصحيحهِ

الاب لويس شيخو اليسوعي

الجزء الاول

طبعة ٢٣ مصحَّحة

في مطبعة الآباء اليسوعيين في بيروت سنة ١٩١٣

برخصة مجلس معارف ولاية بيروت الجليلة ١٧٤

المقدمة

الحمد لله الذي جعل كُتُبَ الأَدب رَيحانةً لأَرواح المطالعين . ونورًا تستضيء به أَذهانُ الطَّلَبة الدارسين . ويَمًّا تترشَّف من موج فوائدهِ أَقلام الكاتبين . وروضًا تتدبَّج بناضر زهرهِ مقالاتُ المنشئين

أَمَّا بعدُ فنقول : إِنَّنا لَمَّا رأَينا المتأَدّبين من احداث الطُّلَّاب . المُولَعين بمطالعة تآليف المشاهير من قدماء الكُتَّاب . يأْسفون على أَن المدارس العربية يعدمها كتابٌ في الأَدب جامع لطبقات الأَنفاس . منقسمٌ الى ابوابٍ وفصول في اهمّ المعاني الدائرة بين الناس . حاوٍ من المنثور والمنظوم ما يصلح لتلك الطبقات مِثالًا . ضامّ من لطائف الكلام وبدائعهِ ما يوسع للكاتب مجالًا . خالٍ عن كل ما يسلب القارئ رقَّةً وكمالًا . من لفظٍ تنبو عنه مسامعُ الأُدباء . وقصَّةٍ تخلُّ بسُنَّة الفضلاء . وحديثٍ ينافي شِرعةَ الأَلبَّاء . فمن ثَمَّ رأَينا ان نجمع من كُتُب القدماء . كل معنًى الى ما يضاهيهِ . مع ضمّ كل ما كان من نَمَطٍ الى ما يحاكيهِ . بحيث يأْتلف المعنى بمُدانيهِ . ويلتئم النمط بمؤاخيهِ . وهي طريقة مبتكرةٌ لم يسلكها قبلنا من اهل المجاميع احد . ومفازةٌ سحيقةٌ يَعِي دون جَوبها العَزم ويَهِن الجَلَد . فهذه ركامٌ من أَضابير الأَدب والانشاء . لم يتعمَّد احد أَن ينهج فيها هذا المنهج الشريف الجَداء . نعم غاية ما فعلوا اثابهم الله انهم بوَّبوا للمطالب الدائرة بين الأَنام . وانتقوا لها من طيب الكلام

وجيّدهِ . ما يُنزّل في مقامهِ منزلة سيّدهِ . على انهم اغمضوا النظر عن هذا المرام . وان كان من خير ما يُرام

ذلك ولمّا كان مجموعٌ من أضراب هذا يستلزم الاحاطة بمعظم كُتُب القدماء . ويستدعي تدقيق النظر فيما أودعتهُ من المعاني الغرّاء . استجلبنا كلَّ ما لم نجدهُ في خزانة كُتُب مدرستنا الكليَّة . من المؤلفـات الأدبيَّة . من مطبوعات مصر والقسطنطينيَّة والمطابع الاوربيَّة . فوفرت لدينا المادَّة وكثرت العُدَّة . فصرفنا العناية الى ذلك من الزمان مدَّة . نجيل نظر المطالعة ونسرّح نظر الاختيار . في كل سفرٍ من تلك الاسفار . وننتقي من كل طبقةٍ أنقاها . ونتخيّر من بين القصص أفيدها وأشهاها . سُنَّة المتجوّل في الحدائق الغَلْباء . والنقَّاد وقعت لهُ محاسن الاشياء . ولمّا تخيّرنا أعطر الازهار . وجنينا من اطيب الأفنان ازكى الأثمار . واودعناها هذا المجموع فرأيناهُ كالنخلة الكريمة المنحنية الأقناء . لوفرة ما عليها من ناضج الإثاء . وسمناهُ بمجاني الأدب . في حدائق العرب . وهو منقسم الى ستَّة اجزاء تتدرَّج فيها الانفاس تدريجًا . وينضمُّ كلٌّ منها على ما يجعلهُ حسنًا بهيجًا . وقد افردنا الأوّلين لأبسط الطبقات . والثانيَين لِما توسّط في الدرجات . والثالثَين لأعلى طرق الكتابات . بيدَ ان تمحيض الطبقات ممّا لا يُنال . أو يُصاغ من الخاتم خلخال

ولم نألُ جهدًا أن نودعهُ من مُرسَل النثر كلَّ مستطرَف . ونضمّنهُ من مسجَّعهِ كل مستظرَف . مع رعاية الجنس في الضمّ . والمقصود في

اثبات ما هو الاهمّ . وقد تحرّينا العدول عمّا حوتهُ الكتب الحديثة وان من اعزّ الطرائف . وأخذنا كثيرًا ممّا لا يصل اليهِ الّا آحاد الخاصّة من الاسفار الكثيرة اللطائف . واذ كانت النيّة منعقدةً على جعلهِ كنموذج لِمن اراد صِناعة الانشاء . عُنينا بما أَلمعنا اليهِ ممّا هو جمّ الجُداء . ولهذا الغرض عينهِ قسمنا كل جزءٍ الى ابواب . يلج منها الى المراد أُولو الأَلباب . وجعلنا تحت كل باب فصولًا في اهمّ ما تدور عليهِ المراسلات . وتجري بهِ الأَلسنة في المخاطبات . وزيّناهُ بتراجم من أثرنا كلامهم . ليستأنس المطالع بمعرفة لُمعٍ من احوالهم

ثم اضفنا الى تلك الاجزاء كتابًا يتنزّل من المُطالع منزلة الدليل . يؤمنهُ بين شعابها وحزونها ضلال السبيل . ذلك بما اودعناهُ من تفسير الغريب . وكشف الغامض المريب . وحلّ المشكل بوجهٍ قريب . الى تراجم مَن يقع الينا في سِيَرهم كلام عربيّ . فاضطُررنا الى ترجمتها عن اصل العجميّ

ولما كان الشكل اخا التفسير . والمساعد على فهم العسير . والممسك الأَلسنة عن اللحن . والكفيل ان لا يقع على الكلام غبن . ضُبِط بالشكل الكامل (١) فجاءَ كالروض الناضر . يسُرّ القلب ويُقرّ الناظر . هذا وفي الامل ان يسع حلم اهل النقد . ما ربّما يكون قد عاج عن القصد . وان يتخذوا ما في هذا المجموع من الحسنات . شفيعًا فيما يحسبون من السيئات

---

١) تنبيه . ما لم نقع لهُ على ضبط من الاسماء الاعجمية جرينا في ضبطهِ على هيئة ما يُلفَظ بهِ في لغتهِ

تجـاني الأَدب

هي الأَعمال يشتـدُّ أَزر ذويها بما يرون من تنشيط أَنصار التقدُّم وأَحبَّاء النجاح . وهي الهمم تتعلَّق بالمطالب الشريفـة اذا آنس اهلها من القوم ميلًا اليها واقبالًا عليها

وبعدُ فلمَّا انتظم عقد هذا المجموع بفرائد البلغاء . ونُضِّدَت في سِمْطهِ درر الفصحاء . ووصل الى ايدي الأُدباء . ووقع تحت نواظر الفضلاء . ذكرتهُ كافَّة الجرائد العربية . وقرَّظت ما يتضمَّنهُ من الفصول الرائقة الطليَّة . ووفدت علينا رسائل الاستحسان من الائمَّة والأَعلام الكبار الَّذين لهم في العالم اشتهار . وعند اهل العلم كبير اعتبار . ومن كثير من الأُدباء الذين رنَّ ذكرهم في الاقطار . وعلا مقامهم بين رجال الامصار . فكان لنا ذلك اكبر تعزيةٍ تخفِّف عنَّا ممَّا نلقاهُ من وُعورة المسلك في تحقيق الروايات . والتدقيق في ضبط العبارات . وهي يدٌ لهم على ارباب التدوين والتأليف . تشهد بانهم وامثالهم هم الأُلى يفتحون للآداب والمعارف سوقًا رائجة حتى تأخذ أَريحيَّة التأليف الفضلاء من علماء العصر فيهدوا البلاد كنوزًا ادبيَّة اثمن من الجواهر . فنثني عليهم ثناء نخلِّدهُ على هذه الصفحات ونهنئ البلاد بهم حيث بمثلهم يتسع فيها نطاق المعارف وبامثالهم تعود الى ما كانت عليهِ من النضارة الأَدبية والثروة العلميَّة بمنِّهِ وكرمهِ

أَلْبَابُ ٱلْأَوَّلُ
فِي ٱلتَّدَيُّنِ وَٱلتَّقْوَى

اعتقاد وجود الله

١ إِعْلَمْ أَيُّهَا ٱلْإِنْسَانُ أَنَّكَ مَخْلُوقٌ وَلَكَ خَالِقٌ. وَهُوَ خَالِقُ ٱلْعَالَمِ وَجَمِيعِ مَا فِي ٱلْعَالَمِ. وَأَنَّهُ وَاحِدٌ. كَانَ فِي ٱلْأَزَلِ وَلَيْسَ لِكَوْنِهِ زَوَالٌ. وَيَكُونُ مَعَ ٱلْأَبَدِ وَلَيْسَ لِبَقَائِهِ فَنَاءٌ. وُجُودُهُ فِي ٱلْأَزَلِ وَٱلْأَبَدِ وَاجِبٌ وَمَا لِلْعَدَمِ إِلَيْهِ سَبِيلٌ. وَهُوَ مَوْجُودٌ بِذَاتِهِ. وَكُلُّ أَحَدٍ إِلَيْهِ مُحْتَاجٌ وَلَيْسَ لَهُ إِلَى أَحَدٍ ٱحْتِيَاجٌ. وُجُودُهُ بِهِ وَوُجُودُ كُلِّ شَيْءٍ بِهِ (للغزالي)

قدرة الله

٢ إِنَّهُ تَعَالَى عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. وَإِنَّ قُدْرَتَهُ وَمُلْكَهُ فِي نِهَايَةِ ٱلْكَمَالِ وَلَا سَبِيلَ إِلَيْهِ لِلْعَجْزِ وَٱلنُّقْصَانِ. وَإِنَّ ٱلسَّمَاوَاتِ ٱلسَّبْعَ فِي قَبْضَتِهِ وَقُدْرَتِهِ وَتَحْتَ قَهْرِهِ وَتَسْخِيرِهِ وَمَشِيئَتِهِ. وَهُوَ مَالِكُ ٱلْمُلْكِ لَا مُلْكَ إِلَّا مُلْكُهُ (وله)

علم الله

٣ إِنَّهُ تَعَالَى عَالِمٌ بِكُلِّ مَعْلُومٍ وَعِلْمُهُ مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ. وَلَيْسَ شَيْءٌ مِنَ ٱلْعُلَى إِلَى ٱلثَّرَى إِلَّا وَقَدْ أَحَاطَ بِهِ عِلْمُهُ. لِأَنَّ ٱلْأَشْيَاءَ بِعِلْمِهِ ظَهَرَتْ وَبِقُدْرَتِهِ ٱنْتَشَرَتْ. وَإِنَّهُ تَعَالَى يَعْلَمُ عَدَدَ رِمَالِ ٱلْقِفَارِ وَقَطَرَاتِ ٱلْأَمْطَارِ وَوَرَقِ ٱلْأَشْجَارِ وَغَوَامِضِ ٱلْأَفْكَارِ. وَإِنَّ ذَرَّاتِ

ٱلرِّيَاحِ وَٱلْهَوَاءِ فِي عِلْمِهِ ظَاهِرَةٌ مِثْلَ عَدَدِ نُجُومِ ٱلسَّمَاءِ (وله)

قَالَ ٱلْبُرَعِي :

يَرَى حَرَكَاتِ ٱلنَّمْلِ فِي ظُلَمِ ٱلدُّجَى
وَلَمْ يَخْفَ إِعْلَانٌ عَلَيْهِ وَإِسْرَارُ
وَيُحْصِي عَدِيدَ ٱلنَّمْلِ وَٱلْقَطْرِ وَٱلْحَصَى
وَمَا ٱشْتَمَلَتْ بَحْرٌ عَلَيْهِ وَأَنْهَارُ

حكمة الله وتدبيره

٤ لَيْسَ مِنْ شَيْءٍ قَلِيلٍ أَوْ كَثِيرٍ صَغِيرٍ أَوْ كَبِيرٍ زِيَادَةٍ أَوْ نُقْصَانٍ رَاحَةٍ أَوْ نَصَبٍ صِحَّةٍ أَوْ وَصَبٍ إِلَّا بِحِكْمَتِهِ وَتَدْبِيرِهِ وَمَشِيئَتِهِ . وَلَوِ ٱجْتَمَعَ ٱلْبَشَرُ وَٱلْمَلَائِكَةُ وَٱلشَّيَاطِينُ عَلَى أَنْ يُحَرِّكُوا فِي ٱلْعَالَمِ ذَرَّةً أَوْ يُسَكِّنُوهَا أَوْ يُنْقِصُوا مِنْهَا أَوْ يَزِيدُوا فِيهَا بِغَيْرِ إِرَادَتِهِ وَحَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ لَعَجَزُوا عَنْ ذٰلِكَ وَلَمْ يَقْدِرُوا . مَا شَاءَ كَانَ وَمَا لَا يَشَاءُ لَا يَكُونُ . وَلَا يَرُدُّ مَشِيئَتَهُ شَيْءٌ . وَمَهْمَا كَانَ وَيَكُونُ فَإِنَّهُ بِتَدْبِيرِهِ وَأَمْرِهِ وَتَسْخِيرِهِ (للغزالي)

تقوى الله

٥ قَالَ ٱلْبُسْتِي :

وَٱشْدُدْ يَدَيْكَ بِحَبْلِ ٱللهِ مُعْتَصِمًا   فَإِنَّهُ ٱلرُّكْنُ إِنْ خَانَتْكَ أَرْكَانُ

وَقَالَ ٱبْنُ ٱلْوَرْدِيِّ :

وَٱتَّقِ ٱللهَ فَتَقْوَى ٱللهِ مَا   جَاوَرَتْ قَلْبَ ٱمْرِئٍ إِلَّا وَصَلْ

لَيْسَ مَنْ يَقْطَعُ طُرْقًا بَطَلًا　　إِنَّمَا مَنْ يَتَّقِي ٱللهَ ٱلْبَطَلْ

٦ قَالَ ٱبْنُ عِمْرَانَ:

وَسَلِ ٱلْإِلٰهَ وَلُذْ بِهِ لَا تَنْسَهُ　　فَٱللهُ يَذْكُرُ عَبْدَهُ إِذْ يَذْكُرُهْ

وَقَالَ غَيْرُهُ:

لَا تَجْعَلَنَّ ٱلْمَالَ كَسْبَكَ مُفْرَدًا　　وَتُقَى إِلٰهِكَ فَٱجْعَلَنْ مَا تَكْسِبُ

مَا أَحْسَنَ مَا قَالَ أَبُو نُوَاسٍ لِهٰرُونَ ٱلرَّشِيدِ وَقَدْ أَرَادَ عِقَابَهُ:

قَدْ كُنْتُ خِفْتُكَ ثُمَّ أَمَّنَنِي　　مِنْ أَنْ أَخَافَكَ خَوْفُكَ ٱللهَ

حمد الله تعالى

٧ لَكَ ٱلْحَمْدُ حَمْدًا نَسْتَلِذُّ بِهِ ذِكْرَا

وَإِنْ كُنْتُ لَا أُحْصِي ثَنَاءً وَلَا شُكْرَا

لَكَ ٱلْحَمْدُ حَمْدًا طَيِّبًا يَمْلَأُ ٱلسَّمَا

وَأَقْطَارَهَا وَٱلْأَرْضَ وَٱلْبَرَّ وَٱلْبَحْرَا

لَكَ ٱلْحَمْدُ مَقْرُونًا بِشُكْرِكَ دَائِمًا

لَكَ ٱلْحَمْدُ فِي ٱلْأُولَى لَكَ ٱلْحَمْدُ فِي ٱلْأُخْرَى　(للابرعي)

ملازمة الصلاة

٨ ذَكَرَ أَبُو بَكْرٍ ٱلصَّلَاةَ يَوْمًا فَقَالَ: مَنْ حَافَظَ عَلَيْهَا كَانَتْ لَهُ نُورًا وَبُرْهَانًا وَنَجَاةً مِنَ ٱلنَّارِ. وَكَتَبَ عُمَرُ إِلَى عُمَّالِهِ: إِنَّ أَهَمَّ أُمُورِكُمْ عِنْدِي ٱلصَّلَاةُ. مَنْ حَفِظَهَا وَحَافَظَ عَلَيْهَا حَفِظَ دِينَهُ. وَمَنْ ضَيَّعَهَا فَهُوَ لِمَا سِوَاهَا أَضْيَعُ　(للشريشي)

ذكر الآخرة

٩ إِنَّهُ تَعَالَى خَلَقَ ٱلْإِنْسَانَ مِنْ نَوْعَيْنِ مِنْ شَخْصٍ وَرُوحٍ . وَجَعَلَ ٱلْجَسَدَ مَنْزِلًا لِلرُّوحِ لِتَأْخُذَ زَادًا لِآخِرَتِهَا مِنْ هٰذَا ٱلْعَالَمِ . وَجَعَلَ لِكُلِّ رُوحٍ مُدَّةً مُقَدَّرَةً تَكُونُ فِي ٱلْجَسَدِ . وَآخِرُ تِلْكَ ٱلْمُدَّةِ هُوَ أَجَلُ تِلْكَ ٱلرُّوحِ مِنْ غَيْرِ زِيَادَةٍ وَلَا نُقْصَانٍ . فَإِذَا جَاءَ ٱلْأَجَلُ فُرِّقَ بَيْنَ ٱلرُّوحِ وَٱلْجَسَدِ (للغزالي)

١٠ قَالَ ٱلْإِمَامُ عَلِيٌّ :

لَا دَارَ لِلْمَرْءِ بَعْدَ ٱلْمَوْتِ يَسْكُنُهَا ... إِلَّا ٱلَّتِي هُوَ قَبْلَ ٱلْمَوْتِ بَانِيهَا

وَقَالَ آخَرُ :

وَمَا مِنْ كَاتِبٍ إِلَّا سَيَفْنَى ... وَيُبْقِي ٱلدَّهْرُ مَا كَتَبَتْ يَدَاهُ
فَلَا تَكْتُبْ بِكَفِّكَ غَيْرَ شَيْءٍ ... يَسُرُّكَ فِي ٱلْقِيَامَةِ أَنْ تَرَاهُ

(ألف ليلةٍ وليلة)

١١ عِشْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ . وَأَحْبِبْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مُفَارِقُهُ . وَٱعْمَلْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَجْزِيٌّ بِهِ (للغزالي)

قَالَ أَبُو مَحْفُوظٍ ٱلْكَرْخِيُّ :

مَوْتُ ٱلتَّقِيِّ حَيَاةٌ لَا نَفَادَ لَهَا ... قَدْ مَاتَ قَوْمٌ وَهُمْ فِي ٱلنَّاسِ أَحْيَاءُ

وَقَالَ ٱلشَّبْرَاوِيُّ :

إِذَا مَا تَحَيَّرْتَ فِي حَالَةٍ ... وَلَمْ تَدْرِ فِيهَا ٱلْخَطَا وَٱلصَّوَابْ
فَخَالِفْ هَوَاكَ فَإِنَّ ٱلْهَوَى ... يَقُودُ ٱلنُّفُوسَ إِلَى مَا يُعَابْ

١٢ حُكِيَ أَنَّ رَجُلًا حَاسَبَ نَفْسَهُ. فَحَسَبَ عُمْرَهُ فَإِذَا هُوَ سِتُّونَ عَامًا. فَحَسَبَ أَيَّامَهَا فَإِذَا هِيَ أَحَدٌ وَعِشْرُونَ أَلْفَ يَوْمٍ وَتِسْعُمِائَةِ يَوْمٍ. فَصَاحَ: يَا وَيْلَاهُ. إِذَا كَانَ لِي كُلَّ يَوْمٍ ذَنْبٌ فَكَيْفَ أَلْقَى ٱللّٰهَ بِهٰذَا ٱلْعَدَدِ مِنْهَا. فَخَرَّ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ. فَلَمَّا أَفَاقَ أَعَادَ عَلَى نَفْسِهِ ذٰلِكَ وَقَالَ: فَكَيْفَ بِمَنْ لَهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ عَشَرَةُ آلَافِ ذَنْبٍ. فَخَرَّ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ. فَحَرَّكُوهُ فَإِذَا هُوَ قَدْ مَاتَ (للقليوبي)

١٣ سُئِلَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ ٱلْعَزِيزِ: مَا كَانَ بَدْءُ تَوْبَتِكَ. فَقَالَ: كُنْتُ يَوْمًا أَضْرِبُ غُلَامًا لِي فَقَالَ: اُذْكُرْ تِلْكَ ٱللَّيْلَةَ ٱلَّتِي تَكُونُ صَبِيحَتُهَا ٱلْقِيَامَةَ. فَعَمِلَ ذٰلِكَ ٱلْكَلَامُ فِي قَلْبِي (للغزالي)

ذلة الدنيا

١٤ قَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ إِبْلِيسَ يَعْرِضُ ٱلدُّنْيَا كُلَّ يَوْمٍ عَلَى ٱلنَّاسِ فَيَقُولُ: مَنْ يَشْتَرِي شَيْئًا يَضُرُّهُ وَلَا يَنْفَعُهُ وَيَهُمُّهُ وَلَا يَسُرُّهُ. فَيَقُولُ أَصْحَابُهَا وَعُشَّاقُهَا: نَحْنُ. فَيَقُولُ: إِنَّمَا ثَمَنُهَا لَيْسَ دَرَاهِمَ وَلَا دَنَانِيرَ. وَإِنَّمَا هُوَ نَصِيبُكُمْ مِنَ ٱلْجَنَّةِ. فَإِنِّي ٱشْتَرَيْتُهَا بِأَرْبَعَةِ أَشْيَاءَ بِلَعْنَةِ ٱللّٰهِ وَغَضَبِهِ وَسُخْطِهِ وَعَذَابِهِ وَبِعْتُ ٱلْجَنَّةَ بِهَا. فَيَقُولُونَ: رَضِينَا بِذٰلِكَ. فَيَقُولُ: أُرِيدُ أَنْ أَرْبَحَ عَلَيْكُمْ فِيهَا. فَيَقُولُونَ: نَعَمْ. فَيَبِيعُهُمْ إِيَّاهَا ثُمَّ يَقُولُ: بِئْسَتِ ٱلتِّجَارَةُ (له)

١٥ قَالَ بَعْضُهُمْ:

وَمَا أَهْلُ ٱلْحَيَاةِ لَنَا بِأَهْلٍ ... وَلَا دَارُ ٱلْفَنَاءِ لَنَا بِدَارِ

وَمَا أَمْوَالُنَا إِلَّا عَوَارٍ سَيَأْخُذُهَا ٱلْمُعِيرُ مِنَ ٱلْمُعَارِ

وَقَالَ ٱلْفَقِيهُ ٱلْبَاجِيُّ :

فَإِنْ كُنْتُ أَعْلَمُ عِلْمًا يَقِينًا بِأَنَّ جَمِيعَ حَيَاتِي كَسَاعَهْ

فَلِمْ لَا أَكُونُ ضَنِينًا بِهَا وَأَجْعَلُهَا فِي صَلَاحٍ وَطَاعَهْ

قَالَ آخَرُ :

لَا أَسْعَدَ ٱللهُ أَيَّامًا عَزَزْتُ بِهَا دَهْرًا وَفِي طَيِّ ذَاكَ ٱلْعِزِّ إِذْلَالُ

زهد ابرهيم بن ادهم في الدنيا

١٦ حَدَّثَ إِبْرٰهِيمُ بْنُ بَشَّارٍ قَالَ: صَحِبْتُ إِبْرٰهِيمَ بْنَ أَدْهَمَ بْنِ مَنْصُورِ ٱبْنِ إِسْحٰقَ ٱلْبَلْخِيَّ بِٱلشَّامِ . فَقُلْتُ لَهُ : يَا أَبَا إِسْحٰقَ خَبِّرْنِي عَنْ بَدْءِ أَمْرِكَ كَيْفَ كَانَ . فَقَالَ: كَانَ أَبِي مِنْ مُلُوكِ خُرَاسَانَ وَكُنْتُ شَابًّا . فَرَكِبْتُ يَوْمًا عَلَى دَابَّةٍ وَمَعِي كَلْبٌ . وَخَرَجْتُ إِلَى ٱلصَّيْدِ فَأَثَرْتُ ثَعْلَبًا . فَبَيْنَا أَنَا فِي طَلَبِهِ إِذْ هَتَفَ بِي هَاتِفٌ : أَلِهٰذَا خُلِقْتَ أَمْ بِهٰذَا أُمِرْتَ . فَفَزِعْتُ وَوَقَفْتُ . ثُمَّ عُدْتُ فَرَكَضْتُ ٱلثَّانِيَةَ فَفَعَلَ مِثْلَ ذٰلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ . فَفَكَّرْتُ بِنَفْسِي : لَا وَٱللهِ مَا لِهٰذَا خُلِقْتُ وَلَا بِهٰذَا أُمِرْتُ . ثُمَّ نَزَلْتُ وَصَادَفْتُ رَاعِيًا لِأَبِي فَأَخَذْتُ مِنْهُ جُبَّةً مِنْ صُوفٍ . فَلَبِسْتُهَا وَأَعْطَيْتُهُ ٱلْفَرَسَ وَمَا كَانَ مَعِي ثُمَّ دَخَلْتُ ٱلْبَادِيَةَ (للشريشي)

١٧ قَالَ لُقْمَانُ ٱلْحَكِيمُ : مَنْ يَبِيعُ ٱلْآخِرَةَ بِٱلدُّنْيَا يَخْسَرُهُمَا جَمِيعًا (للثعالبي)

١٨ قِيلَ : إِنَّ مِثَالَ ٱلدُّنْيَا كَمُسَافِرِ طَرِيقٍ . أَوَّلُهُ ٱلْمَهْدُ وَآخِرُهُ ٱللَّحْدُ .

وَفِيمَا بَيْنَهُمَا مَنَازِلُ مَعْدُودَةٌ . وَإِنَّ كُلَّ سَنَةٍ كَمَنْزِلَةٍ . وَكُلَّ شَهْرٍ كَفَرْسَخٍ . وَكُلَّ يَوْمٍ كَمِيلٍ . وَكُلَّ نَفَسٍ كَخُطْوَةٍ . وَهُوَ يَسِيرُ دَائِمًا دَائِمًا . فَيَبْقَى لِوَاحِدٍ مِنْ طَرِيقِهِ فَرْسَخٌ . وَلِآخَرَ أَقَلُّ أَوْ أَكْثَرُ (للغزالي)

١٩ قَالَ أَبُو عَبْدِ ٱلرَّحْمَانِ ٱلْخَلِيلُ : ٱلدُّنْيَا أَمَدٌ وَٱلْآخِرَةُ أَبَدٌ . وَقَالَ أَيْضًا : ٱلدُّنْيَا أَضْدَادٌ مُتَجَاوِرَةٌ وَأَشْبَاهٌ مُتَبَايِنَةٌ . وَأَقَارِبُ مُتَبَاعِدَةٌ وَأَبَاعِدُ مُتَقَارِبَةٌ (للشريشي)

قَالَ بَعْضُهُمْ : إِنَّمَا ٱلدُّنْيَا فَنَاءٌ لَيْسَ لِلدُّنْيَا ثُبُوتْ
إِنَّمَا ٱلدُّنْيَا كَبَيْتٍ نَسَجَتْهُ ٱلْعَنْكَبُوتْ
كُلُّ مَا فِيهَا لَعَمْرِي عَنْ قَلِيلٍ سَيَفُوتْ
وَلَقَدْ يَكْفِيكَ مِنْهَا أَيُّهَا ٱلْعَاقِلُ قُوتْ

٢٠ قَالَ أَبُو ٱلْعَتَاهِيَةِ :

فَلَوْ كَانَ هَوْلُ ٱلْمَوْتِ لَا شَيْءَ بَعْدَهُ لَهَانَ عَلَيْنَا ٱلْأَمْرُ وَٱحْتُقِرَ ٱلْأَمْرُ
وَلَكِنَّهُ حَشْرٌ وَنَشْرٌ وَجَنَّةٌ وَنَارٌ وَمَا قَدْ يَسْتَطِيلُ بِهِ ٱلْخَبَرُ

٢١ سُئِلَ بَعْضُ ٱلْفَلَاسِفَةِ : مَنِ ٱلَّذِي لَا عَيْبَ فِيهِ . فَقَالَ : ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ (للمستعصمي)

قَالَ ٱلْمَيْدَانِيُّ :

أَلْعُمْرُ مِثْلُ ٱلضَّيْفِ أَوْ كَٱلطَّيْفِ لَيْسَ لَهُ إِقَامَهْ
وَأَخُو ٱلْحِجَا فِي سَائِرِ ٱلْأَحْوَالِ مُرْتَقِبٌ حِمَامَهْ
وَٱلْجَاهِلُ ٱلْمُغْتَرُّ مَنْ لَمْ يَجْعَلِ ٱلتَّقْوَى ٱغْتِنَامَهْ

أَلْبَابُ ٱلثَّانِي

فِي ٱلْحِكَمِ

٢٢ مَا ٱكْتَسَبَ أَحَدٌ أَفْضَلَ مِنْ عَقْلٍ يَهْدِيهِ إِلَى هُدًى. وَيَرُدُّهُ عَنْ رَدًى (للمستعصمي)

٢٣ أَلْمُهَلَّبُ بْنُ أَبِي صُفْرَةَ قَالَ : عَجِبْتُ لِمَنْ يَشْتَرِي ٱلْعَبِيدَ بِمَالِهِ وَلَا يَشْتَرِي ٱلْأَحْرَارَ بِفَعَالِهِ . قِيلَ : ٱلسَّخِيُّ قَرِيبٌ مِنَ ٱللهِ قَرِيبٌ مِنَ ٱلنَّاسِ قَرِيبٌ مِنَ ٱلْجَنَّةِ . وَٱلْبَخِيلُ بَعِيدٌ مِنَ ٱللهِ بَعِيدٌ مِنَ ٱلنَّاسِ قَرِيبٌ مِنَ ٱلنَّارِ (للمستعصمي)

٢٤ مِنْ ظَرِيفِ كَلَامِ نَصْرِ بْنِ سَيَّارٍ : كُلُّ شَيْءٍ يَبْدُو صَغِيرًا ثُمَّ يَكْبُرُ إِلَّا ٱلْمُصِيبَةَ فَإِنَّهَا تَبْدُو كَبِيرَةً ثُمَّ تَصْغُرُ. وَكُلُّ شَيْءٍ يَرْخُصُ إِذَا كَثُرَ إِلَّا ٱلْأَدَبَ فَإِذَا كَثُرَ غَلَا (من لطائف الملوك)

٢٥ قَالَ أَنُوشِرْوَانُ : ٱلْمُرُوَّةُ أَنْ لَا تَعْمَلَ عَمَلًا فِي ٱلسِّرِّ تَسْتَحِي مِنْهُ فِي ٱلْعَلَانِيَةِ (للشريشي)

٢٦ قَالَ بَعْضُ ٱلسَّلَفِ : ٱلْعُلُومُ أَرْبَعَةٌ : ٱلْفِقْهُ لِلْأَدْيَانِ. وَٱلطِّبُّ لِلْأَبْدَانِ. وَٱلنُّجُومُ لِلْأَزْمَانِ . وَٱلْبَلَاغَةُ لِلِّسَانِ (للابشيهي)

٢٧ قَالَ بَعْضُ ٱلْحُكَمَاءِ : إِنَّ ٱلْعُلَمَاءَ سُرُجُ ٱلْأَزْمِنَةِ . كُلُّ عَالِمٍ سِرَاجُ زَمَانِهِ يَسْتَضِيءُ بِهِ أَهْلُ عَصْرِهِ (وله)

٢٨ قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ : مَا آتَى ٱللهُ تَعَالَى عَالِمًا عِلْمًا إِلَّا أَخَذَ

عَلَيهِ ٱلْمِيثَاقَ أَنْ لَا يَكْتُمَهُ • وَقَالَ أَيْضًا : مَا أَخَذَ ٱللهُ عَلَى ٱلْجُهَّالِ أَنْ يَتَعَلَّمُوا حَتَّى أَخَذَ عَلَى ٱلْعُلَمَاءِ أَنْ يُعَلِّمُوا (للشريشي)

٢٩ قِيلَ لِأَفْلَاطُونَ : مَا هُوَ ٱلشَّيْءُ ٱلَّذِي لَا يَحْسُنُ أَنْ يُقَالَ وَإِنْ كَانَ حَقًّا • قَالَ : مَدْحُ ٱلْإِنْسَانِ نَفْسَهُ (للابشيهي)

٣٠ قَالَ ٱبْنُ قُرَّةَ : رَاحَةُ ٱلْجِسْمِ فِي قِلَّةِ ٱلطَّعَامِ • وَرَاحَةُ ٱلنَّفْسِ فِي قِلَّةِ ٱلْآثَامِ • وَرَاحَةُ ٱلْقَلْبِ فِي قِلَّةِ ٱلِٱهْتِمَامِ • وَرَاحَةُ ٱللِّسَانِ فِي قِلَّةِ ٱلْكَلَامِ (من لطائف الوزراء)

٣١ قَالَ أَفْلَاطُونُ ٱلْحَكِيمُ : لَا تَطْلُبْ سُرْعَةَ ٱلْعَمَلِ وَٱطْلُبْ تَجْوِيدَهُ • فَإِنَّ ٱلنَّاسَ لَا يَسْأَلُونَ فِي كَمْ فَرَغَ • وَإِنَّمَا يَنْظُرُونَ إِلَى إِتْقَانِهِ وَجُودَةِ صَنْعَتِهِ (امثال العرب)

٣٢ مَثَلُ ٱلَّذِي يُعَلِّمُ ٱلنَّاسَ ٱلْخَيْرَ وَلَا يَعْمَلُ بِهِ كَمَثَلِ أَعْمَى بِيَدِهِ سِرَاجٌ يَسْتَضِيءُ بِهِ غَيْرُهُ وَهُوَ لَا يَرَاهُ (امثال العرب)

٣٣ قَالَ عَامِرُ بْنُ عَبْدِ ٱلْقَيْسِ : إِذَا خَرَجَتِ ٱلْكَلِمَةُ مِنَ ٱلْقَلْبِ دَخَلَتْ فِي ٱلْقَلْبِ • وَإِذَا خَرَجَتْ مِنَ ٱللِّسَانِ لَمْ تَتَجَاوَزِ ٱلْآذَانَ

٣٤ قَالَ ٱلْأَصْمَعِيُّ : سَمِعْتُ بَعْضَ ٱلْعَرَبِ يَقُولُ : ٱلْفَقْرُ فِي ٱلْوَطَنِ غُرْبَةٌ • وَٱلْغِنَى فِي ٱلْغُرْبَةِ وَطَنٌ • وَقَالَ آخَرُ : ٱخْتَرْ وَطَنًا مَا أَرْضَاكَ • فَإِنَّ ٱلْحُرَّ يَضِيعُ فِي بَلَدِهِ وَلَا يُعْرَفُ قَدْرُهُ (للشريشي)

٣٥ قِيلَ : عَشَرَةٌ تَقْبُحُ فِي عَشَرَةٍ • ضِيقُ ٱلصَّدْرِ فِي ٱلْمُلُوكِ • وَٱلْغَدْرُ فِي ٱلْأَشْرَافِ • وَٱلْكَذِبُ فِي ٱلْقُضَاةِ • وَٱلْخَدِيعَةُ فِي ٱلْعُلَمَاءِ •

وَٱلْغَضَبُ فِي ٱلْأَبْرَارِ. وَٱلْحِرْصُ فِي ٱلْأَغْنِيَاءِ. وَٱلسَّفَهُ فِي ٱلشُّيُوخِ. وَٱلْمَرَضُ فِي ٱلْأَطِبَّاءِ. وَٱلتَّهَزُّؤُ فِي ٱلْفُقَرَاءِ. وَٱلْفَخْرُ فِي مَنْ لَا آلَ لَهُ

٣٦ نَظَرَ فَيْلَسُوفٌ إِلَى غُلَامٍ حَسَنِ ٱلْوَجْهِ يَتَعَلَّمُ ٱلْعِلْمَ فَقَالَ: أَحْسَنْتَ إِنْ قَرَنْتَ بِحُسْنِ خَلْقِكَ حُسْنَ خُلُقِكَ (للثعالبي)

٣٧ قَالَتِ ٱلْعَرَبُ: لَيْسَ عَلَى وَجْهِ ٱلْأَرْضِ قَبِيحٌ إِلَّا وَوَجْهُهُ أَحْسَنُ شَيْءٍ فِيهِ (وله)

٣٨ أَضْعَفُ ٱلنَّاسِ مَنْ ضَعُفَ عَنْ كِتْمَانِ سِرِّهِ. وَأَقْوَاهُمْ مَنْ قَوِيَ عَلَى غَضَبِهِ. وَأَصْبَرُهُمْ مَنْ سَتَرَ فَاقَتَهُ. وَأَغْنَاهُمْ مَنْ قَنِعَ بِمَا تَيَسَّرَ لَهُ (امثال العرب)

٣٩ قِيلَ: كَانَ قُسُّ بْنُ سَاعِدَةَ يَفِدُ عَلَى قَيْصَرَ زَائِرًا فَيُكْرِمُهُ وَيُعَظِّمُهُ. فَقَالَ لَهُ قَيْصَرُ: مَا أَفْضَلُ ٱلْعِلْمِ. قَالَ: مَعْرِفَةُ ٱلْإِنْسَانِ نَفْسَهُ. قَالَ: وَمَا أَفْضَلُ ٱلْعَقْلِ. قَالَ: وُقُوفُ ٱلْمَرْءِ عِنْدَ عِلْمِهِ. قَالَ: فَمَا ٱلْمَالُ. قَالَ: مَا قُضِيَ بِحَقٍّ (للاصبهاني)

٤٠ قَالَ حَكِيمٌ: مَنْ ذَا ٱلَّذِي بَلَغَ مَقَامًا جَسِيمًا فَلَمْ يَبْطَرْ. وَٱتَّبَعَ ٱلْهَوَى فَلَمْ يَعْطَبْ. وَطَلَبَ إِلَى ٱللِّئَامِ فَلَمْ يَهُنْ. وَوَاصَلَ ٱلْأَشْرَارَ فَلَمْ يَنْدَمْ. وَصَحِبَ ٱلسُّلْطَانَ فَدَامَتْ سَلَامَتُهُ (للمستعصمي)

٤١ قَالَ حَكِيمٌ لِآخَرَ: يَا أَخِي كَيْفَ أَصْبَحْتَ. قَالَ: أَصْبَحْتُ وَبِنَا مِنْ نِعَمِ ٱللهِ مَا لَا نُحْصِيهِ مَعَ كَثِيرِ مَا نَعْصِيهِ. فَمَا نَدْرِي أَيَّهُمَا نَشْكُرُ. أَجَمِيلَ مَا يَنْشُرُ أَوْ قَبِيحَ مَا يَسْتُرُ (امثال العرب)

٤٢ لَا تَحْمِلْ عَلَى يَوْمِكَ هَمَّ سَنَتِكَ . كَفَاكَ كُلُّ يَوْمٍ مَا قُدِّرَ لَكَ فِيهِ . فَإِنْ تَكُنِ ٱلسَّنَةُ مِنْ عُمْرِكَ فَإِنَّ ٱللهَ سُبْحَانَهُ سَيَأْتِيكَ فِي كُلِّ غَدٍ جَدِيدٍ بِمَا قَسَمَ لَكَ . وَإِنْ لَمْ تَكُنْ مِنْ عُمْرِكَ فَمَا هَمُّكَ بِمَا لَيْسَ لَكَ

٤٣ قَالَ عَلِيٌّ : مَنِ ٱسْتَطَاعَ أَنْ يَمْنَعَ نَفْسَهُ مِنْ أَرْبَعِ خِصَالٍ فَهُوَ خَلِيقٌ أَنْ لَا يَنْزِلَ بِهِ مَكْرُوهٌ : أَللَّجَاجُ وَٱلْعَجَلَةُ وَٱلتَّوَانِي وَٱلْعُجْبُ . فَثَمَرَةُ ٱللَّجَاجِ ٱلْحَيْرَةُ . وَثَمَرَةُ ٱلْعَجَلَةِ ٱلنَّدَامَةُ . وَثَمَرَةُ ٱلتَّوَانِي ٱلذِّلَّةُ . وَثَمَرَةُ ٱلْعُجْبِ ٱلْبِغْضَةُ (للمستعصمي)

٤٤ ذُو ٱلشَّرَفِ لَا تُبْطِرُهُ مَنْزِلَةٌ نَالَهَا وَإِنْ عَظُمَتْ كَالْجَبَلِ ٱلَّذِي لَا تُزَعْزِعُهُ ٱلرِّيَاحُ . وَٱلدَّنِيءُ تُبْطِرُهُ أَدْنَى مَنْزِلَةٍ كَالْكَلَإِ ٱلَّذِي يُحَرِّكُهُ مَرُّ ٱلنَّسِيمِ (امثال العرب)

٤٥ قَالَ ٱلْحَكِيمُ : ثَمَانِيَةٌ تَجْلُبُ ٱلذِّلَّةَ عَلَى أَصْحَابِهَا وَهِيَ جُلُوسُ ٱلرَّجُلِ عَلَى مَائِدَةٍ لَمْ يُدْعَ إِلَيْهَا . وَٱلتَّأَمُّرُ عَلَى صَاحِبِ ٱلْبَيْتِ . وَٱلطَّمَعُ فِي ٱلْإِحْسَانِ مِنَ ٱلْأَعْدَاءِ . وَمُضِيُّ ٱلْمَرْءِ إِلَى حَدِيثِ ٱثْنَيْنِ لَمْ يُدْخِلَاهُ بَيْنَهُمَا . وَٱحْتِقَارُ ٱلسُّلْطَانِ . وَجُلُوسُ ٱلْمَرْءِ فَوْقَ مَرْتَبَتِهِ . وَٱلتَّكَلُّمُ عِنْدَ مَنْ لَا يَسْتَمِعُ ٱلْكَلَامَ . وَمُصَادَقَةُ مَنْ لَيْسَ بِأَهْلٍ (للغزّالي)

٤٦ قَالَ ٱلرَّشِيدُ لِحَاجِبِهِ : ٱحْجُبْ عَنِّي مَنْ إِذَا قَعَدَ أَطَالَ وَإِذَا سَأَلَ أَحَالَ . وَلَا تَسْتَخِفَّنَّ بِذِي ٱلْحُرْمَةِ . وَقَدِّمْ أَبْنَاءَ ٱلدَّعْوَةِ (للثعالبي)

٤٧ أَشَدُّ ٱلنَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ إِمَامٌ جَائِرٌ وَمَنْ يُرِي ٱلنَّاسَ أَنَّ فِيهِ خَيْرًا وَلَا خَيْرَ فِيهِ (للسيوطي)

٤٨ لَا تَحْمَدَنَّ أَمْرءًا حَتَّى تُجَرِّبَهُ ... وَلَا تَذُمَّنَّهُ مِنْ غَيْرِ تَجْرِيبِ
إِنَّ الرِّجَالَ صَنَادِيقٌ مُقْفَلَةٌ ... وَمَا مَفَاتِيحُهَا غَيْرُ التَّجَارِيبِ
(للشبراوي)

٤٩ قَدْ قِيلَ : إِنَّ الْكِتَابَ هُوَ الْجَلِيسُ الَّذِي لَا يُنَافِقُ وَلَا يَمِلُّ . وَلَا يُعَاتِبُكَ إِذَا جَفَوْتَهُ وَلَا يُفْشِي سِرَّكَ (لابن الطقطقي)

٥٠ قَالَ ابْنُ الْأَحْوَصِ يَذُمُّ مَنْ نَفَعَ الْأَبَاعِدَ دُونَ الْأَقَارِبِ :
مِنَ النَّاسِ مَنْ يَغْشَى الْأَبَاعِدَ نَفْعُهُ ... وَيَشْقَى بِهِ حَتَّى الْمَمَاتِ أَقَارِبُهُ
وَمَا خَيْرُ مَنْ لَا يَنْفَعُ الْأَهْلَ عَيْشُهُ ... وَإِنْ مَاتَ لَمْ يَجْزَعْ عَلَيْهِ قَرَائِبُهُ

٥١ قِيلَ : مَنْ لَانَتْ كَلِمَتُهُ . وَجَبَتْ مَحَبَّتُهُ . وَطَلَاقَةُ الْوَجْهِ عُنْوَانُ الضَّمِيرِ . وَشَرَكُ الْآمِلِ الْبَصِيرِ . وَقِيلَ : حُسْنُ الْبِشْرِ اكْتِسَابُ الذِّكْرِ . وَالْبَشَاشَةُ مَصْيَدَةُ الْمَوَدَّةِ . قَالَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ :
بُنَيَّ إِنَّ الْبِرَّ شَيْءٌ هَيِّنْ ... وَجْهٌ طَلِيقٌ وَكَلَامٌ لَيِّنْ
(للثعالبي)

٥٢ قِيلَ : ثَلَاثَةٌ تُورِثُ ثَلَاثَةً : النَّشَاطُ يُورِثُ الْغِنَى . وَالْكَسَلُ يُورِثُ الْفَقْرَ . وَالشَّرَاهَةُ تُورِثُ الْمَرَضَ
صَاحِبُ الشَّهْوَةِ عَبْدٌ فَإِذَا ... غَلَبَ الشَّهْوَةَ صَارَ الْمَلِكَا

٥٣ اَلْعِلْمُ شَجَرَةٌ وَالْعَمَلُ ثَمَرَتُهَا . وَلَوْ قَرَأْتُ الْعِلْمَ مِائَةَ سَنَةٍ وَجَمَعْتُ أَلْفَ كِتَابٍ لَا أَكُونُ مُسْتَعِدًّا لِرَحْمَةِ اللّٰهِ تَعَالَى إِلَّا بِالْعَمَلِ . لِأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى . فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ

عَمَلًا صَالِحًا لِأَنَّ مَنْ عَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولٰئِكَ هُمْ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ
لَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا (للغزالي)

٥٤ قَالَ مُعَاوِيَةُ : عَجِبْتُ لِمَنْ يَطْلُبُ أَمْرًا بِٱلْغَلَبَةِ وَهُوَ يَقْدِرُ
عَلَيْهِ بِٱلْحُجَّةِ . وَلِمَنْ يَطْلُبُهُ بِخُرْقٍ وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ بِرِفْقٍ

٥٥ وَكَانَ جَعْفَرُ بْنُ سُلَيْمَانَ عَثَرَ بِرَجُلٍ سَرَقَ دُرَّةً فَبَاعَهَا فَلَمَّا
بَصُرَ بِٱلرَّجُلِ ٱسْتَحْيَا . فَقَالَ لَهُ : أَلَمْ تَكُنْ طَلَبْتَ هٰذِهِ ٱلدُّرَّةَ
مِنِّي فَوَهَبْتُهَا لَكَ . فَقَالَ ٱلرَّجُلُ : نَعَمْ . فَخَلَّى سَبِيلَهُ

٥٦ جَنِّبْ كَرَامَتَكَ ٱللِّئَامَ فَإِنَّكَ إِنْ أَحْسَنْتَ إِلَيْهِمْ لَمْ يَشْكُرُوا .
وَإِنْ أَنْزَلْتَ بِهِمْ شَدِيدَةً لَمْ يَصْبِرُوا (للثعالبي)

أَنْشَدَ بَعْضُهُمْ :

إِنْ قَلَّ مَالِي فَلَا خِلٌّ يُصَاحِبُنِي ... أَوْ زَادَ مَالِي فَكُلُّ ٱلنَّاسِ خِلَّانِي
فَكَمْ عَدُوٍّ لِبَذْلِ ٱلْمَالِ صَاحَبَنِي ... وَصَاحِبٍ عِنْدَ فَقْدِ ٱلْمَالِ خَلَّانِي

(الف ليلة وليلة)

٥٧ قَالَ أَبُو ٱلْعَتَاهِيَةِ ذَاكِرًا ٱلْمَوْتَ :

لَيْتَ شِعْرِي فَإِنَّنِي لَسْتُ أَدْرِي ... أَيُّ يَوْمٍ يَكُونُ آخِرَ عُمْرِي
وَبِأَيِّ ٱلْبِلَادِ تُقْبَضُ رُوحِي ... وَبِأَيِّ ٱلْبِقَاعِ يُحْفَرُ قَبْرِي

٥٨ قَالَ شَمْسُ ٱلدِّينِ ٱلنَّوَاجِيُّ :

خَلْوَةُ ٱلْإِنْسَانِ خَيْرٌ ... مِنْ جَلِيسِ ٱلسُّوءِ عِنْدَهُ
وَجَلِيسُ ٱلْخَيْرِ خَيْرٌ ... مِنْ جُلُوسِ ٱلْمَرْءِ وَحْدَهُ

٥٩ قَالُوا : اَلْمَلَكَةُ تُخَصِبُ بِالسَّخَاءِ وَتَعْمُرُ بِالْعَدْلِ وَتَثْبُتُ بِالْعَقْلِ وَتُحْرَسُ بِالشَّجَاعَةِ وَتُسَاسُ بِالرِّئَاسَةِ . وَقَالُوا : اَلشَّجَاعَةُ لِصَاحِبِ الدَّوْلَةِ (عن الفخري)

إِذَا مَلِكٌ لَمْ يَكُنْ ذَا هِبَهْ فَدَعْهُ فَدَوْلَتُهُ ذَاهِبَهْ

٦٠ قَالَ إِبْلِيسُ : إِذَا ظَفِرْتُ مِنِ ابْنِ آدَمَ بِثَلَاثٍ لَمْ أُطَالِبْهُ بِغَيْرِهَا . إِذَا أُعْجِبَ بِنَفْسِهِ وَاسْتَكْثَرَ عَمَلَهُ وَنَسِيَ ذَنْبَهُ (للثعالبي)

٦١ سَأَلَ الْإِسْكَنْدَرُ أَرِسْطَاطَالِيسَ : أَيُّهُمَا أَفْضَلُ لِلْمُلُوكِ الشَّجَاعَةُ أَمِ الْعَدْلُ . فَقَالَ أَرِسْطَاطَالِيسُ : إِذَا عَدَلَ السُّلْطَانُ لَمْ يَحْتَجْ إِلَى الشَّجَاعَةِ (للغزّالي)

٦٢ قَالَ الشَّافِعِيُّ : أَنْفَعُ الْأَشْيَاءِ أَنْ يَعْرِفَ الرَّجُلُ قَدْرَ مَنْزِلَتِهِ وَمَبْلَغَ عَقْلِهِ ثُمَّ يَعْمَلَ بِحَسَبِهِ (للثعالبي)

٦٣ قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِيَّاكُمْ وَالْبِطْنَةَ فَإِنَّهَا مَكْسَلَةٌ عَنِ الصَّلَاةِ وَمَفْسَدَةٌ لِلْقَلْبِ وَمُورِثَةٌ لِلسَّقَمِ . وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ : إِذَا كُنْتَ بَطِنًا فَعُدَّ نَفْسَكَ زَمِنًا

٦٤ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ : يَا بُنَيَّ لَا تُجَالِسِ الْفُجَّارَ وَلَا تُمَاشِهِمْ . إِتَّقِ أَنْ يَنْزِلَ عَلَيْهِمْ عَذَابٌ مِنَ السَّمَاءِ فَيُصِيبَكَ مَعَهُمْ . وَجَالِسِ الْفُضَلَاءَ وَالْعُلَمَاءَ فَإِنَّ اللّٰهَ تَعَالَى يُحْيِي الْقُلُوبَ الْمَيِّتَةَ بِالْفَضِيلَةِ وَالْعِلْمِ كَمَا يُحْيِي الْأَرْضَ بِوَابِلِ الْمَطَرِ (للشريشي)

٦٥ قِيلَ لِلْإِسْكَنْدَرِ : مَا بَالُكَ تُعَظِّمُ مُؤَدِّبَكَ أَكْثَرَ مِنْ تَعْظِيمِكَ

لِأَبِيكَ . فَقَالَ : إِنَّ أَبِي سَبَبُ حَيَاتِي ٱلْفَانِيَةِ وَمُؤَدِّبِي سَبَبُ حَيَاتِي ٱلْبَاقِيَةِ . وَلِلّٰهِ دَرُّ مَنْ قَالَ :

أُقَدِّمُ أُسْتَاذِي عَلَى نَفْسِ وَالِدِي
وَإِنْ نَالَنِي مِنْ وَالِدِي ٱلْفَضْلُ وَٱلشَّرَفْ
فَذَاكَ مُرَبِّي ٱلرُّوحِ وَٱلرُّوحُ جَوْهَرٌ
وَهٰذَا مُرَبِّي ٱلْجِسْمِ وَٱلْجِسْمُ مِنْ صَدَفْ

وَقَالَ ٱلْإِمَامُ عَلِيٌّ :

كُنِ ٱبْنَ مَنْ شِئْتَ وَٱكْتَسِبْ أَدَبًا ... يُغْنِكَ مَحْمُودُهُ عَنِ ٱلنَّسَبِ
إِنَّ ٱلْفَتَى مَنْ يَقُولُ هَا أَنَا ذَا ... لَيْسَ ٱلْفَتَى مَنْ يَقُولُ كَانَ أَبِي

٦٦ سَمِعَ مُعَاوِيَةُ رَجُلًا يَقُولُ : غَرِيبٌ . فَقَالَ لَهُ : كَلَّا ٱلْغَرِيبُ مَنْ لَا أَدَبَ لَهُ

٦٧ قِيلَ : ٱلْمَرْءُ مِنْ حَيْثُ يَثْبُتُ . لَا مِنْ حَيْثُ يَنْبُتُ . وَمِنْ حَيْثُ يُوجَدُ . لَا مِنْ حَيْثُ يُولَدُ (للابشيهي)

قَالَ ٱلشَّاعِرُ :

لِكُلِّ شَيْءٍ زِينَةٌ فِي ٱلْوَرَى ... وَزِينَةُ ٱلْمَرْءِ تَمَامُ ٱلْأَدَبْ
قَدْ يَشْرُفُ ٱلْمَرْءُ بِآدَابِهِ ... فِينَا وَإِنْ كَانَ وَضِيعَ ٱلنَّسَبْ

٦٨ وَقِيلَ : ٱلْفَضْلُ بِٱلْعَقْلِ وَٱلْأَدَبِ . لَا بِٱلْأَصْلِ وَٱلْحَسَبِ . وَقِيلَ : ٱلْمَرْءُ بِفَضِيلَتِهِ لَا بِفَصِيلَتِهِ . وَبِكَمَالِهِ لَا بِجَمَالِهِ . وَبِآدَابِهِ لَا بِثِيَابِهِ (للابشيهي)

قَالَ ٱلْإِمَامُ عَلِيٌّ :

لَيْسَ ٱلْجَمَالُ بِأَثْوَابٍ تُزَيِّنُنَا   إِنَّ ٱلْجَمَالَ جَمَالُ ٱلْعِلْمِ وَٱلْأَدَبِ
لَيْسَ ٱلْيَتِيمُ ٱلَّذِي قَدْ مَاتَ وَالِدُهُ   بَلِ ٱلْيَتِيمُ يَتِيمُ ٱلْعِلْمِ وَٱلْحَسَبِ

٦٩ قَالَ أَمِيرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلِيٌّ كَرَّمَ ٱللهُ وَجْهَهُ : ٱلْأَدَبُ حُلِيٌّ فِي ٱلْغِنَى . كَنْزٌ عِنْدَ ٱلْحَاجَةِ . عَوْنٌ عَلَى ٱلْمُرُوءَةِ . صَاحِبٌ فِي ٱلْمَجْلِسِ . مُؤْنِسٌ فِي ٱلْوَحْدَةِ . تَعْمُرُ بِهِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْوَاهِيَةُ . وَتَحْيَا بِهِ ٱلْأَلْبَابُ ٱلْمَيِّتَةُ . وَتَنْفُذُ بِهِ ٱلْأَبْصَارُ ٱلْكَلِيلَةُ . وَيُدْرِكُ بِهِ ٱلطَّالِبُونَ مَا يُحَاوِلُونَ   (امثال العرب)

٧٠ قَالَ ٱلشَّبْرَاوِيُّ فِي أَدَبِ ٱلْأَحْدَاثِ :

قَدْ يَنْفَعُ ٱلْأَدَبُ ٱلْأَطْفَالَ فِي صِغَرٍ   وَلَيْسَ يَنْفَعُهُمْ مِنْ بَعْدِهِ أَدَبُ
إِنَّ ٱلْغُصُونَ إِذَا قَوَّمْتَهَا ٱعْتَدَلَتْ   وَلَا يَلِينُ وَلَوْ قَوَّمْتَهُ ٱلْخَشَبُ

وَقَالَ ٱلْإِمَامُ عَلِيٌّ يُفَاخِرُ ٱلْأَغْنِيَاءَ ٱلْجُهَّالَ :

رَضِينَا قِسْمَةَ ٱلْجَبَّارِ فِينَا   لَنَا عِلْمٌ وَلِلْجُهَّالِ مَالُ
فَإِنَّ ٱلْمَالَ يَفْنَى عَنْ قَرِيبٍ   وَإِنَّ ٱلْعِلْمَ لَيْسَ لَهُ زَوَالُ

وَلِلّٰهِ مَا قَالَ ٱلْآخَرُ :

أَلْعِلْمُ فِي ٱلصَّدْرِ مِثْلُ ٱلشَّمْسِ فِي ٱلْفَلَكِ
وَٱلْعَقْلُ لِلْمَرْءِ مِثْلُ ٱلتَّاجِ لِلْمَلِكِ
فَٱشْدُدْ يَدَيْكَ بِحَبْلِ ٱلْعِلْمِ مُعْتَصِمًا
فَٱلْعِلْمُ لِلْمَرْءِ مِثْلُ ٱلْمَاءِ لِلسَّمَكِ

وَقَالَ ٱلْحِلِّيُّ فِي حِفْظِ ٱللُّغَاتِ :

بِقَدْرِ لُغَاتِ ٱلْمَرْءِ يَكْثُرُ نَفْعُهُ ... وَتِلْكَ لَهُ عِنْدَ ٱلشَّدَائِدِ أَعْوَانُ

فَبَادِرْ إِلَى حِفْظِ ٱللُّغَاتِ مُسَارِعًا ... فَكُلُّ لِسَانٍ بِٱلْحَقِيقَةِ إِنْسَانُ

٧١ سَأَلَ ٱلْإِسْكَنْدَرُ يَوْمًا جَمَاعَةً مِنْ حُكَمَائِهِ . وَكَانَ قَدْ عَزَمَ عَلَى سَفَرٍ . فَقَالَ : أَوْضِحُوا لِي سَبِيلًا مِنَ ٱلْحِكْمَةِ أُحْكِمُ فِيهِ أَعْمَالِي وَأُتْقِنُ بِهِ أَشْغَالِي . فَقَالَ كَبِيرُ ٱلْحُكَمَاءِ : أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ لَا تُدْخِلْ قَلْبَكَ مَحَبَّةَ شَيْءٍ وَلَا بُغْضَتَهُ . لِأَنَّ ٱلْقَلْبَ خَاصِيَّتُهُ كَٱسْمِهِ وَإِنَّمَا سُمِّيَ قَلْبًا لِتَقَلُّبِهِ . وَأَعْمِلِ ٱلْفِكْرَ وَٱتَّخِذْهُ وَزِيرًا . وَٱجْعَلِ ٱلْعَقْلَ صَاحِبًا وَمُشِيرًا . وَٱجْتَهِدْ أَنْ تَكُونَ فِي لَيْلِكَ مُتَيَقِّظًا وَلَا تَشْرَعْ فِي أَمْرٍ بِغَيْرِ مَشُورَةٍ . وَتَجَنَّبِ ٱلْمَيْلَ وَٱلْمُحَابَاةَ فِي وَقْتِ ٱلْعَدْلِ وَٱلْإِنْصَافِ . فَإِذَا فَعَلْتَ ذٰلِكَ جَرَتِ ٱلْأُمُورُ عَلَى إِيثَارِكَ . وَتَصَرَّفَتْ بِٱخْتِيَارِكَ (للغزّالي)

قَالَ بَعْضُهُمْ :

سُرُورُ ٱلْمَرْءِ فِي ٱلدُّنْيَا غُرُورُ ... غُرُورُ ٱلْمَرْءِ فِي ٱلدُّنْيَا سُرُورُ

خَلِيلُ ٱلْمَرْءِ فَهْوَ دَلِيلُ عَقْلٍ ... وَعَقْلُ ٱلْمَرْءِ مِصْبَاحٌ يُنِيرُ

٧٢ أَلْعِلْمُ خَلِيلُ ٱلْمُؤْمِنِ . وَٱلْحِلْمُ وَزِيرُهُ . وَٱلْعَقْلُ دَلِيلُهُ . وَٱلْعَمَلُ قَائِدُهُ . وَٱلرِّفْقُ وَالِدُهُ . وَٱلصَّبْرُ أَمِيرُ جُنُودِهِ . فَنَاهِيكَ بِخَصْلَةٍ تَتَأَمَّرُ عَلَى هٰذِهِ ٱلْخَصْلَةِ ٱلشَّرِيفَةِ (للشبراويّ)

أَلْبَابُ ٱلثَّالِثُ

فِي ٱلْأَمْثَالِ ٱلسَّائِرَةِ

٧٣ إِثْنَانِ لَا يَشْبَعَانِ طَالِبُ عِلْمٍ وَطَالِبُ مَالٍ . أَخُوكَ مَنْ صَدَقَكَ . إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تُطَاعَ فَسَلْ مَا يُسْتَطَاعُ . إِذَا بَالَغْتَ فِي ٱلنَّصِيحَةِ هَجَمَتْ بِكَ عَلَى ٱلْفَضِيحَةِ . إِذَا ضَافَكَ مَكْرُوهٌ فَأَقْرِهِ صَبْرًا . إِذَا قَدِمْتَ مِنْ سَفَرٍ فَأَهْدِ لِأَهْلِكَ وَلَوْ حَجَرًا . آفَةُ ٱلْعِلْمِ ٱلنِّسْيَانُ . آفَةُ ٱلْمُرُوءَةِ خُلْفُ ٱلْوَعْدِ . إِنَّ ٱلْجَوَادَ قَدْ يَعْثُرُ . إِنَّ ٱلْحَدِيدَ بِٱلْحَدِيدِ يُفْلَحُ . إِنَّ خَيْرًا مِنَ ٱلْخَيْرِ فَاعِلُهُ . إِنَّكَ لَا تَجْنِي مِنَ ٱلشَّوْكِ ٱلْعِنَبَ . إِنْ لَمْ تُغْضِ عَلَى ٱلْقَذَى لَمْ تَرْضَ أَبَدًا . إِنْ لَمْ يَكُنْ وِفَاقٌ فَفِرَاقٌ . إِنْ يَكُنِ ٱلشُّغْلُ مَجْهَدَةً فَإِنَّ ٱلْفَرَاغَ مَفْسَدَةٌ . أَوَّلُ ٱلْغَضَبِ جُنُونٌ وَآخِرُهُ نَدَمٌ

أَحْسِنْ إِنْ أَرَدْتَ أَنْ يُحْسَنَ إِلَيْكَ . أَلْحُرُّ حُرٌّ وَإِنْ مَسَّهُ ٱلضُّرُّ . أَلْحِكْمَةُ ضَالَّةُ ٱلْمُؤْمِنِ . حَالَ ٱلْأَجَلُ دُونَ ٱلْأَمَلِ . حَافِظْ عَلَى ٱلصَّدِيقِ وَلَوْ فِي ٱلْحَرِيقِ . حِفْظُكَ لِسِرِّكَ أَوْجَبُ مِنْ حِفْظِ غَيْرِكَ لَهُ

خَيْرُ ٱلْأُمُورِ أَوْسَطُهَا

دَوَاءُ ٱلدَّهْرِ ٱلصَّبْرُ عَلَيْهِ

رَأْسُ ٱلْحِكْمَةِ مَخَافَةُ ٱللهِ . رُبَّ حَرْبٍ شُبَّتْ مِنْ لَفْظَةٍ . رُبَّ

ضَنْكٍ أَفْضَى إِلَى سَاحَةٍ وَتَعَبٍ إِلَى رَاحَةٍ • رُبَّ فَرْحَةٍ تَعُودُ تَرْحَةً • رُبَّ كَلِمَةٍ سَلَبَتْ نِعْمَةً • رُبَّمَا كَانَ ٱلسُّكُوتُ جَوَابًا

سُلْطَانٌ غَشُومٌ خَيْرٌ مِنْ فِتْنَةٍ تَدُومُ • سُوءُ ٱلْخُلُقِ يُعْدِي

أَلشَّرُّ قَلِيلُهُ كَثِيرٌ • شَرُّ ٱلنَّاسِ مَنْ لَا يُبَالِي أَنْ يَرَاهُ ٱلنَّاسُ •

شَهَادَاتُ ٱلْفِعَالِ خَيْرٌ مِنْ شَهَادَاتِ ٱلرِّجَالِ

أَصْعَبُ مَا عَلَى ٱلْإِنْسَانِ مَعْرِفَةُ نَفْسِهِ

طُولُ ٱلتَّجَارِبِ زِيَادَةٌ فِي ٱلْعَقْلِ

ظَاهِرُ ٱلْعِتَابِ خَيْرٌ مِنْ بَاطِنِ ٱلْحِقْدِ

عَثْرَةُ ٱلْقَدَمِ أَسْلَمُ مِنْ عَثْرَةِ ٱللِّسَانِ • عِنْدَ ٱلْامْتِحَانِ يُكْرَمُ ٱلْمَرْءُ أَوْ يُهَانُ

أَلْغَائِبُ حُجَّتُهُ مَعَهُ

فِي ٱلْعَجَلَةِ ٱلنَّدَامَةُ وَفِي ٱلتَّأَنِّي ٱلسَّلَامَةُ

أَقْلِلْ طَعَامَكَ تَحْمَدْ مَنَامَكَ • قَدْ ضَلَّ مَنْ كَانَتِ ٱلْعُمْيَانُ تَهْدِيهِ

كَثْرَةُ ٱلضَّحِكِ تُذْهِبُ ٱلْهَيْبَةَ • كُلُّ مَمْنُوعٍ مَتْبُوعٌ

لَا رَسُولَ كَٱلدِّرْهَمِ • قَلْبُ ٱلْأَحْمَقِ فِي فِيهِ وَلِسَانُ ٱلْعَاقِلِ فِي قَلْبِهِ • لَا تَنْهَ عَنْ خُلُقٍ وَتَأْتِيَ مِثْلَهُ • لَا تَكُنْ رَطْبًا فَتُعْصَرَ وَلَا يَابِسًا فَتُكْسَرَ • لَيْسَ مِنْ عَادَةِ ٱلْكِرَامِ تَأْخِيرُ ٱلْإِنْعَامِ • لَيْسَ مِنْ عَادَةِ ٱلْأَشْرَافِ تَعْجِيلُ ٱلْانْتِقَامِ • أَلْمَرْءُ بِأَصْغَرَيْهِ قَلْبِهِ وَلِسَانِهِ

مَثَلُ ٱلْأَغْنِيَاءِ ٱلْبُخَلَاءِ كَمَثَلِ ٱلْبِغَالِ وَٱلْحَمِيرِ تَحْمِلُ ٱلذَّهَبَ

وَٱلفِضَّةَ وَتَعْتَلِفُ بِٱلتِّبْنِ وَٱلشَّعِيرِ. مَنْ مَحَضَكَ مَوَدَّتَهُ. فَقَدْ خَوَّلَكَ مُهْجَتَهُ. مَنْ طَلَبَ شَيْئًا وَجَدَّ وَجَدَ. مَنِ ٱسْتَحْسَنَ قَبِيحًا فَقَدْ عَمِلَهُ. مَنْ كَتَمَ سِرَّهُ بَلَغَ مُرَادَهُ. مَنْ أُعْجِبَ بِرَأْيِهِ ضَلَّ. مَنْ تَأَنَّى نَالَ مَا تَمَنَّى. مَنْ أَحَبَّ شَيْئًا أَكْثَرَ مِنْ ذِكْرِهِ. مَنْ لَانَتْ كَلِمَتُهُ وَجَبَتْ مَحَبَّتُهُ. مَنْ سَلِمَتْ سَرِيرَتُهُ صَلَحَتْ عَلَانِيَتُهُ. مَنْ لَمْ يَرْكَبِ ٱلْأَهْوَالَ لَمْ يَنَلِ ٱلرَّغَائِبَ. نَمْ آمِنًا تَكُنْ فِي أَمْهَدِ ٱلفُرُشِ. نِعْمَ ٱلْمُؤَدِّبُ ٱلدَّهْرُ. وَضْعُ ٱلْإِحْسَانِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ ظُلْمٌ. وَعْدُ ٱلكَرِيمِ دَيْنٌ. وَيْلٌ أَهْوَنُ مِنْ وَيْلَيْنِ

يَعْمَلُ ٱلنَّمَّامُ فِي سَاعَةٍ فِتْنَةَ شَهْرٍ. يَوْمٌ وَاحِدٌ لِلْعَالِمِ خَيْرٌ مِنَ ٱلحَيَاةِ كُلِّهَا لِلْجَاهِلِ.

---

٧٤ هٰذِهِ أَبْيَاتٌ تَتَمَثَّلُ بِهَا ٱلعَرَبُ وَهِيَ لِشُعَرَاءَ مُخْتَلِفِينَ:

أَحَقُّ دَارٍ بِأَنْ تُدْعَى مُبَارَكَةً ... دَارٌ مُبَارَكٌ ٱلْمَلْكُ ٱلَّذِي فِيهَا

إِذَا ثَارَتْ خُطُوبُ ٱلدَّهْرِ يَوْمًا ... عَلَيْكَ فَكُنْ لَهَا ثَبْتَ ٱلْجَنَانِ

إِذَا لَمْ تَسْتَطِعْ أَمْرًا فَدَعْهُ ... وَجَاوِزْهُ إِلَى مَا تَسْتَطِيعُ

إِذَا مَرَّ بِي يَوْمٌ وَلَمْ أَتَّخِذْ يَدًا ... وَلَمْ أَسْتَفِدْ عِلْمًا فَمَا ذَاكَ مِنْ عُمْرِي

أَلْعِلْمُ يَنْهَضُ بِٱلْخَسِيسِ إِلَى ٱلْعُلَى ... وَٱلْجَهْلُ يَقْعُدُ بِٱلْفَتَى ٱلْمَنْسُوبِ

أَلْكُفْرُ بِٱلنِّعْمَةِ يَدْعُو إِلَى ... زَوَالِهَا وَٱلشُّكْرُ أَبْقَى لَهَا

أَلْمَاءُ يَغْسِلُ مَا بِٱلثَّوْبِ مِنْ دَرَنٍ ... وَلَيْسَ يَغْسِلُ قَلْبَ ٱلْمُذْنِبِ ٱلْمَاءُ

أَلابْنُ يَنْشَـأُ عَلَى مَا كَانَ وَالِدُهُ ... إِنَّ الْعُرُوقَ عَلَيْهَا يَنْبُتُ الشَّجَرُ

إِنَّ الْعَدُوَّ وَإِنْ أَبْدَى مُسَالَمَةً ... إِذَا رَأَى مِنْكَ يَوْمًا غِرَّةً وَثَبَا

بِالْمِلْحِ تُصْلِحُ مَا تَخْشَى تَغَيُّرَهُ ... فَكَيْفَ بِالْمِلْحِ إِنْ حَلَّتْ بِهِ الْغِيَرُ

بَلَوْتُ الرِّجَالَ وَأَفْعَالَهُمْ ... فَكُلٌّ يَعُودُ إِلَى عُنْصُرِهْ

تَبًّا لِمَنْ يُمْسِي وَيُصْبِحُ لَاهِيًا ... وَمَرَامُهُ الْمَأْكُولُ وَالْمَشْرُوبُ

تَعَوَّدْ فَعَالَ الْخَيْرِ دَأْبًا فَكُلُّ مَا ... تَعَوَّدَهُ الْإِنْسَانُ كَانَ لَهُ طَبْعَا

تُلْجِي الضَّرُورَاتُ فِي الْأُمُورِ إِلَى ... سُلُوكِ مَا لَا يَلِيقُ بِالْأَدَبِ

جَزَى اللهُ الشَّدَائِدَ كُلَّ خَيْرٍ ... عَرَفْتُ بِهَا عَدُوِّي مِنْ صَدِيقِي

جِرَاحَاتُ السِّنَانِ لَهَا الْتِئَامٌ ... وَلَا يُلْتَامُ مَا جَرَحَ اللِّسَانُ

حَيَّاكَ مَنْ لَمْ تَكُنْ تَرْجُو تَحِيَّتَهُ ... لَوْلَا الدَّرَاهِمُ مَا حَيَّاكَ إِنْسَانُ

خَاطِرْ بِنَفْسِكَ كَيْ تُصِيبَ غَنِيمَةً ... إِنَّ الْجُلُوسَ مَعَ الْعِيَالِ قَبِيحُ

خَفِّضِ الْجَأْشَ وَاصْبِرَنْ رُوَيْدًا ... فَالرَّزَايَا إِذَا تَوَالَتْ تَوَلَّتْ

دُخُولُكَ مِنْ بَابِ الْهَوَى إِنْ أَرَدْتَهُ ... يَسِيرٌ وَلَكِنَّ الْخُرُوجَ عَسِيرُ

دَعْوَى الصَّدَاقَةِ فِي الرَّخَاءِ كَثِيرَةٌ ... بَلْ فِي الشَّدَائِدِ يُعْرَفُ الْإِخْوَانُ

ذَهَبَ الشَّبَابُ فَأَيْنَ تَذْهَبُ بَعْدَهُ ... نَزَلَ الْمَشِيبُ وَحَانَ مِنْكَ رَحِيلُ

رُبَّ مَنْ تَرْجُو بِهِ دَفْعَ الْأَذَى ... عَنْكَ يَأْتِيكَ الْأَذَى مِنْ قِبَلِهْ

رُبَّ يَوْمٍ بَكَيْتُ مِنْهُ فَلَمَّا ... صِرْتُ فِي غَيْرِهِ بَكَيْتُ عَلَيْهِ

زِيَادَةُ الْمَرْءِ فِي دُنْيَاهُ نُقْصَانُ ... وَشُغْلُهُ غَيْرَ فِعْلِ الْخَيْرِ خُسْرَانُ

سَتَذْكُرُنِي إِذَا جَرَّبْتَ غَيْرِي ... وَتَعْلَمُ أَنَّنِي نِعْمَ الصَّدِيقُ

سَكَتُّ عَنِ ٱلسَّفِيهِ فَظَنَّ أَنِّي ... عَيِيتُ عَنِ ٱلْجَوَابِ وَمَا عَيِيتُ

صَدِيقُكَ حِينَ تَسْتَغْنِي كَثِيرٌ ... وَمَا لَكَ عِنْدَ فَقْرِكَ مِنْ صَدِيقِ

صُنِ ٱلْعِلْمَ وَٱرْفَعْ قَدْرَهُ وَٱرْعَ حَقَّهُ ... وَلَا تُلْقِهِ إِلَّا إِلَى كُلِّ مُنْصِفِ

ضِدَّانِ لَمَّا ٱسْتَجْمَعَا حَسُنَا ... وَٱلضِّدُّ يُظْهِرُ حُسْنَهُ ٱلضِّدُّ

ظَاهِرِي دُونَ بَاطِنِي مُسْتَجَادٌ ... لَيْتَ حَالِي يَكُونُ بِٱلْمَقْلُوبِ

عَتَبْتُ عَلَى عَمْرٍو فَلَمَّا فَقَدْتُهُ ... وَجَرَّبْتُ أَقْوَامًا بَكَيْتُ عَلَى عَمْرِو

عَجِبْتُ لِمَنْ يَشْرِي ٱلْعَبِيدَ بِمَالِهِ ... وَلَا يَشْتَرِي حُرًّا بِلِينِ مَقَالِهِ

عَلَيْكَ نَفْسَكَ فَتِّشْ عَنْ مَعَايِبِهَا ... وَخَلِّ عَنْ عَثَرَاتِ ٱلنَّاسِ لِلنَّاسِ

فَإِنْ كَانَتِ ٱلْأَجْسَامُ مِنَّا تَبَاعَدَتْ ... فَإِنَّ ٱلْمَدَى بَيْنَ ٱلْقُلُوبِ قَرِيبُ

فَتًى إِنْ يَرْضَ لَمْ يَنْفَعْكَ شَيْئًا ... وَإِنْ يَغْضَبْ عَلَيْكَ فَلَا تُبَالِ

فَلَمْ أَرَ كَٱلْأَيَّامِ لِلْمَرْءِ وَاعِظًا ... وَلَا كَصُرُوفِ ٱلدَّهْرِ لِلْمَرْءِ هَادِيَا

فَمَا أَكْثَرَ ٱلْأَصْحَابَ حِينَ تَعُدُّهُمْ ... وَلَٰكِنَّهُمْ فِي ٱلنَّائِبَاتِ قَلِيلُ

قَدْ يَجْمَعُ ٱلْمَالَ غَيْرُ آكِلِهِ ... وَيَأْكُلُ ٱلْمَالَ غَيْرُ مَنْ جَمَعَهْ

قَدْ زَالَ مُلْكُ سُلَيْمَانٍ فَغَادَرَهُ ... وَٱلشَّمْسُ تَنْحَطُّ فِي ٱلْمَجْرَى وَتَرْتَفِعُ

قَنِّعِ ٱلنَّفْسَ بِٱلْكَفَافِ وَإِلَّا ... طَلَبَتْ مِنْكَ فَوْقَ مَا يَكْفِيهَا

كَانُوا بَنِي أُمٍّ فَفَرَّقَ شَمْلَهُمْ ... عَدَمُ ٱلْعُقُولِ وَخِفَّةُ ٱلْأَحْلَامِ

كَأَنَّكَ مِنْ كُلِّ ٱلنُّفُوسِ مُرَكَّبٌ ... فَأَنْتَ إِلَى كُلِّ ٱلْأَنَامِ حَبِيبُ

كُلُّ ٱلْمَصَائِبِ قَدْ تَمُرُّ عَلَى ٱلْفَتَى ... فَتَهُونُ غَيْرَ شَمَاتَةِ ٱلْأَعْدَاءِ

كُلُّ مَنْ أَحْوَجَكَ ٱلدَّهْرُ إِلَيْهْ ... وَتَعَرَّضْتَ لَهُ هُنْتَ عَلَيْهْ

كَمْ مَاتَ قَوْمٌ وَمَا مَاتَتْ مَكَارِمُهُمْ ... وَعَاشَ قَوْمٌ وَهُمْ فِي ٱلنَّاسِ أَمْوَاتُ

لَعَمْرِيَ مَا ضَاقَتْ بِلَادٌ بِأَهْلِهَا ... وَلَكِنَّ أَخْلَاقَ ٱلرِّجَالِ تَضِيقُ

لَعَمْرُكَ مَا ٱلْأَيَّامُ إِلَّا مُعَارَةٌ ... فَمَا ٱسْطَعْتَ مِنْ مَعْرُوفِهَا فَتَزَوَّدِ

لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ يُسْتَطَبُّ بِهِ ... إِلَّا ٱلْحَمَاقَةَ أَعْيَتْ مَنْ يُدَاوِيهَا

لِكُلِّ شَيْءٍ حَسَنٍ زِينَةٌ ... وَزِينَـةُ ٱلْعَاقِلِ حُسْنُ ٱلْأَدَبْ

لِلْمَوْتِ فِينَا سِهَامٌ وَهْيَ صَائِبَةٌ ... مَنْ فَاتَهُ ٱلْيَوْمَ سَهْمٌ لَمْ يَفُتْهُ غَدَا

لَيْسَ ٱلسَّعِيدُ ٱلَّذِي دُنْيَاهُ تُسْعِدُهُ ... إِنَّ ٱلسَّعِيدَ ٱلَّذِي يَنْجُو مِنَ ٱلنَّارِ

مَا أَحْسَنَ ٱلصِّدْقَ فِي ٱلدُّنْيَا لِقَائِلِهِ ... وَأَقْبَحَ ٱلْكِذْبَ عِنْدَ ٱللهِ وَٱلنَّاسِ

مَا بِقَوْمِي شَرُفْتُ بَلْ شَرُفُوا بِي ... وَبِنَفْسِي ٱرْتَفَعْتُ لَا بِجُدُودِي

مَا حَكَّ جِلْدَكَ مِثْلُ ظُفْرِكَ ... فَتَوَلَّ أَنْتَ جَمِيعَ أَمْرِكَ

مَا كُلُّ مَا يَتَمَنَّى ٱلْمَرْءُ يُدْرِكُهُ ... تَجْرِي ٱلرِّيَاحُ بِمَا لَا تَشْتَهِي ٱلسُّفُنُ

مَتَى يَبْلُغُ ٱلْبُنْيَانُ يَوْمًا تَمَامَـهُ ... إِذَا كُنْتَ تَبْنِيهِ وَغَيْرُكَ يَهْدِمُ

مَنْ يَصْنَعِ ٱلْخَيْرَ مَعَ مَنْ لَيْسَ يَعْرِفُهُ ... كَوَاقِدِ ٱلشَّمْعِ فِي بَيْتٍ لِعُمْيَانِ

مَنْ يَحْمَـدِ ٱلنَّاسَ يَحْمَـدُوهُ ... وَٱلنَّاسُ مَنْ عَابَهُمْ يُعَابُ

مَنْ كَانَ فَوْقَ مَحَلِّ ٱلشَّمْسِ رُتْبَتُهُ ... فَلَيْسَ يَرْفَعُهُ شَيْءٌ وَلَا يَضَعُ

نَحْنُ بَنُو ٱلْمَوْتَى فَمَـا بَالُنَا ... نَعَافُ مَا لَا بُـدَّ مِنْ شُرْبِهِ

نَدِمْتُ نَدَامَـةَ ٱلْكُسَعِيِّ لَمَّا ... رَأَتْ عَيْنَاهُ مَا صَنَعَتْ يَدَاهُ

هَبِ ٱلدُّنْيَا تُقَـادُ إِلَيْكَ عَفْوًا ... أَلَيْسَ مَصِيرُ ذَاكَ إِلَى ٱلزَّوَالِ

وَإِذَا أَتَتْكَ مَذَمَّتِي مِنْ نَاقِصٍ ... فَهِيَ ٱلشَّهَـادَةُ لِي بِأَنِّي كَامِلُ

وَجَانِبْ صِغَارَ ٱلذَّنْبِ لَا تَرْكَبَنَّهَا فَإِنَّ صِغَارَ ٱلذَّنْبِ يَوْمًا تَجَمَّعُ

وَكَانَ رَجَائِي أَنْ أَعُودَ مُمَتَّعًا فَصَارَ رَجَائِي أَنْ أَعُودَ مُسَلَّمَا

وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يُوَطِّنُ نَفْسَهُ عَلَى نَائِبَاتِ ٱلدَّهْرِ حِينَ تَنُوبُ

وَلَرُبَّ نَازِلَةٍ يَضِيقُ بِهَا ٱلْفَتَى ذَرْعًا وَعِنْدَ ٱللّٰهِ مِنْهَا ٱلْمَخْرَجُ

وَلَيْسَ أَخِي إِلَّا ٱلصَّحِيحَ وِدَادُهُ وَمَنْ هُوَ فِي وَصْلِي وَقُرْبِي رَاغِبُ

وَلَمْ أَرَ كَٱلْمَعْرُوفِ أَمَّا مَذَاقُهُ فَحُلْوٌ وَأَمَّا وَجْهُهُ فَجَمِيلُ

وَمَنْ عَاشَ فِي ٱلدُّنْيَا فَلَا بُدَّ أَنْ يَرَى مِنَ ٱلْعَيْشِ مَا يَصْفُو وَمَا يَتَكَدَّرُ

لَا تَقُلْ أَصْلِي وَفَصْلِي أَبَدًا إِنَّمَا أَصْلُ ٱلْفَتَى مَا قَدْ حَصَلْ

لَا تَسْأَلِ ٱلْمَرْءَ عَنْ خَلَائِقِهِ فِي وَجْهِهِ شَاهِدٌ مِنَ ٱلْخَبَرِ

لَا تَنْهَ عَنْ خُلُقٍ وَتَأْتِيَ مِثْلَهُ عَارٌ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمُ

لَا تَنْظُرَنَّ إِلَى ٱمْرِئٍ مَا أَصْلُهُ وَٱنْظُرْ إِلَى أَفْعَالِهِ ثُمَّ ٱحْكُمِ

لَا تُذِلَّ ٱلْفَقِيرَ عَلَّكَ أَنْ تَسْقُطَ يَوْمًا وَٱلدَّهْرُ قَدْ رَفَعَهْ

يُرِيكَ ٱلْبَشَاشَةَ عِنْدَ ٱللِّقَا وَيَبْرِيكَ فِي ٱلسِّرِّ بَرْيَ ٱلْقَلَمْ

يُفَارِقُنِي مَنْ لَا أُطِيقُ فِرَاقَهُ وَيَصْحَبُنِي فِي ٱلنَّاسِ مَنْ لَا أُرِيدُهُ

يَمُوتُ ٱلْفَتَى مِنْ عَثْرَةٍ مِنْ لِسَانِهِ وَلَيْسَ يَمُوتُ ٱلْمَرْءُ مِنْ عَثْرَةِ ٱلرِّجْلِ

يَنَالُ ٱلْفَتَى بِٱلْعِلْمِ كُلَّ غَنِيمَةٍ وَيَعْلُو مَقَامًا بِٱلتَّوَاضُعِ وَٱلْأَدَبْ

يَهُونُ عَلَيْنَا أَنْ تُصَابَ جُسُومُنَا وَتَسْلَمَ أَعْرَاضٌ لَنَا وَعُقُولُ

يَهِيمُ لِلشَّعِيرِ إِذَا رَآهُ وَيَعْبِسُ إِنْ رَأَى وَجْهَ ٱللِّجَامِ

أَلْبَابُ ٱلرَّابِعُ

فِي أَمْثَالٍ عَنْ أَلْسِنَةِ ٱلْحَيَوَانَاتِ

كِلَابٌ وَثَعْلَبٌ

٧٥ كِلَابٌ مَرَّةً أَصَابُوا جِلْدَ سَبُعٍ . فَأَقْبَلُوا عَلَيْهِ يَنْهَشُونَهُ . فَبَصُرَ بِهِمِ ٱلثَّعْلَبُ فَقَالَ لَهُمْ : أَمَا أَنَّهُ لَوْ كَانَ حَيًّا لَرَأَيْتُمْ مَخَالِبَهُ كَأَنْيَابِكُمْ وَأَطْوَلَ (مَغْزَاهُ) ٱلنَّهْيُ عَنِ ٱلشَّمَاتَةِ بِٱلْمَوْتَى

أَلْوَزُّ وَٱلْخُطَّافُ

٧٦ أَلْوَزُّ وَٱلْخُطَّافُ تَشَارَكَا فِي ٱلْمَعِيشَةِ . فَكَانَ مَرْعَاهُمَا كِلَيْهِمَا فِي مَحَلٍّ وَاحِدٍ . فَمَرَّ بِهِمَا ٱلصَّيَّادُونَ يَوْمًا . فَمَا كَانَ مِنَ ٱلْخُطَّافِ إِلَّا أَنْ طَارَ وَسَلِمَ . فَأَمَّا ٱلْوَزُّ فَأُدْرِكَ وَذُبِحَ (مَغْزَاهُ) مَنْ عَاشَرَ مَنْ لَا يُشَاكِلُهُ أَحَاقَ بِهِ ٱلسُّوءُ

قِطٌّ

٧٧ قِطٌّ مَرَّةً دَخَلَ دُكَّانَ حَدَّادٍ . فَأَصَابَ ٱلْمِبْرَدَ . فَأَقْبَلَ يَلْحَسُهُ بِلِسَانِهِ وَٱلدَّمُ يَسِيلُ مِنْهُ وَهُوَ يَبْلَعُهُ وَيَظُنُّهُ مِنَ ٱلْمِبْرَدِ إِلَى أَنْ فَنِيَ لِسَانُهُ فَمَاتَ (مَغْزَاهُ) أَنَّ ٱلْجَاهِلَ لَا يُفِيقُ مِنْ جَهْلِهِ مَا دَامَ ٱلطَّمَعُ غَالِبًا عَلَيْهِ

صَبِيٌّ وَعَقْرَبٌ

٧٨ صَبِيٌّ مَرَّةً كَانَ يَصِيدُ ٱلْجَرَادَ . فَنَظَرَ عَقْرَبًا فَظَنَّهَا جَرَادَةً . فَمَدَّ

يَدَهُ لِيَأْخُذَهَا ثُمَّ تَبَاعَدَ عَنْهَا. فَقَالَتْ لَهُ: لَوْ أَنَّكَ قَبَضْتَنِي بِيَدِكَ لَتَخَلَّيْتَ عَنْ صَيْدِ الْجَرَادِ (مَغْزَاهُ) أَنَّ سَبِيلَ الْإِنْسَانِ أَنْ يُمَيِّزَ بَيْنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ. وَيُدَبِّرَ لِكُلِّ شَيْءٍ تَدْبِيرًا عَلَى حِدَتِهِ

اَلنِّمْسُ وَالدَّجَاجُ

٧٩ بَلَغَ النِّمْسَ أَنَّ الدَّجَاجَ قَدْ مَرِضُوا. فَلَبِسُوا جُلُودَ طَوَاوِيسَ وَأَتَوْا لِيَزُورُوهُمْ. فَقَالُوا لَهُمْ: اَلسَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَيُّهَا الدَّجَاجُ. كَيْفَ أَنْتُمْ وَكَيْفَ أَحْوَالُكُمْ. فَقَالُوا: إِنَّا بِخَيْرٍ يَوْمَ لَا نَرَى وُجُوهَكُمْ (مَغْزَاهُ) أَنَّ كَثِيرًا يُظْهِرُونَ الْمَحَبَّةَ وَيُبْطِنُونَ الْبَغْضَاءَ

إِنْسَانٌ وَصَنَمٌ

٨٠ إِنْسَانٌ كَانَ لَهُ صَنَمٌ فِي بَيْتِهِ يَعْبُدُهُ وَيَذْبَحُ لَهُ كُلَّ يَوْمٍ ذَبِيحَةً حَتَّى أَفْنَى عَلَيْهِ جَمِيعَ مَا كَانَ يَمْلِكُهُ. فَشَخَصَ لَهُ الصَّنَمُ أَخِيرًا وَقَالَ لَهُ: لَا تُفْنِ مَالَكَ عَلَيَّ ثُمَّ تَلُمْنِي عِنْدَ إِلَهٍ آخَرَ (مَغْزَاهُ) يَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أَنْ لَا يُنْفِقَ مَالَهُ فِي الْخَطِيئَةِ ثُمَّ يَحْتَجَّ أَنَّ اللهَ أَفْقَرَهُ

إِنْسَانٌ وَالْمَوْتُ

٨١ إِنْسَانٌ مَرَّةً حَمَلَ حُزْمَةَ حَطَبٍ. فَثَقُلَتْ عَلَيْهِ. فَلَمَّا أَعْيَا وَضَجِرَ مِنْ حَمْلِهَا رَمَى بِهَا عَنْ كَتِفِهِ وَدَعَا عَلَى رُوحِهِ بِالْمَوْتِ. فَشَخَصَ لَهُ الْمَوْتُ قَائِلًا: هَا أَنَا ذَا. لِمَ دَعَوْتَنِي. فَقَالَ لَهُ الْإِنْسَانُ: دَعَوْتُكَ لِتُحَوِّلَ هٰذِهِ حُزْمَةَ الْحَطَبِ عَلَى كَتِفِي (مَغْزَاهُ) أَنَّ الْعَالَمَ بِأَسْرِهِ يُحِبُّ الدُّنْيَا وَإِنَّمَا يَمَلُّ مِنَ الضَّعْفِ وَالشَّقَاءِ (للقمان)

قِطَّتَانِ وَقِرْدٌ

٨٢ قِطَّتَانِ اخْتَطَفَتَا جُبْنَةً وَذَهَبَتَا بِهَا إِلَى الْقِرْدِ لِكَيْ يَقْسِمَهَا بَيْنَهُمَا. فَقَسَمَهَا إِلَى قِسْمَيْنِ أَحَدُهُمَا أَكْبَرُ مِنَ الْآخَرِ وَوَضَعَهُمَا فِي مِيزَانِهِ. فَرَجَحَ الْأَكْبَرُ. فَأَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا بِأَسْنَانِهِ وَهُوَ يُظْهِرُ أَنَّهُ يُرِيدُ مُسَاوَاتَهُ بِالْأَصْغَرِ. وَلَكِنْ إِذْ كَانَ مَا أَخَذَهُ مِنْهُ هُوَ أَكْثَرُ مِنَ اللَّازِمِ رَجَحَ الْأَصْغَرُ. فَفَعَلَ بِهٰذَا مَا فَعَلَهُ بِذَاكَ ثُمَّ فَعَلَ بِذَاكَ مَا فَعَلَهُ بِهٰذَا حَتَّى كَادَ يَذْهَبُ بِالْجُبْنَةِ. فَقَالَتْ لَهُ الْقِطَّتَانِ: نَحْنُ رَضِينَا بِهٰذِهِ الْقِسْمَةِ فَأَعْطِنَا الْجُبْنَةَ. فَقَالَ: إِذَا كُنْتُمَا أَنْتُمَا رَضِيتُمَا فَإِنَّ الْعَدْلَ لَا يَرْضَى. وَمَا زَالَ يَقْضِمُ الْقِسْمَ الرَّاجِحَ مِنْهُمَا كَذٰلِكَ حَتَّى أَتَى عَلَيْهِمَا جَمِيعًا. فَرَجَعَتِ الْقِطَّتَانِ بِحُزْنٍ وَخَيْبَةٍ وَهُمَا تَقُولَانِ:

وَمَا مِنْ يَدٍ إِلَّا يَدُ اللّٰهِ فَوْقَهَا ... وَلَا ظَالِمٌ إِلَّا سَيُبْلَى بِأَظْلَمِ

صَائِدٌ وَعُصْفُورٌ

٨٣ كَانَ صَائِدٌ يَصِيدُ الْعَصَافِيرَ فِي يَوْمٍ بَارِدٍ. فَكَانَ يَذْبَحُهَا وَالدُّمُوعُ تَسِيلُ. فَقَالَ عُصْفُورٌ لِصَاحِبِهِ: لَا بَأْسَ عَلَيْكَ مِنَ الرَّجُلِ أَمَا تَرَاهُ يَبْكِي. فَقَالَ لَهُ الْآخَرُ: لَا تَنْظُرْ إِلَى دُمُوعِهِ بَلْ إِلَى مَا تَصْنَعُ يَدَاهُ (للشريشي)

أَسْوَدُ

٨٤ أَسْوَدُ فِي فَصْلِ الشِّتَاءِ أَقْبَلَ يَأْخُذُ الثَّلْجَ وَيَفْرُكُ بِهِ بَدَنَهُ. فَقِيلَ لَهُ: لِمَاذَا ذٰلِكَ. فَقَالَ: لَعَلِّي أَبْيَضُ. فَقَالَ لَهُ حَكِيمٌ: يَا هٰذَا لَا

تُتعبْ نفسَكَ فربّما اسودّ الثلجُ من جسمِكَ وهو باقٍ على حالِهِ (معناه) أنّ الشرّيرَ يقدرُ أن يُفسدَ الخيرَ وقليلاً ما يُصلحُهُ الخيرُ (للقمان)

ثعلبٌ وطبلٌ

وهو مثلُ من يستكبرُ الشيءَ حتّى يُجرِّبَهُ فيستصغرُهُ

٨٥ زعموا أنّ ثعلبًا أتى أجمةً فيها طبلٌ معلّقٌ على شجرةٍ . وكلّما هبّتِ الريحُ على قضبانِ الشجرةِ حرّكتها فضربتِ الطبلَ فسُمعَ لهُ صوتٌ عظيمٌ . فتوجّهَ الثعلبُ نحوَهُ لِما سمعَ من عظيمِ صوتِهِ . فلمّا وصلَ إليهِ وجدَهُ ضخمًا فأيقنَ في نفسِهِ بكثرةِ الشحمِ واللحمِ فعالجَهُ حتّى شقّهُ . فلمّا رآهُ أجوفَ لا شيءَ فيهِ قالَ : لا أدري لعلّ أفشلَ الأشياءِ أجهرُها صوتًا وأعظمُها جثّةً

أسدٌ وثعلبٌ وذئبٌ

وهو مثلُ من اتّعظَ بغيرِهِ واعتبرَ بهِ

٨٦ أسدٌ وثعلبٌ وذئبٌ اصطحبوا فخرجوا يتصيّدونَ . فصادوا حمارًا وأرنبًا وظبيًا . فقالَ الأسدُ للذئبِ : اقسمْ بيننا . فقالَ الأمرُ بيّنٌ . الحمارُ للأسدِ والأرنبُ للثعلبِ والظبيُ لي . فخبطَهُ الأسدُ فأطاحَ رأسَهُ . ثمّ أقبلَ على الثعلبِ وقالَ : ما كانَ أجهلَ صاحبَكَ بالقسمةِ هاتِ أنتَ . فقالَ : يا أبا الحارثِ الأمرُ واضحٌ . الحمارُ لغدائِكَ والظبيُ لعشائِكَ وتخلّلْ بالأرنبِ فيما بينَ ذلكَ . فقالَ لهُ الأسدُ : ما أقضاكَ . من علّمكَ هذا الفقهَ . فقالَ :

رَأْسُ ٱلذِّئْبِ ٱلطَّائِرُ مِنْ جُثَّتِهِ (للقليوبي)

مَثَلُ فَارَةِ ٱلْبَيْتِ وَفَارَةِ ٱلصَّحْرَاءِ

٨٧ قِيلَ إِنَّ فَارَةَ ٱلْبُيُوتِ رَأَتْ فَارَةَ ٱلصَّحْرَاءِ فِي شِدَّةٍ وَمِحْنَةٍ فَقَالَتْ لَهَا : مَا تَصْنَعِينَ هٰهُنَا اذْهَبِي مَعِي إِلَى ٱلْبُيُوتِ ٱلَّتِي فِيهَا أَنْوَاعُ ٱلنَّعِيمِ وَٱلْخِصْبِ . فَذَهَبَتْ مَعَهَا . وَإِذَا صَاحِبُ ٱلْبَيْتِ ٱلَّذِي كَانَتْ تَسْكُنُهُ قَدْ هَيَّأَ لَهَا ٱلرَّصَدَ لَبِنَةً تَحْتَهَا شَحْمَةٌ . فَٱقْتَحَمَتْ لِتَأْخُذَ ٱلشَّحْمَةَ فَوَقَعَتْ عَلَيْهَا ٱللَّبِنَةُ فَحَطَّمَتْهَا . فَهَرَبَتِ ٱلْفَارَةُ ٱلْبَرِّيَّةُ وَهَزَّتْ رَأْسَهَا مُتَعَجِّبَةً وَقَالَتْ : أَرَى نِعْمَةً كَثِيرَةً وَبَلَاءً شَدِيدًا . إِنَّ ٱلْعَافِيَةَ وَٱلْفَقْرَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ غِنًى يَكُونُ فِيهِ ٱلْمَوْتُ . ثُمَّ فَرَّتْ إِلَى ٱلْبَرِّيَّةِ (للابشيهي)

خُنْفُسَةٌ وَنَحْلَةٌ

٨٨ خُنْفُسَةٌ قَالَتْ مَرَّةً لِنَحْلَةٍ : لَوْ أَخَذْتِنِي مَعَكِ لَعَسَّلْتُ مِثْلَكِ وَأَكْثَرَ . فَأَجَابَتْهَا ٱلنَّحْلَةُ إِلَى ذٰلِكَ . فَلَمَّا لَمْ تَقْدِرْ عَلَى وَفَاءِ مَا قَالَتْ ضَرَبَتْهَا ٱلنَّحْلَةُ بِحُمَتِهَا . وَفِيمَا هِيَ تَمُوتُ قَالَتْ فِي نَفْسِهَا : لَقَدِ ٱسْتَوْجَبْتُ مَا نَالَنِي مِنَ ٱلسُّوءِ . فَإِنِّي لَا أُحْسِنُ ٱلزِّفْتَ فَكَيْفَ ٱلْعَسَلَ (مَغْزَاهُ) أَنَّ أُنَاسًا كَثِيرِينَ يَدَّعُونَ مَا لَا يَنْبَغِي لَهُمْ فَتَفْتَضِحُ عَاقِبَتُهُمْ (للقمان)

مَثَلُ ٱلْخِنْزِيرِ وَٱلْأَتَانِ

٨٩ كَانَ عِنْدَ رُومِيٍّ خِنْزِيرٌ فَرَبَطَهُ إِلَى أُسْطُوَانَةٍ وَوَضَعَ ٱلْعَلَفَ

بَيْنَ يَدَيْهِ لِيُسَمِّنَهُ . وَكَانَ بِجَنْبِهِ أَتَانٌ لَهَا جَحْشٌ . وَكَانَ ذٰلِكَ
ٱلْجَحْشُ يَلْتَقِطُ مِنَ ٱلْعَلَفِ مَا يَتَنَاثَرُ فَقَالَ لِأُمِّهِ : يَا أُمَّاهُ مَا أَطْيَبَ هٰذَا
ٱلْعَلَفَ لَوْ دَامَ . فَقَالَتْ لَهُ : يَا بُنَيَّ لَا تَقْرَبْهُ فَإِنَّ وَرَاءَهُ ٱلطَّامَّةَ ٱلْكُبْرَى .
فَلَمَّا أَرَادَ ٱلرُّومِيُّ أَنْ يَذْبَحَ ٱلْخِنْزِيرَ وَوَضَعَ ٱلسِّكِّينَ عَلَى حَلْقِهِ جَعَلَ
يَضْطَرِبُ وَيَنْفَحُ . فَهَرَبَ ٱلْجَحْشُ وَأَتَى إِلَى أُمِّهِ وَأَخْرَجَ لَهَا أَسْنَانَهُ
وَقَالَ : وَيْحَكِ يَا أُمَّاهُ ٱنْظُرِي هَلْ بَقِيَ فِي خِلَالِ أَسْنَانِي شَيْءٌ مِنْ
ذٰلِكَ ٱلْعَلَفِ فَأَقْلَعِيهِ . فَمَا أَحْسَنَ ٱلْقَنَعَ مَعَ ٱلسَّلَامَةِ (الابشيهي)

كَلْبٌ وَشُوحَةٌ

٩٠ كَلْبٌ مَرَّةً خَطِفَ بِضْعَةَ لَحْمٍ مِنَ ٱلْمَسْلَخِ وَنَزَلَ يَخُوضُ فِي
ٱلنَّهْرِ . فَنَظَرَ ظِلَّهَا فِي ٱلْمَاءِ وَإِذَا هِيَ أَكْبَرُ مِنَ ٱلَّتِي مَعَهُ . فَرَمَى
ٱلَّتِي مَعَهُ فَٱنْحَدَرَتْ شُوحَةٌ فَأَخَذَتْهَا . وَجَعَلَ ٱلْكَلْبُ يَجْرِي فِي
طَلَبِ ٱلْكَبِيرَةِ فَلَمْ يَجِدْ شَيْئًا . فَرَجَعَ فِي طَلَبِ ٱلَّتِي كَانَتْ مَعَهُ
فَلَمْ يُصِبْهَا . فَقَالَ : وَيْحِي أَنَا ٱلَّذِي أَلْقَيْتُ نَفْسِي فِي ٱلْغُرُورِ . لِأَنِّي
ضَيَّعْتُ مَا كَانَ تَحْتَ يَدِي . وَسَعَيْتُ فِي طَلَبِ مَا لَيْسَ هُوَ تَحْتَ
يَدِي وَلَا يَصْلُحُ لِي (مَغْزَاهُ) لَا يَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَتْرُكَ شَيْئًا
قَلِيلًا مَوْجُودًا وَيَطْلُبَ شَيْئًا كَثِيرًا مَفْقُودًا

أَرَانِبُ وَثَعَالِبُ

٩١ أَلنُّسُورُ مَرَّةً وَقَعَتْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْأَرَانِبِ حَرْبٌ . فَمَضَتِ
ٱلْأَرَانِبُ إِلَى ٱلثَّعَالِبِ يَسُومُونَ مِنْهُمُ ٱلْحِلْفَ وَٱلْمُعَاضَدَةَ عَلَى

ٱلنُّسُورِ. فَقَالُوا لَهُمْ : لَوْلَا عَرَفْنَاكُمْ وَنَعْلَمُ لِمَنْ تُحَارِبُونَ لَفَعَلْنَا ذٰلِكَ (مَعْنَاهُ) أَنَّ سَبِيلَ ٱلْإِنْسَانِ أَلَّا يُحَارِبَ مَنْ هُوَ أَشَدُّ بَأْسًا مِنْهُ

غَزَالٌ وَثَعْلَبٌ

٩٢ غَزَالٌ مَرَّةً عَطِشَ فَجَاءَ إِلَى عَيْنِ مَاءٍ يَشْرَبُ وَكَانَ ٱلْمَاءُ فِي جُبٍّ عَمِيقٍ . ثُمَّ إِنَّهُ لَمَّا حَاوَلَ ٱلطُّلُوعَ لَمْ يَقْدِرْ فَنَظَرَهُ ٱلثَّعْلَبُ فَقَالَ لَهُ: يَا أَخِي أَسَأْتَ فِي فِعْلِكَ إِذْ لَمْ تُمَيِّزْ طُلُوعَكَ قَبْلَ نُزُولِكَ

أَسَدٌ وَثَوْرٌ

٩٣ أَسَدٌ مَرَّةً أَرَادَ أَنْ يَفْتَرِسَ ثَوْرًا فَلَمْ يَجْسُرْ عَلَيْهِ لِشِدَّتِهِ . فَمَضَى إِلَيْهِ مُتَمَلِّقًا قَائِلًا: قَدْ ذَبَحْتُ خَرُوفًا سَمِينًا وَأَشْتَهِي أَنْ تَأْكُلَ عِنْدِي هٰذِهِ ٱللَّيْلَةَ مِنْهُ . فَأَجَابَ ٱلثَّوْرُ إِلَى ذٰلِكَ . فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى ٱلْعَرِينِ وَنَظَرَهُ فَإِذَا ٱلْأَسَدُ قَدْ أَعَدَّ حَطَبًا كَثِيرًا وَخَلَاقِينَ كِبَارًا فَوَلَّى هَارِبًا . فَقَالَ لَهُ ٱلْأَسَدُ: مَا لَكَ وَلَّيْتَ بَعْدَ مَجِيئِكَ إِلَى هُنَا . فَقَالَ لَهُ ٱلثَّوْرُ : لِأَنِّي عَلِمْتُ أَنَّ هٰذَا ٱلِاسْتِعْدَادَ لِمَا هُوَ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْخَرُوفِ (مَعْنَاهُ) أَنَّهُ يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ لَا يُصَدِّقَ عَدُوَّهُ (لِلُقْمَان)

كَلْبَانِ

٩٤ كَلْبٌ مَرَّةً كَانَ فِي دَارِ أَصْحَابِهِ دَعْوَةٌ . فَخَرَجَ إِلَى ٱلسُّوقِ فَلَقِيَ كَلْبًا آخَرَ . فَقَالَ لَهُ: اِعْلَمْ أَنَّ عِنْدَنَا ٱلْيَوْمَ دَعْوَةً . فَٱمْضِ بِنَا لِنَقْصِفَ ٱلْيَوْمَ جَمِيعًا . فَمَضَى مَعَهُ . فَدَخَلَ بِهِ إِلَى ٱلْمَطْبَخِ . فَلَمَّا نَظَرَهُ ٱلْخُدَّامُ قَبَضَ أَحَدُهُمْ عَلَى ذَنَبِهِ وَرَمَى بِهِ مِنَ ٱلْحَائِطِ إِلَى

خَارِجِ ٱلدَّارِ فَوَقَعَ مَغشِيًّا عَلَيهِ . فَلَمَّا أَفَاقَ ٱنتَفَضَ مِنَ ٱلتُّرَابِ فَرَآهُ أَصحَابُهُ فَقَالُوا : أَينَ كُنتَ ٱليَومَ . أَكُنتَ تَقصُفُ . فَإِنَّا نَرَاكَ خَرَجتَ ٱليَومَ لَا تَدرِي كَيفَ ٱلطَّرِيقُ (مَعنَاهُ) أَنَّ كَثِيرِينَ يَتَطَفَّلُونَ فَيَخرُجُونَ مَطرُودِينَ بَعدَ ٱلِاستِخفَافِ بِهِم وَٱلهَوَانِ

نَاسِكٌ وَمُحتَالُونَ

وَهُوَ مَثَلُ مَن صَدَّقَ ٱلكَذُوبَ ٱلمُحتَالَ فَكَانَ مِنَ ٱلخَاسِرِينَ

٩٥ زَعَمُوا أَنَّ نَاسِكًا ٱشتَرَى عِربَضًا ضَخمًا لِيَجعَلَهُ قُربَانًا وَٱنطَلَقَ بِهِ يَقُودُهُ . فَبَصُرَ بِهِ قَومٌ مِنَ ٱلمَكَرَةِ فَٱئتَمَرُوا بَينَهُم أَن يَأخُذُوهُ مِنهُ . فَعَرَضَ لَهُ أَحَدُهُم فَقَالَ : مَا هٰذَا ٱلكَلبُ ٱلَّذِي مَعَكَ . ثُمَّ عَرَضَ لَهُ آخَرُ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ : مَا هٰذَا نَاسِكًا لِأَنَّ ٱلنَّاسِكَ لَا يَقُودُ كَلبًا . فَلَم يَزَالُوا مَعَهُ عَلَى هٰذَا وَمِثلِهِ حَتَّى لَم يَشُكَّ أَنَّ ٱلَّذِي يَقُودُهُ كَلبٌ وَأَنَّ ٱلَّذِي بَاعَهُ لَهُ سَحَرَ عَينَيهِ . فَأَطلَقَهُ مِن يَدِهِ فَأَخَذَهُ ٱلمُحتَالُونَ وَمَضَوا بِهِ (كليلة ودمنة)

إِنسَانٌ وَأَسَدٌ وَدُبٌّ فِي بِئرٍ

٩٦ حُكِيَ أَنَّ إِنسَانًا هَرَبَ مِن أَسَدٍ فَوَقَعَ فِي بِئرٍ . وَجَدَ فِيهِ دُبًّا ثُمَّ وَقَعَ بَعدَهُمَا ٱلأَسَدُ . فَقَالَ لِلدُّبِّ : كَم لَكَ هٰهُنَا . فَقَالَ لَهُ : مُنذُ أَيَّامٍ وَقَد قَتَلَنِي ٱلجُوعُ . فَقَالَ لَهُ : دَعنَا نَأكُلُ هٰذَا ٱلإِنسَانَ وَقَد كُفِينَا ٱلجُوعَ . فَقَالَ لَهُ : وَإِذَا عَاوَدَنَا ٱلجُوعُ مَرَّةً أُخرَى فَمَاذَا نَصنَعُ . وَلٰكِنِ ٱلأَولَى أَنَّنَا نَحلِفُ لَهُ أَن لَا نُؤذِيَهُ فَيَحتَالَ فِي

خَلَاصِنَا لِأَنَّهُ أَقْدَرُ مِنَّا عَلَى ٱلْحِيلَةِ . فَحَلَفَا لَهُ فَٱحْتَالَ حَتَّى خَلَصَ وَخَلَّصَهُمَا . فَكَانَ نَظَرُ ٱلدُّبِّ أَكْمَلَ مِنْ نَظَرِ ٱلْأَسَدِ (للقليوبي)

ثَعْلَبٌ وَضَبُعٌ

٩٧ حُكِيَ أَنَّ ٱلثَّعْلَبَ ٱطَّلَعَ فِي بِئْرٍ وَهُوَ عَطِشٌ وَعَلَيْهَا رِشَاءٌ فِي طَرَفَيْهِ دَلْوَانِ . فَقَعَدَ فِي ٱلدَّلْوِ ٱلْعُلْيَا فَٱنْحَدَرَتْ فَشَرِبَ . فَجَاءَتِ ٱلضَّبُعُ فَٱطَّلَعَتْ فِي ٱلْبِئْرِ فَأَبْصَرَتِ ٱلْقَمَرَ فِي ٱلْمَاءِ مُنْتَصِفًا وَٱلثَّعْلَبُ قَاعِدٌ فِي قَعْرِ ٱلْبِئْرِ . فَقَالَتْ لَهُ : مَا تَصْنَعُ هٰهُنَا . فَقَالَ لَهَا : إِنِّي أَكَلْتُ نِصْفَ هٰذِهِ ٱلْجُبْنَةِ وَبَقِيَ نِصْفُهَا لَكِ فَٱنْزِلِي فَكُلِيهَا . فَقَالَتْ : وَكَيْفَ أَنْزِلُ . قَالَ : تَقْعُدِينَ فِي ٱلدَّلْوِ . فَقَعَدَتْ فِيهَا فَٱنْحَدَرَتْ وَٱرْتَفَعَ ٱلثَّعْلَبُ فِي ٱلدَّلْوِ ٱلْأُخْرَى . فَلَمَّا ٱلْتَقَيَا فِي وَسَطِ ٱلْبِئْرِ . قَالَتْ لَهُ : مَا هٰذَا . قَالَ : كَذَا ٱلنُّجَّارُ يَخْتَلِفُ . فَضَرَبَتِ ٱلْعَرَبُ بِهِمَا ٱلْمَثَلَ فِي ٱلْمُخْتَلِفَيْنِ (للشريشي)

إِنْسَانٌ وَأَسَدٌ وَدُبٌّ

٩٨ حُكِيَ أَنَّ إِنْسَانًا هَرَبَ مِنْ أَسَدٍ فَٱلْتَجَأَ إِلَى شَجَرَةٍ فَصَعِدَ عَلَيْهَا . وَإِذَا فَوْقَهَا دُبٌّ يَلْقُطُ ثَمَرَهَا . فَجَاءَ ٱلْأَسَدُ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ ثُمَّ ٱفْتَرَشَ يَنْتَظِرُ نُزُولَ ٱلْإِنْسَانِ . فَٱلْتَفَتَ ٱلرَّجُلُ إِلَى ٱلدُّبِّ فَإِذَا هُوَ يُشِيرُ إِلَيْهِ بِإِصْبَعِهِ عَلَى فَمِهِ أَنِ : ٱسْكُتْ لِئَلَّا يَشْعُرَ ٱلْأَسَدُ أَنِّي هٰهُنَا . فَتَحَيَّرَ ٱلرَّجُلُ وَكَانَ مَعَهُ سِكِّينٌ لَطِيفٌ فَأَخَذَ يَقْطَعُ ٱلْغُصْنَ ٱلَّذِي عَلَيْهِ ٱلدُّبُّ حَتَّى أَنْهَاهُ . فَوَقَعَ ٱلدُّبُّ عَلَى ٱلْأَرْضِ فَوَثَبَ عَلَيْهِ ٱلْأَسَدُ فَتَصَارَعَا فَٱفْتَرَسَ

ٱلْأَسَدُ ٱلدُّبَّ وَكَرَّ رَاجِعًا وَنَجَا ٱلرَّجُلُ بِإِذْنِ ٱللهِ تَعَالَى (للقليوبي)

حِمَارٌ وَثَوْرٌ

٩٩ زَعَمُوا أَنَّهُ كَانَ لِبَعْضِهِمْ حِمَارٌ قَدْ أَبْطَرَتْهُ ٱلرَّاحَةُ وَثَوْرٌ قَدْ أَذَلَّهُ ٱلتَّعَبُ. فَشَكَا ٱلثَّوْرُ أَمْرَهُ يَوْمًا إِلَى ٱلْحِمَارِ وَقَالَ لَهُ: هَلْ لَكَ يَا أَخِي أَنْ تَنْصَحَنِي بِمَا يُرِيحُنِي مِنْ تَعَبِي هٰذَا ٱلشَّدِيدِ. فَقَالَ لَهُ ٱلْحِمَارُ: تَمَارَضْ وَلَا تَأْكُلْ عَلَفَكَ فَإِذَا كَانَ ٱلصَّبَاحُ وَرَآكَ صَاحِبُنَا هٰكَذَا تَرَكَكَ وَلَمْ يَأْخُذْكَ لِلْحِرَاثَةِ فَتَسْتَرِيحَ. قَالُوا: وَكَانَ صَاحِبُهُمَا يَفْهَمُ بِلِسَانِ ٱلْحَيَوَانَاتِ فَفَهِمَ مَا دَارَ بَيْنَهُمَا مِنَ ٱلْحَدِيثِ. ثُمَّ إِنَّ ٱلثَّوْرَ أَخَذَ بِنَصِيحَةِ ٱلْحِمَارِ وَعَمِلَ بِمُوجَبِهَا. وَلَمَّا أَقْبَلَ ٱلصَّبَاحُ حَضَرَ صَاحِبُهُمَا فَرَأَى ٱلثَّوْرَ غَيْرَ آكِلٍ عَلَفَهُ فَتَرَكَهُ وَأَخَذَ ٱلْحِمَارَ بَدَلَهُ. وَحَرَثَ عَلَيْهِ كُلَّ ذٰلِكَ ٱلْيَوْمِ حَتَّى كَادَ يَمُوتُ تَعَبًا. فَنَدِمَ عَلَى نَصِيحَتِهِ لِلثَّوْرِ. وَلَمَّا رَجَعَ عِنْدَ ٱلْمَسَاءِ قَالَ لَهُ ٱلثَّوْرُ: كَيْفَ حَالُكَ يَا أَخِي. فَقَالَ: بِخَيْرٍ غَيْرَ أَنِّي سَمِعْتُ ٱلْيَوْمَ مَا قَدْ هَالَنِي عَلَيْكَ. فَقَالَ لَهُ ٱلثَّوْرُ: وَمَا ذَاكَ: قَالَ ٱلْحِمَارُ: سَمِعْتُ صَاحِبَنَا يَقُولُ إِذَا بَقِيَ ٱلثَّوْرُ هٰكَذَا مَرِيضًا يَجِبُ ذَبْحُهُ لِئَلَّا نَخْسَرَ ثَمَنَهُ. فَٱلرَّأْيُ ٱلْآنَ أَنْ تَرْجِعَ إِلَى عَادَتِكَ وَتَأْكُلَ عَلَفَكَ خَوْفًا مِنْ أَنْ يَحِلَّ بِكَ هٰذَا ٱلْأَمْرُ ٱلْعَظِيمُ. فَقَالَ لَهُ ٱلثَّوْرُ: صَدَقْتَ. وَقَامَ لِلْحَالِ إِلَى عَلَفِهِ فَأَكَلَهُ. فَعِنْدَ ذٰلِكَ ضَحِكَ صَاحِبُهُمَا. (مَغْزَاهُ)، مَنْ كَانَ قَلِيلَ ٱلرَّأْيِ عَمِلَ مَا كَانَتْ عَاقِبَتُهُ وَبَالًا عَلَيْهِ (الف ليلة وليلة)

اَلْبَابُ اَلْخَامِسُ
فِي اَلْفَضَائِلِ وَالنَّقَائِصِ

النصيحة والمشورة

١٠٠ إِنَّ اَلْحَكِيمَ إِذَا أَرَادَ أَمْرًا شَاوَرَ فِيهِ اَلرِّجَالَ وَإِنْ كَانَ عَالِمًا خَبِيرًا . لِأَنَّ مَنْ أُعْجِبَ بِرَأْيِهِ ضَلَّ . وَمَنِ اسْتَغْنَى بِعَقْلِهِ زَلَّ . قَالَ اَلْحَسَنُ : اَلنَّاسُ ثَلَاثَةٌ . فَرَجُلٌ رَجُلٌ . وَرَجُلٌ نِصْفُ رَجُلٍ . وَرَجُلٌ لَا رَجُلٌ . فَأَمَّا اَلرَّجُلُ اَلرَّجُلُ فَذُو اَلرَّأْيِ وَالْمَشُورَةِ . وَأَمَّا اَلرَّجُلُ اَلَّذِي هُوَ نِصْفُ رَجُلٍ فَالَّذِي لَهُ رَأْيٌ وَلَا يُشَاوِرُ . وَأَمَّا اَلرَّجُلُ اَلَّذِي لَيْسَ بِرَجُلٍ فَالَّذِي لَيْسَ لَهُ رَأْيٌ وَلَا يُشَاوِرُ

١٠١ وَقَالَ اَلْمَنْصُورُ لِوَلَدِهِ : خُذْ عَنِّي ثِنْتَيْنِ . لَا تَقُلْ فِي غَيْرِ تَفْكِيرٍ . وَلَا تَعْمَلْ بِغَيْرِ تَدْبِيرٍ . وَقَالَ اَلْفَضْلُ : اَلْمَشُورَةُ فِيهَا بَرَكَةٌ . وَقَالَ أَعْرَابِيٌّ : لَا مَالَ أَوْفَرُ مِنَ اَلْعَقْلِ . وَلَا فَقْرَ أَعْظَمُ مِنَ اَلْجَهْلِ . وَلَا ظَهْرَ أَقْوَى مِنَ اَلْمَشُورَةِ . وَقِيلَ : اَلرَّأْيُ اَلسَّدِيدُ أَحْمَى مِنَ اَلْبَطَلِ اَلشَّدِيدِ . قَالَ أَرْدَشِيرُ : لَا تَسْتَحْقِرِ اَلرَّأْيَ اَلْجَزِيلَ مِنَ اَلرَّجُلِ اَلْحَقِيرِ فَإِنَّ اَلدُّرَّةَ لَا يُسْتَهَانُ بِهَا لِهَوَانِ غَائِصِهَا

١٠٢ قَالَ بَعْضُ اَلْخُلَفَاءِ لِجَرِيرِ بْنِ يَزِيدَ : إِنِّي قَدْ أَعْدَدْتُكَ لِأَمْرٍ . قَالَ : يَا أَمِيرَ اَلْمُؤْمِنِينَ إِنَّ اَللّٰهَ تَعَالَى قَدْ أَعَدَّ لَكَ مِنِّي قَلْبًا مَعْقُودًا بِنَصِيحَتِكَ . وَيَدًا مَبْسُوطَةً لِطَاعَتِكَ . وَسَيْفًا مُجَرَّدًا عَلَى عَدُوِّكَ

أَنْشَدَ ٱلْأَصْمَعِيُّ :

أَلنُّصْحُ أَرْخَصُ مَا بَاعَ ٱلرِّجَالُ فَلَا   تَرْدُدْ عَلَى نَاصِحٍ نُصْحًا وَلَا تَلُمِ
إِنَّ ٱلنَّصَائِحَ لَا تَخْفَى مَنَاهِلُهَا   عَلَى ٱلرِّجَالِ ذَوِي ٱلْأَلْبَابِ وَٱلْفَهَمِ

(للابشيهي)

المودّة والصداقة

١٠٣ قَالَ لُقْمَانُ لِٱبْنِهِ : يَا بُنَيَّ لِيَكُنْ أَوَّلُ شَيْءٍ تَكْسِبُهُ بَعْدَ ٱلْإِيمَانِ خَلِيلًا صَالِحًا . فَإِنَّمَا مَثَلُ ٱلْخَلِيلِ كَمَثَلِ ٱلنَّخْلَةِ . إِنْ قَعَدْتَ فِي ظِلِّهَا أَظَلَّتْكَ . وَإِنِ ٱحْتَطَبْتَ مِنْ حَطَبِهَا نَفَعَكَ . وَإِنْ أَكَلْتَ مِنْ ثَمَرِهَا وَجَدْتَهُ طَيِّبًا (امثال العرب)

١٠٤ قَدْ جَاءَ فِي كِتَابِ أَلْفِ لَيْلَةٍ وَلَيْلَةٍ :

أَلْمَرْءُ فِي زَمَنِ ٱلْإِقْبَالِ كَٱلشَّجَرَهْ   وَٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهَا مَادَامَتِ ٱلثَّمَرَهْ
حَتَّى إِذَا رَاحَ عَنْهَا حَمْلُهَا ٱنْصَرَفُوا   وَخَلَّفُوهَا تُقَاسِي ٱلْحَرَّ وَٱلْغَبَرَهْ

قَالَ زُهَيْرٌ :

أَلْوُدُّ لَا يَخْفَى وَإِنْ أَخْفَيْتَهُ   وَٱلْبُغْضُ تُبْدِيهِ لَكَ ٱلْعَيْنَانِ

قَالَ آخَرُ :

إِحْذَرْ عَدُوَّكَ مَرَّةً   وَٱحْذَرْ صَدِيقَكَ أَلْفَ مَرَّهْ
فَلَرُبَّمَا ٱنْقَلَبَ ٱلصَّدِيقُ   فَكَانَ أَعْلَمَ بِٱلْمَضَرَّهْ

اسباب العداوة

١٠٥ قِيلَ لِلشَّبِيبِ بْنِ شَيْبَةَ : مَا بَالُ فُلَانٍ يُعَادِيكَ . فَقَالَ : لِأَنَّهُ

شَقِيقِي فِي ٱلنَّسَبِ . وَجَارِي فِي ٱلْبَلَدِ وَرَفِيقِي فِي ٱلصِّنَاعَةِ . وَقَالَ رَجُلٌ لِآخَرَ : إِنِّي أُخْلِصُ لَكَ ٱلْمَوَدَّةَ . فَقَالَ: قَدْ عَلِمْتُ . قَالَ : وَكَيْفَ عَلِمْتَ وَلَيْسَ مَعِي مِنَ ٱلشَّاهِدِ إِلَّا قَوْلِي . قَالَ : لِأَنَّكَ لَسْتَ بِجَارٍ قَرِيبٍ . وَلَا بِٱبْنِ عَمٍّ نَسِيبٍ . وَلَا بِمُشَاكِلٍ فِي صِنَاعَةٍ

(للثعالبي)

حفظ اللسان

١٠٦ قَدْ قَالَتِ ٱلْعُلَمَاءُ : ٱلْزَمِ ٱلسُّكُوتَ فَإِنَّ فِيهِ سَلَامَةً . وَتَجَنَّبِ ٱلْكَلَامَ ٱلْفَارِغَ فَإِنَّ عَاقِبَتَهُ ٱلنَّدَامَةُ (كليلة ودمنة)

وَمِمَّا أَنْشَدُوهُ فِي هٰذَا ٱلْبَابِ :

إِحْفَظْ لِسَانَكَ أَيُّهَا ٱلْإِنْسَانُ لَا يَلْدَغَنَّكَ إِنَّهُ ثُعْبَانُ
كَمْ فِي ٱلْمَقَابِرِ مِنْ قَتِيلِ لِسَانِهِ كَانَتْ تَهَابُ لِقَاءَهُ ٱلشُّجْعَانُ

١٠٧ قَالَ لُقْمَانُ لِوَلَدِهِ : يَا بُنَيَّ إِذَا ٱفْتَخَرَ ٱلنَّاسُ بِحُسْنِ كَلَامِهِمْ . فَٱفْتَخِرْ أَنْتَ بِحُسْنِ صَمْتِكَ (للابشيهي)

قَالَ ٱلشَّبْرَاوِيُّ :

أَلصَّمْتُ زَيْنٌ وَٱلسُّكُوتُ سَلَامَةٌ فَإِذَا نَطَقْتَ فَلَا تَكُنْ مِكْثَارَا
مَا إِنْ نَدِمْتُ عَلَى سُكُوتِي مَرَّةً وَلَقَدْ نَدِمْتُ عَلَى ٱلْكَلَامِ مِرَارَا

١٠٨ بَلَغَنَا أَنَّ قُسَّ بْنَ سَاعِدَةَ وَأَكْثَمَ بْنَ صَيْفِيٍّ ٱجْتَمَعَا فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ : كَمْ وَجَدْتَ فِي ٱبْنِ آدَمَ مِنَ ٱلْعُيُوبِ . فَقَالَ : هِيَ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُحْصَرَ . وَقَدْ وَجَدْتُ خَصْلَةً إِنِ ٱسْتَعْمَلَهَا ٱلْإِنْسَانُ

سَتَرَتِ ٱلْعُيُوبَ كُلَّهَا . قَالَ : مَا هِيَ . قَالَ : حِفْظُ ٱللِّسَانِ
(للابشيهي)

كتمان السر

١٠٩ قَالَ عَلِيٌّ كَرَّمَ ٱللهُ وَجْهَهُ : سِرُّكَ أَسِيرُكَ فَإِذَا تَكَلَّمْتَ بِهِ صِرْتَ أَسِيرَهُ . وَقَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ ٱلْعَزِيزِ : ٱلْقُلُوبُ أَوْعِيَةٌ وَٱلشِّفَاهُ أَقْفَالُهَا وَٱلْأَلْسُنُ مَفَاتِيحُهَا . فَلْيَحْفَظْ كُلُّ إِنْسَانٍ مِفْتَاحَ سِرِّهِ

١١٠ قَالَ ٱلشَّاعِرُ :

صُنِ ٱلسِّرَّ عَنْ كُلِّ مُسْتَخْبِرٍ وَحَاذِرْ فَمَا ٱلرَّأْيُ إِلَّا ٱلْحَذَرْ
أَسِيرُكَ سِرُّكَ إِنْ صُنْتَهُ وَأَنْتَ أَسِيرٌ لَهُ إِنْ ظَهَرْ

قَالَ غَيْرُهُ :

كُلُّ عِلْمٍ لَيْسَ فِي ٱلْقِرْطَاسِ ضَاعْ كُلُّ سِرٍّ جَاوَزَ ٱلْإِثْنَيْنِ شَاعْ

١١١ أَسَرَّ بَعْضُ ٱلنَّاسِ إِلَى رَجُلٍ حَدِيثًا وَأَمَرَهُ بِكِتْمَانِهِ . فَلَمَّا ٱنْقَضَى ٱلْحَدِيثُ قَالَ لَهُ : أَفَهِمْتَ . قَالَ : بَلْ جَهِلْتُ . ثُمَّ قَالَ لَهُ : أَحَفِظْتَ . قَالَ : بَلْ نَسِيتُ . وَقَالَ عَمْرُو بْنُ ٱلْعَاصِ : إِذَا أَفْشَيْتُ سِرِّي إِلَى صَدِيقِي فَأَذَاعَهُ كَانَ ٱللَّوْمُ عَلَيَّ لَا عَلَيْهِ . قِيلَ لَهُ : وَكَيْفَ ذَلِكَ . قَالَ : لِأَنِّي أَنَا كُنْتُ أَوْلَى بِصِيَانَتِهِ مِنْهُ (للثعالبي)

جَاءَ فِي ٱلْفَخْرِيِّ :

إِذَا ضَاقَ صَدْرُ ٱلْمَرْءِ عَنْ سِرِّ نَفْسِهِ
فَصَدْرُ ٱلَّذِي يُسْتَوْدَعُ ٱلسِّرَّ أَضْيَقُ

الصدق والكذب

١١٢ إِنَّ ٱلصِّدْقَ عَمُودُ ٱلدِّينِ وَرُكْنُ ٱلْأَدَبِ وَأَصْلُ ٱلْمُرُوءَةِ . فَلَا تَتِمُّ هٰذِهِ ٱلثَّلَاثَةُ إِلَّا بِهِ . وَقَالَ أَرِسْطَاطَالِيسُ : أَحْسَنُ ٱلْكَلَامِ مَا صَدَقَ فِيهِ قَائِلُهُ وَٱنْتَفَعَ بِهِ سَامِعُهُ . وَإِنَّ ٱلْمَوْتَ مَعَ ٱلصِّدْقِ خَيْرٌ مِنَ ٱلْحَيَاةِ مَعَ ٱلْكَذِبِ . وَمِمَّا جَاءَ فِي هٰذَا ٱلْبَابِ قَوْلُ مَحْمُودٍ ٱلْوَرَّاقِ :

أَلصِّدْقُ مَنْجَاةٌ لِأَرْبَابِهِ وَقُرْبَةٌ تُدْنِي مِنَ ٱلرَّبِّ

(للابشيهي)

١١٣ وَخَطَبَ ٱلْحَجَّاجُ فَأَطَالَ فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ : ٱلصَّلَاةَ . فَإِنَّ ٱلْوَقْتَ لَا يَنْتَظِرُكَ وَٱلرَّبَّ لَا يَعْذِرُكَ . فَأَمَرَ بِحَبْسِهِ . فَأَتَاهُ قَوْمُهُ وَزَعَمُوا أَنَّهُ مَجْنُونٌ وَسَأَلُوهُ أَنْ يُخَلِّيَ سَبِيلَهُ . فَقَالَ : إِنْ أَقَرَّ بِٱلْجُنُونِ خَلَّيْتُهُ . فَقَالَ : مَعَاذَ ٱللهِ لَا أَزْعُمُ أَنَّ ٱللهَ ٱبْتَلَانِي وَقَدْ عَافَانِي . فَبَلَغَ ذٰلِكَ ٱلْحَجَّاجَ فَعَفَا عَنْهُ لِصِدْقِهِ (للثعالبي)

١١٤ قَالَ بَعْضُ ٱلْحُكَمَاءِ : إِنَّ ٱلْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى ٱلْفُجُورِ وَٱلْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى ٱلنَّارِ . وَإِنَّ ٱلصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى ٱلْبِرِّ وَٱلْبِرَّ يَهْدِي إِلَى ٱلْجَنَّةِ . وَمَا أَحْسَنَ مَا قَالَ ٱلشَّاعِرُ :

إِذَا عُرِفَ ٱلْإِنْسَانُ بِٱلْكِذْبِ لَمْ يَزَلْ
لَدَى ٱلنَّاسِ كَذَّابًا وَلَوْ كَانَ صَادِقَا
فَإِنْ قَالَ لَا تُصْغِي لَهُ جُلَسَاؤُهُ
وَلَمْ يَسْمَعُوا مِنْهُ وَلَوْ كَانَ نَاطِقَا

وَقَالَ مَحْمُودُ بْنُ أَبِي ٱلْجُنُودِ :

لِي حِيلَةٌ فِي مَنْ يَنِمْ … مُ وَلَيْسَ فِي ٱلْكَذَّابِ حِيلَهْ
مَنْ كَانَ يَخْلُقُ مَا يَقُو … لُ فَحِيلَتِي فِيهِ قَلِيلَهْ

مذمّة الحسود

١١٥ وَقَفَ ٱلْأَحْنَفُ عَلَى قَبْرِ ٱلْحَارِثِ بْنِ مُعَاوِيَةَ . فَقَالَ : رَحِمَكَ ٱللهُ كُنْتَ لَا تَحْتَقِرُ ضَعِيفًا . وَلَا تَحْسُدُ شَرِيفًا

قَالَ بَعْضُ ٱلشُّعَرَاءِ :

إِصْبِرْ عَلَى كَيْدِ ٱلْحَسُو … دِ فَإِنَّ صَبْرَكَ قَاتِلُهْ
كَٱلنَّارِ تَأْكُلُ بَعْضَهَا … إِنْ لَمْ تَجِدْ مَا تَأْكُلُهْ

١١٦ قَالَ أَرِسْطَاطَالِيسُ : ٱلْحَسَدُ حَسَدَانِ مَحْمُودٌ وَمَذْمُومٌ . فَٱلْمَحْمُودُ أَنْ تَرَى عَالِمًا فَتَشْتَهِيَ أَنْ تَكُونَ مِثْلَهُ . أَوْ زَاهِدًا فَتَشْتَهِيَ مِثْلَ فِعْلِهِ . وَٱلْمَذْمُومُ أَنْ تَرَى عَالِمًا أَوْ فَاضِلًا فَتَشْتَهِيَ أَنْ يَمُوتَ (للثعالبي)

قَالَ مَنْصُورٌ ٱلْفَقِيهُ :

أَلَا قُلْ لِمَنْ كَانَ لِي حَاسِدًا … أَتَدْرِي عَلَى مَنْ أَسَأْتَ ٱلْأَدَبْ
أَسَأْتَ عَلَى ٱللهِ فِي فَضْلِهِ … إِذَا أَنْتَ لَمْ تَرْضَ مَا قَدْ وَهَبْ

ذمّ سوء الخلق

١١٧ قَالَ عَمْرُو بْنُ مَعْدِي كَرِبَ : ٱلْكَلَامُ ٱللَّيِّنُ يُلِينُ ٱلْقُلُوبَ ٱلَّتِي هِيَ أَقْسَى مِنَ ٱلصُّخُورِ . وَٱلْكَلَامُ ٱلْخَشِنُ يُخَشِّنُ ٱلْقُلُوبَ ٱلَّتِي هِيَ أَنْعَمُ مِنَ ٱلْحَرِيرِ (للغزالي)

١١٨ قِيلَ: سُوءُ ٱلْخُلُقِ يُعْدِي لِأَنَّهُ يَدْعُو إِلَى أَنْ يُقَابَلَ بِمِثْلِهِ. وَرُوِيَ عَنْ بَعْضِ ٱلسَّلَفِ: ٱلْحَسَنُ ٱلْخُلُقِ ذُو قَرَابَةٍ عِنْدَ ٱلْأَجَانِبِ وَٱلسَّيِّئُ ٱلْخُلُقِ أَجْنَبِيٌّ عِنْدَ أَهْلِهِ (للابشيهي)

١١٩ صَحِبَ رَجُلٌ رَجُلًا بِسُوءِ ٱلْخُلُقِ. فَلَمَّا فَارَقَهُ قَالَ: قَدْ فَارَقْتُهُ وَخُلُقُهُ لَمْ يُفَارِقْهُ. وَنَظَرَ فَيْلَسُوفٌ إِلَى رَجُلٍ حَسَنِ ٱلْوَجْهِ خَبِيثِ ٱلنَّفْسِ فَقَالَ: بَيْتٌ حَسَنٌ وَفِيهِ سَاكِنٌ نَذْلٌ

ذمّ الغضب

١٢٠ قِيلَ لِحَكِيمٍ: أَيُّ ٱلْأَحْمَالِ أَثْقَلُ. فَقَالَ: ٱلْغَضَبُ. وَرُوِيَ أَنَّ إِبْلِيسَ قَالَ: مَهْمَا أَعْجَزَنِي ٱبْنُ آدَمَ فَلَنْ يُعْجِزَنِي إِذَا غَضِبَ لِأَنَّهُ يَنْقَادُ لِي فِيمَا أَبْتَغِيهِ وَيَعْمَلُ بِمَا أُرِيدُهُ وَأَرْتَضِيهِ. وَقِيلَ لِأَبِي عَبَّادٍ: مَنْ أَبْعَدُ مِنَ ٱلرَّشَادِ ٱلسَّكْرَانُ أَمِ ٱلْغَضْبَانُ. فَقَالَ: ٱلْغَضْبَانُ لَا يَعْذِرُهُ أَحَدٌ فِي مَأْثَمٍ يَجْتَرِحُهُ. وَمَا أَكْثَرَ مَنْ يَعْذِرُ ٱلسَّكْرَانَ

مدح التواضع وذمّ الكبر

١٢١ قِيلَ: مَنْ وَضَعَ نَفْسَهُ دُونَ قَدْرِهِ رَفَعَهُ ٱلنَّاسُ فَوْقَ قَدْرِهِ. وَمَنْ رَفَعَهَا عَنْ حَدِّهِ وَضَعَهُ ٱلنَّاسُ دُونَ حَدِّهِ. وَقِيلَ لِبُزُرْجُمْهُرَ: هَلْ تَعْرِفُ نِعْمَةً لَا يُحْسَدُ عَلَيْهَا. قَالَ: نَعَمِ ٱلتَّوَاضُعُ. قِيلَ: فَهَلْ تَعْرِفُ بَلَاءً لَا يُرْحَمُ صَاحِبُهُ عَلَيْهِ. قَالَ: نَعَمِ ٱلْكِبْرُ

١٢٢ قَالَ عُمَرُ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ: أُرِيدُ رَجُلًا إِذَا كَانَ فِي ٱلْقَوْمِ وَهُوَ أَمِيرُهُمْ كَانَ كَبَعْضِهِمْ. وَإِذَا لَمْ يَكُنْ أَمِيرَهُمْ فَكَأَنَّهُ أَمِيرُهُمْ.

قَالَ أَبُو تَمَّام فِي هٰذَا ٱلْمَعْنَى :

مُتَبَذِّلٌ فِي ٱلْقَوْمِ وَهُوَ مُبَجَّلٌ مُتَوَاضِعٌ فِي ٱلْحَيِّ وَهُوَ مُعَظَّمُ

وَقَالَ آخَرُ :

مُتَوَاضِعٌ وَٱلنُّبْلُ يَحْرُسُ قَدْرَهُ وَأَخُو ٱلتَّوَاضُعِ بِٱلنَّبَاهَةِ يَنْبُلُ

وَقَالَ ٱلْخُوارَزْمِيُّ :

عَجِبْتُ لَهُ لَمْ يَلْبَسِ ٱلْكِبْرَ حُلَّةً وَفِينَا لِأَنْ جُزْنَا عَلَى بَابِهِ كِبْرُ

(للثعالبي)

١٢٣ مَنْ أَرَادَ ٱلدُّخُولَ فِي مَجْلِسِ ٱلْعُلَمَاءِ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَأْتِيَ بِٱلتَّوَاضُعِ وَٱلذُّلِّ وَٱلْخُشُوعِ وَٱلِٱنْكِسَارِ . فَمَنْ أَتَى بِهٰذِهِ ٱلصِّفَاتِ يَنَالُ ٱلْمَغْفِرَةَ مِنَ ٱلْمَلِكِ ٱلْجَبَّارِ . وَمَنْ أَتَى مِثْلَ قَارُونَ بِٱلْكِبْرِ وَٱلْإِكْثَارِ يَجِدُ ٱلْقَطِيعَةَ وَٱلْعُقُوبَةَ مِنَ ٱلْوَاحِدِ ٱلْقَهَّارِ (للسيوطي)

١٢٤ قَالَتِ ٱلْحُكَمَاءُ : كُلُّ ذِي نِعْمَةٍ مَحْسُودٌ عَلَيْهِ إِلَّا ٱلْمُتَوَاضِعَ . وَقَالَ عَبْدُ ٱلْمَلِكِ : أَفْضَلُ ٱلرِّجَالِ مَنْ تَوَاضَعَ عَنْ رِفْعَةٍ وَعَفَا عَنْ قُدْرَةٍ وَأَنْصَفَ عَنْ قُوَّةٍ . وَقَالَ رَجُلٌ لِبَكْرِ بْنِ عَبْدِ ٱللهِ : عَلِّمْنِي ٱلتَّوَاضُعَ . فَقَالَ لَهُ : إِذَا رَأَيْتَ مَنْ هُوَ أَكْبَرُ مِنْكَ فَقُلْ : سَبَقَنِي إِلَى ٱلْعَمَلِ ٱلصَّالِحِ فَهُوَ خَيْرٌ مِنِّي . وَإِذَا رَأَيْتَ أَصْغَرَ مِنْكَ فَقُلْ : سَبَقْتُهُ إِلَى ٱلذُّنُوبِ فَهُوَ خَيْرٌ مِنِّي وَقَالَ أَبُو ٱلْعَتَاهِيَةِ :

يَا مَنْ تَشَرَّفَ فِي ٱلدُّنْيَا وَلَذَّتِهَا لَيْسَ ٱلتَّشَرُّفُ رَفْعَ ٱلطِّينِ بِٱلطِّينِ

إِذَا أَرَدْتَ شَرِيفَ ٱلْقَوْمِ كُلِّهِمِ فَٱنْظُرْ إِلَى مَلِكٍ فِي زِيِّ مِسْكِينِ

وَقَالَ أَبُو ٱلْفَتْحِ ٱلْبُسْتِيُّ :

مَنْ شَاءَ عَيْشًا رَغِيدًا يَسْتَفِيدُ بِهِ فِي دِينِهِ ثُمَّ فِي دُنْيَاهُ إِقْبَالَا
فَلْيَنْظُرَنَّ إِلَى مَنْ فَوْقَهُ أَدَبًا وَلْيَنْظُرَنَّ إِلَى مَنْ دُونَهُ مَالَا

(للشريشي)

١٢٥ وَقِيلَ: دَعِ ٱلْكِبْرَ. مَتَى كُنْتَ مِنْ أَهْلِ ٱلنُّبْلِ لَمْ يَضُرَّكَ ٱلتَّبَذُّلُ وَمَتَى لَمْ تَكُنْ مِنْ أَهْلِهِ لَمْ يَنْفَعْكَ ٱلتَّنَبُّلُ. قَالَ ٱلْمَأْمُونُ: مَا تَكَبَّرَ أَحَدٌ إِلَّا لِنَقْصٍ وَجَدَهُ فِي نَفْسِهِ. وَلَا تَطَاوَلَ إِلَّا لِوَهْنٍ أَحَسَّ مِنْ نَفْسِهِ. قَالَ بُزُرْجُمْهِرُ: وَجَدْنَا ٱلتَّوَاضُعَ مَعَ ٱلْجَهْلِ وَٱلْبُخْلِ أَحْمَدَ عِنْدَ ٱلْحُكَمَاءِ مِنَ ٱلْكِبْرِ مَعَ ٱلْأَدَبِ وَٱلسَّخَاءِ. قَالَ مَنْصُورٌ ٱلْفَقِيهُ:

يَا قَرِيبَ ٱلْعَهْدِ بِٱلْمَخْرَجِ لِمْ لَا تَتَوَاضَعُ (للثعالبي)

ذمّ من اعتذر فأساء

١٢٦ قِيلَ فِي ٱلْمَثَلِ: عُذْرُهُ أَشَدُّ مِنْ جُرْمِهِ. رُبَّ إِصْرَارٍ أَحْسَنُ مِنِ ٱعْتِذَارٍ. وَقِيلَ: تُبْ مِنْ عُذْرِكَ ثُمَّ مِنْ ذَنْبِكَ

قَالَ ٱلْخُبْزَرِيُّ :

وَكَمْ مُذْنِبٍ لَمَّا أَتَى بِٱعْتِذَارِهِ جَنَى عُذْرُهُ ذَنْبًا مِنَ ٱلذَّنْبِ أَعْظَمَا

(للثعالبي)

ذمّ الخمر

١٢٧ كَانَ ٱلْعَبَّاسُ بْنُ عَلِيِّ ٱلْمَنْصُورُ يَأْخُذُ ٱلْكَأْسَ بِيَدِهِ ثُمَّ يَقُولُ لَهَا: أَمَّا ٱلْمَالَ فَتَبْلَعِينَ. وَأَمَّا ٱلْمُرُوءَةَ فَتَخْلَعِينَ. وَأَمَّا ٱلدِّينَ فَتُفْسِدِينَ

قَالَ أَحْمَدُ بْنُ ٱلْفَضْلِ :

تَرَكْتُ ٱلنَّبِيذَ وَشُرَّابَهُ وَصِرْتُ صَدِيقًا لِمَنْ عَابَهُ
شَرَابٌ يُضِلُّ طَرِيقَ ٱلْهُدَى وَيَفْتَحُ لِلشَّرِّ أَبْوَابَهُ

قَالَ أَبُو عَلِيٍّ :

تَرَكْتُ ٱلنَّبِيذَ لِأَهْلِ ٱلنَّبِيذِ وَأَصْبَحْتُ أَشْرَبُ عَذْبًا قَرَاحَا

قَالَ ٱبْنُ ٱلْوَرْدِيِّ :

أُتْرُكِ ٱلْخَمْرَةَ إِنْ كُنْتَ فَتًى كَيْفَ يَسْعَى بِجُنُونٍ مَنْ عَقَلْ

(للشريشي)

مدح الكرم

١٢٨ قَالَ بَعْضُ ٱلْحُكَمَاءِ : أَصْلُ ٱلْمَحَاسِنِ كُلِّهَا ٱلْكَرَمُ . وَأَصْلُ ٱلْكَرَمِ نَزَاهَةُ ٱلنَّفْسِ عَنِ ٱلْحَرَامِ وَسَخَاؤُهَا بِمَا تَمْلِكُ عَلَى ٱلْخَاصِّ وَٱلْعَامِّ . وَإِنَّ ٱلْجَاهِلَ ٱلسَّخِيَّ أَحَبُّ إِلَى ٱللهِ مِنَ ٱلْعَابِدِ ٱلْبَخِيلِ

قَالَ أَكْثَمُ بْنُ صَيْفِيٍّ : صَاحِبُ ٱلْمَعْرُوفِ لَا يَقَعُ وَإِنْ وَقَعَ يَجِدُ لَهُ مُتَّكَأً . وَقِيلَ لِلْحَسَنِ بْنِ سَهْلٍ : لَا خَيْرَ فِي ٱلسَّرَفِ . فَقَالَ : لَا سَرَفَ فِي ٱلْخَيْرِ . فَقَلَبَ ٱللَّفْظَ وَٱسْتَوْفَى ٱلْمَعْنَى

١٢٩ سَأَلَ مُعَاوِيَةُ ٱلْأَحْنَفَ بْنَ قَيْسٍ . فَقَالَ : يَا أَبَا يَحْيَى كَيْفَ ٱلزَّمَانُ . قَالَ : ٱلزَّمَانُ أَنْتَ يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ . إِنْ صَلَحْتَ صَلَحَ ٱلزَّمَانُ . وَإِنْ فَسَدْتَ فَسَدَ (للغزالي)

مدح العدل

١٣٠ قَالَ أَنُوشِرْوَانُ : اَلْعَدْلُ سُورٌ لَا يُغْرِقُهُ مَاءٌ وَلَا يُحْرِقُهُ نَارٌ وَلَا يَهْدِمُهُ مَنْجَنِيقٌ . وَقِيلَ : عَدْلٌ قَائِمٌ خَيْرٌ مِنْ عَطَاءٍ دَائِمٍ . وَقِيلَ أَيْضًا : لَا يَكُونُ ٱلْعُمْرَانُ حَيْثُ لَا يَعْدِلُ ٱلسُّلْطَانُ . وَقِيلَ لِحَكِيمٍ : مَا قِيمَةُ ٱلْعَدْلِ . قَالَ : مُلْكُ ٱلْأَبَدِ . فَقِيلَ : فَقِيمَةُ ٱلْجَوْرِ . قَالَ : ذُلُّ ٱلْحَيَاةِ

١٣١ قِيلَ : بِئْسَ ٱلزَّادُ إِلَى ٱلْمَعَادِ ظُلْمُ ٱلْعِبَادِ . وَقِيلَ : اَلظُّلْمُ مَرْتَعُهُ وَخِيمٌ . كَتَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ ٱلْعَزِيزِ إِلَى عَامِلٍ : إِذَا دَعَتْكَ قُدْرَتُكَ إِلَى ظُلْمِ ٱلنَّاسِ فَٱذْكُرْ قُدْرَةَ ٱللهِ عَلَيْكَ . وَكَانَ حَفْصُ بْنُ غِيَاثٍ لَقِيَهُ ٱلرَّشِيدُ فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ يَسْأَلُهُ . فَقَالَ فِي أَثْنَاءِ كَلَامِهِ :

نَامَتْ عُيُونُكَ وَٱلْمَظْلُومُ مُنْتَصِبٌ يَدْعُو عَلَيْكَ وَعَيْنُ ٱللهِ لَمْ تَنَمِ

(للثعالبي)

قَالَ أَبُو ٱلْعَبَّاسِ ٱلسَّفَّاحُ : لَأَعْمِلَنَّ ٱللِّينَ حَتَّى لَا يَنْفَعَ إِلَّا ٱلشِّدَّةُ . وَلَأُكْرِمَنَّ ٱلْخَاصَّةَ مَا أَمِنْتُهُمْ عَلَى ٱلْعَامَّةِ . وَلَأُغْمِدَنَّ سَيْفِي حَتَّى يَسُلَّهُ ٱلْحَقُّ . وَلَأُعْطِيَنَّ حَتَّى لَا أَرَى لِلْعَطِيَّةِ مَوْضِعًا (للشبراويّ)

مدح الصفح

١٣٢ قَالَ ٱبْنُ طَبَاطِبَا : كَانَ جَرَى بَيْنِي وَبَيْنَ رَجُلٍ كَلَامٌ ٱحْتَمَلْتُهُ عَنْهُ ثُمَّ نَدِمْتُ . فَرَأَيْتُ فِي ٱلْمَنَامِ كَأَنَّ شَيْخًا أَتَانِي فَأَنْشَدَنِي :

أَنَدِمْتَ حِينَ صَفَحْتَ عَمَّنْ قَدْ أَسَاءَ وَقَدْ ظَلَمْ

لَا تَنْـدَمَنَّ فَشَرُّنَا مَنْ أَتْبَعَ الْخَيْرَ النَّدَمْ

(للثعالبي)

قَالَ الشَّبْرَاوِيُّ :

لَا تَنْتَقِمْ إِنْ كُنْتَ ذَا قُـدْرَةٍ فَالصَّفْحُ مِنْ ذِي قُدْرَةٍ أَصْلَحُ
وَاصْفَحْ إِذَا أَذْنَبَ خِلٌّ عَسَى تَلْقَى إِذَا أَذْنَبْتَ مَنْ يَصْفَحُ

١٣٣ قِيلَ : لَذَّةُ الْعَفْوِ أَطْيَبُ مِنْ لَذَّةِ التَّشَفِّي . لِأَنَّ لَذَّةَ الْعَفْوِ يَلْحَقُهَا حَمْدُ الْعَاقِبَةِ وَلَذَّةُ التَّشَفِّي يَلْحَقُهَا غَمُّ النَّدَامَةِ . وَقِيلَ : الْعَفْوُ عَنِ الْمُذْنِبِ زَكَاةُ النَّفْسِ . وَقِيلَ : وَمِنْ كَرَمِ الْأَخْلَاقِ أَنْ يُغْفَرَ الذَّنْبُ . وَقِيلَ : الِاحْتِمَالُ قَبْرُ الْعُيُوبِ (للطرطوشي)

قَالَ الْبُحْتُرِيُّ :

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَضْرِبْ عَنِ الْحِقْدِ لَمْ تَفُزْ بِشُكْرٍ وَلَمْ تَسْعَدْ بِتَقْرِيظِ مَادِحِ

ذمّ المماراة

١٣٤ قَالَ مَيْمُونُ بْنُ مِهْرَانَ : لَا تُمَارِ مَنْ هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ . فَإِنَّهُ يَخْتَزِنُ عَنْكَ عِلْمَهُ وَلَمْ تَضُرَّهُ شَيْئًا . وَقَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ : مَنْ لَا يَمْلِكْ لِسَانَهُ يَنْدَمْ . وَمَنْ يُكْثِرِ الْمِرَاءَ يُشْتَمْ . وَمَنْ يَدْخُلْ مَدَاخِلَ السُّوءِ يُتَّهَمْ . يَا بُنَيَّ لَا تُمَارِ الْعُلَمَاءَ فَيَمْقُتُوكَ . أَلْمِرَاءُ يُقَسِّي الْقُلُوبَ وَيُورِثُ الضَّغَائِنَ . إِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ لَجُوجًا مُمَارِيًا مُعْجَبًا بِنَفْسِهِ فَقَدْ تَمَّتْ خَسَارَتُهُ

١٣٥ قَالَ مِسْعَرُ بْنُ كُدَامٍ يُخَاطِبُ ابْنَهُ :

إِنِّي مَنَحْتُكَ يَا كُدَامُ نَصِيحَتِي فَٱسْمَعْ لِقَوْلِ أَبٍ عَلَيْكَ شَفِيقِ
أَمَّا ٱلْمُزَاحَةَ وَٱلْمِرَاءَ فَدَعْهُمَا خُلُقَانِ لَا أَرْضَاهُمَا لِصَدِيقِ
إِنِّي بَلَوْتُهُمَا فَلَمْ أَخْتَرْهُمَا لِمُجَاوِرٍ جَارًا وَلَا لِرَفِيقِ

مَرَّ حَكِيمٌ بِقَوْمٍ فَقَالُوا لَهُ شَرًّا فَقَالَ خَيْرًا . فَقِيلَ لَهُ فِي ذٰلِكَ . فَقَالَ : كُلٌّ يُنْفِقُ مِمَّا عِنْدَهُ (للشريشي)

ذمّ المزاحة

١٣٦ سَأَلَ ٱلْحَجَّاجُ ٱبْنَ ٱلْقِرِّيَّةِ عَنِ ٱلْمَزْحِ فَقَالَ : أَوَّلُهُ فَرَحٌ وَآخِرُهُ تَرَحٌ . قَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ ٱلْعَزِيزِ : لَا يَكُونُ ٱلْمَزْحُ إِلَّا مِنْ سَخْفٍ أَوْ بَطَرٍ . رُوِيَ عَنْ بَعْضِ ٱلْأُدَبَاءِ : إِيَّاكُمْ وَٱلْمُزَاحَ فَإِنَّهُ يُذْهِبُ بَهَاءَ ٱلْمُؤْمِنِ وَيُسْقِطُ مُرُوءَتَهُ . وَقِيلَ : ٱلْمُزَاحُ مَجْلَبَةٌ لِلْبَغْضَاءِ مَسْلَبَةٌ لِلْبَهَاءِ مَقْطَعَةٌ لِلْإِخَاءِ . وَقِيلَ : إِذَا كَانَ ٱلْمُزَاحُ أَوَّلَ ٱلْكَلَامِ كَانَ آخِرَهُ ٱلشَّتْمُ وَٱللِّطَامُ (للثعالبي)

قِيلَ لِرَجُلٍ : كَيْفَ وَجَدْتَ فُلَانًا . قَالَ : طَوِيلَ ٱللِّسَانِ فِي ٱللَّوْمِ وَٱلْمَزْحِ قَصِيرَ ٱلْبَاعِ فِي ٱلْكَرَمِ وَثَّابًا عَلَى ٱلشَّرِّ مَنَّاعًا لِلْخَيْرِ . وَكَانَ نَقْشُ خَاتَمِ رُسْتَمَ وَهُوَ أَحَدُ مُلُوكِ ٱلْفُرْسِ : ٱلْمَزْلُ مَبْغَضَةٌ وَٱلْكَذِبُ مَنْقَصَةٌ وَٱلْجَوْرُ مَفْسَدَةٌ (للطرطوشي)

وصية نزار لبنيه

١٣٧ لَمَّا حَانَ ٱرْتِحَالُ نِزَارٍ مِنْ دَارِ ٱلدُّنْيَا إِلَى دَارِ ٱلْآخِرَةِ أَحْضَرَ أَوْلَادَهُ ٱلْأَرْبَعَةَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَقَالَ لَهُمْ : ٱعْلَمُوا يَا أَوْلَادِي أَنِّي رَاحِلٌ

عنكُمْ إلَى دَارِ ٱلآخِرَةِ • وَمَا أَحضَرتُكُمْ إِلا لِأَشرَحَ لَكُمْ وَصِيَّتِي • فَٱحفَظُوا مَا أَقُولُ لَكُمْ وَلَا تُخَالِفُوا وَصِيَّتِي فَيَحِلَّ بِكُمُ ٱلوَبَالُ فِي مُخَالَفَتِي • قَالُوا: مَاهِيَ وَصِيَّتُكَ يَا أَبَانَا • قَالَ: وَصِيَّتِي لَكُمْ هِيَ أَنْ يُوَقِّرَ صَغِيرُكُمْ كَبِيرَكُمْ • يَا أَوْلَادِي إِيَّاكُمْ وَٱلتَّكَبُّرَ فَإِنَّهُ مُهلِكُ ٱلجَبَابِرَةِ مَا وَلِعَ بِهِ أَحَدٌ إِلَّا هَلَكَ وَفِي غَيرِ طَرِيقِ ٱلحَقِّ سَلَكَ • يَا أَوْلَادِي إِيَّاكُمْ وَٱلحَسَدَ فَإِنَّهُ يُقَلِّلُ ٱلرِّزقَ وَيُذِيبُ ٱلجَسَدَ • وَٱلحَسُودُ لَا يَسُودُ وَلَا يَمُوتُ إِلَّا وَهُوَ مَكمُودٌ • وَإِيَّاكُمْ وَٱلطَّمَعَ فَإِنَّهُ يَرمِي صَاحِبَهُ فِي ٱلبَلَاءِ وَٱلعَذَابِ • وَٱلقَنَاعَةُ غَنَاءٌ • يَا أَوْلَادِي إِيَّاكُمْ وَٱلبُخلَ فَيُبعِدَكُمْ مِنَ ٱللهِ وَمِنَ ٱلخَلْقِ • وَمَنْ هَانَ عَلَيهِ مَالُهُ حَسُنَتْ حَالُهُ وَسُمِعَ مَقَالُهُ • يَا أَوْلَادِي آسُوا ٱلنَّاسَ بِٱلطَّعَامِ وَأَكثِرُوا ٱلبَشَاشَةَ وَأَفشُوا ٱلسَّلَامَ • وَصَلُّوا بِٱللَّيلِ وَٱلنَّاسُ نِيَامٌ • يَا أَوْلَادِي إِيَّاكُمْ وَٱلكَسَلَ فَإِنَّهُ يُورِثُ ٱلفَشَلَ • يَا أَوْلَادِي إِيَّاكُمْ وَٱلغَضَبَ فَإِنَّهُ يُورِثُ ٱلسُّخطَ • وَٱلبَشَاشَةُ فِي ٱلوَجهِ تُورِثُ ٱلمَحَبَّةَ وَهِيَ خَيرٌ مِنَ ٱلقِرَى • وَمَنْ لَانَتْ كَلِمَتُهُ • وَجَبَتْ مَحَبَّتُهُ • يَا أَوْلَادِي لَا تُخَالِفُوا وَصِيَّتِي • وَٱعلَمُوا أَنِّي قَدْ قَسَمتُ أَموَالِي بَينَكُمْ بِٱلسَّوِيَّةِ • وَجَعَلتُ قِسمَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنكُمْ فِي كِتَابِي هٰذَا • فَإِذَا وَضَعتُمُونِي فِي حُفرَتِي وَغَابَتْ عَنكُمْ جُثَّتِي وَأَتَتِ ٱلعَرَبُ لِعَزَائِي فَٱذبَحُوا لَهُمْ مِنْ نَعَمِي • وَإِذَا تَفَرَّقَتِ ٱلعَرَبُ عَنكُمْ فَٱعتَمِدُوا عَلَى كِتَابِي وَوَصِيَّتِي وَلَا تُثِيرُوا ٱلحَربَ بَينَكُمْ (للاصمعي)

اَلْبَابُ ٱلسَّادِسُ
فِي ٱلْحِكَايَاتِ وَٱللَّطَائِفِ

١٣٨ قِيلَ لِمَجْنُونٍ: عُدَّ لَنَا ٱلْمَجَانِينَ. قَالَ: هٰذَا يَطُولُ بِي. وَلٰكِنْ أَعُدُّ ٱلْعُقَلَاءَ (للمستعصمي)

١٣٩ قِيلَ لِلُقْمَانَ: مَا أَقْبَحَ وَجْهَكَ. قَالَ: أَتَعِيبُ هٰذَا ٱلنَّقْشَ عَلَيَّ أَمْ عَلَى ٱلنَّقَّاشِ (للشريشي)

١٤٠ جَلَسَ ٱلْإِسْكَنْدَرُ يَوْمًا فَمَا رُفِعَ إِلَيْهِ حَاجَةٌ فَقَالَ: لَا أَعُدُّ هٰذَا ٱلْيَوْمَ مِنْ أَيَّامِ مُلْكِي (للابشيهي)

١٤١ رُوِيَ أَنَّ أَبَا ٱلْعَتَاهِيَةِ مَرَّ بِدُكَّانِ وَرَّاقٍ فَإِذَا كِتَابٌ فِيهِ بَيْتٌ مِنَ ٱلشِّعْرِ:

لَنْ تَرْجِعَ ٱلْأَنْفُسُ عَنْ غَيِّهَا ... مَا لَمْ يَكُنْ مِنْهَا لَهَا زَاجِرُ

فَقَالَ: لِمَنْ هٰذَا. فَقِيلَ: لِأَبِي نُوَاسٍ. فَقَالَ: وَدِدْتُ أَنَّهُ لِي بِنِصْفِ شِعْرِي (للطرطوشي)

١٤٢ قَالَ رَجُلٌ لِأُقْلِيدُسَ ٱلْحَكِيمِ: لَا أَسْتَرِيحُ أَوْ أُتْلِفَ رُوحَكَ. فَقَالَ: وَأَنَا لَا أَسْتَرِيحُ حَتَّى أُخْرِجَ ٱلْحِقْدَ مِنْ قَلْبِكَ (للغزالي)

١٤٣ دَخَلَ ذُو ذَنْبٍ عَلَى سُلْطَانٍ فَقَالَ لَهُ: بِأَيِّ وَجْهٍ تَلْقَانِي. فَقَالَ: بِٱلْوَجْهِ ٱلَّذِي أَلْقَى بِهِ ٱللّٰهَ وَذُنُوبِي إِلَيْهِ أَعْظَمُ وَعِقَابُهُ أَكْبَرُ. فَعَفَا عَنْهُ (للمستعصمي)

١٤٤ رَأَى ٱلْإِسْكَنْدَرُ رَجُلًا حَسَنَ ٱلِٱسْمِ قَبِيحَ ٱلسِّيرَةِ فَقَالَ لَهُ: إِمَّا أَنْ تُغَيِّرَ ٱسْمَكَ أَوْ سِيرَتَكَ (للغزالي)

١٤٥ تَكَلَّمَ رَجُلٌ عِنْدَ عَبْدِ ٱلْمَلِكِ بِكَلَامٍ ذَهَبَ فِيهِ كُلَّ مَذْهَبٍ فَقَالَ لَهُ وَقَدْ أَعْجَبَهُ: ٱبْنُ مَنْ أَنْتَ يَا غُلَامُ. فَقَالَ: ٱبْنُ نَفْسِي يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّتِي نِلْتُ بِهَا هٰذَا ٱلْمَقْعَدَ مِنْكَ. قَالَ: صَدَقْتَ. أَخَذَ هٰذَا ٱلْمَعْنَى ٱبْنُ دُرَيْدٍ فَقَالَ:

كُنِ ٱبْنَ مَنْ شِئْتَ وَكُنْ مُؤَدَّبًا فَإِنَّمَا ٱلْمَرْءُ بِفَضْلِ حِسِّهِ
وَلَيْسَ مَنْ تُكْرِمُهُ لِغَيْرِهِ مِثْلَ ٱلَّذِي تُكْرِمُهُ لِنَفْسِهِ

(للشريشي)

١٤٦ رَجُلٌ غَضِبَ عَلَيْهِ مَوْلَاهُ فَقَالَ: أَسْأَلُكَ بِٱللهِ إِنْ عَلِمْتَ أَنِّي لَكَ أَطْوَعُ مِنْكَ لِلهِ فَٱعْفُ عَنِّي عَفَا ٱللهُ عَنْكَ. فَعَفَا عَنْهُ

(للمستعصمي)

١٤٧ كَانَ ٱلْإِسْكَنْدَرُ يَوْمًا عَلَى تَخْتِ مَمْلَكَتِهِ وَقَدْ رُفِعَ ٱلْحِجَابُ. فَقُدِّمَ بَيْنَ يَدَيْهِ لِصٌّ فَأَمَرَ بِصَلْبِهِ فَقَالَ: أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ إِنِّي سَرَقْتُ وَلَمْ يَكُنْ لِي شَهْوَةٌ فِي ٱلسَّرِقَةِ وَلَمْ يَطْلُبْهَا قَلْبِي. فَقَالَ ٱلْإِسْكَنْدَرُ: لَا جَرَمَ أَنَّكَ تُصْلَبُ وَلَا يَطْلُبُ قَلْبُكَ ٱلصَّلْبَ وَلَا يُرِيدُهُ (للغزالي)

١٤٨ كَانَ إِبْرٰهِيمُ بْنُ أَدْهَمَ يَوْمًا يَحْفَظُ كَرْمًا فَمَرَّ بِهِ جُنْدِيٌّ فَقَالَ: أَعْطِنَا مِنْ هٰذَا ٱلْعِنَبِ. فَقَالَ: مَا أَمَرَنِي صَاحِبُهُ. فَأَخَذَ يَضْرِبُهُ بِٱلسَّوْطِ. فَطَأْطَأَ رَأْسَهُ وَقَالَ: ٱضْرِبْ رَأْسًا طَالَمَا عَصَى ٱللهَ.

فَانْحَجَزَ ٱلرَّجُلُ وَمَضَى (للطرطوشي)

١٤٩ عَادَ ٱلْخَلِيفَةُ ٱلْمُعْتَصِمُ خَاقَانَ عِنْدَ مَرَضِهِ وَكَانَ لِخَاقَانَ إِذْ ذَاكَ ٱبْنٌ ٱسْمُهُ ٱلْفَتْحُ . فَقَالَ لَهُ ٱلْمُعْتَصِمُ : دَارِي أَحْسَنُ أَمْ دَارُ أَبِيكَ . فَقَالَ : مَا دَامَ أَمِيرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِي دَارِ أَبِي فَهِيَ أَحْسَنُ (لطائف الملوك)

١٥٠ وَقَالَ ٱلْمُعْتَصِمُ لِلْفَتْحِ وَعَلَى يَدِهِ خَاتَمٌ يَاقُوتٍ أَحْمَرَ فِي غَايَةِ ٱلْحُسْنِ : أَرَأَيْتَ أَحْسَنَ مِنْ هٰذَا ٱلْخَاتَمِ . فَقَالَ : نَعَمْ ٱلْيَدُ ٱلَّتِي فِيهَا (للغزالي)

١٥١ قَالَ ٱلْحَسَنُ وَٱلْحُسَيْنُ لِعَبْدِ ٱللهِ بْنِ جَعْفَرٍ : إِنَّكَ قَدْ أَسْرَفْتَ بِبَذْلِ ٱلْمَالِ . فَقَالَ : بِأَبِي أَنْتُمَا وَأُمِّي . إِنَّ ٱللهَ عَوَّدَنِي أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيَّ وَعَوَّدْتُهُ أَنْ أَتَفَضَّلَ عَلَى عَبِيدِهِ . فَأَخَافُ أَنْ أَقْطَعَ ٱلْعَادَةَ فَيَقْطَعَ عَنِّي عَادَتَهُ (للشريشي)

١٥٢ حُكِيَ أَنَّ رَجُلًا تَكَلَّمَ بَيْنَ يَدَيِ ٱلْمَأْمُونِ فَأَحْسَنَ . فَقَالَ : ٱبْنُ مَنْ أَنْتَ . قَالَ : ٱبْنُ ٱلْأَدَبِ يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ . قَالَ : نِعْمَ ٱلنَّسَبُ ٱنْتَسَبْتَ إِلَيْهِ (للابشيهي)

١٥٣ لَقِيَ هَارُونُ ٱلرَّشِيدُ ٱلْكِسَائِيَّ فِي بَعْضِ طُرُقِهِ فَوَقَفَ عَلَيْهِ وَتَحَفَّى بِسُؤَالِهِ عَنْ حَالِهِ . فَقَالَ : أَنَا بِخَيْرٍ يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ . وَلَوْ لَمْ أَجِدْ مِنْ ثَمَرَةِ ٱلْأَدَبِ إِلَّا مَا وَهَبَ ٱللهُ تَعَالَى لِي مِنْ وُقُوفِ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَانَ ذٰلِكَ كَافِيًا مُحْتَسَبًا (للشريشي)

١٥٤ لَطَمَ رَجُلٌ قَيْسَ بْنَ عَاصِمٍ فِي جَامِعِ ٱلْبَصْرَةِ فَقَالَ لَهُ :

لَعَلَّكَ خَاطَرْتَ أَنْ تَلْطِمَ سَيِّدَ بَنِي تَمِيمٍ. قَالَ: نعم. فقال: اُرْجِعْ فَلَسْتَ بِهِ (للطرطوشي)

١٥٥ قَالَ رَجُلٌ لِابْنِ عُيَيْنَةَ: اَلْمُزَاحُ سُبَّةٌ. فَقَالَ: سُنَّةٌ وَلٰكِنْ لِمَنْ يُحْسِنُهُ (للثعالبي)

١٥٦ أَبُو ٱلْعَيْنَاءِ قَالَ لَهُ ٱلْمُتَوَكِّلُ: كَيْفَ تَرَى دَارَنَا هٰذِهِ. فَقَالَ: يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رَأَيْتُ ٱلنَّاسَ يَبْنُونَ ٱلدُّورَ فِي ٱلدُّنْيَا وَأَنْتَ تَبْنِي ٱلدُّنْيَا فِي دَارِكَ. وَقَدْ نَظَمَ بَعْضُ ٱلْأُدَبَاءِ فِي هٰذَا ٱلْمَعْنَى:

وَلِي مَسْأَلَةٌ بَعْدُ فَعَاجِلْنِي بِإِخْبَارِي
بَنَيْتَ ٱلدَّارَ فِي دُنْيَا كَ أَمْ دُنْيَاكَ فِي ٱلدَّارِ

(من لطائف الوزراء)

الاعرابيّ والقمر

١٥٧ حُكِيَ أَنَّ أَعْرَابِيًّا أَضَلَّ ٱلطَّرِيقَ. فَبَاتَ جَزِعًا وَأَيْقَنَ بِٱلْهَلَاكِ. فَلَمَّا طَلَعَ ٱلْقَمَرُ ٱهْتَدَى وَوَجَدَ ٱلطَّرِيقَ. فَرَفَعَ إِلَيْهِ رَأْسَهُ لِيَشْكُرَهُ فَقَالَ لَهُ: وَٱللهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لَكَ وَلَا مَا أَقُولُ فِيكَ. أَقُولُ رَفَعَكَ ٱللهُ فَٱللهُ قَدْ رَفَعَكَ. أَمْ أَقُولُ نَوَّرَكَ ٱللهُ فَٱللهُ قَدْ نَوَّرَكَ. أَمْ أَقُولُ حَسَّنَكَ ٱللهُ فَٱللهُ قَدْ حَسَّنَكَ. وَلٰكِنْ مَا بَقِيَ إِلَّا ٱلدُّعَاءُ: أَنْ يُنْسِئَ ٱللهُ فِي أَجَلِكَ. وَإِنْ يَجْعَلَنِي مِنَ ٱلسُّوءِ فِدَاكَ

الاعرابيّ والناقة المفقودة

١٥٨ ضَلَّتْ نَاقَةٌ لِأَعْرَابِيٍّ فِي لَيْلَةٍ مُظْلِمَةٍ. فَأَكْثَرَ فِي طَلَبِهَا فَلَمْ

يجدها . فلمّا طلع القمر وانبسط نوره وجدها إلى جانبه ببعض الأودية . وقد كان اجتاز بموضعها مرارًا فلم يرها لشدّة الظلام . فرفع رأسه إلى القمر وقال:

ماذا أقول وقولي فيك ذو حصر
وقد كفيتني التفصيل والجملا

إن قلت لا زلت مرفوعًا فأنت كذا
أو قلت زانك ربي فهو قد فعلا

(للشريشي)

١٥٩ غنّى يومًا إبرهيم مغنّي الرشيد بين يديه فقال له: أحسنت أحسن الله إليك . فقال له: يا أمير المؤمنين إنّما يحسن الله إليّ بك . فأمر له بمائة ألف درهم

١٦٠ كان بهرام جالسًا ذات ليلة تحت شجرة . فسمع منها صوت طائر فرماه فأصابه وقال : ما أحسن حفظ اللسان بالطائر والإنسان . لو حفظ هذا لسانه لما هلك (للاصبهاني)

١٦١ أبو عبد الله الفارسي كان يتقلّد قضاء بلخ . وكان صديق أبي يحيى الحمادي . فكتب هذا إليه يعاتبه على ترك المهاداة بما يجلب من بلخ . فأجابه أبو عبد الله: قد أهديت للشيخ عدل صابون ليغسل به طمعه والسلام (من لطائف الوزراء)

١٦٢ يقال إنّ أنوشروان ركب في بعض الأيّام في الربيع

عَلَى سَبِيلِ ٱلْفُرْجَةِ . فَجَعَلَ يَسِيرُ فِي ٱلرِّيَاضِ ٱلْمُخْضَرَّةِ وَيُشَاهِدُ ٱلشَّجَرَ ٱلْمُثْمِرَةَ وَيَنْظُرُ إِلَى ٱلْكُرُومِ أَلْفَ مَرَّةٍ . فَنَزَلَ عَنْ فَرَسِهِ شُكْرًا لِرَبِّهِ وَخَرَّ سَاجِدًا وَاضِعًا خَدَّهُ عَلَى ٱلتُّرَابِ زَمَانًا طَوِيلًا . فَلَمَّا رَفَعَ رَأْسَهُ قَالَ لِأَصْحَابِهِ : إِنَّ خِصْبَ ٱلسِّنِينَ مِنَ ٱلْمُلُوكِ وَٱلسَّلَاطِينِ وَحُسْنِ نِيَّتِهِمْ وَإِحْسَانِهِمْ إِلَى رَعِيَّتِهِمْ . فَٱلْمِنَّةُ لِلّٰهِ ٱلَّذِي قَدْ أَظْهَرَ حُسْنَ نِيَّتِنَا فِي سَائِرِ ٱلْأَشْيَاءِ (للغزالي)

لقمان والعبيد

١٦٣ رُوِيَ عَنْ لُقْمَانَ أَنَّ مَوْلَاهُ سَكِرَ يَوْمًا فَخَاطَرَ قَوْمًا أَنْ يَشْرَبَ مَاءَ بُحَيْرَةٍ . فَلَمَّا أَفَاقَ عَرَفَ مَا وَقَعَ فِيهِ . فَدَعَا لُقْمَانَ وَقَالَ لَهُ : لِمِثْلِ هٰذَا كُنْتُ أَخْتَبِئُكَ . فَقَالَ لِمَوْلَاهُ : أَخْرِجْ أَبَارِيقَكَ ثُمَّ ٱجْمَعْهُمْ . فَلَمَّا ٱجْتَمَعُوا قَالَ : عَلَى أَيِّ شَيْءٍ خَاطَرْتُمُوهُ . قَالُوا : عَلَى أَنْ يَشْرَبَ مَاءَ هٰذِهِ ٱلْبُحَيْرَةِ . قَالَ : فَإِنَّ لَهَا مَوَادَّ فَٱحْبِسُوا عَنْهَا مَوَادَّهَا . قَالُوا : وَكَيْفَ نَسْتَطِيعُ ذٰلِكَ . قَالَ لُقْمَانُ : وَكَيْفَ يَسْتَطِيعُ هُوَ أَنْ يَشْرَبَهَا وَلَهَا مَوَادُّ

١٦٤ وَحَكَى أَبُو إِسْحٰقَ ٱلثَّعْلَبِيُّ قَالَ : كَانَ لُقْمَانُ مِنْ أَهْوَنِ مَمَالِيكِ سَيِّدِهِ عَلَيْهِ . فَبَعَثَهُ مَوْلَاهُ مَعَ عَبِيدٍ لَهُ إِلَى بُسْتَانِهِ يَأْتُونَهُ بِشَيْءٍ مِنْ ثَمَرٍ . فَجَاؤُوهُ وَمَا مَعَهُمْ شَيْءٌ وَقَدْ أَكَلُوا ٱلثَّمَرَ وَأَحَالُوا عَلَى لُقْمَانَ . فَقَالَ لُقْمَانُ لِمَوْلَاهُ : ذُو ٱلْوَجْهَيْنِ لَا يَكُونُ عِنْدَ ٱللهِ وَجِيهًا . فَٱسْقِنِي وَإِيَّاهُمْ مَاءً حَمِيمًا ثُمَّ أَرْسِلْنَا لِنَعْدُوَ . فَفَعَلَ فَجَعَلُوا يَتَقَيَّؤُونَ تِلْكَ ٱلْفَاكِهَةَ وَلُقْمَانُ يَتَقَيَّأُ مَاءً . فَعَرَفَ مَوْلَاهُ صِدْقَهُ وَكَذِبَهُمْ (للشريشي)

الحاجّ والوديعة

١٦٥ وَصَلَ بَعْضُ ٱلْمُسَافِرِينَ لِقَصْدِ ٱلْحَجِّ مَدِينَةً وَنَزَلَ عِنْدَ صَاحِبٍ لَهُ. فَلَمَّا تَمَّتْ مُدَّةُ ٱلْإِقَامَةِ وَعَزَمَ عَلَى ٱلرَّحِيلِ أَخْبَرَ صَاحِبَهُ أَنَّ عِنْدَهُ أَمَانَةً وَهِيَ جُمْلَةٌ مِنَ ٱلنُّقُودِ وَٱلْجَوَاهِرِ وَيُرِيدُ أَنْ يُودِعَهَا مُؤْتَمَنًا إِلَى أَنْ يَرْجِعَ . فَلَمَّا سَمِعَ مِنْهُ صَاحِبُهُ ذٰلِكَ ٱسْتَحَى أَنْ يَقُولَ لَهُ ضَعْهَا عِنْدِي خَوْفًا مِنْ أَنْ يَظُنَّ أَنَّهُ طَامِعٌ فِيهَا فَأَشَارَ عَلَيْهِ أَنْ يَضَعَهَا عِنْدَ ٱلْقَاضِي . فَأَخَذَهَا وَذَهَبَ إِلَى ٱلْقَاضِي وَقَالَ لَهُ: إِنِّي رَجُلٌ غَرِيبٌ وَأُرِيدُ ٱلْحَجَّ وَعِنْدِي أَمَانَةٌ قَدْرُهَا كَذَا مِنَ ٱلنُّقُودِ وَٱلْجَوَاهِرِ وَأُرِيدُ أَنْ أُسَلِّمَهَا إِلَى مَوْلَانَا ٱلْقَاضِي لِيَحْفَظَهَا إِلَى أَنْ أَعُودَ مِنَ ٱلْحَجِّ وَأَسْتَلِمَهَا . فَقَالَ لَهُ ٱلْقَاضِي: نَعَمْ . خُذْ هٰذَا ٱلْمِفْتَاحَ وَٱفْتَحْ هٰذَا ٱلصُّنْدُوقَ وَضَعْهَا فِيهِ وَأَغْلِقِ ٱلصُّنْدُوقَ جَيِّدًا . فَفَعَلَ وَسَلَّمَ ٱلْمِفْتَاحَ إِلَى ٱلْقَاضِي وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَتَوَجَّهَ . فَلَمَّا قَضَى حَجَّهُ وَرَجَعَ ذَهَبَ إِلَى ٱلْقَاضِي لِيَطْلُبَ ٱلْأَمَانَةَ . فَقَالَ لَهُ: إِنِّي لَا أَعْرِفُكَ وَأَنَا عِنْدِي أَمَانَاتٌ كَثِيرَةٌ فَمِنْ أَيْنَ أَعْرِفُ أَنَّ لَكَ أَمَانَةً عِنْدِي . وَأَطَالَ ٱلْمُحَاوَلَةَ مَعَهُ فَٱنْصَرَفَ ٱلرَّجُلُ إِلَى صَاحِبِهِ وَأَعْلَمَهُ بِذٰلِكَ وَعَابَهُ فِي هٰذِهِ ٱلْمَشُورَةِ . فَأَخَذَهُ وَذَهَبَ إِلَى بَعْضِ ٱلْأُمَرَاءِ ٱلْمُقَرَّبِينَ إِلَى ٱلْمَلِكِ وَأَخْبَرَهُ بِتِلْكَ ٱلْقَضِيَّةِ . فَوَعَدَهُمَا أَنَّهُ فِي غَدٍ يَذْهَبُ إِلَى ٱلْقَاضِي وَيَجْلِسُ عِنْدَهُ وَيُخْبِرُهُ بِقَضِيَّةٍ أُخْرَى تَخُصُّهُ وَيَدْخُلُ ذَاكَ ٱلشَّخْصُ صَاحِبُ ٱلْأَمَانَةِ عَلَيْهِمَا وَيَطْلُبُ أَمَانَتَهُ مِنَ ٱلْقَاضِي . فَلَمَّا كَانَ ٱلْغَدُ

ذَهَبَ ذٰلِكَ ٱلْأَمِيرُ إِلَى ٱلْقَاضِي وَجَلَسَ بِجَانِبِهِ. فَلَمَّا ٱنْتَهَى تَعْظِيمُهُ وَإِجْلَالُهُ مِنَ ٱلْقَاضِي عَلَى حَسَبِ مَقَامِهِ. قَالَ لَهُ: لَعَلَّ ٱلسَّبَبَ ٱلَّذِي أَوْجَبَكَ إِلَى تَشْرِيفِنَا بِقُدُومِكَ خَيْرٌ. فَقَالَ لَهُ: نَعَمْ هُوَ خَيْرٌ لَكَ إِنْ شَاءَ ٱللّٰهُ تَعَالَى. فَقَالَ: مَا هُوَ. قَالَ ٱلْأَمِيرُ: إِنِّي فِي لَيْلَةِ أَمْسِ طَلَبَنِي ٱلْمَلِكُ فَذَهَبْتُ إِلَيْهِ. فَلَمَّا ٱنْتَهَى ٱلْمَجْلِسُ وَٱنْصَرَفَ ٱلنَّاسُ وَأَرَدْتُ أَنْ أَنْصَرِفَ إِذَا هُوَ أَمَرَنِي أَنْ أَتَخَلَّفَ عِنْدَهُ. فَلَمَّا ٱخْتَلَيْنَا أَسَرَّ إِلَيَّ أَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَحُجَّ فِي ٱلْعَامِ ٱلْقَابِلِ وَيُرِيدُ أَنْ يُسَلِّمَ ٱلْمَمْلَكَةَ جَمِيعَهَا لِمَنْ يَعْتَمِدُ وَيُؤْتَمَنُ فِي ذٰلِكَ إِلَى أَنْ يَعُودَ بِٱلسَّلَامَةِ. فَٱسْتَشَارَنِي فِي ٱلْأَمْرِ فَأَشَرْتُ عَلَيْهِ أَنْ يُسَلِّمَهَا لِجَنَابِكَ لِمَا نَعْهَدُ عِنْدَكَ مِنَ ٱلْأَمَانَةِ وَٱلْعِفَّةِ وَٱلصَّدَاقَةِ أَوْلَى مِنْ تَسْلِيمِهَا لِبَعْضِ ٱلذَّوَاتِ فَرُبَّمَا يَعْمَلُ مُخَالَفَةً أَوْ تَطْمَعُ نَفْسُهُ فِي ٱلْمَمْلَكَةِ فَيُثِيرُ فِتْنَةً أَوْ نَحْوَ ذٰلِكَ. فَأَعْجَبَهُ هٰذَا ٱلرَّأْيُ وَأَجْمَعَ أَنَّهُ بَعْدَ يَوْمَيْنِ يَعْقِدُ مَجْلِسًا عَامًّا وَيَفْعَلُ مَا أَشَرْتُ بِهِ عَلَيْهِ. فَفَرِحَ ٱلْقَاضِي بِذٰلِكَ فَرَحًا شَدِيدًا وَأَثْنَى عَلَيْهِ. وَإِذَا بِصَاحِبِ ٱلْأَمَانَةِ دَاخِلٌ عَلَيْهِمَا فَتَمَثَّلَ أَمَامَ ٱلْقَاضِي وَسَلَّمَ. وَقَالَ: يَا حَضْرَةَ مَوْلَانَا ٱلْقَاضِي إِنَّ لِي أَمَانَةً عِنْدَكَ وَهِيَ كَذَا وَكَذَا. سَلَّمْتُهَا إِلَيْكَ وَقْتَ كَذَا وَكَذَا. فَمَا أَتَمَّ كَلَامَهُ حَتَّى قَالَ لَهُ ٱلْقَاضِي: نَعَمْ يَا وَلَدِي وَأَنَا تَذَكَّرْتُكَ ٱللَّيْلَةَ عِنْدَ ٱلنَّوْمِ وَعَرَفْتُكَ وَعَرَفْتُ أَمَانَتَكَ فَخُذْ هٰذَا ٱلْمِفْتَاحَ وَٱسْتَلِمْ أَمَانَتَكَ. فَأَخَذَهَا وَسَلَّمَ وَٱنْصَرَفَ. وَٱنْصَرَفَ ذٰلِكَ ٱلْأَمِيرُ أَيْضًا.

Scanned by CamScanner

فَلَمَّا مَضَى ٱلْمِيعَادُ ٱلَّذِي وَعَدَهُ ٱلْقَاضِي ذَهَبَ إِلَى ٱلْأَمِيرِ وَسَأَلَهُ فِي شَأْنِ ٱلْمَمْلَكَةِ وَٱلْمُلْكِ. فَقَالَ لَهُ: أَيُّهَا ٱلْقَاضِي نَحْنُ لَمْ نُخَلِّصْ مِنْكَ أَمَانَةَ ٱلرَّجُلِ ٱلْغَرِيبِ ٱلْحَاجِّ إِلَّا لَمَّا مَلَّكْنَاكَ ٱلدُّنْيَا بِأَجْمَعِهَا. فَإِذَا مَلَكْتَهَا بِأَيِّ شَيْءٍ نُخَلِّصُهَا. فَعَرَفَ أَنَّهَا حِيلَةٌ وَعَادَ خَائِبًا

١٦٦ حُكِيَ عَنْ حَاتِمٍ ٱلطَّائِيِّ أَنَّهُ مَرَّ يَوْمًا بِحِلَّةِ بَنِي عَنَزَةَ. فَٱجْتَازَ بِأَسِيرٍ عِنْدَهُمْ وَكَانَ ٱلْأَسِيرُ صُعْلُوكًا لَا يَمْلِكُ ٱلْفِدَى. فَلَمَّا رَأَى حَاتِمًا صَاحَ: أَغِثْنِي يَا أَبَا سَفَّانَةَ. وَلَمْ يَكُنْ مَعَ حَاتِمٍ مَا يَفْدِيهِ بِهِ فَضَمِنَ ٱلْفِدَاءَ لِأَمِيرِ ٱلْحِلَّةِ فَأَبَى إِلَّا أَنْ يَقْبِضَهُ قَبْلَ إِطْلَاقِ ٱلْأَسِيرِ. فَأَقَامَ حَاتِمٌ مَكَانَهُ فِي ٱلْأَسْرِ وَأَرْسَلَ ٱلْأَعْرَابِيَّ إِلَى قَوْمِهِ فِي أَحْيَاءِ طَيٍّ بِعَلَامَةٍ مِنْهُ حَتَّى أَتَى بِٱلْفِدَى. فَدَفَعَهُ إِلَى ٱلْقَوْمِ وَأَطْلَقَ نَفْسَهُ مِنْ أَسْرِهِمْ (للحموي)

امير بلخ وكلبهُ

١٦٧ حَكَى حَاتِمٌ ٱلْأَصَمُّ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ عِيسَى بْنِ مَاهَانَ كَانَ أَمِيرَ بَلْخَ. وَكَانَ يُحِبُّ كِلَابَ ٱلصَّيْدِ. فَفُقِدَ كَلْبٌ مِنْ كِلَابِهِ يَوْمًا فَٱتُّهِمَ بِهِ جَارُ شَقِيقٍ فَٱسْتَجَارَ بِهِ. فَدَخَلَ شَقِيقٌ عَلَى ٱلْأَمِيرِ وَقَالَ: خَلُّوا سَبِيلَهُ فَإِنِّي أَرُدُّ لَكُمْ كَلْبَكُمْ إِلَى ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ. فَخَلَّوْا سَبِيلَهُ فَٱنْصَرَفَ شَقِيقٌ مُهْتَمًّا لِمَا صَنَعَ. فَلَمَّا كَانَ ٱلْيَوْمُ ٱلثَّالِثُ كَانَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَلْخَ غَائِبًا وَكَانَ مِنْ رُفَقَاءِ شَقِيقٍ. وَكَانَ لِشَقِيقٍ فَتًى وَهُوَ رَفِيقُهُ رَأَى فِي ٱلصَّحْرَاءِ كَلْبًا فِي رَقَبَتِهِ قِلَادَةٌ فَقَالَ: أُهْدِيهِ إِلَى شَقِيقٍ. فَحَمَلَهُ إِلَيْهِ فَإِذَا هُوَ كَلْبُ ٱلْأَمِيرِ فَسَلَّمَهُ إِلَيْهِ (للقزويني)

أبو دلف وجاره

١٦٨ يُرْوَى أَنَّ رَجُلًا كَانَ جَارًا لِأَبِي دُلَفَ بِبَغْدَادَ . فَأَدْرَكَتْهُ حَاجَةٌ وَرَكِبَهُ دَيْنٌ فَادِحٌ حَتَّى ٱحْتَاجَ إِلَى بَيْعِ دَارِهِ . فَسَاوَمُوهُ فِيهَا فَسَمَّى لَهُمْ أَلْفَ دِينَارٍ . فَقَالُوا لَهُ : إِنَّ دَارَكَ تُسَاوِي خَمْسَمِائَةِ دِينَارٍ . فَقَالَ : أَبِيعُ دَارِي بِخَمْسِمِائَةٍ وَجِوَارَ أَبِي دُلَفَ بِخَمْسِمِائَةٍ . فَبَلَغَ أَبَا دُلَفَ ٱلْخَبَرُ فَأَمَرَ بِقَضَاءِ دَيْنِهِ وَوَصَلَهُ وَقَالَ : لَا تَنْتَقِلْ مِنْ جِوَارِنَا . فَٱنْظُرْ كَيْفَ صَارَ ٱلْجِوَارُ يُبَاعُ كَمَا يُبَاعُ ٱلْعَقَارُ . وَقَالَ ٱلشَّاعِرُ :

يَلُومُونَنِي أَنْ بِعْتُ بِٱلرُّخْصِ مَنْزِلِي وَلَمْ يَعْلَمُوا جَارًا هُنَاكَ يُنَغِّصُ

فَقُلْتُ لَهُمْ كُفُّوا ٱلْمَلَامَ فَإِنَّمَا بِجِيرَانِهَا تَغْلُو ٱلدِّيَارُ وَتَرْخُصُ

(للشريشي)

ابو العلاء المعرّي والغلام

١٦٩ حُكِيَ أَنَّ غُلَامًا لَقِيَ أَبَا ٱلْعَلَاءِ ٱلْمَعَرِّيَّ فَقَالَ : مَنْ أَنْتَ يَا شَيْخُ . قَالَ : فُلَانٌ . قَالَ : أَنْتَ ٱلْقَائِلُ فِي شِعْرِكَ :

وَإِنِّي وَإِنْ كُنْتُ ٱلْأَخِيرَ زَمَانُهُ لَآتٍ بِمَا لَمْ تَسْتَطِعْهُ ٱلْأَوَائِلُ

قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : يَا عَمَّاهُ إِنَّ ٱلْأَوَائِلَ قَدْ رَتَّبُوا ثَمَانِيَةً وَعِشْرِينَ حَرْفًا لِلْهِجَاءِ فَهَلْ لَكَ أَنْ تَزِيدَ عَلَيْهَا حَرْفًا . (قَالَ) فَدُهِشَ ٱلْمَعَرِّيُّ مِنْ ذَلِكَ وَقَالَ : إِنَّ هٰذَا ٱلْغُلَامَ لَا يَعِيشُ لِشِدَّةِ حِذْقِهِ وَتَوَقُّدِ فُؤَادِهِ (للقليوبي)

يزيد وبدوية

١٧٠ كَانَ يَزِيدُ بْنُ ٱلْمُهَلَّبِ عِنْدَ خُرُوجِهِ مِنْ سِجْنِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ

ٱلعَزِيزِ يُسَافِرُ فِي ٱلبَرِّيَّةِ مَعَ ٱبْنِهِ مُعَاوِيَةَ . فَمَرَّ بِٱمْرَأَةٍ بَدَوِيَّةٍ فَذَبَحَتْ لَهُمَا عَنْزَةً . فَلَمَّا أَكَلَا قَالَ يَزِيدُ لِٱبْنِهِ : مَا يَكُونُ مَعَكَ مِنَ ٱلنَّفَقَةِ . قَالَ : مِائَةُ دِينَارٍ . قَالَ : أَعْطِهَا إِيَّاهَا . هٰذِهِ فَقِيرَةٌ يُرْضِيهَا ٱلقَلِيلُ وَهِيَ مَا تَعْرِفُكَ . قَالَ : إِنْ كَانَ يُرْضِيهَا ٱلقَلِيلُ فَأَنَا لَا يُرْضِينِي إِلَّا ٱلكَثِيرُ وَإِنْ كَانَتْ لَا تَعْرِفُنِي فَأَنَا أَعْرِفُ نَفْسِي (لابن قتيبة)

العفو

١٧١ وَقَعَتْ دِمَاءٌ بَيْنَ حَيَّيْنِ مِنْ قُرَيْشٍ . فَأَقْبَلَ أَبُو سُفْيَانَ فَمَا بَقِيَ أَحَدٌ وَاضِعٌ رَأْسَهُ إِلَّا رَفَعَهُ فَقَالَ : يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ هَلْ لَكُمْ فِي ٱلحَقِّ أَوْ فِي مَا هُوَ أَفْضَلُ مِنَ ٱلحَقِّ . قَالُوا : وَهَلْ شَيْءٌ أَفْضَلُ مِنَ ٱلحَقِّ . قَالَ : نَعَمِ ٱلعَفْوُ . فَبَادَرَ ٱلقَوْمُ فَٱصْطَلَحُوا (للشريشي)

الرشيد وحميد

١٧٢ غَضِبَ ٱلرَّشِيدُ عَلَى حُمَيْدٍ ٱلطُّوسِيِّ فَدَعَا لَهُ بِٱلنِّطَعِ وَٱلسَّيْفِ فَبَكَى . فَقَالَ لَهُ : مَا يُبْكِيكَ . فَقَالَ : وَٱللهِ يَا أَمِيرَ ٱلمُؤْمِنِينَ مَا أَفْزَعُ مِنَ ٱلمَوْتِ لِأَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْهُ وَإِنَّمَا بَكَيْتُ أَسَفًا عَلَى خُرُوجِي مِنَ ٱلدُّنْيَا وَأَمِيرُ ٱلمُؤْمِنِينَ سَاخِطٌ عَلَيَّ . فَضَحِكَ وَعَفَا عَنْهُ (للابشيهي)

المصوّر المسروق

١٧٣ حُكِيَ عَنْ أَهْلِ ٱلرُّومِ أَنَّ مُصَوِّرًا دَخَلَ بَلَدًا لَيْلًا وَنَزَلَ بِقَوْمٍ . فَضَيَّفُوهُ فَلَمَّا سَكِرَ قَالَ : إِنِّي صَاحِبُ مَالٍ وَمَعِي كَذَا وَكَذَا دِينَارًا . فَسَقَوْهُ حَتَّى طَفَحَ وَأَخَذُوا مَا كَانَ مَعَهُ وَحَمَلُوهُ إِلَى مَوْضِعٍ

بَعِيدٍ مِنهُمْ . فَلَمَّا أَصْبَحَ وَكَانَ غَرِيبًا لَمْ يَعْرِفِ ٱلْقَوْمَ وَلَا ٱلْمَكَانَ ذَهَبَ إِلَى وَالِي ٱلْمَدِينَةِ وَشَكَا . فَقَالَ لَهُ ٱلْوَالِي : هَلْ تَعْرِفُ ٱلْقَوْمَ . قَالَ : لَا . قَالَ : هَلْ تَعْرِفُ ٱلْمَكَانَ . قَالَ : لَا . قَالَ : فَكَيْفَ ٱلسَّبِيلُ إِلَى ذٰلِكَ . فَقَالَ ٱلرَّجُلُ : إِنِّي أُصَوِّرُ صُورَةَ ٱلرَّجُلِ وَصُورَةَ أَهْلِهِ فَأَعْرِضُهَا عَلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّ أَحَدًا يَعْرِفُهُمْ . فَفَعَلَ ذٰلِكَ وَعَرَضَهَا ٱلْوَالِي عَلَى ٱلنَّاسِ فَقَالُوا : إِنَّهَا صُورَةُ فُلَانٍ ٱلْحَمَّامِيِّ وَأَهْلِهِ . فَأَمَرَ بِإِحْضَارِهِ فَإِذَا هُوَ صَاحِبُهُ فَٱسْتَرَدَّ مِنْهُ ٱلْمَالَ (آثار البلاد للقزويني)

النديم والجام

١٧٤ يُقَالُ إِنَّهُ كَانَ لِأَنُوشِرْوَانَ نَدِيمٌ . وَكَانَ فِي مَجْلِسِ ٱلشَّرَابِ جَامٌ مِنْ ذَهَبٍ مُرَصَّعٍ بِٱلْجَوْهَرِ . فَسَرَقَهُ ٱلنَّدِيمُ . وَنَظَرَ إِلَيْهِ أَنُوشِرْوَانُ وَرَآهُ وَهُوَ يُخْفِيهِ . فَجَاءَ ٱلشَّرَابِيُّ وَطَلَبَ ٱلْجَامَ فَلَمْ يَجِدْهُ . فَنَادَى يَا أَهْلَ ٱلْمَجْلِسِ قَدْ ضَاعَ لَنَا جَامٌ مِنْ ذَهَبٍ مُرَصَّعٍ بِٱلْجَوْهَرِ . فَلَا يَخْرُجَنَّ أَحَدٌ حَتَّى يَرُدَّ ٱلْجَامَ . فَقَالَ أَنُوشِرْوَانُ لِلشَّرَابِيِّ : مَكِّنْهُمْ مِنَ ٱلْخُرُوجِ فَإِنَّ ٱلَّذِي سَرَقَ مَا يُعِيدُهُ . وَٱلَّذِي رَآهُ مَا يَغْمِزُ عَلَيْهِ (للطرطوشي)

الكنز والسيّاح

١٧٥ كَانَ فِي غَابِرِ ٱلزَّمَانِ ثَلَاثَةٌ سَائِرِينَ فَوَجَدُوا كَنْزًا فَقَالُوا : قَدْ جُعْنَا فَلْيَمْضِ وَاحِدٌ مِنَّا وَلْيَبْتَعْ لَنَا طَعَامًا . فَمَضَى لِيَأْتِيَهُمْ بِطَعَامٍ فَقَالَ : ٱلصَّوَابُ أَنْ أَجْعَلَ لَهُمَا فِي ٱلطَّعَامِ سُمًّا قَاتِلًا لِيَأْكُلَاهُ فَيَمُوتَا وَأَنْفَرِدَ أَنَا بِٱلْكَنْزِ دُونَهُمَا . فَفَعَلَ ذٰلِكَ وَسَمَّ ٱلطَّعَامَ . وَٱتَّفَقَ

ٱلرَّجُلَانِ ٱلآخَرَانِ أَنَّهُمَا إِذَا وَصَلَ إِلَيْهِمَا بِٱلطَّعَامِ قَتَلَاهُ وَٱنْفَرَدَا بِٱلْكَنْزِ دُونَهُ . فَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهِمَا بِٱلطَّعَامِ ٱلْمَسْمُومِ قَتَلَاهُ وَأَكَلَا مِنَ ٱلطَّعَامِ فَمَاتَا . فَٱجْتَازَ بَعْضُ ٱلْحُكَمَاءِ بِذٰلِكَ ٱلْمَكَانِ فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ : هٰذِهِ ٱلدُّنْيَا . فَٱنْظُرُوا كَيْفَ قَتَلَتْ هٰؤُلَاءِ ٱلثَّلَاثَةَ وَبَقِيَتْ بَعْدَهُمْ . وَيْلٌ لِطُلَّابِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلدَّيَّانِ (للغزالي)

الجارية والقصعة

١٧٦ جَاءَتْ جَارِيَةٌ لِأَبِي عَبْدِ ٱللهِ جَعْفَرٍ بِقَصْعَةٍ مِنْ ثَرِيدٍ تُقَدِّمُهَا إِلَيْهِ وَعِنْدَهُ قَوْمٌ . فَأَسْرَعَتْ بِهَا فَسَقَطَتْ مِنْ يَدِهَا فَٱنْكَسَرَتْ فَأَصَابَهُ وَأَصْحَابَهُ مِمَّا كَانَ فِيهَا . فَٱرْتَاعَتِ ٱلْجَارِيَةُ عِنْدَ ذٰلِكَ . فَقَالَ لَهَا : أَنْتِ حُرَّةٌ لِوَجْهِ ٱللهِ تَعَالَى . لَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ كَفَّارَةً لِلرَّوْعِ ٱلَّذِي أَصَابَكِ (للطرطوشي)

هرون الرشيد وابو معاوية

١٧٧ كَانَ هٰرُونُ ٱلرَّشِيدُ يَتَوَاضَعُ لِلْعُلَمَاءِ . قَالَ أَبُو مُعَاوِيَةَ ٱلضَّرِيرُ وَكَانَ مِنْ عُلَمَاءِ ٱلنَّاسِ : أَكَلْتُ مَعَ ٱلرَّشِيدِ يَوْمًا . فَصَبَّ عَلَى يَدَيَّ ٱلْمَاءَ رَجُلٌ فَقَالَ لِي : يَا أَبَا مُعَاوِيَةَ أَتَدْرِي مَنْ صَبَّ ٱلْمَاءَ عَلَى يَدِكَ . فَقُلْتُ : لَا يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ . قَالَ : أَنَا . فَقُلْتُ : يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنْتَ تَفْعَلُ هٰذَا إِجْلَالًا لِلْعِلْمِ . قَالَ : نَعَمْ (الفخري)

١٧٨ لَمَّا مَرِضَ قَيْسُ بْنُ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ ٱسْتَبْطَأَ إِخْوَانَهُ فِي ٱلْعِيَادَةِ فَسَأَلَ عَنْهُمْ . فَقِيلَ لَهُ : إِنَّهُمْ يَسْتَحْيُونَ مِمَّا لَكَ عَلَيْهِمْ

مِنَ ٱلدَّيْنِ . فَقَالَ : أَخْزَى ٱللهُ مَالًا يَمْنَعُ ٱلإِخْوَانَ مِنَ ٱلزِّيَارَةِ . ثُمَّ أَمَرَ مَنْ يُنَادِي : مَنْ كَانَ لِقَيْسٍ عِنْدَهُ مَالٌ فَهُوَ مِنْهُ فِي حِلٍّ . فَكُسِرَتْ عَتَبَةُ بَابِهِ بِٱلْعَشِيِّ لِكَثْرَةِ ٱلْعُوَّادِ (للطرطوشي)

رسول قيصر وعمر بن الخطاب

١٧٩ أَرْسَلَ قَيْصَرُ رَسُولًا إِلَى عُمَرَ بْنِ ٱلْخَطَّابِ لِيَنْظُرَ أَحْوَالَهُ . وَيُشَاهِدَ أَفْعَالَهُ . فَلَمَّا دَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ سَأَلَ أَهْلَهَا وَقَالَ : أَيْنَ مَلِكُكُمْ . فَقَالُوا : مَا لَنَا مَلِكٌ بَلْ لَنَا أَمِيرٌ قَدْ خَرَجَ إِلَى ظَاهِرِ ٱلْمَدِينَةِ . فَخَرَجَ ٱلرَّسُولُ فِي طَلَبِهِ . فَرَآهُ نَائِمًا فِي ٱلشَّمْسِ عَلَى ٱلْأَرْضِ فَوْقَ ٱلرَّمْلِ ٱلْحَارِّ وَقَدْ وَضَعَ دِرَّتَهُ كَٱلْوِسَادَةِ وَٱلْعَرَقُ يَسْقُطُ مِنْ جَبِينِهِ إِلَى أَنْ بَلَّ ٱلْأَرْضَ . فَلَمَّا رَآهُ عَلَى هٰذِهِ ٱلْحَالَةِ وَقَعَ ٱلْخُشُوعُ فِي قَلْبِهِ وَقَالَ : رَجُلٌ يَكُونُ جَمِيعُ ٱلْمُلُوكِ لَا يَقِرُّ لَهُمْ قَرَارٌ فِي هَيْبَتِهِ وَتَكُونُ هٰذِهِ حَالَهُ . وَلٰكِنَّكَ يَا عُمَرُ عَدَلْتَ فَأَمِنْتَ فَنِمْتَ وَمَلِكُنَا يَجُورُ فَلَا جَرَمَ إِنَّهُ لَا يَزَالُ سَاهِرًا خَائِفًا (للغزالي)

عفو زياد

١٨٠ أَمَرَ زِيَادٌ بِضَرْبِ عُنُقِ رَجُلٍ فَقَالَ : أَيُّهَا ٱلْأَمِيرُ إِنَّ لِي بِكَ حُرْمَةً . قَالَ : وَمَا هِيَ . قَالَ : إِنَّ أَبِي جَارُكَ بِٱلْبَصْرَةِ . قَالَ : وَمَنْ أَبُوكَ . قَالَ : يَا مَوْلَايَ إِنِّي نَسِيتُ ٱسْمَ نَفْسِي فَكَيْفَ لَا أَنْسَى ٱسْمَ أَبِي . فَرَدَّ زِيَادٌ كُمَّهُ عَلَى فَمِهِ وَضَحِكَ وَعَفَا عَنْهُ (للابشيهي)

١٨١ رُوِيَ أَنَّ مَلِكًا مِنَ ٱلْمُلُوكِ بَنَى قَصْرًا وَقَالَ : ٱنْظُرُوا مَنْ

عَابَ مِنْهُ شَيْئًا فَأَصْلِحُوهُ وَأَعْطُوهُ دِرْهَمَيْنِ . فَأَتَاهُ رَجُلٌ فَقَالَ : إِنَّ فِي هٰذَا ٱلْقَصْرِ عَيْبَيْنِ . قَالَ : وَمَا هُمَا . قَالَ : يَمُوتُ ٱلْمَلِكُ وَيَخْرَبُ ٱلْقَصْرُ . قَالَ : صَدَقْتَ . ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى نَفْسِهِ وَتَرَكَ ٱلدُّنْيَا (للطرطوشي)

عفو عبد الملك

١٨٢ تَغَيَّظَ عَبْدُ ٱلْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ عَلَى رَجَاءِ بْنِ حَيَاةَ فَقَالَ : وَٱللّٰهِ لَئِنْ أَمْكَنَنِي ٱللّٰهُ مِنْهُ لَأَفْعَلَنَّ بِهِ كَذَا وَكَذَا . فَلَمَّا صَارَ بَيْنَ يَدَيْهِ قَالَ لَهُ رَجَاءُ بْنُ حَيَاةَ : يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ قَدْ صَنَعَ ٱللّٰهُ مَا أَحْبَبْتَ فَٱصْنَعْ مَا أَحَبَّ ٱللّٰهُ . فَعَفَا عَنْهُ وَأَمَرَ لَهُ بِصِلَةٍ

جعفر وغلامهُ

١٨٣ حُكِيَ عَنْ جَعْفَرٍ ٱلصَّادِقِ أَنَّ غُلَامًا لَهُ وَقَفَ يَصُبُّ ٱلْمَاءَ عَلَى يَدَيْهِ . فَوَقَعَ ٱلْإِبْرِيقُ مِنْ يَدِ ٱلْغُلَامِ فِي ٱلطَّسْتِ فَطَارَ ٱلرَّشَاشُ فِي وَجْهِهِ . فَنَظَرَ جَعْفَرٌ إِلَيْهِ نَظَرَ مُغْضَبٍ . فَقَالَ : يَا مَوْلَايَ ٱللّٰهُ يَأْمُرُ بِكَظْمِ ٱلْغَيْظِ . قَالَ : قَدْ عَفَوْتُ عَنْكَ . قَالَ : وَٱللّٰهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ . قَالَ : ٱذْهَبْ فَأَنْتَ حُرٌّ لِوَجْهِ ٱللّٰهِ تَعَالَى (للابشيهي)

المهدي وابو العتاهية

١٨٤ لَمَّا حَبَسَ ٱلْمَهْدِيُّ أَبَا ٱلْعَتَاهِيَةِ تَكَلَّمَ فِيهِ يَزِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ ٱلْحِمْيَرِيُّ حَتَّى أَطْلَقَهُ . فَقَالَ فِيهِ أَبُو ٱلْعَتَاهِيَةِ :

مَا قُلْتُ فِي فَضْلِهِ شَيْئًا لِأَمْدَحَهُ
إِلَّا وَفَضْلُ يَزِيدٍ فَوْقَ مَا قُلْتُ

مَا زِلْتُ مِنْ رَيْبِ دَهْرِي خَائِفًا وَجِلًا
فَقَدْ كَفَانِي بَعْدَ ٱللهِ مَا خِفْتُ
(للاصبهاني)

الموبذ وانوشروان

١٨٥ سَمِعَ ٱلْمُوبَذُ فِي مَجْلِسِ أَنُوشِرْوَانَ ضَحِكَ ٱلْخَدَمِ فَقَالَ: أَمَا يَهَابُ هٰؤُلَاءِ ٱلْغِلْمَانُ. فَقَالَ أَنُوشِرْوَانُ: إِنَّمَا يَهَابُنَا أَعْدَاؤُنَا (للثعالبي)

الإيثار

١٨٦ مِنْ عَجَائِبِ مَا ذُكِرَ فِي ٱلْإِيثَارِ مَا حَكَاهُ أَبُو مُحَمَّدٍ ٱلْأَزْدِيُّ. قَالَ: لَمَّا ٱحْتَرَقَ ٱلْمَسْجِدُ بِمَرْوَ ظَنَّ ٱلْمُسْلِمُونَ أَنَّ ٱلنَّصَارَى أَحْرَقُوهُ فَأَحْرَقُوا خَانَاتِهِمْ. فَقَبَضَ ٱلسُّلْطَانُ عَلَى جَمَاعَةٍ مِنَ ٱلَّذِينَ أَحْرَقُوا ٱلْخَانَاتِ. وَكَتَبَ رِقَاعًا فِيهَا ٱلْقَطْعُ وَٱلْجَلْدُ وَٱلْقَتْلُ وَنَثَرَهَا عَلَيْهِمْ فَمَنْ وَقَعَ عَلَيْهِ رُقْعَةٌ فُعِلَ بِهِ مَا فِيهَا. فَوَقَعَتْ رُقْعَةٌ فِيهَا ٱلْقَتْلُ بِيَدِ رَجُلٍ فَقَالَ: وَٱللهِ مَا كُنْتُ أُبَالِي لَوْلَا أُمٌّ لِي. وَكَانَ بِجَنْبِهِ بَعْضُ ٱلْفِتْيَانِ فَقَالَ لَهُ: فِي رُقْعَتِي ٱلْجَلْدُ وَلَيْسَ لِي أُمٌّ. فَخُذْ أَنْتَ رُقْعَتِي وَأَعْطِنِي رُقْعَتَكَ. فَفَعَلَ فَقُتِلَ ذٰلِكَ ٱلْفَتَى وَتَخَلَّصَ هٰذَا ٱلرَّجُلُ (للطرطوشي)

الاعرابي والجراد

١٨٧ قَالَ ٱلْأَصْمَعِيُّ: حَضَرْتُ ٱلْبَادِيَةَ فَإِذَا أَعْرَابِيٌّ زَرَعَ بُرًّا لَهُ.

فَلَمَّا قَامَ عَلَى سُوقِهِ وَجَادَ سُنْبُلُهُ أَتَتْ عَلَيْهِ رِجْلُ جَرَادٍ . فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَنْظُرُ إِلَيْهِ وَلَا يَدْرِي كَيْفَ الْحِيلَةُ فِيهِ فَأَنْشَأَ يَقُولُ :

مَرَّ الْجَرَادُ عَلَى زَرْعِي فَقُلْتُ لَهُ إِلْزَمْ طَرِيقَكَ لَا تُولَعْ بِإِفْسَادِ
فَقَامَ مِنْهُمْ خَطِيبٌ فَوْقَ سُنْبُلَةٍ إِنَّا عَلَى سَفَرٍ لَا بُدَّ مِنْ زَادِ

(للدميري)

١٨٨ قِيلَ لِبَعْضِ السَّلَاطِينِ : لِمَ لَا تُغْلَقُ الْبَابَ وَتُقْعِدُ عَلَيْهِ الْحُجَّابَ . فَقَالَ : إِنَّمَا يَنْبَغِي أَنْ أَحْفَظَ أَنَا رَعِيَّتِي لَا أَنْ يَحْفَظُونِي

(للثعالبي)

عبد الرحمان بن عوف وعمر بن الخطّاب

١٨٩ قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَانِ بْنُ عَوْفٍ : دَعَانِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ذَاتَ لَيْلَةٍ وَقَالَ : قَدْ نَزَلَ بِبَابِ الْمَدِينَةِ قَافِلَةٌ وَأَخَافُ عَلَيْهِمْ إِذَا نَامُوا أَنْ يُسْرَقَ شَيْءٌ مِنْ مَتَاعِهِمْ . فَمَضَيْتُ مَعَهُ فَلَمَّا وَصَلْنَا قَالَ لِي : نَمْ أَنْتَ . ثُمَّ إِنَّهُ جَعَلَ يَحْرُسُ الْقَافِلَةَ طُولَ لَيْلَتِهِ (للغزالي)

راكب البغل

١٩٠ حَدَّثَ شَبِيبُ بْنُ مَنْصُورٍ قَالَ : كُنْتُ فِي الْمَوْقِفِ وَاقِفًا عَلَى بَابِ الرَّشِيدِ فَإِذَا رَجُلٌ بَشِعُ الْهَيْئَةِ عَلَى بَغْلٍ قَدْ جَاءَ فَوَقَفَ وَجَعَلَ النَّاسُ يُسَلِّمُونَ عَلَيْهِ وَيُسَائِلُونَهُ وَيُضَاحِكُونَهُ . ثُمَّ وَقَفَ فِي الْمَوْقِفِ فَأَقْبَلَ النَّاسُ يَشْكُونَ أَحْوَالَهُمْ . فَوَاحِدٌ يَقُولُ : كُنْتُ مُنْقَطِعًا إِلَى فُلَانٍ فَلَمْ يَصْنَعْ بِي خَيْرًا . وَيَقُولُ آخَرُ : أَمَاتَ فُلَانًا

فَخَابَ أَمَلِي وَفَعَلَ بِي . وَيَشْكُو آخَرُ مِنْ حَالِهِ . فَقَالَ ٱلرَّجُلُ :

فَتَّشْتُ ذِي ٱلدُّنْيَا فَلَيْسَ بِهَا أَحَدٌ أَرَاهُ لِآخَرٍ حَامِدْ
حَتَّى كَأَنَّ ٱلنَّاسَ كُلَّهُمُ قَدْ أُفْرِغُوا فِي قَالَبٍ وَاحِدْ

فَسَأَلْتُ عَنْهُ فَقِيلَ : هُوَ أَبُو ٱلْعَتَاهِيَةِ (للاصبهاني)

يحيي وابو جعفر

١٩١ كَانَ يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ خَفِيفَ ٱلْحَالِ فَٱسْتَقْضَاهُ أَبُو جَعْفَرٍ فَلَمْ يَتَغَيَّرْ . فَقِيلَ لَهُ فِي ذٰلِكَ فَقَالَ : مَنْ كَانَتْ نَفْسُهُ وَاحِدَةً لَمْ يُغَيِّرْهُ ٱلْمَالُ (للثعالبي)

عمر والسكران

١٩٢ رُوِيَ أَنَّ عُمَرَ رَأَى سَكْرَانَ فَأَرَادَ أَنْ يَأْخُذَهُ لِيُعَزِّرَهُ . فَشَتَمَهُ ٱلسَّكْرَانُ فَرَجَعَ عَنْهُ فَقِيلَ لَهُ : يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَمَّا شَتَمَكَ تَرَكْتَهُ . قَالَ : إِنَّمَا تَرَكْتُهُ لِأَنَّهُ أَغْضَبَنِي . فَلَوْ عَزَّرْتُهُ لَكُنْتُ قَدِ ٱنْتَصَرْتُ لِنَفْسِي فَلَا أُحِبُّ أَنْ أَضْرِبَ مُسْلِمًا لِحَمِيَّةِ نَفْسِي (للشريشي)

عروة وعبد الملك

١٩٣ دَخَلَ عُرْوَةُ بْنُ ٱلزُّبَيْرِ مَعَ عَبْدِ ٱلْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ إِلَى بُسْتَانٍ . وَكَانَ عُرْوَةُ مُعْرِضًا عَنِ ٱلدُّنْيَا . فَحِينَ رَأَى فِي ٱلْبُسْتَانِ مَا رَأَى قَالَ : مَا أَحْسَنَ هٰذَا ٱلْبُسْتَانَ . فَقَالَ لَهُ عَبْدُ ٱلْمَلِكِ : أَنْتَ وَٱللهِ أَحْسَنُ مِنْهُ لِأَنَّهُ يُؤْتِي أُكُلَهُ كُلَّ عَامٍ وَأَنْتَ تُؤْتِي أُكُلَكَ كُلَّ يَوْمٍ (للشريشي)

الفيلسوف والحسن الوجه

١٩٤ نَظَرَ فَيْلَسُوفٌ إِلَى رَجُلٍ حَسَنِ ٱلْوَجْهِ خَبِيثِ ٱلنَّفْسِ. فَقَالَ: بَيْتٌ حَسَنٌ وَفِيهِ سَاكِنٌ نَذْلٌ • وَرَأَى آخَرُ شَابًّا جَمِيلًا فَقَالَ: سَلَبَتْ مَحَاسِنُ وَجْهِكَ فَضَائِلَ نَفْسِكَ • قَالَ ٱلْمُوسَوِي:

لَا تَجْعَلَنَّ دَلِيلَ ٱلْمَرْءِ صُورَتَهُ كَمْ مَخْبَرٍ سَمِجٍ مِنْ مَنْظَرٍ حَسَنِ

(للثعالبي)

عمر والغلام

١٩٥ يُقَالُ إِنَّ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ ٱلْعَزِيزِ كَانَ يَنْظُرُ لَيْلًا فِي قِصَصِ ٱلرَّعِيَّةِ فِي ضَوْءِ ٱلسِّرَاجِ • فَجَاءَ غُلَامٌ لَهُ فَحَدَّثَهُ فِي مَعْنًى سَبَبٍ كَانَ يَتَعَلَّقُ بِبَيْتِهِ فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: أَطْفِئِ ٱلسِّرَاجَ ثُمَّ حَدِّثْنِي. لِأَنَّ هٰذَا ٱلدُّهْنَ مِنْ بَيْتِ مَالِ ٱلْمُسْلِمِينَ وَلَا يَجُوزُ ٱسْتِعْمَالُهُ إِلَّا فِي أَشْغَالِ ٱلْمُسْلِمِينَ (للغزالي)

صلاح الدين والمرأة المفقودة الولد

١٩٦ كَانَ صَلَاحُ ٱلدِّينِ إِمَامًا كَامِلًا لَمْ يَلِ مِصْرَ بَعْدَ ٱلصَّحَابَةِ مِثْلُهُ لَا قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ • وَكَانَ رَقِيقَ ٱلْقَلْبِ جِدًّا وَٱلنَّاسُ يَأْمَنُونَ ظُلْمَهُ لِعَدْلِهِ • وَمِنْ صَنَائِعِهِ مَا أَخْبَرَ ٱلْعِمَادُ قَالَ: قَدْ كَانَ لِلْمُسْلِمِينَ لُصُوصٌ يَدْخُلُونَ لَيْلًا خِيَامَ ٱلْفِرَنْجِ فَيَسْرِقُونَ • فَٱتَّفَقَ أَنَّ بَعْضَهُمْ أَخَذَ صَبِيًّا رَضِيعًا مِنْ مَهْدِهِ ٱبْنَ ثَلَاثَةِ أَشْهُرٍ • فَوَجَدَتْ عَلَيْهِ أُمُّهُ وَجْدًا شَدِيدًا وَٱشْتَكَتْ إِلَى مُلُوكِهِمْ • فَقَالُوا لَهَا:

إِنَّ سُلْطَانَ ٱلْمُسْلِمِينَ رَحِيمُ ٱلْقَلْبِ فَٱذْهَبِي إِلَيْهِ . فَجَاءَتْ إِلَى ٱلسُّلْطَانِ صَلَاحِ ٱلدِّينِ . فَبَكَتْ وَشَكَتْ أَمْرَ وَلَدِهَا . فَرَقَّ لَهَا رِقَّةً شَدِيدَةً وَدَمَعَتْ عَيْنَاهُ . فَأَمَرَ بِإِحْضَارِ وَلَدِهَا فَإِذَا هُوَ بِيعَ فِي ٱلسُّوقِ . فَرَسَمَ بِدَفْعِ ثَمَنِهِ إِلَى ٱلْمُشْتَرِي . وَلَمْ يَزَلْ وَاقِفًا حَتَّى جِيءَ بِٱلْغُلَامِ فَدَفَعَهُ إِلَى أُمِّهِ وَحَمَلَهَا عَلَى فَرَسٍ إِلَى قَوْمِهَا مُكَرَّمَةً

(حسن المحاضرة في اخبار القاهرة للسيوطي)

الربيع والاجانة

١٩٧ رُوِيَ أَنَّ ٱلرَّبِيعَ ٱلْجِيزِيَّ صَاحِبَ ٱلْإِمَامِ ٱلشَّافِعِيِّ مَرَّ يَوْمًا فِي أَزِقَّةِ مِصْرَ وَإِذَا إِجَّانَةٌ مَمْلُوَّةٌ رَمَادًا طُرِحَتْ عَلَى رَأْسِهِ . فَنَزَلَ عَنْ دَابَّتِهِ وَأَخَذَ يَنْفُضُ ثِيَابَهُ فَقِيلَ لَهُ : أَلَا تَزْجُرُهُمْ . فَقَالَ : مَنِ ٱسْتَحَقَّ ٱلنَّارَ وَصُولِحَ بِٱلرَّمَادِ فَلَيْسَ لَهُ أَنْ يَغْضَبَ (للقليوبي)

١٩٨ حَضَرَ رَجُلٌ بَيْنَ يَدَيْ بَعْضِ ٱلْمُلُوكِ فَأَغْلَظَ لَهُ ٱلسُّلْطَانُ . فَقَالَ لَهُ ٱلرَّجُلُ : إِنَّمَا أَنْتَ كَٱلسَّمَاءِ إِذَا أَرْعَدَتْ وَأَبْرَقَتْ فَقَدْ قَرُبَ خَيْرُهَا . فَسَكَنَ غَضَبُهُ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ (للطرطوشي)

غلامٌ وعمُّهُ

١٩٩ غُلَامٌ هَاشِمِيٌّ أَرَادَ عَمُّهُ أَنْ يُجَازِيَهُ بِسَهْوٍ مِنْهُ . فَقَالَ : يَا عَمِّ إِنِّي قَدْ أَسَأْتُ وَلَيْسَ لِي عَقْلٌ فَلَا تُسِيءْ وَمَعَكَ عَقْلُكَ (للثعالبي

الجار السوء

٢٠٠ عُرِضَ عَلَى أَبِي مُسْلِمٍ ٱلْخَوْلَانِيِّ حِصَانٌ جَوَادٌ مُضَمَّرٌ فَقَالَ

لِفُؤَادِهِ: لِمَاذَا يَصْلُحُ هٰذَا. فَقَالُوا لَهُ: لِلْجِهَادِ فِي سَبِيلِ ٱللّٰهِ. فَقَالَ: لَا. فَقَالُوا: لِلِقَاءِ ٱلْعَدُوِّ. فَقَالَ: لَا. فَقَالُوا لَهُ: فَلِمَاذَا يَصْلُحُ أَصْلَحَكَ ٱللّٰهُ. فَقَالَ: أَنْ يَرْكَبَهُ ٱلرَّجُلُ وَيَهْرُبَ مِنَ ٱلْجَارِ ٱلسُّوءِ (للقليوبي)

٢٠١ لَمَّا أُتِيَ عُمَرُ بِٱلْهُرْمُزَانِ أَرَادَ قَتْلَهُ فَٱسْتَسْقَى مَاءً فَأَتَاهُ بِقَدَحٍ. فَأَمْسَكَهُ بِيَدِهِ فَٱضْطَرَبَ وَقَالَ: لَا تَقْتُلْنِي حَتَّى أَشْرَبَ هٰذَا ٱلْمَاءَ. فَقَالَ: نَعَمْ. فَأَلْقَى ٱلْقَدَحَ مِنْ يَدِهِ. فَأَمَرَ عُمَرُ بِأَنْ يُقْتَلَ فَقَالَ: أَوَلَمْ تُؤَمِّنِّي وَقُلْتَ: لَا أَقْتُلُكَ حَتَّى تَشْرَبَ هٰذَا ٱلْمَاءَ. فَقَالَ عُمَرُ: قَاتَلَهُ ٱللّٰهُ أَخَذَ أَمَانًا وَلَمْ نَشْعُرْ بِهِ (للثعالبي)

السليك بن السلكة

٢٠٢ رُوِيَ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ أَنَّ ٱلسُّلَيْكَ بْنَ ٱلسُّلَكَةِ نَزَلَ عَلَى جَمَاعَةٍ مِنْ كِنَانَةَ ضَيْفًا. فَأَكْرَمُوهُ وَجَمَعُوا لَهُ إِبِلًا كَثِيرَةً وَأَعْطَوْهُ إِيَّاهَا. وَكَانَ قَدْ كَبِرَ وَشَاخَ وَذَهَبَتْ قُوَّتُهُ وَٱنْتَقَصَ عَدْوُهُ فَقَالُوا لَهُ: إِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُرِيَنَا مَا بَقِيَ مِنْ عَدْوِكَ. قَالَ: نَعَمْ. أَبْغُوا إِلَيَّ أَرْبَعِينَ شَابًّا. وَأْتُونِي بِدِرْعٍ ثَقِيلَةٍ عَظِيمَةٍ. فَأَتَوْهُ بِهَا وَٱخْتَارُوا مِنْ شُبَّانِهِمْ أَرْبَعِينَ أَقْوِيَاءَ عَدَّائِينَ. فَلَبِسَ سُلَيْكٌ ٱلدِّرْعَ. ثُمَّ قَالَ لِلشُّبَّانِ: ٱلْحَقُونِي. ثُمَّ عَدَا عَدْوًا وَسَطًا وَعَدَا ٱلشُّبَّانُ وَرَاءَهُ جُهْدَهُمْ فَلَمْ يَلْحَقُوهُ حَتَّى غَابَ عَنْهُمْ. ثُمَّ كَرَّ رَاجِعًا حَتَّى عَادَ إِلَى ٱلْقَوْمِ وَحْدَهُ يَخْطِرُ وَٱلدِّرْعُ عَلَيْهِ وَسَبَقَ ٱلشُّبَّانَ (للشريشي)

صباح ابو العتاهية

٢٠٣ قِيلَ لِأَبِي ٱلْعَتَاهِيَةِ: كَيْفَ أَصْبَحْتَ. قَالَ: عَلَى غَيْرِ مَا يُحِبُّ ٱللهُ وَعَلَى غَيْرِ مَا أُحِبُّ وَعَلَى غَيْرِ مَا يُحِبُّ إِبْلِيسُ. فَقِيلَ لَهُ فِي ذٰلِكَ. فَقَالَ: لِأَنَّ ٱللهَ يُحِبُّ أَنْ أُطِيعَهُ وَأَنَا لَسْتُ كَذٰلِكَ. وَأَنَا أُحِبُّ أَنْ يَكُونَ لِي ثَرْوَةٌ وَلَسْتُ كَذٰلِكَ. وَإِبْلِيسُ يُحِبُّ مِنِّي ٱلْمَعْصِيَةَ وَلَسْتُ كَذٰلِكَ (للقليوبي)

يحيي بن اكثم والمأمون

٢٠٤ حُكِيَ عَنْ يَحْيَى بْنِ أَكْثَمَ قَالَ: بِتُّ لَيْلَةً عِنْدَ ٱلْمَأْمُونِ فَٱنْتَبَهَ فِي بَعْضِ ٱللَّيْلِ فَظَنَّ أَنِّي نَائِمٌ. فَعَطِشَ وَلَمْ يَدْعُ ٱلْغُلَامَ لِئَلَّا أَنْتَبِهَ. وَقَامَ مُتَسَلِّلًا خَائِفًا هَادِئًا فِي خُطَاهُ. حَتَّى أَتَى ٱلْبَرَّادَةَ فَشَرِبَ. ثُمَّ رَجَعَ وَهُوَ يُخْفِي صَوْتَهُ كَأَنَّهُ لِصٌّ حَتَّى ٱضْطَجَعَ. وَأَخَذَهُ سُعَالٌ فَرَأَيْتُهُ يَجْمَعُ كُمَّهُ فِي فَمِهِ كَيْلَا أَسْمَعَ سُعَالَهُ. وَطَلَعَ ٱلْفَجْرُ فَأَرَادَ ٱلْقِيَامَ وَقَدْ تَنَاوَمْتُ فَصَبَرَ إِلَى أَنْ كَادَتْ تَفُوتُ ٱلصَّلَاةُ فَتَحَرَّكْتُ فَقَالَ: ٱللهُ أَكْبَرُ يَا غُلَامُ نَبِّهْ أَبَا مُحَمَّدٍ. فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رَأَيْتُ بِعَيْنِي جَمِيعَ مَا كَانَ ٱللَّيْلَةَ مِنْ صَنِيعِكَ. وَكَذٰلِكَ جَعَلَنَا ٱللهُ لَكُمْ عَبِيدًا وَجَعَلَكُمْ لَنَا أَرْبَابًا (لشمس الدين النواجي)

يحيي البرمكي وسائلهٌ

٢٠٥ يُقَالُ إِنَّ يَحْيَى بْنَ خَالِدٍ ٱلْبَرْمَكِيَّ خَرَجَ مِنْ دَارِ ٱلْخِلَافَةِ رَاكِبًا إِلَى دَارِهِ فَرَأَى عَلَى بَابِ ٱلدَّارِ رَجُلًا. فَلَمَّا قَرُبَ مِنْهُ يَحْيَى نَهَضَ قَائِمًا

وَسَلَّمَ عَلَيْـهِ وَقَالَ : يَا أَبَا عَلِيّ إِلَيَّ مَا فِي يَدَيْكَ وَقَدْ جَعَلْتُ ٱللهَ وَسِيلَتِي إِلَيْكَ . فَأَمَرَ يَحْيَى أَنْ يُفْرَدَ لَهُ مَوْضِعٌ فِي دَارِهِ وَأَنْ يُحْمَلَ إِلَيْهِ فِي كُلِّ يَوْمٍ أَلْفُ دِرْهَمٍ وَأَنْ يَكُونَ طَعَامُهُ مِنْ خَاصِّ طَعَامِهِ . فَبَقِيَ عَلَى ذٰلِكَ شَهْرًا كَامِلًا . فَلَمَّا ٱنْقَضَى ٱلشَّهْرُ كَانَ قَدْ وَصَلَ إِلَيْهِ ثَلَاثُونَ أَلْفَ دِرْهَمٍ . فَأَخَذَ ٱلرَّجُلُ ٱلدَّرَاهِمَ وَٱنْصَرَفَ فَقِيلَ لِيَحْيَى فَقَالَ : وَٱللهِ لَوْ أَقَامَ عِنْدِي مُدَّةَ عُمْرِي وَطُولَ دَهْرِهِ لَمَا مَنَعْتُهُ صِلَتِي وَلَا قَطَعْتُ عَنْهُ ضِيَافَتِي (للغزالي)

الاطيبان الاخبثان

٢٠٦ ذُكِرَ أَنَّ لُقْمَانَ ٱلنُّوبِيَّ ٱلْحَكِيمَ بْنَ عَنْقَاءَ بْنِ بَرْوَقٍ مِنْ أَهْلِ أَيْلَةَ أَعْطَاهُ سَيِّدُهُ شَاةً وَأَمَرَهُ أَنْ يَذْبَحَهَا وَيَأْتِيَهُ بِأَخْبَثِ مَا فِيهَا . فَذَبَحَهَا وَأَتَاهُ بِقَلْبِهَا وَلِسَانِهَا . ثُمَّ أَعْطَاهُ شَاةً أُخْرَى وَأَمَرَهُ بِذَبْحِهَا وَيَأْتِيَهُ بِأَطْيَبِ مَا فِيهَا . فَذَبَحَهَا وَأَتَاهُ بِقَلْبِهَا وَلِسَانِهَا . فَسَأَلَهُ عَنْ ذٰلِكَ فَقَالَ لَهُ : يَا سَيِّدِي لَا أَخْبَثَ مِنْهُمَا إِذَا خَبُثَا . وَلَا أَطْيَبَ مِنْهُمَا إِذَا طَابَا (للقليوبي)

حكاية ادهم

٢٠٧ يُذْكَرُ أَنَّ أَدْهَمَ مَرَّ ذَاتَ يَوْمٍ بِبَسَاتِينِ مَدِينَةِ بُخَارَى . وَتَوَضَّأَ مِنْ بَعْضِ ٱلْأَنْهَارِ ٱلَّتِي تَتَخَلَّلُهَا فَإِذَا بِتُفَّاحَةٍ يَحْمِلُهَا مَاءُ ٱلنَّهْرِ فَقَالَ : هٰذِهِ لَا خَطَرَ لَهَا . فَأَكَلَهَا ثُمَّ وَقَعَ فِي خَاطِرِهِ مِنْ ذٰلِكَ وَسْوَاسٌ فَعَزَمَ عَلَى أَنْ يَسْتَحِلَّ مِنْ صَاحِبِ ٱلْبُسْتَانِ . فَقَرَعَ بَابَ

ٱلْبُسْتَانِ فَخَرَجَتْ إِلَيْهِ جَارِيَةٌ فَقَالَ لَهَا : اُدْعِي لِي صَاحِبَ ٱلْمَنْزِلِ . فَقَالَتْ : إِنَّهُ لِأَمْرَأَةٍ فَقَالَ : ٱسْتَأْذِنِي لِي عَلَيْهَا . فَفَعَلَتْ . فَأَخْبَرَ ٱلْمَرْأَةَ بِخَبَرِ ٱلتُّفَّاحَةِ فَقَالَتْ لَهُ : إِنَّ هٰذَا ٱلْبُسْتَانَ نِصْفُهُ لِي وَنِصْفُهُ لِلسُّلْطَانِ وَٱلسُّلْطَانُ يَوْمَئِذٍ بِبَلْخَ وَهِيَ مَسِيرُ عَشْرٍ مِنْ بُخَارَى . وَأَحَلَّتْهُ ٱلْمَرْأَةُ مِنْ نِصْفِهَا . وَذَهَبَ إِلَى بَلْخَ فَٱعْتَرَضَهُ ٱلسُّلْطَانُ فِي مَوْكِبِهِ فَأَخْبَرَهُ ٱلْخَبَرَ وَٱسْتَحَلَّهُ . فَٱنْذَهَلَ ٱلسُّلْطَانُ مِنْ أَمْرِهِ وَأَعْطَاهُ أَلْفَ دِينَارٍ (لابن بطوطة)

حكاية عبد العزيز

٢٠٨ كَانَ عَبْدُ ٱلْعَزِيزِ بْنُ مَرْوَانَ أَمِيرًا بِمِصْرَ . فَرَكِبَ يَوْمًا بِمَوْضِعٍ وَإِذَا رَجُلٌ يُنَادِي وَلَدَهُ يَا عَبْدَ ٱلْعَزِيزِ . فَسَمِعَ ٱلْأَمِيرُ نِدَاءَهُ فَأَمَرَ لَهُ بِعَشَرَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ لِيُنْفِقَهَا عَلَى ذٰلِكَ ٱلْوَلَدِ ٱلَّذِي هُوَ سَمِيُّهُ . فَفَشَا ٱلْخَبَرُ بِمَدِينَةِ مِصْرَ فَكُلُّ مَنْ وُلِدَ لَهُ فِي تِلْكَ ٱلسَّنَةِ وَلَدٌ سَمَّاهُ عَبْدَ ٱلْعَزِيزِ . وَبَعْدَ ذٰلِكَ كَانَ ٱلْحَاجِبُ تَاشُ ٱلْأَمِيرُ ٱلْحَاجِبُ ٱلْكَبِيرُ بِخُرَاسَانَ مُجْتَازًا يَوْمًا بِصَيَارِفِ بُخَارَى وَرَجُلٌ يُنَادِي غُلَامَهُ وَكَانَ ٱسْمُ ٱلْغُلَامِ تَاشًا . فَأَمَرَ بِإِزَالَةِ ٱلصَّيَارِفِ وَمُصَادَرَتِهِمْ . قَالَ : إِنَّمَا أَرَدْتُمُ ٱلِٱسْتِخْفَافَ بِٱسْمِي . فَٱنْظُرِ ٱلْآنَ ٱلْفَرْقَ بَيْنَ ٱلْحُرِّ ٱلْقُرَشِيِّ وَبَيْنَ ٱلْمَمْلُوكِ ٱلْمُسْتَرَقِّ بِٱلدِّرْهَمِ (للغزالي)

لقمان والناسك

٢٠٩ قَالَ لُقْمَانُ ٱلْحَكِيمُ : كُنْتُ أَسِيرُ فِي طَرِيقٍ فَرَأَيْتُ رَجُلًا

عَلَى مِسْحٍ. فَقُلْتُ: مَا أَنْتَ أَيُّهَا ٱلرَّجُلُ. فَقَالَ: آدَمِيٌّ. قُلْتُ: مَا ٱسْمُكَ. قَالَ: حَتَّى أَنْظُرَ بِمَاذَا أُسَمِّي نَفْسِي. فَقُلْتُ لَهُ: مِنْ أَيْنَ يُعْطِيكَ. فَقَالَ: مِنْ حَيْثُ يَشَاءُ. فَقُلْتُ: طُوبَى لَكَ وَقُرَّةُ عَيْنٍ. فَقَالَ: وَمَنِ ٱلَّذِي يَمْنَعُكَ عَنْ هٰذِهِ ٱلطُّوبَى وَقُرَّةِ ٱلْعَيْنِ

(للاصبهاني)

المتوكل وابو العيناء

٢١٠ سَأَلَ ٱلْمُتَوَكِّلُ أَبَا ٱلْعَيْنَاءِ: مَا أَشَدُّ مَا عَلَيْكَ فِي ذَهَابِ بَصَرِكَ. قَالَ: مَا حُرِمْتُهُ يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ رُؤْيَتِكَ. مَعَ إِجْمَاعِ ٱلنَّاسِ عَلَى جَمَالِكَ (للشريشي)

السفيه والحليم

٢١١ شَتَمَ سَفِيهٌ حَلِيمًا وَهُوَ سَاكِتٌ. فَقَالَ: إِيَّاكَ أَعْنِي. فَقَالَ: وَعَنْكَ أُغْضِي. قَالَ ٱلشَّاعِرُ:

شَاتَمَنِي عَبْدُ بَنِي مِسْمَعٍ فَصُنْتُ عَنْهُ ٱلنَّفْسَ وَٱلْعِرْضَا

وَلَمْ أُجِبْهُ لِٱحْتِقَارِي لَهُ مَنْ ذَا يَعَضُّ ٱلْكَلْبَ إِنْ عَضَّا

(للثعالبي)

قَدْ رُوِيَ أَنَّ بَعْضَ ٱلْحُكَمَاءِ رَأَى شَيْخًا يَطْلُبُ ٱلْعِلْمَ وَيُحِبُّ ٱلنَّظَرَ فِيهِ وَيَسْتَحِي فَقَالَ: يَا هٰذَا أَتَسْتَحِي أَنْ تَكُونَ فِي آخِرِ عُمْرِكَ أَفْضَلَ مِمَّا كُنْتَ فِي أَوَّلِهِ. وَلَأَنَّ ٱلصِّغَرَ أَعْذَرُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي ٱلْجَهْلِ عُذْرٌ (للطرطوشي)

الرازي وصبيان

٢١٢ حَكَى أَبُو عَلِيٍّ ٱلرَّازِيُّ قَالَ : مَرَرْتُ بِصِبْيَانٍ فِي طَرِيقِ ٱلشَّامِ يَلْعَبُونَ بِٱلتُّرَابِ وَقَدِ ٱرْتَفَعَ ٱلْغُبَارُ فَقُلْتُ: مَهْلًا قَدْ غَبَّرْتُمْ . فَقَالَ صَبِيٌّ مِنْهُمْ : يَاشَيْخُ أَيْنَ تَفِرُّ إِذَا هِيلَ عَلَيْكَ ٱلتُّرَابُ فِي ٱلْقَبْرِ . فَغُشِيَ عَلَيَّ فَأَفَقْتُ وَٱلصَّبِيُّ قَاعِدٌ عِنْدَ رَأْسِي مَعَ ٱلصِّبْيَانِ يَبْكُونَ . فَقُلْتُ لَهُ : أَعِنْدَكَ حِيلَةٌ فِي ٱلْفِرَارِ مِنَ ٱلتُّرَابِ . قَالَ : أَنَا لَا أَعْلَمُ وَلٰكِنْ سَلْ غَيْرِي . فَقُلْتُ : وَمَنْ غَيْرُكَ . قَالَ : عَقْلُكَ (للشريشي)

الحاجّ والعجوز

٢١٣ يُقَالُ إِنَّهُ ٱنْقَطَعَ رَجُلٌ مِنْ قَافِلَةِ ٱلْحَاجِّ وَغَلِطَ ٱلطَّرِيقَ وَوَقَعَ فِي ٱلرَّمْلِ . فَجَعَلَ يَسِيرُ إِلَى أَنْ وَصَلَ إِلَى خَيْمَةٍ فَرَأَى فِي ٱلْخَيْمَةِ ٱمْرَأَةً عَجُوزًا وَعَلَى بَابِ ٱلْخَيْمَةِ كَلْبًا نَائِمًا . فَسَلَّمَ ٱلْحَاجُّ عَلَى ٱلْعَجُوزِ وَطَلَبَ مِنْهَا طَعَامًا . فَقَالَتِ ٱلْعَجُوزُ : ٱمْضِ إِلَى ذٰلِكَ ٱلْوَادِي . وَٱصْطَدْ مِنَ ٱلْحَيَّاتِ بِقَدْرِ كِفَايَتِكَ لِأَشْوِيَ لَكَ مِنْهَا وَأُطْعِمَكَ . فَقَالَ ٱلرَّجُلُ : أَنَا لَا أَجْسُرُ أَنْ أَصْطَادَ ٱلْحَيَّاتِ . فَقَالَتِ ٱلْعَجُوزُ : أَنَا أَصْطَادُ مَعَكَ فَلَا تَخَفْ . فَمَضَيَا وَتَبِعَهُمَا ٱلْكَلْبُ فَأَخَذَا مِنَ ٱلْحَيَّاتِ بِقَدْرِ حَاجَتِهِمَا . فَأَتَتِ ٱلْعَجُوزُ وَجَعَلَتْ تَشْوِي ٱلْحَيَّاتِ فَلَمْ يَرَ ٱلْحَاجُّ بُدًّا مِنَ ٱلْأَكْلِ وَخَافَ أَنْ يَمُوتَ مِنَ ٱلْجُوعِ وَٱلْهُزَالِ فَأَكَلَ . ثُمَّ إِنَّهُ عَطِشَ فَطَلَبَ مِنْهَا ٱلْمَاءَ فَقَالَتْ : دُونَكَ ٱلْعَيْنَ فَٱشْرَبْ . فَمَضَى إِلَى ٱلْعَيْنِ فَوَجَدَ ٱلْمَاءَ مُرًّا مَالِحًا وَلَمْ يَجِدْ مِنْ شُرْبِهِ

بدًّا. فشرب وعاد إلى العجوز وقال: أعجب منك أيتها العجوز ومن مقامك في هذا المكان واغتذائك بهذا الطعام. فقالت العجوز: كيف تكون بلادكم. فقال: يكون في بلادنا الدور الرحبة الواسعة والفواكه اليانعة والمياه العذبة والأطعمة الطيبة واللحوم السمينة والنعم الكثيرة والعيون الغزيرة. فقالت العجوز: قد سمعت هذا كله فقل لي هل تكونون تحت يدي سلطان يجور عليكم وإذا كان لكم ذنب أخذ أموالكم واستأصل أحوالكم وأخرجكم من بيوتكم وأملاككم. فقال: قد يكون ذلك. فقالت: إذا يعود ذلك الطعام اللطيف. والعيش الظريف. والحلوى العجيبة مع الجور والظلم سمًّا ناقعًا. وتعود أطعمتنا مع الأمن درياقًا نافعًا. أما سمعت أن أجل النعم بعد نعمة الهدى الصحة والأمن (للغزالي)

حكاية ابي يعقوب يوسف

٢١٤ قصدنا من مدينة بيروت زيارة قبر أبي يعقوب يوسف الذي يزعمون أنه من ملوك المغرب. وهو بموضع يعرف بكرك نوح من بقاع العزيز. ويذكر أنه كان ينسج الحصر ويقتات بثمنها. وحكي عنه أنه دخل مدينة دمشق فمرض بها مرضًا شديدًا وأقام مطروحًا بالأسواق. فلما برئ من مرضه خرج إلى ظاهر دمشق ليلتمس بستانًا يكون حارسًا له. فاستؤجر

لِحِرَاسَةِ بُسْتَانٍ لِلْمَلِكِ نُورِ ٱلدِّينِ وَأَقَامَ فِي حِرَاسَتِهِ سِتَّةَ أَشْهُرٍ . فَلَمَّا كَانَ فِي أَوَانِ ٱلْفَاكِهَةِ أَتَى ٱلسُّلْطَانُ إِلَى ذٰلِكَ ٱلْبُسْتَانِ فَأَمَرَ وَكِيلُ ٱلْبُسْتَانِ أَبَا يَعْقُوبَ أَنْ يَأْتِيَ بِرُمَّانٍ يَأْكُلُ مِنْهُ ٱلسُّلْطَانُ . فَأَتَاهُ بِرُمَّانٍ فَوَجَدَهُ حَامِضًا . فَقَالَ لَهُ ٱلْوَكِيلُ : أَتَكُونُ فِي حِرَاسَةِ ٱلْبُسْتَانِ مُنْذُ سِتَّةِ أَشْهُرٍ وَلَا تَعْرِفُ ٱلْحُلْوَ مِنَ ٱلْحَامِضِ . فَقَالَ : إِنَّمَا ٱسْتَأْجَرْتَنِي عَلَى ٱلْحِرَاسَةِ لَا عَلَى ٱلْأَكْلِ . فَأَتَى ٱلْوَكِيلُ إِلَى ٱلْمَلِكِ فَأَعْلَمَهُ بِذٰلِكَ . فَبَعَثَ ٱلْمَلِكُ إِلَيْهِ وَكَانَ قَدْ رَأَى فِي ٱلْمَنَامِ إِنَّهُ يَجْتَمِعُ مَعَ أَبِي يَعْقُوبَ فَتَفَرَّسَ أَنَّهُ هُوَ . فَقَالَ لَهُ : أَنْتَ أَبُو يَعْقُوبَ . قَالَ : نَعَمْ . فَقَامَ إِلَيْهِ وَعَانَقَهُ وَأَجْلَسَهُ إِلَى جَانِبِهِ . ثُمَّ ٱحْتَمَلَهُ إِلَى مَجْلِسِهِ فَأَضَافَهُ بِضِيَافَةٍ مِنَ ٱلْحَلَالِ ٱلْمُكْتَسَبِ بِكَدِّ يَمِينِهِ . وَقَامَ عِنْدَهُ أَيَّامًا ثُمَّ خَرَجَ مِنْ دِمَشْقَ فَارًّا بِنَفْسِهِ فِي أَوَانِ ٱلْبَرْدِ ٱلشَّدِيدِ (لابن بطوطة)

المنصور والمعتدى عليه

٢١٥ رُوِيَ أَنَّ رَجُلًا مِنَ ٱلْعُقَلَاءِ غَصَبَهُ بَعْضُ ٱلْوُلَاةِ ضَيْعَةً لَهُ وَٱعْتَدَى عَلَيْهِ . فَذَهَبَ إِلَى ٱلْمَنْصُورِ فَقَالَ لَهُ : أَصْلَحَكَ ٱللهُ أَأَذْكُرُ لَكَ حَاجَتِي أَمْ أَضْرِبُ لَكَ قَبْلَهَا مَثَلًا . فَقَالَ لَهُ : بَلِ ٱضْرِبْ لِي قَبْلَهَا مَثَلًا . فَقَالَ : أَصْلَحَكَ ٱللهُ إِنَّ ٱلطِّفْلَ ٱلصَّغِيرَ إِذَا نَابَهُ أَمْرٌ يَكْرَهُهُ فَإِنَّهُ يَفِرُّ إِلَى أُمِّهِ لِنُصْرَتِهِ إِذْ لَا يَعْرِفُ غَيْرَهَا ظَنًّا مِنْهُ أَنَّهُ لَا نَاصِرَ لَهُ فَوْقَهَا . فَإِذَا تَرَعْرَعَ وَٱشْتَدَّ كَانَ فِرَارُهُ وَشَكْوَاهُ

إلَى أَبِيهِ لِعِلْمِهِ بِأَنَّ أَبَاهُ أَقْوَى مِنْ أُمِّهِ عَلَى نُصْرَتِهِ . فَإِذَا بَلَغَ وَصَارَ رَجُلًا وَحَزَبَهُ أَمْرٌ شَكَا إِلَى الْوَالِي لِعِلْمِهِ بِأَنَّهُ أَقْوَى مِنْ أَبِيهِ . فَإِنْ زَادَ عَقْلُهُ وَاشْتَدَّتْ شَكِيمَتُهُ شَكَا إِلَى السُّلْطَانِ لِعِلْمِهِ بِأَنَّهُ أَقْوَى مِمَّنْ سِوَاهُ . فَإِنْ لَمْ يُنْصِفْهُ السُّلْطَانُ شَكَا إِلَى اللّٰهِ تَعَالَى لِعِلْمِهِ بِأَنَّهُ أَقْوَى مِنَ السُّلْطَانِ . وَقَدْ نَزَلَتْ بِي نَازِلَةٌ وَلَيْسَ فَوْقَكَ أَحَدٌ أَقْوَى مِنْكَ إِلَّا اللّٰهُ تَعَالَى . فَإِنْ أَنْصَفْتَنِي وَإِلَّا رَفَعْتُ أَمْرَهَا إِلَى اللّٰهِ تَعَالَى . قَالَ : بَلْ نُنْصِفُكَ . وَأَمَرَ بِأَنْ يُكْتَبَ إِلَى وَالِيهِ بِرَدِّ ضَيْعَتِهِ إِلَيْهِ

النجاة بعون الله

٢١٦ رُوِيَ أَنَّ سُلْطَانَ صِقِلِّيَةَ أَرِقَ ذَاتَ لَيْلَةٍ وَمُنِعَ النَّوْمَ . فَأَرْسَلَ إِلَى قَائِدِ الْبَحْرِ وَقَالَ : أَنْفِذِ الْآنَ مَرْكَبًا إِلَى أَفْرِيقِيَةَ يَأْتُونِي بِأَخْبَارِهَا . فَعَمَّرَ الْقَائِدُ الْمَرْكَبَ وَأَرْسَلَهُ لِحِينِهِ . فَلَمَّا أَصْبَحُوا إِذَا بِالْمَرْكَبِ فِي مَوْضِعِهِ لَمْ يَبْرَحْ فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ : أَلَيْسَ قَدْ فَعَلْتَ مَا أَمَرْتُكَ بِهِ . قَالَ : نَعَمِ امْتَثَلْتُ أَمْرَكَ وَأَنْفَذْتُ الْمَرْكَبَ وَرَجَعَ بَعْدَ سَاعَةٍ وَسَيُحَدِّثُكَ مُقَدَّمُ الْمَرْكَبِ . فَجَاءَ مُقَدَّمُ الْمَرْكَبِ وَمَعَهُ رَجُلٌ فَقَالَ الْمَلِكُ : مَا مَنَعَكَ أَنْ تَذْهَبَ حَيْثُ أُمِرْتَ . قَالَ : ذَهَبْتُ فِي الْمَرْكَبِ فَبَيْنَمَا أَنَا فِي جَوْفِ اللَّيْلِ وَالْبَحَّارُونَ يَجْذِفُونَ فَإِذَا أَنَا بِصَوْتٍ يَقُولُ : يَا اللّٰهُ يَا اللّٰهُ يَا غِيَاثَ الْمُسْتَغِيثِينَ يُكَرِّرُهَا مِرَارًا . فَلَمَّا اسْتَقَرَّ صَوْتُهُ فِي أَسْمَاعِنَا .

نَادَيْنَاهُ مِرَارًا : لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ . وَهُوَ يُنَادِي : يَا أَللهُ يَا أَللهُ يَا غِيَاثَ أَلْمُسْتَغِيثِينَ . وَنَحْنُ نُجِيبُهُ : لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ . وَتَوَجَّهْنَا نَحْوَ الصَّوْتِ فَأَلْفَيْنَا هٰذَا الرَّجُلَ غَرِيقًا فِي آخِرِ رَمَقٍ مِنَ الْحَيَاةِ . فَأَخْرَجْنَاهُ مِنَ الْبَحْرِ وَسَأَلْنَاهُ عَنْ حَالِهِ فَقَالَ : كُنَّا مُقْلِعِينَ مِنْ أَفْرِيقِيَّةَ فَغَرِقَتْ سَفِينَتُنَا مُنْذُ أَيَّامٍ وَمَا زِلْتُ أَسْبَحُ حَتَّى وَجَدْتُ الْمَوْتَ فَلَمْ أَشْعُرْ بِالْغَوْثِ إِلَّا مِنْ نَاحِيَتِكُمْ . فَسُبْحَانَ مَنْ أَسْهَرَ سُلْطَانًا وَأَرَّقَ جَبَّارًا فِي قَصْرِهِ لِغَرِيقٍ فِي الْبَحْرِ وَظُلْمَةِ الْوَحْشَةِ حَتَّى اسْتَخْرَجَهُ مِنْ تِلْكَ الظُّلُمَاتِ الثَّلَاثِ ظُلْمَةِ اللَّيْلِ وَظُلْمَةِ الْبَحْرِ وَظُلْمَةِ الْوَحْشَةِ . لَا إِلٰهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ (للطرطوشي)

الجندي والمحتال

٢١٧ إِنَّهُ كَانَ بِثَغْرِ الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ وَالٍ يُقَالُ لَهُ حُسَامُ الدِّينِ . فَبَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ فِي دَسْتِهِ ذَاتَ لَيْلَةٍ إِذْ أَقْبَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ جُنْدِيٌّ وَقَالَ لَهُ : اعْلَمْ يَا مَوْلَانَا الْوَالِيَ أَنِّي دَخَلْتُ هٰذِهِ الْمَدِينَةَ فِي هٰذِهِ اللَّيْلَةِ وَنَزَلْتُ فِي خَانِ كَذَا . فَنِمْتُ فِيهِ إِلَى ثُلْثِ اللَّيْلِ فَلَمَّا انْتَبَهْتُ وَجَدْتُ خُرْجِي مَشْرُوطًا وَقَدْ سُرِقَ مِنْهُ كِيسٌ فِيهِ أَلْفُ دِينَارٍ . فَلَمْ يَتِمَّ كَلَامَهُ حَتَّى أَرْسَلَ الْوَالِي وَأَحْضَرَ الْمُقَدَّمِينَ وَأَمَرَهُمْ بِإِحْضَارِ جَمِيعِ مَنْ فِي الْخَانِ وَأَمَرَ بِسَجْنِهِمْ إِلَى الصَّبَاحِ . فَلَمَّا جَاءَ الصُّبْحُ أَمَرَ بِإِحْضَارِ آلَةِ الْعُقُوبَةِ وَأَحْضَرَ هٰؤُلَاءِ النَّاسَ بِحَضْرَةِ الْجُنْدِيِّ صَاحِبِ الدَّرَاهِمِ وَأَرَادَ عِقَابَهُمْ . وَإِذَا بِرَجُلٍ قَدْ

أَقْبَلَ وَشَقَّ ٱلنَّاسَ حَتَّى وَقَفَ بَيْنَ يَدَيِ ٱلْوَالِي وَٱلْجُنْدِيِّ فَقَالَ : أَيُّهَا ٱلْأَمِيرُ أَطْلِقْ هٰؤُلَاءِ ٱلنَّاسَ كُلَّهُمْ فَإِنَّهُمْ مَظْلُومُونَ . وَأَنَا ٱلَّذِي أَخَذْتُ مَالَ هٰذَا ٱلْجُنْدِيِّ ، وَهَا هُوَ ٱلْكِيسُ ٱلَّذِي أَخَذْتُهُ مِنْ خُرْجِهِ . ثُمَّ أَخْرَجَهُ مِنْ كُمِّهِ وَوَضَعَهُ بَيْنَ يَدَيِ ٱلْوَالِي وَٱلْجُنْدِيِّ . فَقَالَ ٱلْوَالِي لِلْجُنْدِيِّ : خُذْ مَالَكَ وَتَسَلَّمْهُ فَمَا بَقِيَ لَكَ عَلَى ٱلنَّاسِ سَبِيلٌ . وَصَارَ ٱلنَّاسُ وَجَمِيعُ ٱلْحَاضِرِينَ يُثْنُونَ عَلَى ذٰلِكَ ٱلرَّجُلِ وَيَدْعُونَ لَهُ . ثُمَّ إِنَّ ٱلرَّجُلَ قَالَ : أَيُّهَا ٱلْأَمِيرُ مَا ٱلشَّطَارَةُ أَنِّي جِئْتُ إِلَيْكَ بِنَفْسِي وَأَحْضَرْتُ هٰذَا ٱلْكِيسَ وَإِنَّمَا ٱلشَّطَارَةُ فِي أَخْذِ هٰذَا ٱلْكِيسِ ثَانِيًا مِنْ هٰذَا ٱلْجُنْدِيِّ . فَقَالَ لَهُ ٱلْوَالِي : وَكَيْفَ فَعَلْتَ يَا شَاطِرُ حِينَ أَخَذْتَهُ . فَقَالَ : أَيُّهَا ٱلْأَمِيرُ إِنِّي كُنْتُ فِي مِصْرَ فِي سُوقِ ٱلصَّيَارِفِ إِذْ رَأَيْتُ هٰذَا ٱلْجُنْدِيَّ لَمَّا صَرَفَ هٰذَا ٱلذَّهَبَ وَوَضَعَهُ فِي هٰذَا ٱلْكِيسِ فَتَبِعْتُهُ مِنْ زُقَاقٍ إِلَى زُقَاقٍ فَلَمْ أَجِدْ لِي إِلَى أَخْذِ ٱلْمَالِ مِنْهُ سَبِيلًا . ثُمَّ إِنَّهُ سَافَرَ فَتَبِعْتُهُ مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ وَصِرْتُ أَحْتَالُ عَلَيْهِ فِي أَثْنَاءِ ٱلطَّرِيقِ فَمَا قَدَرْتُ عَلَى أَخْذِهِ مِنْهُ . فَلَمَّا دَخَلَ هٰذِهِ ٱلْمَدِينَةَ تَبِعْتُهُ حَتَّى دَخَلَ فِي هٰذَا ٱلْخَانِ . فَنَزَلْتُ إِلَى جَانِبِهِ وَرَصَدْتُهُ حَتَّى نَامَ وَسَمِعْتُ غَطِيطَهُ . فَمَشَيْتُ إِلَيْهِ قَلِيلًا قَلِيلًا وَقَطَعْتُ ٱلْخُرْجَ بِهٰذِهِ ٱلسِّكِّينِ وَأَخَذْتُ ٱلْكِيسَ هٰكَذَا . وَمَدَّ يَدَهُ وَأَخَذَ ٱلْكِيسَ مِنْ بَيْنِ أَيَادِي ٱلْوَالِي وَٱلْجُنْدِيِّ وَتَأَخَّرَ إِلَى خَلْفِ ٱلْوَالِي وَٱلْجُنْدِيِّ . وَٱلنَّاسُ يَنْظُرُونَ

إِلَيهِ وَيعتَقِدُونَ أَنَّهُ يُرِيهِم كَيفَ أَخَذَ ٱلكِيسَ مِنَ ٱلخُرْجِ. وَإِذَا بِهِ قَدْ جَرَى وَرَمَى نَفسَهُ فِي بِرْكَةٍ. فَصَاحَ ٱلوَالِي عَلَى حَاشِيَتِهِ وَقَالَ: ٱلحَقُوهُ وَٱنزِلُوا خَلفَهُ. فَمَا نَزَعُوا ثِيَابَهُم وَنَزَلُوا فِي ٱلدَّرَجِ حَتَّى كَانَ ٱلشَّاطِرُ مَضَى إِلَى حَالِ سَبِيلِهِ وَفَتَّشُوا عَلَيهِ فَلَمْ يَجِدُوهُ. وَذَلِكَ لِأَنَّ أَزِقَّةَ ٱلإِسكَندَرِيَّةِ كُلَّهَا تَنفُذُ إِلَى بَعضِهَا. وَرَجَعَ ٱلنَّاسُ وَلَمْ يُحَصِّلُوا ٱلشَّاطِرَ. فَقَالَ ٱلوَالِي لِلجُندِيِّ: لَمْ يَبقَ لَكَ عِندَ ٱلنَّاسِ حَقٌّ لِأَنَّكَ عَرَفتَ غَرِيمَكَ وَتَسَلَّمتَ مَالَكَ وَمَا حَفِظتَهُ. فَقَامَ ٱلجُندِيُّ وَقَدْ ضَاعَ مَالُهُ وَخَلَصَتِ ٱلنَّاسُ مِنْ أَيدِي ٱلجُندِيِّ وَٱلوَالِي (الف ليلة وليلة)

المأمون والصائغ

٢١٨ حَدَّثَ سُلَيمَانُ ٱلوَرَّاقُ قَالَ: مَا رَأَيتُ أَعظَمَ حِلمًا مِنَ ٱلمَأمُونِ. دَخَلتُ عَلَيهِ يَومًا وَفِي يَدِهِ فَصٌّ مُستَطِيلٌ مِنْ يَاقُوتٍ أَحمَرَ لَهُ شُعَاعٌ قَدْ أَضَاءَ لَهُ ٱلمَجلِسُ وَهُوَ يُقَلِّبُهُ بِيَدِهِ وَيَستَحسِنُهُ. ثُمَّ دَعَا بِرَجُلٍ صَائِغٍ وَقَالَ لَهُ: ٱصنَعْ بِهٰذَا ٱلفَصِّ كَذَا وَكَذَا وَأَحلِلْ فِيهِ كَذَا وَكَذَا. وَعَرَّفَهُ كَيفَ يَعمَلُ بِهِ. فَأَخَذَهُ ٱلصَّائِغُ وَٱنصَرَفَ. ثُمَّ عُدتُ إِلَى ٱلمَأمُونِ بَعدَ ثَلَاثٍ فَتَذَكَّرَهُ فَٱستَدعَى بِٱلصَّائِغِ. فَأُتِيَ بِهِ وَهُوَ يُرعَدُ وَقَدِ ٱنتُقِعَ لَونُهُ. فَقَالَ ٱلمَأمُونُ: مَا فَعَلتَ بِٱلفَصِّ. فَتَلَجلَجَ ٱلرَّجُلُ وَلَمْ يَنطِقْ بِكَلَامٍ. فَفَهِمَ ٱلمَأمُونُ بِٱلفِرَاسَةِ أَنَّهُ حَصَلَ فِيهِ خَلَلٌ. فَوَلَّى وَجهَهُ عَنهُ حَتَّى

سَكَنَ جَأْشُهُ ثُمَّ ٱلْتَفَتَ إِلَيْهِ وَأَعَادَ ٱلْقَوْلَ. فَقَالَ: ٱلْأَمَانَ يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ. قَالَ: لَكَ ٱلْأَمَانُ. فَأَخْرَجَ ٱلْفَصَّ أَرْبَعَ قِطَعٍ وَقَالَ: يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ سَقَطَ مِنْ يَدِي عَلَى ٱلسِّنْدَانِ فَصَارَ كَمَا تَرَى. فَقَالَ ٱلْمَأْمُونُ: لَا بَأْسَ عَلَيْكَ أَصْنَعْ بِهِ أَرْبَعَ خَوَاتِمَ. وَأَلْطَفَ لَهُ فِي ٱلْكَلَامِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ كَانَ يَشْتَهِي ٱلْفَصَّ عَلَى أَرْبَعِ قِطَعٍ. فَلَمَّا خَرَجَ ٱلرَّجُلُ مِنْ عِنْدِهِ قَالَ: أَتَدْرُونَ كَمْ قِيمَةُ هٰذَا ٱلْفَصِّ. قُلْنَا: لَا. قَالَ: ٱشْتَرَاهُ ٱلرَّشِيدُ بِمِائَةِ أَلْفٍ وَعِشْرِينَ أَلْفًا

(للاتليدي)

حكاية نظام الملك وابي سعيد الصوفي

٢١٩ حُكِيَ أَنَّ رَجُلًا يُقَالُ لَهُ أَبُو سَعِيدٍ قَصَدَ نِظَامَ ٱلْمُلْكِ فَقَالَ لَهُ: يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنَا أَبْنِي لَكَ مَدْرَسَةً بِبَغْدَادَ مَدِينَةِ ٱلسَّلَامِ لَا يَكُونُ فِي مَعْمُورِ ٱلْأَرْضِ مِثْلُهَا يُخَلَّدُ بِهَا ذِكْرُكَ إِلَى أَنْ تَقُومَ ٱلسَّاعَةُ. قَالَ: فَٱفْعَلْ. فَكَتَبَ إِلَى وُكَلَائِهِ بِبَغْدَادَ أَنْ يُمَكِّنُوهُ مِنَ ٱلْأَمْوَالِ. فَٱبْتَاعَ بُقْعَةً عَلَى شَاطِئِ دِجْلَةَ وَخَطَّ ٱلْمَدْرَسَةَ ٱلنِّظَامِيَّةَ وَبَنَاهَا أَحْسَنَ بُنْيَانٍ وَكَتَبَ عَلَيْهَا ٱسْمَ نِظَامِ ٱلْمُلْكِ. وَبَنَى حَوْلَهَا أَسْوَاقًا تَكُونُ مُحْبَسَةً عَلَيْهَا وَٱبْتَاعَ ضِيَاعًا وَخَانَاتٍ وَحَمَّامَاتٍ وُقِفَتْ عَلَيْهَا. فَكَمَلَتْ لِنِظَامِ ٱلْمُلْكِ بِذٰلِكَ رِئَاسَةٌ وَسُؤْدُدٌ وَذِكْرٌ جَمِيلٌ طَبَّقَ ٱلْأَرْضَ خَبَرُهُ. وَعَمَّ ٱلْمَشَارِقَ وَٱلْمَغَارِبَ أَثَرُهُ. وَكَانَ ذٰلِكَ فِي سِنِي عَشْرِ ٱلْخَمْسِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ مِنَ ٱلْهِجْرَةِ.

ثُمَّ رَفَعَ حِسَابَ ٱلنَّفَقَاتِ إِلَى نِظَامِ ٱلْمُلْكِ فَبَلَغَ مَا يُقَارِبُ سِتِّينَ أَلْفَ دِينَارٍ . ثُمَّ نَمَى ٱلْخَبَرُ إِلَى نِظَامِ ٱلْمُلْكِ مِنَ ٱلْكُتَّابِ وَأَهْلِ ٱلْحِسَابِ أَنَّ جَمِيعَ مَا أَنْفَقَ نَحْوُ تِسْعَةِ آلَافِ دِينَارٍ وَأَنَّ سَائِرَ ٱلْأَمْوَالِ ٱحْتَجَبَهَا لِنَفْسِهِ وَخَانَكَ فِيهَا . فَدَعَاهُ نِظَامُ ٱلْمُلْكِ إِلَى أَصْبَهَانَ لِلْحِسَابِ . فَلَمَّا أَحَسَّ أَبُو سَعِيدٍ بِذٰلِكَ أَرْسَلَ إِلَى ٱلْخَلِيفَةِ أَبِي ٱلْعَبَّاسِ يَقُولُ لَهُ : هَلْ لَكَ فِي أَنْ أُطَبِّقَ ٱلْأَرْضَ بِذِكْرِكَ وَأَنْشُرَ لَكَ فَخْرًا لَا تَمْحُوهُ ٱلْأَيَّامُ . قَالَ : وَمَا هُوَ . قَالَ : أَنْ تَمْحُوَ ٱسْمَ نِظَامِ ٱلْمُلْكِ عَنْ هٰذِهِ ٱلْمَدْرَسَةِ وَتَكْتُبَ ٱسْمَكَ عَلَيْهَا وَتَزِنَ لَهُ سِتِّينَ أَلْفَ دِينَارٍ . فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ ٱلْخَلِيفَةُ يَقُولُ : أَنْفِذْ مَنْ يَقْبِضُ ٱلْمَالَ . فَلَمَّا ٱسْتَوْثَقَ مِنْهُ مَضَى إِلَى أَصْبَهَانَ فَقَالَ لَهُ نِظَامُ ٱلْمُلْكِ : إِنَّكَ رَفَعْتَ لَنَا نَحْوًا مِنْ سِتِّينَ أَلْفَ دِينَارٍ وَأُحِبُّ أَنْ تُخْرِجَ ٱلْحِسَابَ . فَقَالَ لَهُ أَبُو سَعِيدٍ : لَا تُطِلِ ٱلْخِطَابَ إِنْ رَضِيتَ فِيهَا وَإِلَّا مَحَوْتُ ٱسْمَكَ ٱلْمَكْتُوبَ عَلَيْهَا وَكَتَبْتُ عَلَيْهَا ٱسْمَ غَيْرِكَ فَأَرْسِلْ مَعِي مَنْ يَقْبِضُ ٱلْمَالَ . فَلَمَّا أَحَسَّ نِظَامُ ٱلْمُلْكِ بِذٰلِكَ قَالَ : يَا شَيْخُ قَدْ سَوَّغْنَا لَكَ جَمِيعَ ذٰلِكَ وَلَا تَمْحُ ٱسْمَنَا . ثُمَّ إِنَّ أَبَا سَعِيدٍ بَنَى بِتِلْكَ ٱلْأَمْوَالِ ٱلرِّبَاطَاتِ لِلصُّوفِيَّةِ وَٱشْتَرَى ٱلضِّيَاعَ وَٱلْخَانَاتِ وَٱلْبَسَاتِينَ وَٱلدُّورَ . وَوَقَفَ جَمِيعَ ذٰلِكَ عَلَى ٱلصُّوفِيَّةِ (للطرطوشي)

ٱلْبَابُ ٱلسَّابِعُ
فِي ٱلْفُكَاهَاتِ

٢٢٠ نَظَرَ بَعْضُ ٱلْحُكَمَاءِ إِلَى أَحْمَقَ عَلَى حَجَرٍ فَقَالَ: حَجَرٌ عَلَى حَجَرٍ (للابشيهي)

٢٢١ نَظَرَ رَجُلٌ إِلَى فَيْلَسُوفٍ يُؤَدِّبُ شَيْخًا فَقَالَ لَهُ: مَا تَصْنَعُ. قَالَ: أَغْسِلُ حَبَشِيًّا لَعَلَّهُ يَبْيَضُّ (للمستعصمي)

٢٢٢ قَالَ ٱلْحَاجِرِيُّ يَهْجُو طَبِيبًا:

يَمْشِي وَعِزْرَائِيلُ مِنْ خَلْفِهِ يُشَمِّرُ ٱلْأَرْدَانَ لِلْقَبْضِ

٢٢٣ قِيلَ إِنَّ رَجُلًا ٱدَّعَى ٱلنُّبُوءَةَ فِي أَيَّامِ أَحَدِ ٱلْمُلُوكِ. فَلَمَّا حَضَرَ بَيْنَ يَدَيْهِ قَالَ لَهُ: أَنْتَ نَبِيٌّ. قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: وَإِلَى مَنْ بُعِثْتَ. قَالَ: إِلَيْكَ. قَالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ سَفِيهٌ أَحْمَقُ. قَالَ: إِنَّمَا يُبْعَثُ لِكُلِّ قَوْمٍ مِثْلُهُمْ. فَضَحِكَ ٱلْمَلِكُ وَأَمَرَ لَهُ بِشَيْءٍ (للابشيهي)

٢٢٤ تَرَكَ رَجُلٌ ٱلنَّبِيذَ فَقِيلَ لَهُ: لِمَ تَرَكْتَهُ وَهُوَ رَسُولُ ٱلسُّرُورِ إِلَى ٱلْقَلْبِ. فَقَالَ: وَلٰكِنَّهُ بِئْسَ ٱلرَّسُولُ. يُبْعَثُ إِلَى ٱلْجَوْفِ فَيَذْهَبُ إِلَى ٱلرَّأْسِ (للشريشي)

٢٢٥ تَنَبَّأَ إِنْسَانٌ فَطَالَبُوهُ بِحَضْرَةِ ٱلْمَأْمُونِ بِمُعْجِزَةٍ. فَقَالَ: إِنِّي أَطْرَحُ لَكُمْ حَصَاةً فِي ٱلْمَاءِ فَتَذُوبُ. قَالُوا: رَضِينَا. فَأَخْرَجَ حَصَاةً مِنْ جَيْبِهِ وَطَرَحَهَا فِي ٱلْمَاءِ فَذَابَتْ. فَقَالُوا: هٰذِهِ حِيلَةٌ. نُعْطِكَ

حَصَاةً مِنْ عِنْدِنَا وَدَعْهَا تَذُوبُ . فَقَالَ : أَلَسْتُمْ أَجَلَّ مِنْ فِرْعَوْنَ وَلَا أَعْظَمَ كَرَامَةً مِنْ مُوسَى . فَلَمْ يَقُلْ فِرْعَوْنُ لِمُوسَى : لَمْ أَرْضَ بِمَا تَفْعَلُهُ بِعَصَاكَ حَتَّى أُعْطِيَكَ عَصًا مِنْ عِنْدِي تَجْعَلُهَا ثُعْبَانًا . فَضَحِكَ ٱلْمَأْمُونُ وَأَجَازَهُ (للابشيهي)

٢٢٦ سَرَقَ رَجُلٌ صُرَّةً مِنَ ٱلدَّرَاهِمِ وَمَضَى حَتَّى أَتَى إِلَى ٱلْمَسْجِدِ فَدَخَلَ يُصَلِّي . فَقَرَأَ ٱلْإِمَامُ : وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى . وَكَانَ ٱسْمَ ٱلْأَعْرَابِيِّ . فَقَالَ : لَا شَكَّ أَنَّكَ سَاحِرٌ . ثُمَّ رَمَى ٱلصُّرَّةَ وَخَرَجَ هَارِبًا (للقليوبي)

٢٢٧ قَالَ بَعْضُ ٱلْمُلُوكِ لِصَاحِبِ خَيْلِهِ : قَدِّمْ لِي ٱلْفَرَسَ ٱلْأَبْيَضَ . فَقَالَ لَهُ وَزِيرُهُ : أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ لَا تَقُلِ ٱلْفَرَسَ ٱلْأَبْيَضَ . فَإِنَّهُ عَيْبٌ يُخِلُّ بِهَيْبَةِ ٱلْمُلُوكِ وَلٰكِنِ ٱلْفَرَسَ ٱلْأَشْهَبَ . فَلَمَّا أُحْضِرَ ٱلطَّعَامُ قَالَ لِصَاحِبِ ٱلسِّمَاطِ : قَدِّمِ ٱلصَّحْنَ ٱلْأَشْهَبَ . فَقَالَ ٱلْوَزِيرُ : قُلْ مَا شِئْتَ فَمَا لِي حِيلَةٌ فِي تَقْوِيمِكَ (للابشيهي)

٢٢٨ نَظَرَ أَشْعَبُ إِلَى رَجُلٍ يَعْمَلُ طَبَقًا . فَقَالَ لَهُ : أَسْأَلُكَ بِٱللّٰهِ إِلَّا مَا زِدْتَ فِي سَعَتِهِ طَوْقًا أَوْ طَوْقَيْنِ . فَقَالَ لَهُ ٱلرَّجُلُ : مَا مَعْنَى ذٰلِكَ . قَالَ : لَعَلَّهُ أَنْ يُهْدَى إِلَيَّ يَوْمًا فِيهِ شَيْءٌ (للشريشي)

٢٢٩ كَانَ ٱلشَّيْخُ ٱلْمَعْرُوفُ بِٱلشَّيْخِ ٱلْكَرْمَانِيِّ شَاعِرًا عَلَى زِيِّ ٱلْفُقَرَاءِ عَلِيلَ ٱلْعَيْنَيْنِ وَكَانَ يَصْنَعُ ٱلْأَكْحَالَ وَيَبِيعُ ٱلطَّالِبِينَ . فَٱشْتَرَى مِنْهُ أَحَدٌ يَوْمًا كُحْلًا بِدِرْهَمٍ وَرَأَى ٱلْمُشْتَرِي أَنَّ عَيْنَهُ عَلِيلَةٌ فَأَعْطَاهُ

درهمين وقال: هذا ثمن كحلك وهذا الآخر لك. اشتر به أنت أيضاً كحلاً وكحل عينيك. فاستحسن الشيخ ذلك (لابن طقطقي)

الحجاج والشيخ

٢٣٠ حكي أن الحجاج خرج في بعض الأيام للتنزه فصرف عنه أصحابه وانفرد بنفسه فلاقى شيخاً من بني عجل فقال له: من أين أنت يا شيخ. قال: من هذه القرية. قال: ما رأيكم بحكام البلاد. قال: كلهم أشرار يظلمون الناس ويختلسون أموالهم. قال: وما قولك في الحجاج. قال: هذا أنجس الكل سود الله وجهه ووجه من استعمله على هذه البلاد. فقال الحجاج: تعرف من أنا. قال: لا والله. قال: أنا الحجاج. قال: أنا فداك وأنت تعرف من أنا. قال: لا. قال: أنا زيد بن عامر مجنون بني عجل أصرع كل يوم مرة في مثل هذه الساعة. فضحك الحجاج وأجازه (لابن قتيبة)

الرشيد ومدعي النبوءة

٢٣١ ادعى رجل النبوءة في زمان الرشيد. فلما أحضروه قدام أمير المؤمنين قال له: لكل نبي بينة تدل على نبوءته. فأي شيء من دلائلك. قال: اسأل ما تريد. قال: أريد أن تصير هؤلاء المماليك المرد كلهم بلحى. فأطرق إلى الأرض ساعة ثم رفع رأسه وقال: كيف يحل أن أصير هؤلاء المرد بلحى وأغير هذه الصورة الحسنة ولكن أصير هؤلاء الذين هم بلحى مرداً في لحظة واحدة.

فَاسْتَحْسَنَ الرَّشِيدُ جوابَهُ وعفا عَنْهُ (لابن طقطقي)

٢٣٢ يُقَالُ إِنَّ هَبَنَّقَةَ كَانَ يَرْعَى غَنَمَ أَهْلِهِ فَيَرْعَى السِّمَانَ فِي الْعُشْبِ وَيُنَحِّي الْمَهَازِيلَ. فَقِيلَ لَهُ: وَيْحَكَ مَا تَصْنَعُ. فَقَالَ: لَا أُصْلِحُ مَا أَفْسَدَ اللهُ وَلَا أُفْسِدُ مَا أَصْلَحَ اللهُ (لطائف العرب)

المعتصم وابن الجنيد

٢٣٣ كَانَ الْمُعْتَصِمُ يَأْنَسُ بِعَلِيِّ بْنِ الْجُنَيْدِ الْإِسْكَافِيِّ. وَكَانَ عَجِيبَ الصُّورَةِ وَالْحَدِيثِ. فَقَالَ الْمُعْتَصِمُ لِابْنِ حَمَّادٍ: اذْهَبْ إِلَى ابْنِ الْجُنَيْدِ وَقُلْ لَهُ يَتَهَيَّأْ لِيُزَامِلَنِي. فَأَتَاهُ فَقَالَ لَهُ: تَهَيَّأْ لِمُزَامَلَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّ مُزَامَلَةَ الْخُلَفَاءِ كَبِيرَةٌ. فَقَالَ: كَيْفَ أَتَهَيَّأُ لَهَا. أُصِيبُ رَأْسًا غَيْرَ رَأْسِي. أَشْتَرِي لِحْيَةً غَيْرَ لِحْيَتِي. قَالَ ابْنُ حَمَّادٍ: شُرُوطُهَا الْإِمْتَاعُ بِالْحَدِيثِ وَالْمُذَاكَرَةِ وَالْمُنَادَمَةِ. وَأَنْ لَا تَبْصُقَ وَلَا تَسْعُلَ وَلَا تَمْخُطَ وَلَا تَتَنَحْنَحَ. وَأَنْ تَتَقَدَّمَ فِي الرُّكُوبِ إِشْفَاقًا عَلَيْهِ مِنَ الْمَيْلِ وَأَنْ يَتَقَدَّمَكَ فِي النُّزُولِ. فَمَتَى لَمْ يَفْعَلْ هٰذَا الْمُعَادِلُ كَانَ وَمُثَقَّلَةَ الرَّصَاصِ الَّتِي يُعَدَّلُ بِهَا الْقُبَّةُ وَاحِدًا. فَقَالَ لِابْنِ حَمَّادٍ: اذْهَبْ قُلْ لَهُ: لَا نُزَامِلُكَ إِلَّا مَنْ كَانَ ذَنِيءَ الْأَصْلِ. فَرَجَعَ إِلَى الْمُعْتَصِمِ وَأَعْلَمَهُ فَضَحِكَ وَقَالَ: عَلَيَّ بِهِ. فَلَمَّا جَاءَ قَالَ: يَا عَلِيُّ أَبْعَثُ إِلَيْكَ أَنْ تُزَامِلَنِي فَلَا تَفْعَلُ. فَقَالَ لَهُ: إِنَّ رَسُولَكَ هٰذَا الْأَزْعَنَ جَاءَنِي بِشُرُوطِ حَسَّانَ السَّامِيِّ وَخَالَوَيْهِ الْحَاكِمِيِّ. فَقَالَ: لَا تَبْصُقْ وَلَا تَعْطِسْ. وَجَعَلَ يُفَرْقِعُ بِصِمَادَاتِهِ وَهٰذَا لَا أَقْدِرُ عَلَيْهِ. فَإِنْ رَضِيتَ أَنْ أُزَامِلَكَ إِذَا أَتَتْنِي

ٱلعَطْسَةُ عطَسْتُ وَإلَّا فَلَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ عَمَلٌ. فَضَحِكَ ٱلْمُعْتَصِمُ حَتَّى فَحَصَ بِرِجْلَيْهِ وَقَالَ: نَعَمْ زَامِلْنِي عَلَى هٰذِهِ ٱلشُّرُوطِ (للشريشي)

الضيف المضجر الملّ

٢٣٤ أَضَافَ رَجُلٌ رَجُلًا فَأَطَالَ ٱلْمُقَامَ حَتَّى كَرِهَهُ. فَقَالَ ٱلرَّجُلُ لِٱمْرَأَتِهِ: كَيْفَ لَنَا أَنْ نَعْلَمَ مِقْدَارَ مُقَامِهِ. فَقَالَتْ لَهُ: أَلْقِ بَيْنَنَا شَرًّا حَتَّى نَتَحَاكَمَ إِلَيْهِ. فَفَعَلَ. فَقَالَتِ ٱلْمَرْأَةُ لِلضَّيْفِ: بِٱلَّذِي يُبَارِكُ لَكَ فِي غُدُوِّكَ غَدًا أَيُّنَا أَظْلَمُ. فَقَالَ: وَٱلَّذِي يُبَارِكُ لِي فِي قِيَامِي عِنْدَكُمْ شَهْرًا مَا أَعْلَمُ

البصريّ والمدنيّ

٢٣٥ نَزَلَ بَصْرِيٌّ عَلَى مَدَنِيٍّ وَكَانَ صَدِيقًا لَهُ. فَأَلَحَّ عَلَيْهِ فِي ٱلْجُلُوسِ فَقَالَ ٱلْمَدَنِيُّ لِٱمْرَأَتِهِ: إِذَا كَانَ يَوْمُ غَدٍ فَإِنِّي أَقُولُ لِضَيْفِنَا: كَمْ ذِرَاعٍ يَقْفِزُ فَأَقْفِزُ. فَإِذَا قَفَزَ فَأَغْلِقِي ٱلْبَابَ خَلْفَهُ. فَلَمَّا كَانَ ٱلْغَدُ قَالَ ٱلْمَدَنِيُّ: كَمْ قَفْزُكَ يَا أَبَا فُلَانٍ. قَالَ: جَيِّدٌ. فَعَرَضَ عَلَيْهِ أَنْ يَقْفِزَ مَعَهُ فَأَجَابَهُ. فَوَثَبَ ٱلْمَدَنِيُّ مِنْ دَارِهِ إِلَى خَارِجٍ أَذْرُعًا. وَقَالَ لِلضَّيْفِ: ثِبْ أَنْتَ. فَوَثَبَ ٱلضَّيْفُ إِلَى دَاخِلِ ٱلدَّارِ ذِرَاعَيْنِ. فَقَالَ لَهُ: وَثَبْتُ أَنَا إِلَى خَارِجِ ٱلدَّارِ أَذْرُعًا وَأَنْتَ إِلَى دَاخِلِهَا ذِرَاعَيْنِ. فَقَالَ ٱلضَّيْفُ: ذِرَاعَانِ فِي ٱلدَّارِ خَيْرٌ مِنْ أَرْبَعٍ إِلَى خَارِجٍ (للمبرّد)

الشاعر والمأمون

٢٣٦ أَتَى شَاعِرٌ ٱلْمَأْمُونَ فَقَالَ: لَقَدْ قُلْتُ فِيكَ شِعْرًا. فَقَالَ:

أَنشِدْنِيهِ . فَقَالَ :

حَيَّاكَ رَبُّ ٱلنَّاسِ حَيَّاكَا إِذْ بِجَمَالِ ٱلْوَجْهِ رَقَّاكَا
بَغْدَادُ مِنْ نُورِكَ قَدْ أَشْرَقَتْ وَأَوْرَقَ ٱلْعُودُ بِجَدْوَاكَا

(قَالَ) فَأَطْرَقَ ٱلْمَأْمُونُ سَاعَةً وَقَالَ : يَا أَعْرَابِيُّ وَأَنَا قَدْ قُلْتُ فِيكَ شِعْرًا وَأَنْشَدَ يَقُولُ :

حَيَّاكَ رَبُّ ٱلنَّاسِ حَيَّاكَا إِنَّ ٱلَّذِي أَمَّلْتَ أَخْطَاكَا
أَتَيْتَ شَخْصًا قَدْ خَلَا كِيسُهُ وَلَوْ حَوَى شَيْئًا لَأَعْطَاكَا

فَقَالَ : يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلشِّعْرُ بِٱلشِّعْرِ حَرَامٌ . فَٱجْعَلْ بَيْنَهُمَا شَيْئًا يُسْتَطَابُ . فَضَحِكَ ٱلْمَأْمُونُ وَأَمَرَ لَهُ بِمَالٍ (للاتليدي)

هارون الرشيد وجعفر مع الشيخ البدوي

٢٣٧ مِمَّا يُحْكَى أَنَّ أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ هَارُونَ ٱلرَّشِيدَ خَرَجَ يَوْمًا مِنَ ٱلْأَيَّامِ هُوَ وَأَبُو يَعْقُوبَ ٱلنَّدِيمُ وَجَعْفَرٌ ٱلْبَرْمَكِيُّ وَأَبُو نُوَاسٍ وَسَارُوا فِي ٱلصَّحْرَاءِ . فَرَأَوْا شَيْخًا مُتَّكِئًا عَلَى حِمَارٍ لَهُ فَقَالَ هَارُونُ ٱلرَّشِيدُ لِجَعْفَرٍ : ٱسْأَلْ هٰذَا ٱلشَّيْخَ مِنْ أَيْنَ هُوَ . فَقَالَ لَهُ جَعْفَرٌ : مِنْ أَيْنَ جِئْتَ . قَالَ : مِنَ ٱلْبَصْرَةِ . قَالَ لَهُ جَعْفَرٌ : وَإِلَى أَيْنَ سَيْرُكَ . قَالَ : إِلَى بَغْدَادَ . قَالَ لَهُ : وَمَا تَصْنَعُ فِيهَا . قَالَ : أَلْتَمِسُ دَوَاءً لِعَيْنِي . فَقَالَ هَارُونُ ٱلرَّشِيدُ : يَا جَعْفَرُ مَازِحْهُ . فَقَالَ : إِذَا مَازَحْتُهُ أَسْمَعُ مِنْهُ مَا أَكْرَهُ . فَقَالَ : بِحَقِّي عَلَيْكَ أَنْ تُمَازِحَهُ . فَقَالَ جَعْفَرٌ لِلشَّيْخِ : إِنْ وَصَفْتُ لَكَ دَوَاءً يَنْفَعُكَ فَمَا ٱلَّذِي تُكَافِئُنِي بِهِ . فَقَالَ لَهُ : ٱللهُ تَعَالَى

يكافئك عني بما هو خير لك من مكافأتي . فقال : أنصت إلي حتى أصف لك هذا الدواء الذي لا أصفه لأحد غيرك . فقال له : وما هو . فقال له جعفر : خذ لك ثلاث أواق من هبوب الريح وثلاث أواق من شعاع الشمس وثلاث أواق من زهر القمر وثلاث أواق من نور السراج . واجمع الجميع وضعها في الريح ثلاثة أشهر . ثم بعد ذلك ضعها في هاون بلا قعر ودقها ثلاثة أشهر . فإذا دققتها فضعها في جفنة مشقوقة وضع الجفنة في الريح ثلاثة أشهر . ثم استعمل هذا الدواء في كل يوم ثلاثة دراهم عند النوم . واستمر على ذلك ثلاثة أشهر فإنك تعافى إن شاء الله تعالى . فلما سمع الشيخ كلام جعفر قال : لا عافاك الله يا صافع الذقن . خذ مني هذه اللطمة مكافأة لك على وصفك هذا الدواء . وبادره بضربة على أم رأسه . فضحك هارون الرشيد حتى استلقى وأمر لذلك الرجل بثلاثة آلاف درهم (ألف ليلة وليلة)

٢٣٨ قيل لغلام : أما يكسوك معلمك . فأجاب : إن معلمي لو كان له بيت مملوء إبرا وجاء يعقوب ومعه الأنبياء شفعاء والملائكة ضمناء يستعير منه إبرة ليخيط بها ثوب ابنه يوسف الذي قد ما أعاره إياها فكيف يكسوني . وقد نظم ذلك من قال :

لو أن دارك أنبتت لك واحتشت إبرا يضيق بها فناء المنزل
وأتاك يوسف يستعيرك إبرة ليخيط قد قميصه لم تفعل

العليل والناسك

٢٣٩ نَزَلَ رَجُلٌ بِصَوْمَعَةِ نَاسِكٍ فَقَدَّمَ إِلَيْهِ النَّاسِكُ أَرْبَعَةَ أَرْغِفَةٍ وَذَهَبَ لِيُحْضِرَ إِلَيْهِ عَدَسًا • فَحَمَلَهُ وَجَاءَ فَوَجَدَهُ قَدْ أَكَلَ الْخُبْزَ فَذَهَبَ فَأَتَى بِغَيْرِهِ فَوَجَدَهُ قَدْ أَكَلَ الْعَدَسَ • فَفَعَلَ مَعَهُ ذَلِكَ عَشَرَ مَرَّاتٍ • فَسَأَلَهُ النَّاسِكُ أَيْنَ مَقْصِدُهُ • قَالَ: إِلَى الْأُرْدُنِّ • قَالَ: لِمَاذَا • قَالَ: بَلَغَنِي أَنَّ بِهَا طَبِيبًا حَاذِقًا أَسْأَلُهُ عَمَّا يُصْلِحُ مَعِدَتِي • فَإِنِّي قَلِيلُ الشَّهْوَةِ لِلطَّعَامِ • فَقَالَ لَهُ النَّاسِكُ: إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً • قَالَ: وَمَا هِيَ • قَالَ: إِذَا ذَهَبْتَ وَأَصْلَحْتَ مَعِدَتَكَ فَلَا تَجْعَلْ رُجُوعَكَ عَلَيَّ وَقَالَ:

يَا ضَيْفَنَا لَوْ زُرْتَنَا لَوَجَدْتَنَا نَحْنُ الضُّيُوفَ وَأَنْتَ رَبُّ الْمَنْزِلِ

الاعرابيان

٢٤٠ قِيلَ خَرَجَ أَعْرَابِيٌّ قَدْ وَلَّاهُ الْحَجَّاجُ بَعْضَ النَّوَاحِي فَأَقَامَ بِهَا مُدَّةً طَوِيلَةً • فَلَمَّا كَانَ فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ وَرَدَ عَلَيْهِ أَعْرَابِيٌّ مِنْ حَيِّهِ • فَقَدَّمَ إِلَيْهِ الطَّعَامَ وَكَانَ إِذْ ذَاكَ جَائِعًا فَسَأَلَهُ عَنْ أَهْلِهِ وَقَالَ: مَا حَالُ ابْنِي عُمَيْرٍ • قَالَ: عَلَى مَا تُحِبُّ قَدْ مَلَأَ الْأَرْضَ وَالْحَيَّ رِجَالًا وَنِسَاءً • قَالَ: فَمَا حَالُ أُمِّ عُمَيْرٍ • قَالَ: صَالِحَةٌ أَيْضًا • قَالَ: فَمَا حَالُ الدَّارِ • قَالَ: عَامِرَةٌ بِأَهْلِهَا • قَالَ: وَكَلْبُنَا إِيقَاعُ • قَالَ: قَدْ مَلَأَ الْحَيَّ نَبْحًا • قَالَ: فَمَا حَالُ جَمَلِي زُرَيْقٍ • قَالَ: عَلَى مَا يَسُرُّكَ • (قَالَ) فَالْتَفَتَ إِلَى خَادِمِهِ وَقَالَ: ارْفَعِ الطَّعَامَ • فَرَفَعَهُ وَلَمْ يَشْبَعِ الْأَعْرَابِيُّ • ثُمَّ

أَقبَلَ عَلَيْهِ يَسْأَلُهُ وَقَالَ : يَا مُبَارَكَ ٱلنَّاصِيَةِ أَعِدْ عَلَيَّ مَا ذَكَرْتَ. قَالَ: سَلْ عَمَّا بَدَا لَكَ. قَالَ: فَمَا حَالُ كَلْبِي إِيقَاعٍ. قَالَ: مَاتَ. قَالَ: وَمَا ٱلَّذِي أَمَاتَهُ. قَالَ: ٱخْتَنَقَ بِعَظْمَةٍ مِنْ عِظَامِ جَمَلِكَ زُرَيْقٍ فَمَاتَ. قَالَ: أَوَ مَاتَ جَمَلِي زُرَيْقٌ. قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: وَمَا ٱلَّذِي أَمَاتَهُ. قَالَ: كَثْرَةُ نَقْلِ ٱلْمَاءِ إِلَى قَبْرِ أُمِّ عُمَيْرٍ. قَالَ: أَوَ مَاتَتْ أُمُّ عُمَيْرٍ. قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: وَمَا ٱلَّذِي أَمَاتَهَا. قَالَ: كَثْرَةُ بُكَائِهَا عَلَى عُمَيْرٍ. قَالَ: أَوَ مَاتَ عُمَيْرٌ. قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: وَمَا ٱلَّذِي أَمَاتَهُ. قَالَ: سَقَطَتْ عَلَيْهِ ٱلدَّارُ. قَالَ: أَوَسَقَطَتِ ٱلدَّارُ. قَالَ: نَعَمْ. فَقَامَ لَهُ بِٱلْعَصَا ضَارِبًا. فَوَلَّى مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ هَارِبًا (للابشيهي)

قصّة ابي دلامة والخليفة السفّاح

٢٤١ قِيلَ إِنَّ أَبَا دُلَامَةَ ٱلشَّاعِرَ كَانَ وَاقِفًا بَيْنَ يَدَيِ ٱلسَّفَّاحِ فِي بَعْضِ ٱلْأَيَّامِ فَقَالَ لَهُ ٱلْخَلِيفَةُ: سَلْنِي حَاجَتَكَ. فَقَالَ لَهُ أَبُو دُلَامَةَ: أُرِيدُ كَلْبَ صَيْدٍ. فَقَالَ: أَعْطُوهُ إِيَّاهُ. فَقَالَ: وَأُرِيدُ دَابَّةً أَتَصَيَّدُ عَلَيْهَا. قَالَ: أَعْطُوهُ إِيَّاهَا. قَالَ: وَغُلَامًا يَقُودُ ٱلْكَلْبَ وَيَصِيدُ بِهِ. قَالَ: أَعْطُوهُ غُلَامًا. قَالَ: وَجَارِيَةً تُصْلِحُ ٱلصَّيْدَ وَتُطْعِمُنَا مِنْهُ. قَالَ: أَعْطُوهُ جَارِيَةً. قَالَ: هٰؤُلَاءِ يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَبِيدُكَ. فَلَا بُدَّ لَهُمْ مِنْ دَارٍ يَسْكُنُونَهَا. فَقَالَ: أَعْطُوهُ دَارًا تَجْمَعُهُمْ. قَالَ: وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ ضَيْعَةٌ فَمِنْ أَيْنَ يَعِيشُونَ. قَالَ: قَدْ أَقْطَعْتُكَ عَشْرَ ضِيَاعٍ عَامِرَةٍ وَعَشْرَ ضِيَاعٍ غَامِرَةٍ. قَالَ: وَمَا ٱلْغَامِرَةُ يَا أَمِيرَ

ٱلْمُؤْمِنِينَ. قَالَ: مَا لَا نَبَاتَ فِيهَا. قَالَ: قَدْ أَقْطَعْتُكَ يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِائَةَ ضَيْعَةٍ غَامِرَةٍ مِنْ فَيَافِي بَنِي أَسَدٍ. فَضَحِكَ مِنْهُ وَقَالَ: ٱجْعَلُوهَا كُلَّهَا عَامِرَةً (للاتليدي)

٢٤٢ يُحْكَى أَنَّهُ قِيلَ لِبَعْضِ ٱلْبُخَلَاءِ: إِنَّ لِكُلِّ رَئِيسٍ عَلَامَةً يَنْصَرِفُ بِهَا نُدَمَاؤُهُ. فَمَا عَلَامَتُكَ. قَالَ: إِذَا قُلْتُ: يَا غُلَامُ هَاتِ ٱلطَّعَامَ (للنواجي)

المأمون والطفيلي

٢٤٣ رَوَى ٱبْنُ عَامِرٍ ٱلْفِهْرِيُّ عَنْ أَشْيَاخِهِ قَالَ: أَمَرَ ٱلْمَأْمُونُ أَنْ يُحْمَلَ إِلَيْهِ مِنْ أَهْلِ ٱلْبَصْرَةِ عَشَرَةُ رِجَالٍ كَانُوا قَدْ رُمُوا عِنْدَهُ بِٱلزَّنْدَقَةِ فَحُمِلُوا إِلَيْهِ. فَمَرَّ بِهِمْ طُفَيْلِيٌّ فَرَآهُمْ مُجْتَمِعِينَ فَظَنَّ خَيْرًا وَمَضَى مَعَهُمْ إِلَى ٱلسَّاحِلِ وَقَالَ: مَا ٱجْتَمَعَ هٰؤُلَاءِ إِلَّا لِوَلِيمَةٍ. فَٱنْسَلَّ وَدَخَلَ ٱلزَّوْرَقَ وَقَالَ: لَا شَكَّ أَنَّهَا نُزْهَةٌ. فَلَمْ يَكُنْ إِلَّا يَسِيرٌ حَتَّى قَيَّدُوا ٱلْقَوْمَ وَقُيِّدَ مَعَهُمْ. فَعَلِمَ أَنَّهُ وَقَعَ فِيمَا لَا طَاقَةَ لَهُ بِهِ وَرَامَ ٱلْخَلَاصَ فَلَمْ يَقْدِرْ. وَسَارُوا إِلَى أَنْ وَصَلُوا إِلَى بَغْدَادَ وَأُدْخِلُوا عَلَى ٱلْمَأْمُونِ. فَٱسْتَدْعَى بِهِمْ بِأَسْمَائِهِمْ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ. وَجَعَلَ يُذَكِّرُهُ بِفِعْلِهِ وَبِقَوْلِهِ وَيَضْرِبُ عُنُقَهُ حَتَّى لَمْ يَبْقَ إِلَّا ٱلطُّفَيْلِيُّ. وَفَرَغَتِ ٱلْعَشَرَةُ فَقَالَ ٱلْمَأْمُونُ لِلْمُتَوَكِّلِ: مَنْ هٰذَا. فَقَالَ: لَا أَعْلَمُ يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرَ أَنَّنَا رَأَيْنَاهُ مَعَهُمْ فَجِئْنَا بِهِ. فَقَالَ: يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَمْ أَعْرِفْ مِنْ أَحْوَالِهِمْ شَيْئًا وَإِنَّمَا رَأَيْتُهُمْ مُجْتَمِعِينَ فَظَنَنْتُ أَنَّهَا وَلِيمَةٌ

يُدْعَوْنَ إِلَيْهَا فَلَحِقْتُ بِهِمْ. فَضَحِكَ ٱلْمَأْمُونُ وَقَالَ: أَوَ قَدْ بَلَغَ مِنْ شُؤْمِ ٱلتَّطَفُّلِ أَنْ يُحِلَّ بِصَاحِبِهِ هٰذَا ٱلْمَحَلَّ. لَقَدْ سَلِمَ هٰذَا ٱلْجَاهِلُ مِنَ ٱلْقَتْلِ وَلٰكِنْ يُؤَدَّبُ حَتَّى لَا يَعُودَ إِلَى مِثْلِهَا. (للاتليدي)

اللصان والحمار

٢٤٤ قِيلَ إِنَّ لِصَّيْنِ سَرَقَا حِمَارًا وَمَضَى أَحَدُهُمَا لِيَبِيعَهُ. فَقَابَلَهُ رَجُلٌ مَعَهُ طَبَقٌ فِيهِ سَمَكٌ فَقَالَ لَهُ: أَتَبِيعُ هٰذَا ٱلْحِمَارَ. قَالَ: نَعَمْ. قَالَ لَهُ: أَمْسِكْ هٰذَا ٱلطَّبَقَ حَتَّى أَرْكَبَهُ وَأُجَرِّبَهُ فَإِنْ أَعْجَبَنِي ٱشْتَرَيْتُهُ بِثَمَنٍ يُعْجِبُكَ. فَأَمْسَكَ ٱللِّصُّ ٱلطَّبَقَ وَرَكِبَ ٱلرَّجُلُ ٱلْحِمَارَ وَأَخَذَ يُرَدِّدُهُ وَيُجْرِيهِ ذَهَابًا وَإِيَابًا حَتَّى ٱبْتَعَدَ عَنِ ٱللِّصِّ كَثِيرًا. فَدَخَلَ بَعْضَ ٱلْأَزِقَّةِ وَمَا زَالَ يَقْطَعُ بِهِ مِنْ زُقَاقٍ إِلَى آخَرَ حَتَّى ٱخْتَفَى عَنْهُ بِٱلْكُلِّيَّةِ. فَأَخَذَتِ ٱللِّصَّ ٱلْحَيْرَةُ مِنْ ذٰلِكَ وَعَرَفَ أَخِيرًا أَنَّهَا حِيلَةٌ عَلَيْهِ. فَرَجَعَ بِٱلطَّبَقِ فَٱلْتَقَاهُ رَفِيقُهُ فَقَالَ: مَا فَعَلْتَ بِٱلْحِمَارِ هَلْ بِعْتَهُ. قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: بِكَمْ. قَالَ: بِرَأْسِ مَالِهِ وَهٰذَا ٱلطَّبَقُ رِبْحٌ. فَقَالَ مُتَمَثِّلًا:

وَكَمْ مَنْ سَعَى لِيَصْطَادَ فَٱصْطِيـدَ وَلَمْ يَلْقَ غَيْرَ خُفَّيْ حُنَيْنِ

القاضي والتاجر

٢٤٥ كَانَ ٱلْقَاضِي ٱبْنُ حَدِيدٍ نَاظِرَ ٱلدِّيوَانِ بِٱلْإِسْكَنْدَرِيَّةِ وَقَاضِيَهَا. فَبَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ فِي ٱلدِّيوَانِ أَحْضَرَ ٱلتَّرْجُمَانُ بَعْضَ تُجَّارِ ٱلْفِرَنْجِ ٱلْوَاصِلِينَ وَلِحْيَتُهُ مَحْلُوقَةٌ وَشَوَارِبُهُ سَالِمَةٌ. وَكَانَ ٱبْنُ حَدِيدٍ لَهُ لِحْيَةٌ طَوِيلَةٌ وَشَوَارِبُهُ خَفِيفَةٌ لَا تَكَادُ أَنْ تَتَبَيَّنَ

إلا من قُرْبٍ . فسأل ابنُ حديدٍ التاجرَ عن بضاعتِه وبلدِه والترجمانُ يفسّر له . ثم قال للترجمان : قُل له لأيّ معنى حلقتَ لحيتَك وتركتَ شواربَك . فسأله الترجمانُ عن ذلك . فقال الفرنجيُّ : قل للقاضي إنَّ الأسدَ بشواربَ بلا لحيةٍ . والتيسَ بلحيةٍ بلا شواربَ . فخجل القاضي وانقطع عن ردِّ الجوابِ (للقليوبي)

٢٤٦ كان أبو دُلامةَ مع أبي مُسلمٍ في بعض حروبِه . فدعا رجلٌ من الأعداء إلى البِراز . قال أبو مُسلمٍ لأبي دُلامةَ : اخرجْ إليه . فأنشد يقول :

ألا لا تلُمْني إن فررتُ فإنّني ... أخافُ على فخّارتي أن تحطّما

فلو أنّني في السوقِ أبتاعُ مثلَها ... وجدِّكَ ما باليتُ أن أتقدّما

فضحك أبو مُسلمٍ وأعفاه (للاصبهاني)

٢٤٧ كان للفرزدقِ نديمٌ يُسمّى زيادًا الأقطعَ . فأتى بابَه فخرج ابنٌ له صغيرٌ فقال له : ابنُ مَن أنتَ . قال : ابنُ الفرزدقِ . قال : فما بالُكَ حبشيًّا . قال : فما بالُ يدِكَ مقطوعةً . قال : قُطعتْ في حربِ الحَرُوريّةِ . قال : بل قُطعتْ في اللصوصيّةِ . فقال : عليكَ وعلى أبيكَ لعنةُ اللهِ . ثم أخبر الفرزدقَ بالخبرِ . فقال : أشهدُ أنّه ابني حقًّا

٢٤٨ قُدِّم لأعرابيٍّ كامَخٌ (وهو أكلةٌ مصنوعةٌ من الحِنطةِ واللبنِ) فلم يستطبْه . وأكل منه شيئًا وخرج ودخل المسجدَ والإمامُ في الصلاةِ يقرأُ : حُرِّمتْ عليكم الميتةُ والدمُ ولحمُ الخنزيرِ . فقال

ٱلْأَعْرَابِيُّ : وَٱلْكَامِخَ لَا تَنْسَهُ أَصْلَحَكَ ٱللهُ

٢٤٩ مَرَّ ٱبْنُ حَمَامَةَ بِٱبْنِ هَرْمَةَ وَهُوَ جَالِسٌ بِفِنَاءِ بَيْتِهِ . فَقَالَ : ٱلسَّلَامُ عَلَيْكُمْ . فَقَالَ : قَدْ قُلْتَ مَا لَا يُنْكَرُ . قَالَ : خَرَجْتُ مِنْ أَهْلِي بِغَيْرِ زَادٍ . قَالَ : مَا ضَمِنْتُ لِأَهْلِكَ قِرَاكَ . قَالَ : أَفَتَأْذَنُ لِي أَنْ آتِيَ ظِلَّ بَيْتِكَ . قَالَ : دُونَكَ ٱلْجَبَلَ يَفِيءُ عَلَيْكَ . قَالَ : أَنَا ٱبْنُ حَمَامَةَ . قَالَ : ٱنْصَرِفْ وَكُنِ ٱبْنَ أَيِّ طَائِرٍ شِئْتَ

المتشوّق الى الحرب

٢٥٠ قَالَ أَفْلَحُ ٱلتُّرْكِيُّ : خَرَجْنَا مَرَّةً إِلَى حَرْبٍ لَنَا وَمَعَنَا رَجُلٌ كَانَ يَقُولُ : أَنَا أَتَمَنَّى أَنْ أَرَى ٱلْحَرْبَ كَيْفَ هِيَ . فَأَخْرَجْنَاهُ مَعَنَا فَأَوَّلُ سَهْمٍ جَاءَ وَقَعَ فِي رَأْسِهِ . فَلَمَّا ٱنْصَرَفْنَا دَعَوْنَا لَهُ مُعَالِجًا فَنَظَرَ إِلَيْهِ وَقَالَ : إِنْ خَرَجَ ٱلزُّجُّ وَفِيهِ شَيْءٌ مِنْ دِمَاغِهِ مَاتَ . وَإِنْ لَمْ يَخْرُجْ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ دِمَاغِهِ لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ بَأْسٌ . فَسَبَقَ فَقَبَّلَ رَأْسَهُ وَقَالَ : بَشَّرَكَ ٱللهُ بِخَيْرٍ ٱنْزِعْهُ فَمَا فِي رَأْسِي دِمَاغٌ . فَقَالَ ٱلطَّبِيبُ : وَكَيْفَ ذٰلِكَ . قَالَ : لَوْ كَانَ فِي ذَرَّةٌ مِنْ دِمَاغٍ مَا كُنْتُ هٰهُنَا (للشريشي)

٢٥١ ٱخْتَلَفَ أَعْرَابِيَّانِ فِي رَجُلٍ فَقَالَ ٱلْأَوَّلُ : مِنْ بَنِي رَاسِبٍ . وَقَالَ ٱلثَّانِي : بَلْ مِنْ بَنِي طُفَاوَةَ . فَمَرَّ بِهِمَا بَاقِلٌ ٱلرَّبَعِيُّ . فَتَحَاكَمَا إِلَيْهِ . فَقَالَ : أَلْقُوهُ فِي ٱلْمَاءِ فَإِنْ رَسَبَ فَهُوَ مِنْ بَنِي رَاسِبٍ . وَإِنْ طَفَا فَمِنْ بَنِي طُفَاوَةَ . فَضُرِبَ ٱلْمَثَلُ فِي حُكْمِهِ (للقليوبي)

٢٥٢ أَعْرَابِيٌّ لَقِيَ آخَرَ فَقَالَ : مَا ٱسْمُكَ . قَالَ : فَيْضٌ . فَقَالَ :

ٱبْنُ مَنْ. قَالَ: ٱبْنُ ٱلْفُرَاتِ. قَالَ: أَبُو مَنْ. قَالَ: أَبُو بَحْرٍ. قَالَ: لَيْسَ لَنَا أَنْ نُكَلِّمَكَ إِلَّا فِي زَوْرَقٍ (للشريشي)

الراعي والجرة

٢٥٣ قِيلَ إِنَّهُ كَانَ لِأَحَدِ ٱلْأَغْنِيَاءِ رَاعٍ يَرْعَى غَنَمًا فِي إِحْدَى ٱلْبَرَارِي. وَكَانَ قَدْ عَيَّنَ لَهُ مَعَاشًا فِيهِ شَيْءٌ مِنَ ٱلسَّمْنِ. فَكَانَ ٱلرَّاعِي يُبْقِي ٱلسَّمْنَ وَيَدَّخِرُهُ فِي جَرَّةٍ لَهُ كَانَتْ مُعَلَّقَةً فِي كُوخِهِ. فَبَيْنَمَا هُوَ ذَاتَ يَوْمٍ جَالِسٌ فِي كُوخِهِ عِنْدَ غُرُوبِ ٱلشَّمْسِ. وَهُوَ مُتَّكِئٌ عَلَى عَصَاهُ. أَخَذَ يُفَكِّرُ بِمَا يَعْمَلُهُ فِيمَا ٱجْتَمَعَ عِنْدَهُ مِنَ ٱلسَّمْنِ. فَقَالَ فِي نَفْسِهِ: إِنِّي سَأَذْهَبُ بِهِ غَدًا إِلَى ٱلسُّوقِ وَأَبِيعُهُ وَأَشْتَرِي بِثَمَنِهِ نَعْجَةً حَامِلًا فَتَضَعُ لِي نَعْجَةً أُخْرَى. ثُمَّ تَكْبَرُ هٰذِهِ وَتَلِدُ لِي مَعَ أُمِّهَا نِعَاجًا أُخَرَ وَهٰكَذَا إِلَى أَنْ يَصِيرَ عِنْدِي قَطِيعٌ كَبِيرٌ. فَأَرُدُّ مَا عِنْدِي مِنَ ٱلْغَنَمِ إِلَى صَاحِبِهِ وَأَتَّخِذُ لِي أَجِيرًا يَرْعَى غَنَمِي. وَأَبْتَنِي لِي قَصْرًا عَظِيمًا. فَأُزَيِّنُهُ بِٱلْمَفْرُوشَاتِ ٱلْحَسَنَةِ وَٱلْأَوَانِي ٱلْمُرَصَّعَةِ وَٱلْمَنْقُوشَاتِ ٱلْبَهِجَةِ. وَمَتَى بَلَغَ رُشْدُ وَلَدِي أُحْضِرُ لَهُ مُعَلِّمًا أَدِيبًا حَكِيمًا يُعَلِّمُهُ ٱلْأَدَبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَآمُرُهُ بِطَاعَتِي وَٱحْتِرَامِي. فَإِنِ ٱمْتَثَلَ وَإِلَّا ضَرَبْتُهُ بِهٰذِهِ ٱلْعَصَا. وَرَفَعَ يَدَهُ بِعَصَاهُ فَأَصَابَتِ ٱلْجَرَّةَ فَكَسَرَتْهَا. فَسَقَطَ ٱلسَّمْنُ عَلَى رَأْسِهِ وَلِحْيَتِهِ وَثِيَابِهِ مُتَبَدِّدًا فِي كُلِّ جِهَةٍ. فَحَزِنَ لِذٰلِكَ حُزْنًا عَظِيمًا قَائِلًا: لَعَلَّ هٰذَا جَزَاءُ مَنْ يُصْغِي إِلَى تَخَيُّلَاتِهِ

٢٥٤ حُكِيَ أَنَّ جُحَى قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ لِرَجُلٍ وَهٰذَا ٱلرَّجُلُ جَارُهُ:

هل سمعت يا أخي البارحة صراخنا . فقال له : نعم . وأي شيء نزل بكم . قال له : سقط ثوبي من أعلى السطح إلى الأرض . فقال له : وإذا سقط ما الذي يضره . قال له : يا أحمق لو كنت فيه ألست كنت أتكسر وأموت (للقليوبي)

المنصور وابن هرمة

٢٥٥ دخل ابن هرمة على المنصور وامتدحه . فقال له المنصور : سل حاجتك . قال : تكتب إلى عاملك بالمدينة أنه إذا وجدني سكران لا يحدني . فقال له المنصور : هذا حد لا سبيل إلى تركه . فقال : ما لي حاجة غيرها . فقال لكاتبه : اكتب إلى عاملنا بالمدينة . من أتاك بابن هرمة وهو سكران فاجلده ثمانين جلدة واجلد الذي جاء به مائة . فكان الشرطة يمرون عليه وهو سكران ويقولون : من يشتري ثمانين بمائة . فيمرون عليه ويتركونه (للاتايدي)

٢٥٦ قال هلال الرائي وهو هلال بن عطية لبشار الشاعر وكان له صديقا يمازحه : إن الله لم يذهب بصر أحد إلا عوضه بشيء . فما عوضك . قال : الطويل العريض . قال : وما هذا . قال : أن لا أراك ولا أمثالك من الثقلاء (للاصبهاني)

حكاية بشار الطفيلي

٢٥٧ حكي عن بشار الطفيلي أنه قال : رحلت يوما إلى البصرة فلما دخلتها قيل لي : إن هنا عريفا للطفيليين يبرهم ويكسوهم

وَيُرْشِدُهُمْ إِلَى ٱلْأَعْمَالِ وَيُقَاسِمُهُمْ. فَسِرْتُ إِلَيْهِ فَبَرَّنِي وَكَسَانِي وَأَقَمْتُ عِنْدَهُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ. وَلَهُ جَمَاعَةٌ يَصِيرُونَ إِلَيْهِ بِٱلزَّلَّاتِ فَيَأْخُذُ ٱلنِّصْفَ وَيُعْطِيهِمِ ٱلنِّصْفَ. فَوَجَّهَنِي مَعَهُمْ فِي ٱلْيَوْمِ ٱلرَّابِعِ فَحَصَلْتُ فِي وَلِيمَةٍ فَأَكَلْتُ وَأَزَّلْتُ مَعِي شَيْئًا كَثِيرًا. وَجِئْتُهُ بِهِ فَأَخَذَ ٱلنِّصْفَ وَأَعْطَانِي ٱلنِّصْفَ فَبِعْتُ مَا وَقَعَ لِي بِدَرَاهِمَ. فَلَمْ أَزَلْ عَلَى هٰذِهِ ٱلْحَالَةِ أَيَّامًا. ثُمَّ دَخَلْتُ يَوْمًا عَلَى عُرْسٍ جَلِيلٍ فَأَكَلْتُ وَخَرَجْتُ بِزَلَّةٍ حَسَنَةٍ. فَلَقِيَنِي إِنْسَانٌ فَاشْتَرَاهَا بِدِينَارٍ فَأَخَذْتُهُ وَكَتَمْتُهُ وَكَتَمْتُ أَمْرَهَا. فَدَعَا جَمَاعَةً مِنَ ٱلطُّفَيْلِيِّينَ فَقَالَ: إِنَّ هٰذَا ٱلْبَغْدَادِيَّ قَدْ خَانَ. فَظَنَّ أَنِّي لَا أَعْلَمُ مَا فَعَلَ. فَٱصْفَعُوهُ وَعَرِّفُوهُ مَا كَتَمَنَا. فَأَجْلَسُونِي شِئْتُ أَمْ أَبَيْتُ وَمَا زَالُوا يَصْفَعُونِي وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ. فَيَصْفَعُنِي ٱلْأَوَّلُ مِنْهُمْ وَيَشَمُّ يَدِي وَيَقُولُ: أَكَلَ مَضِيرَةً. وَيَصْفَعُنِي ٱلْآخَرُ وَيَشَمُّ يَدِي وَيَقُولُ: أَكَلَ كَذَا. وَيَصْفَعُنِي ٱلْآخَرُ. حَتَّى ذَكَرُوا كُلَّ شَيْءٍ أَكَلْتُهُ مَا غَلِطُوا بِشَيْءٍ مِنْهُ. ثُمَّ صَفَعَنِي شَيْخٌ مِنْهُمْ صَفْعَةً عَظِيمَةً وَقَالَ: بَاعَ ٱلزَّلَّةَ بِدِينَارٍ. وَصَفَعَنِي آخَرُ وَقَالَ: هَاتِ ٱلدِّينَارَ. فَدَفَعْتُهُ إِلَيْهِ وَجَرَّدَنِي مِنَ ٱلثِّيَابِ ٱلَّتِي أَعْطَانِيهَا وَقَالَ: ٱخْرُجْ يَا خَائِنُ فِي غَيْرِ حِفْظِ ٱللّٰهِ. فَخَرَجْتُ إِلَى بَغْدَادَ وَحَلَفْتُ أَنْ لَا أُقِيمَ بِبَلَدٍ فِيهِ طُفَيْلِيَّةٌ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ

كرم معن بن زائدة

٢٥٨ حُكِيَ فِي أَخْبَارِ مَعْنِ بْنِ زَائِدَةَ أَنَّ رَجُلًا قَالَ لَهُ: ٱحْمِلْنِي

أَيُّهَا ٱلْأَمِيرُ . فَأَمَرَ لَهُ بِنَاقَةٍ وَفَرَسٍ وَبَغْلَةٍ وَحِمَارٍ . ثُمَّ قَالَ لَهُ: لَوْ عَلِمْتُ أَنَّ ٱللهَ خَلَقَ مَرْكُوبًا غَيْرَ هٰذَا لَحَمَلْتُكَ عَلَيْهِ . وَقَدْ أَمَرْنَا لَكَ مِنَ ٱلْخَزِّ بِجُبَّةٍ وَقَمِيصٍ وَدُرَّاعَةٍ وَسَرَاوِيلَ وَعِمَامَةٍ وَمِنْدِيلٍ وَمِطْرَفٍ وَرِدَاءٍ وَكِسَاءٍ وَجَوْرَبٍ وَكِيسٍ . وَلَوْ عَلِمْنَا لِبَاسًا غَيْرَ هٰذَا مِنَ ٱلْخَزِّ لَأَعْطَيْنَاكَهُ . ثُمَّ أَمَرَ بِإِدْخَالِهِ إِلَى ٱلْخِزَانَةِ وَصَبِّ تِلْكَ ٱلْخِلَعِ عَلَيْهِ

طُفَيْلِيٌّ وَمسافر

٢٥٩ صَحِبَ طُفَيْلِيٌّ رَجُلًا فِي سَفَرٍ . فَلَمَّا نَزَلُوا بِبَعْضِ ٱلْمَنَازِلِ قَالَ لَهُ ٱلرَّجُلُ: خُذْ دِرْهَمًا وَٱمْضِ ٱشْتَرِ لَنَا لَحْمًا . فَقَالَ لَهُ ٱلطُّفَيْلِيُّ: قُمْ أَنْتَ وَٱللهِ إِنِّي لَتَعِبٌ فَٱشْتَرِ أَنْتَ . فَمَضَى ٱلرَّجُلُ فَٱشْتَرَاهُ . ثُمَّ قَالَ لَهُ ٱلرَّجُلُ: قُمْ فَٱطْبُخْهُ . فَقَالَ: لَا أُحْسِنُ . فَقَامَ ٱلرَّجُلُ فَطَبَخَهُ . ثُمَّ قَالَ ٱلرَّجُلُ لِلطُّفَيْلِيِّ: قُمْ فَٱثْرُدْ . فَقَالَ: وَٱللهِ إِنِّي لَكَسْلَانُ . فَثَرَدَ ثُمَّ قَالَ لَهُ: قُمْ فَٱغْتَرِفْ . قَالَ: أَخْشَى أَنْ يَنْقَلِبَ عَلَى ثِيَابِي . فَغَرَفَ ٱلرَّجُلُ حَتَّى ٱرْتَوَى ٱلثَّرِيدُ . فَقَالَ لَهُ: قُمِ ٱلْآنَ فَكُلْ . قَالَ: نَعَمْ إِلَى مَتَى هٰذَا ٱلْخِلَافُ قَدْ وَٱللهِ ٱسْتَحْيَيْتُ مِنْ كَثْرَةِ خِلَافِكَ . وَتَقَدَّمَ فَأَكَلَ (للشريشي)

المهدي والاعرابي

٢٦٠ يُحْكَى أَنَّ ٱلْمَهْدِيَّ خَرَجَ يَتَصَيَّدُ . فَغَارَ بِهِ فَرَسُهُ حَتَّى دَخَلَ إِلَى خِبَاءِ أَعْرَابِيٍّ فَقَالَ: يَا أَعْرَابِيُّ هَلْ مِنْ قِرًى . قَالَ: نَعَمْ . فَأَخْرَجَ لَهُ قُرْصَ شَعِيرٍ فَأَكَلَهُ . ثُمَّ أَخْرَجَ لَهُ فَضْلَةً مِنْ لَبَنٍ

فَسَقَاهُ. ثُمَّ أَتَاهُ بِنَبِيذٍ فِي رَكْوَةٍ فَسَقَاهُ قَعْبًا. فَلَمَّا شَرِبَ قَالَ: يَا أَخَا الْعَرَبِ أَتَدْرِي مَنْ أَنَا. قَالَ: لَا وَاللهِ. قَالَ: أَنَا مِنْ خَدَمِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْخَاصَّةِ. قَالَ لَهُ: بَارَكَ اللهُ فِي مَوْضِعِكَ. ثُمَّ سَقَاهُ قَعْبًا آخَرَ فَشَرِبَهُ فَقَالَ: يَا أَعْرَابِيُّ أَتَدْرِي مَنْ أَنَا. قَالَ: زَعَمْتَ أَنَّكَ مِنْ خَدَمِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْخَاصَّةِ. قَالَ: لَا بَلْ أَنَا مِنْ قُوَّادِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ. قَالَ: رَحُبَتْ بِلَادُكَ وَطَابَ مُرَادُكَ. ثُمَّ سَقَاهُ ثَالِثًا فَلَمَّا فَرَغَ مِنْهُ قَالَ: يَا أَعْرَابِيُّ أَتَدْرِي مَنْ أَنَا. قَالَ: زَعَمْتَ أَنَّكَ مِنْ قُوَّادِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ. قَالَ: لَا وَلٰكِنِّي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ. فَأَخَذَ الْأَعْرَابِيُّ الرَّكْوَةَ وَأَوْكَاهَا وَقَالَ: وَاللهِ لَوْ شَرِبْتَ الرَّابِعَ لَادَّعَيْتَ أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ. فَضَحِكَ الْمَهْدِيُّ حَتَّى غُشِيَ عَلَيْهِ. وَأَحَاطَتْ بِهِ الْخَيْلُ وَنَزَلَتْ إِلَيْهِ الْمُلُوكُ وَالْأَشْرَافُ فَطَارَ قَلْبُ الْأَعْرَابِيِّ فَقَالَ لَهُ الْمَهْدِيُّ: لَا بَأْسَ عَلَيْكَ وَلَا خَوْفَ. ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِكُسْوَةٍ وَمَالٍ (للاتليدي)

ابو سلمة الطفيلي

٢٦١ كَانَ بِالْبَصْرَةِ طُفَيْلِيٌّ يُكَنَّى أَبَا سَلَمَةَ. وَكَانَ اذَا بَلَغَهُ خَبَرُ وَلِيمَةٍ لَبِسَ لُبْسَ الْقُضَاةِ وَأَخَذَ ابْنَيْهِ مَعَهُ وَعَلَيْهِمَا الْقَلَانِسُ الطِّوَالُ وَالطَّيَالِسَةُ. فَيَتَقَدَّمُ أَحَدُهُمَا فَيَدُقُّ الْبَابَ وَيَقُولُ: افْتَحْ يَا غُلَامُ لِأَبِي سَلَمَةَ. ثُمَّ لَا يَلْبَثُ حَتَّى يَلْحَقَهُ الْآخَرُ فَيَقُولُ: افْتَحْ وَيْلَكَ قَدْ جَاءَ أَبُو سَلَمَةَ. وَيَتْلُوهُمَا. فَإِنْ لَمْ يَعْرِفْهُمُ الْبَوَّابُ فَتَحَ لَهُمْ وَإِنْ عَرَفَهُمْ لَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهِمْ. وَمَعَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ فِهْرٌ مُدَوَّرٌ يُسَمُّونَهُ كَيْسَانَ.

فَيَنْتَظِرُونَ مَنْ دُعِيَ فَإِذَا جَاءَ وَفُتِحَ لَهُ طَرَحُوا ٱلْفِهْرَ فِي ٱلْعَتَبَةِ حَيْثُ يَدُورُ ٱلْبَابُ فَلَا يَقْدِرُونَ عَلَى إِغْلَاقِهِ فَيَهْجُمُونَ وَيَدْخُلُونَ . فَأَكَلَ أَبُو سَلَمَةَ يَوْمًا عَلَى بَعْضِ ٱلْمَوَائِدِ لُقْمَةً حَارَّةً مِنْ فَالُوذَجٍ وَبَلَعَهَا بِشِدَّةِ حَرَارَتِهَا . فَتَجَمَّعَتْ أَحْشَاؤُهُ فَمَاتَ عَلَى ٱلْمَائِدَةِ (للشريشي)

حكاية باقل

٢٦٢ أَلْعَرَبُ تَقُولُ : أَعْيَا مِنْ بَاقِلٍ . وَمِنْ عِيِّهِ أَنَّهُ ٱشْتَرَى ظَبْيًا فَحَمَلَهُ عَلَى عُنُقِهِ فَسُئِلَ عَنْ ثَمَنِهِ فَحَلَّ عَنْهُ يَدَيْهِ وَفَتَحَ أَصَابِعَهُ وَأَشَارَ بِهَا . وَأَخْرَجَ لِسَانَهُ يُرِيدُ أَنَّهُ بِأَحَدَ عَشَرَ دِرْهَمًا . فَهَرَبَ ٱلظَّبْيُ . وَلَمْ يُلْهَمْ أَنْ يُخْبِرَ عَنْ سَوْمِهِ بِلِسَانِهِ . وَلَمَّا عُيِّرَ بَاقِلٌ بِفِعْلِهِ قَالَ :

يَلُومُونَ فِي عِيِّهِ بَاقِلًا كَأَنَّ ٱلْحَمَاقَةَ لَمْ تُخْلَقِ
فَلَا تُكْثِرُوا ٱلْعَتْبَ فِي عِيِّهِ فَلَلْعِيُّ أَجْمَلُ بِٱلْأَمْوَقِ
خُرُوجُ ٱللِّسَانِ وَفَتْحُ ٱلْبَنَانِ أَخَفُّ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَنْطِقِ

اسحاق الموصلي وكلثوم العتّابي

٢٦٣ مِنْ طُرَفِ إِسْحَاقَ أَنَّ كُلْثُومًا ٱلْعَتَّابِيَّ كَانَ مِنَ ٱلْعِلْمِ وَغَزَارَةِ ٱلْأَدَبِ وَكَثْرَةِ ٱلْحِفْظِ وَٱلتَّرَسُّلِ وَٱلنَّظْمِ عَلَى مَا لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ أَحَدٌ . فَحَضَرَ مَجْلِسَ ٱلْمَأْمُونِ فَوَضَعَ بَيْنَ يَدَيْهِ أَلْفَ دِينَارٍ وَغَمَزَ إِسْحَاقَ بِٱلْعَبَثِ بِهِ . فَأَقْبَلَ إِسْحَاقُ يُعَارِضُهُ فِي كُلِّ بَابٍ وَيَزِيدُ عَلَيْهِ وَهُوَ لَا يَعْرِفُ إِسْحَاقَ . فَقَالَ : أَيَأْذَنُ أَمِيرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِي نِسْبَةِ هٰذَا ٱلرَّجُلِ

وَٱلسُّؤَالِ عَنِ ٱسْمِهِ . فَقَالَ : ٱفْعَلْ . فَقَالَ لَهُ ٱلْعَتَّابِيُّ : مَا ٱسْمُكَ وَمَنْ أَنْتَ . فَقَالَ : أَنَا مِنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْمِي كُلْ بَصَلْ . فَقَالَ لَهُ ٱلْعَتَّابِيُّ : أَمَّا ٱلنِّسْبَةُ فَمَعْرُوفَةٌ وَأَمَّا ٱلِٱسْمُ فَمُنْكَرٌ . فَقَالَ لَهُ إِسْحَاقُ : مَا أَقَلَّ إِنْصَافَكَ أَوَ مَا كُلْ ثُومْ مِنَ ٱلْأَسْمَاءِ . فَٱلْبَصَلُ أَطْيَبُ مِنَ ٱلثُّومِ . فَقَالَ لَهُ ٱلْعَتَّابِيُّ : قَاتَلَكَ ٱللّٰهُ مَا أَمْلَحَكَ . مَا رَأَيْتُ كَٱلرَّجُلِ حَلَاوَةً . أَيَأْذَنُ أَمِيرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِي صِلَتِهِ بِمَا وَصَلَنِي فَقَدْ وَٱللّٰهِ غَلَبَنِي . فَقَالَ ٱلْمَأْمُونُ : بَلْ ذٰلِكَ مَوْفُورٌ عَلَيْكَ . وَأَمَرَ لَهُ بِمِثْلِهِ . فَٱنْصَرَفَ إِسْحَاقُ إِلَى مَنْزِلِهِ وَنَادَمَهُ ٱلْعَتَّابِيُّ بَقِيَّةَ يَوْمِهِ (الاغاني)

٢٦٤ ذَكَرَ أَحْمَدُ بْنُ دَلِيلٍ : مَرَرْتُ بِمُعَلِّمٍ يَضْرِبُ صَبِيًّا وَيَقُولُ : وَٱللّٰهِ لَأَضْرِبَنَّكَ حَتَّى تَقُولَ لِي مَنْ حَفَرَ ٱلْبَحْرَ . فَقَالَ : أَعَزَّكَ ٱللّٰهُ وَٱللّٰهِ لَا أَدْرِي أَنَا مَنْ حَفَرَ ٱلْبَحْرَ فَقُلْ لِي حَتَّى أَتَعَلَّمَ أَنَا . فَقَالَ : حَفَرَ ٱلْبَحْرَ كُرْدَمُ أَبُو آدَمَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ (للشريشي)

جعفر والرشيد

٢٦٥ حُكِيَ أَنَّ ٱلرَّشِيدَ أَرِقَ ذَاتَ لَيْلَةٍ أَرَقًا شَدِيدًا . فَٱسْتَدْعَى جَعْفَرًا وَقَالَ : أُرِيدُ مِنْكَ أَنْ تُزِيلَ مَا بِقَلْبِي مِنَ ٱلضَّجَرِ . فَقَالَ ٱلْوَزِيرُ : يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ كَيْفَ يَكُونُ عَلَى قَلْبِكَ ضَجَرٌ وَقَدْ خَلَقَ ٱللّٰهُ أَشْيَاءَ كَثِيرَةً تُزِيلُ ٱلْهَمَّ عَنِ ٱلْمَهْمُومِ وَٱلْغَمَّ عَنِ ٱلْمَغْمُومِ وَأَنْتَ قَادِرٌ عَلَيْهَا . فَقَالَ ٱلرَّشِيدُ : وَمَا هِيَ يَا جَعْفَرُ . فَقَالَ لَهُ : قُمْ بِنَا ٱلْآنَ حَتَّى نَطْلَعَ إِلَى فَوْقِ سَطْحِ هٰذَا ٱلْقَصْرِ فَنَتَفَرَّجَ عَلَى ٱلنُّجُومِ وَٱشْتِبَاكِهَا

وَٱرْتِفَاعِهَا وَٱلْقَمَرِ وَحُسْنِ طَلْعَتِهِ . فَقَالَ ٱلرَّشِيدُ : يَا جَعْفَرُ مَا تَهُمُّ نَفْسِي إِلَى شَيْءٍ مِنْ ذٰلِكَ . فَقَالَ : يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱفْتَحْ شُبَّاكَ ٱلْقَصْرِ ٱلَّذِي يُطِلُّ عَلَى ٱلْبُسْتَانِ وَتَفَرَّجْ عَلَى حُسْنِ تِلْكَ ٱلْأَشْجَارِ . وَٱسْمَعْ صَوْتَ تَغْرِيدِ ٱلْأَطْيَارِ . وَٱنْظُرْ إِلَى هَدِيرِ ٱلْأَنْهَارِ . وَشَمَّ رَوَائِحَ تِلْكَ ٱلْأَزْهَارِ . فَقَالَ : يَا جَعْفَرُ مَا تَهُمُّ نَفْسِي إِلَى شَيْءٍ مِنْ ذٰلِكَ . فَقَالَ يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ : ٱفْتَحِ ٱلشُّبَّاكَ ٱلَّذِي يُطِلُّ عَلَى دِجْلَةَ حَتَّى تَتَفَرَّجَ عَلَى تِلْكَ ٱلْمَرَاكِبِ وَٱلْمَلَّاحِينَ . فَهٰذَا يُصَفِّقُ وَهٰذَا يُنْشِدُ مَوَالِيَ . فَقَالَ ٱلرَّشِيدُ : مَا تَهُمُّ نَفْسِي إِلَى شَيْءٍ مِنْ ذٰلِكَ . قَالَ جَعْفَرٌ : قُمْ يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ حَتَّى تَنْزِلَ إِلَى ٱلْإِصْطَبْلِ ٱلْخَاصِّ وَتَنْظُرَ إِلَى ٱلْخَيْلِ ٱلْعَرَبِيَّاتِ . وَتَتَفَرَّجَ عَلَى حُسْنِ أَلْوَانِهَا مَا بَيْنَ أَدْهَمَ كَٱللَّيْلِ إِذَا أَظْلَمَ وَأَشْقَرَ وَأَشْهَبَ وَكُمَيْتٍ وَأَحْمَرَ وَأَبْيَضَ وَأَخْضَرَ . وَأَبْلَقَ وَأَصْفَرَ وَأَلْوَانٍ تُحَيِّرُ ٱلْعُقُولَ . فَقَالَ ٱلرَّشِيدُ : مَا تَهُمُّ نَفْسِي إِلَى شَيْءٍ مِنْ ذٰلِكَ . فَقَالَ جَعْفَرٌ : يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَا بَقِيَ إِلَّا ضَرْبُ عُنُقِ مَمْلُوكِكَ جَعْفَرٍ فَإِنِّي وَٱللهِ قَدْ عَجَزْتُ عَنْ إِزَالَةِ هَمِّ مَوْلَانَا . فَضَحِكَ ٱلرَّشِيدُ وَطَابَتْ نَفْسُهُ وَزَالَ عَنْهُ كَرْبُهُ (للاتليدي)

الشيخ المحتال والمرأة .

٢٦٦ حُكِيَ أَنَّ بَعْضَ ٱلْمُجَاوِرِينَ كَانَ لَا يَعْرِفُ ٱلْخَطَّ وَلَا ٱلْقِرَاءَةَ . وَإِنَّمَا كَانَ يَحْتَالُ عَلَى ٱلنَّاسِ بِحِيَلٍ يَأْكُلُ مِنْهَا ٱلْخُبْزَ . فَخَطَرَ بِبَالِهِ يَوْمًا مِنَ ٱلْأَيَّامِ أَنْ يَفْتَحَ لَهُ مَكْتَبًا . وَيُقْرِئَ فِيهِ ٱلصِّبْيَانَ فَجَمَعَ أَلْوَاحًا

وَأَوْرَاقًا مَكْتُوبَةً وَعَلَّقَهَا فِي مَكَانٍ وَكَبَّرَ عِمَامَتَهُ وَجَلَسَ عَلَى بَابِ الْمَكْتَبِ . فَصَارَ النَّاسُ يَمُرُّونَ عَلَيْهِ وَيَنْظُرُونَ إِلَى عِمَامَتِهِ وَإِلَى الْأَلْوَاحِ وَالْأَوْرَاقِ فَيَظُنُّونَ أَنَّهُ فَقِيهٌ جَيِّدٌ فَيَأْتُونَ إِلَيْهِ بِأَوْلَادِهِمْ . فَصَارَ يَقُولُ لِهَذَا : اُكْتُبْ . وَلِهَذَا : اِقْرَأْ . فَصَارَ الْأَوْلَادُ يُعَلِّمُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا . فَبَيْنَمَا هُوَ ذَاتَ يَوْمٍ جَالِسٌ فِي بَابِ الْمَكْتَبِ عَلَى عَادَتِهِ وَإِذَا بِامْرَأَةٍ مُقْبِلَةٍ مِنْ بَعِيدٍ وَبِيَدِهَا مَكْتُوبٌ . فَقَالَ فِي بَالِهِ : لَا بُدَّ أَنَّ هَذِهِ الْمَرْأَةَ تَقْصِدُنِي لِأَقْرَأَ لَهَا الْمَكْتُوبَ الَّذِي مَعَهَا فَكَيْفَ يَكُونُ عَمَلِي مَعَهَا وَأَنَا لَا أَعْرِفُ قِرَاءَةَ الْخَطِّ . وَهَمَّ بِالنُّزُولِ لِيَهْرُبَ مِنْهَا . فَلَحِقَتْهُ قَبْلَ أَنْ يَنْزِلَ وَقَالَتْ لَهُ : إِلَى أَيْنَ . فَقَالَ لَهَا : أُرِيدُ أَنْ أُصَلِّيَ الظُّهْرَ وَأَعُودَ . فَقَالَتْ لَهُ : الظُّهْرُ بَعِيدٌ فَاقْرَأْ لِي هَذَا الْكِتَابَ . فَأَخَذَهُ مِنْهَا وَجَعَلَ أَعْلَاهُ أَسْفَلَهُ وَصَارَ يَنْظُرُ إِلَيْهِ وَيَهُزُّ عِمَامَتَهُ تَارَةً وَيُرَقِّصُ حَوَاجِبَهُ تَارَةً أُخْرَى وَيُظْهِرُ غَيْظًا . وَكَانَ زَوْجُ الْمَرْأَةِ غَائِبًا وَالْكِتَابُ مُرْسَلٌ إِلَيْهَا مِنْ عِنْدِهِ . فَلَمَّا رَأَتِ الْفَقِيهَ عَلَى تِلْكَ الْحَالَةِ قَالَتْ فِي نَفْسِهَا : لَا شَكَّ أَنَّ زَوْجِي مَاتَ وَهَذَا الْفَقِيهُ يَسْتَحِي أَنْ يَقُولَ لِي إِنَّهُ مَاتَ . فَقَالَتْ لَهُ : يَا سَيِّدِي إِنْ كَانَ مَاتَ فَقُلْ لِي . فَهَزَّ رَأْسَهُ وَسَكَتَ . فَقَالَتْ لَهُ الْمَرْأَةُ : هَلْ أَشُقُّ ثِيَابِي . فَقَالَ لَهَا : شُقِّي . فَقَالَتْ لَهُ : هَلْ أَلْطِمُ وَجْهِي . فَقَالَ لَهَا : الْطِمِي . فَأَخَذَتِ الْكِتَابَ مِنْ يَدِهِ وَعَادَتْ إِلَى مَنْزِلِهَا وَصَارَتْ تَبْكِي هِيَ وَأَوْلَادُهَا . فَسَمِعَ بَعْضُ جِيرَانِهَا الْبُكَاءَ فَسَأَلُوا عَنْ حَالِهَا فَقِيلَ لَهُمْ : إِنَّهُ جَاءَهَا

كِتَابٌ بِمَوْتِ زَوْجِهَا . فَقَالَ رَجُلٌ : إِنَّ هٰذَا كَلَامُ كَذِبٍ لِأَنَّ زَوْجَهَا أَرْسَلَ لِي مَكْتُوبًا بِالْأَمْسِ يُخْبِرُ فِيهِ أَنَّهُ طَيِّبٌ بِخَيْرٍ وَعَافِيَةٍ وَأَنَّهُ بَعْدَ عَشَرَةِ أَيَّامٍ يَكُونُ عِنْدَهَا . فَقَامَ مِنْ سَاعَتِهِ وَجَاءَ إِلَى ٱلْمَرْأَةِ وَقَالَ لَهَا : أَيْنَ ٱلْكِتَابُ ٱلَّذِي جَاءَكِ فَجَاءَتْ بِهِ إِلَيْهِ . فَأَخَذَهُ مِنْهَا وَقَرَأَهُ وَإِذَا فِيهِ : أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي طَيِّبٌ بِخَيْرٍ وَعَافِيَةٍ وَبَعْدَ عَشَرَةِ أَيَّامٍ أَكُونُ عِنْدَكُمْ وَقَدْ أَرْسَلْتُ إِلَيْكُمْ مِلْحَفَةً وَمِرْطًا . فَأَخَذَتِ ٱلْكِتَابَ وَعَادَتْ بِهِ إِلَى ٱلْفَقِيهِ وَقَالَتْ لَهُ : مَا حَمَلَكَ عَلَى ٱلَّذِي فَعَلْتَهُ مَعِي . وَأَخْبَرَتْهُ بِمَا قَالَ جَارُهَا مِنْ سَلَامَةِ زَوْجِهَا وَإِنَّهُ أَرْسَلَ إِلَيْهَا مِلْحَفَةً وَمِرْطًا . فَقَالَ لَهَا : صَدَقْتِ وَلٰكِنْ يَا حُرْمَةُ أَعْذِرِينِي فَإِنِّي كُنْتُ فِي تِلْكَ ٱلسَّاعَةِ مُغْتَاظًا مَشْغُولَ ٱلْخَاطِرِ وَرَأَيْتُ ٱلْمِرْطَ مَلْفُوفًا فِي ٱلْمِلْحَفَةِ فَظَنَنْتُ أَنَّهُ مَاتَ وَكَفَّنُوهُ . وَكَانَتِ ٱلْمَرْأَةُ لَا تَعْرِفُ ٱلْحِيلَةَ فَقَالَتْ لَهُ : أَنْتَ مَعْذُورٌ . وَأَخَذَتِ ٱلْكِتَابَ وَٱنْصَرَفَتْ عَنْهُ

المُغَفَّل والشاطر

٢٦٧ إِنَّ بَعْضَ ٱلْمُغَفَّلِينَ كَانَ سَائِرًا وَبِيَدِهِ مِقْوَدُ حِمَارِهِ وَهُوَ يَجُرُّهُ خَلْفَهُ . فَنَظَرَهُ رَجُلَانِ مِنَ ٱلشُّطَّارِ فَقَالَ وَاحِدٌ مِنْهُمَا لِصَاحِبِهِ : أَنَا آخُذُ هٰذَا ٱلْحِمَارَ مِنْ هٰذَا ٱلرَّجُلِ . فَقَالَ لَهُ : كَيْفَ تَأْخُذُهُ . فَقَالَ لَهُ : ٱتْبَعْنِي وَأَنَا أُرِيكَ . فَتَبِعَهُ . فَتَقَدَّمَ ذٰلِكَ ٱلشَّاطِرُ إِلَى ٱلْحِمَارِ وَفَكَّ مِنْهُ ٱلْمِقْوَدَ وَأَعْطَاهُ لِصَاحِبِهِ وَجَعَلَ ٱلْمِقْوَدَ فِي رَأْسِهِ . وَمَشَى خَلْفَ ٱلْمُغَفَّلِ حَتَّى عَلِمَ أَنَّ صَاحِبَهُ ذَهَبَ بِٱلْحِمَارِ ثُمَّ وَقَفَ فَجَرَّهُ ٱلْمُغَفَّلُ

بِالْمِقْوَدِ فَلَمْ يَمْشِ. فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ فَرَأَى الْمِقْوَدَ فِي رَأْسِ رَجُلٍ. فَقَالَ لَهُ: أَيُّ شَيْءٍ أَنْتَ. فَقَالَ لَهُ: أَنَا حِمَارُكَ وَلِي حَدِيثٌ عَجِيبٌ. وَهُوَ أَنَّهُ كَانَ لِي وَالِدَةٌ عَجُوزٌ صَالِحَةٌ جِئْتُ إِلَيْهَا فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ وَأَنَا سَكْرَانُ فَقَالَتْ لِي: يَاوَلَدِي تُبْ إِلَى اللهِ تَعَالَى مِنْ هٰذِهِ الْمَعَاصِي. فَأَخَذْتُ الْعَصَا وَضَرَبْتُهَا بِهَا فَدَعَتْ عَلَيَّ فَمَسَخَنِي اللهُ تَعَالَى حِمَارًا وَأَوْقَعَنِي فِي يَدِكَ. فَمَكَثْتُ عِنْدَكَ هٰذَا الزَّمَانَ كُلَّهُ فَلَمَّا كَانَ هٰذَا الْيَوْمُ تَذَكَّرَتْنِي أُمِّي وَحَنَّ قَلْبُهَا عَلَيَّ فَدَعَتْ لِي فَأَعَادَنِي اللهُ آدَمِيًّا كَمَا كُنْتُ. فَقَالَ الرَّجُلُ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ الْعَظِيمِ. بِاللهِ عَلَيْكَ يَا أَخِي أَنْ تَجْعَلَنِي فِي حِلٍّ مِمَّا فَعَلْتُ بِكَ مِنَ الرُّكُوبِ وَغَيْرِهِ. ثُمَّ خَلَّى سَبِيلَهُ فَمَضَى وَرَجَعَ صَاحِبُ الْحِمَارِ إِلَى دَارِهِ وَهُوَ سَكْرَانُ مِنَ الْهَمِّ وَالْغَمِّ فَقَالَتْ لَهُ زَوْجَتُهُ: مَا الَّذِي دَهَاكَ وَأَيْنَ الْحِمَارُ. فَقَالَ لَهَا: أَنْتِ مَا عِنْدَكِ خَبَرٌ بِأَمْرِ الْحِمَارِ فَأَنَا أُخْبِرُكِ بِهِ. ثُمَّ حَكَى لَهَا الْحِكَايَةَ. فَقَالَتْ: يَا وَيْلَتَنَا مِنَ اللهِ تَعَالَى كَيْفَ مَضَى لَنَا هٰذَا الزَّمَانُ كُلُّهُ وَنَحْنُ نَسْتَخْدِمُ ابْنَ آدَمَ. ثُمَّ تَصَدَّقَتْ وَاسْتَغْفَرَتْ وَجَلَسَ الرَّجُلُ فِي الدَّارِ مُدَّةً مِنْ غَيْرِ شُغْلٍ. فَقَالَتْ لَهُ زَوْجَتُهُ: إِلَى مَتَى هٰذَا الْقُعُودُ فِي الْبَيْتِ مِنْ غَيْرِ شُغْلٍ امْضِ إِلَى السُّوقِ وَاشْتَرِ حِمَارًا وَاشْتَغِلْ عَلَيْهِ. فَمَضَى إِلَى السُّوقِ وَوَقَفَ يَنْظُرُ إِلَى الْحَمِيرِ فَإِذَا هُوَ بِحِمَارِهِ يُبَاعُ. فَلَمَّا عَرَفَهُ تَقَدَّمَ إِلَيْهِ وَوَضَعَ فَمَهُ عَلَى أُذُنِهِ وَقَالَ لَهُ: وَيْلَكَ يَا مَشْؤُومُ أَلَعَلَّكَ رَجَعْتَ إِلَى السُّكْرِ وَضَرَبْتَ أُمَّكَ. وَاللهِ لَنْ أَشْتَرِيَكَ أَبَدًا (الف ليلة وليلة)

أَلْبَابُ ٱلثَّامِنُ

فِي ٱلنَّوَادِرِ

٢٦٨ كَانَ عُمَرُ يَقُولُ : لَوْ كُنْتُ تَاجِرًا لَمَا ٱخْتَرْتُ عَلَى ٱلْعِطْرِ . فَإِنْ فَاتَنِي رِبْحُهُ لَمْ يَفُتْنِي رِيحُهُ (من لطائف الصحابة)

٢٦٩ قِيلَ : فِي ٱلتُّفَّاحَةِ ٱلصُّفْرَةُ ٱلدُّرِّيَّةُ . وَٱلْحُمْرَةُ ٱلذَّهَبِيَّةُ . وَبَيَاضُ ٱلْفِضَّةِ . وَنُورُ ٱلْقَمَرِ . يَلْتَذُّ بِهَا مِنَ ٱلْحَوَاسِّ ثَلَاثٌ : ٱلْعَيْنُ بِلَوْنِهَا . وَٱلْأَنْفُ بِعَرْفِهَا . وَٱلْفَمُ بِطَعْمِهَا (للمستعصمي)

قوّة المستعصم

٢٧٠ كَانَ ٱلْخَلِيفَةُ ٱلْمُسْتَعْصِمُ بَطَلًا شُجَاعًا وَفَارِسًا صِنْدِيدًا . لَمْ يَكُنْ فِي بَنِي ٱلْعَبَّاسِ أَشْجَعُ مِنْهُ وَلَا أَشَدُّ قَلْبًا . قَالَ ٱبْنُ أَبِي دُؤَادَ : كَانَ ٱلْمُسْتَعْصِمُ يَقُولُ لِي : يَا أَبَا عَبْدِ ٱللهِ عَضَّ عَلَى سَاعِدِي بِأَكْثَرِ قُوَّتِكَ . فَأَقُولُ : وَٱللهِ يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَا تَطِيبُ نَفْسِي بِذٰلِكَ . فَيَقُولُ : مَا يَضُرُّنِي فَأَرُومُ ذٰلِكَ . فَإِذَا هُوَ لَا تَعْمَلُ فِيهِ ٱلْأَسِنَّةُ فَكَيْفَ تَعْمَلُ فِيهِ ٱلْأَسْنَانُ . وَيُقَالُ إِنَّهُ طَعَنَهُ بَعْضُ ٱلْخَوَارِجِ وَعَلَيْهِ دِرْعٌ . فَأَقَامَ ٱلْمُسْتَعْصِمُ ظَهْرَهُ . فَقَصَمَ ٱلرُّمْحَ نِصْفَيْنِ . وَكَانَ يَشُدُّ يَدَهُ عَلَى كِتَابَةِ ٱلدِّينَارِ فَيَمْحُوهَا . وَيَأْخُذُ عَمُودَ ٱلْحَدِيدِ فَيَلْوِيهِ حَتَّى يَصِيرَ طَوْقًا فِي ٱلْعُنُقِ (للابشيهي)

٢٧١ ذُكِرَ أَنَّ أَهْلَ أَصْفَهَانَ مَوْصُوفُونَ بِالشُّحِّ. نُقِلَ عَنْ رَجُلٍ أَنَّهُ تَصَدَّقَ بِرَغِيفٍ عَلَى ضَرِيرٍ بِأَصْفَهَانَ فَقَالَ الضَّرِيرُ : أَحْسَنَ اللهُ غُرْبَتَكَ . فَقَالَ الرَّجُلُ : كَيْفَ عَرَفْتَ غُرْبَتِي . قَالَ : لِأَنِّي مُنْذُ ثَلَاثِينَ سَنَةً مَا أَعْطَانِي أَحَدٌ رَغِيفًا صَحِيحًا (للقزويني)

المعتصم والحمار

٢٧٢ حُكِيَ أَنَّ الْمُعْتَصِمَ بَيْنَمَا هُوَ يَسِيرُ وَحْدَهُ وَقَدِ انْقَطَعَ عَنْ أَصْحَابِهِ فِي يَوْمِ مَطَرٍ إِذْ رَأَى شَيْخًا مَعَهُ حِمَارٌ عَلَيْهِ شَوْكٌ وَقَدْ زَلِقَ الْحِمَارُ وَسَقَطَ فِي الْأَرْضِ وَالشَّيْخُ قَائِمٌ . فَنَزَلَ عَنْ دَابَّتِهِ لِيُخَلِّصَ الْحِمَارَ . فَقَالَ لَهُ الشَّيْخُ : بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي لَا تَهْلِكْ ثِيَابَكَ . فَقَالَ لَهُ : لَا عَلَيْكَ . ثُمَّ إِنَّهُ خَلَّصَ الْحِمَارَ وَجَعَلَ الشَّوْكَ عَلَيْهِ وَغَسَلَ يَدَهُ ثُمَّ رَكِبَ . فَقَالَ لَهُ الشَّيْخُ : غَفَرَ اللهُ لَكَ يَا شَابُّ . ثُمَّ لَحِقَهُ أَصْحَابُهُ فَأَمَرَ لَهُ بِأَرْبَعَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ . وَهٰذَا دَلِيلٌ عَلَى غَايَةِ مَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ مِنْ طِيبِ أَعْرَاقِ الْمُلُوكِ وَسَعَةِ أَخْلَاقِهِمْ (لابي الفرج الملطي)

السلطان وناصر الدولة

٢٧٣ أَخْبَرَنِي أَبُو الْفَضْلِ الْمُعْتَزُّ بِمِصْرَ قَالَ : كَانَ بِمِصْرَ مُلُوكُ آلِ حَمْدَانَ . وَكَانَ الرَّئِيسُ نَاصِرَ الدَّوْلَةِ . وَكَانَ يَشْكُو دُمَّلَةً فَأَعْيَا الْأَطِبَّاءَ وَلَمْ يَجِدْ لَهُ شِفَاءً . ثُمَّ إِنَّ السُّلْطَانَ دَسَّ عَلَى قَتْلِهِ فَأَرْصَدَ لَهُ رَجُلًا مَعَهُ خَنْجَرٌ . فَلَمَّا جَاءَ فِي بَعْضِ دَهَالِيزِ الْقَصْرِ وَثَبَ عَلَيْهِ الرَّجُلُ وَضَرَبَهُ بِالْخَنْجَرِ . فَجَاءَتِ الضَّرْبَةُ أَسْفَلَ مِنْ خَاصِرَتِهِ فَأَصَابَ

طَرَفُ ٱلْخَنْجَرِ ٱلدُّمَّلَةَ . فَخَرَجَ مَا فِيهَا مِنَ ٱلْخِلْطِ ثُمَّ عَافَاهُ ٱللّٰهُ تَعَالَى وَصَحَّ وَبَرِئَ كَأَحْسَنِ مَا كَانَ (للطرطوشي)

المعتصم والطبيب سلمويه

٢٧٤ حَكَى حُنَيْنٌ قَالَ : إِنَّ سَلْمَوَيْهِ ٱلنَّصْرَانِيَّ كَانَ عَالِمًا بِصِنَاعَةِ ٱلطِّبِّ فَاضِلًا فِي وَقْتِهِ . وَلَمَّا مَرِضَ عَادَهُ ٱلْمُعْتَصِمُ وَبَكَى عِنْدَهُ وَقَالَ لَهُ : أَشِرْ عَلَيَّ بَعْدَكَ بِمَنْ يُصْلِحُنِي . فَقَالَ : عَلَيْكَ بِهٰذَا ٱلْفُضُولِيِّ يُوحَنَّا ٱبْنِ مَاسَوَيْهِ وَإِذَا وَصَفَ شَيْئًا فَخُذْهُ . وَلَمَّا مَاتَ سَلْمَوَيْهِ قَالَ ٱلْمُعْتَصِمُ : سَأَلْحَقُ بِهِ لِأَنَّهُ كَانَ يُمْسِكُ حَيَاتِي وَيُدَبِّرُ جِسْمِي . وَٱمْتَنَعَ عَنِ ٱلْأَكْلِ فِي ذٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَأَمَرَ بِإِحْضَارِ جِنَازَتِهِ إِلَى ٱلدَّارِ . وَأَنْ يُصَلَّى عَلَيْهَا بِٱلشَّمَعِ وَٱلْبَخُورِ عَلَى رَأْيِ ٱلنَّصَارَى فَفُعِلَ ذٰلِكَ وَهُوَ يَرَاهُمْ (لابي الفرج)

البخيل والدينار

٢٧٥ كَانَ بَعْضُ ٱلْبُخَلَاءِ إِذَا وَقَعَ ٱلدِّرْهَمُ فِي يَدِهِ يُخَاطِبُهُ وَيَقُولُ لَهُ : أَنْتَ عَقْلِي وَدِينِي . وَصَلَاتِي وَصِيَامِي . وَجَامِعُ شَمْلِي وَقُرَّةُ عَيْنِي . وَأُنْسِي وَقُوَّتِي . وَعُدَّتِي وَعِمَادِي . ثُمَّ يَقُولُ لَهُ :

أَهْلًا وَسَهْلًا بِكَ مِنْ زَائِرٍ كُنْتُ إِلَى وَجْهِكَ مُشْتَاقَا

ثُمَّ يَقُولُ : يَا نُورَ عَيْنِي وَحَبِيبَ قَلْبِي . قَدْ صِرْتَ إِلَى مَنْ يَصُونُكَ . وَيَعْرِفُ قَدْرَكَ . وَيُعَظِّمُ حَقَّكَ . وَيَرْعَى قِيمَتَكَ . وَيُشْفِقُ عَلَيْكَ . وَكَيْفَ لَا تَكُونُ كَذٰلِكَ وَأَنْتَ تُعَظِّمُ ٱلْأَقْدَارَ . وَتُعَمِّرُ ٱلدِّيَارَ . وَتَسْمُو عَلَى ٱلْأَشْرَافِ . وَتَرْفَعُ ٱلذِّكْرَ . وَتُعْلِي ٱلْقَدْرَ . وَتُؤْنِسُ مِنَ

ٱلْوَحْشَةِ. ثُمَّ يَطْرَحُهُ فِي ٱلْكِيسِ وَيَقُولُ:

بِنَفْسِي مَحْجُوبٌ عَنِ ٱلْعَيْنِ شَخْصُهُ وَمَنْ لَيْسَ يَخْلُو مِنْ لِسَانِي وَلَا قَلْبِي

فَٱنْظُرْ يَا عَاقِلُ إِلَى هٰذِهِ ٱلْخَسَاسَةِ (للشريشي)

ذكر وفاة سليمان بن عبد الملك

٢٧٦ كَانَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ ٱلْمَلِكِ كَثِيرَ ٱلْأَكْلِ. حَجَّ مَرَّةً وَكَانَ ٱلْحَرُّ فِي ٱلْحِجَازِ إِذْ ذَاكَ شَدِيدًا فَتَوَجَّهَ إِلَى ٱلطَّائِفِ طَلَبًا لِلْبُرُودَةِ. وَأُتِيَ بِرُمَّانٍ فَأَكَلَ سَبْعِينَ رُمَّانَةً. ثُمَّ أُتِيَ بِجَدْيٍ وَسِتِّ دَجَاجَاتٍ فَأَكَلَهَا. ثُمَّ أُتِيَ بِزَبِيبٍ مِنْ زَبِيبِ ٱلطَّائِفِ فَأَكَلَ مِنْهُ كَثِيرًا. وَنَعَسَ فَنَامَ ثُمَّ ٱنْتَبَهَ. فَأَتَوْهُ بِٱلْغَدَاءِ فَأَكَلَ عَلَى عَادَتِهِ. وَقِيلَ: كَانَ سَبَبُ مَوْتِهِ أَنَّهُ أَتَاهُ نَصْرَانِيٌّ وَهُوَ نَازِلٌ عَلَى دَابِقٍ بِزِنْبِيلَيْنِ مَمْلُوءَيْنِ تِينًا وَبَيْضًا. فَأَمَرَ مَنْ يُقَشِّرُ لَهُ ٱلْبَيْضَ وَجَعَلَ يَأْكُلُ بَيْضَةً وَتِينَةً حَتَّى أَتَى عَلَى ٱلزِّنْبِيلَيْنِ. ثُمَّ أَتَوْهُ بِمُخٍّ وَسُكَّرٍ فَأَكَلَهُ. فَٱتَّخَمَ وَمَرِضَ وَمَاتَ (لابي الفداء)

طباع الهنود

٢٧٧ إِنَّ أَهْلَ ٱلْهِنْدِ يَعِيبُونَ ٱلْمَلَاهِيَ وَلَا يَتَّخِذُونَهَا. وَلَا يَشْرَبُونَ ٱلشَّرَابَ وَلَا يَتَنَاوَلُونَ ٱلْخَلَّ لِأَنَّهُ مِنَ ٱلشَّرَابِ وَلَيْسَ ذٰلِكَ دِينًا وَلٰكِنْ أَنَفَةً. وَيَقُولُونَ أَيُّ مَلِكٍ شَرِبَ ٱلشَّرَابَ فَلَيْسَ بِمَلِكٍ. وَذٰلِكَ أَنَّ حَوْلَهُمْ مُلُوكًا يُقَاتِلُونَهُمْ فَيَقُولُونَ كَيْفَ يُدَبِّرُ أَمْرَ مُلْكِهِ مَنْ هُوَ سَكْرَانُ

ملبوس ملوك الهند

٢٧٨ إنَّ مُلُوكَ ٱلْهِنْدِ تَلْبَسُ فِي آذَانِهِم ٱلْأَقْرَاطَ مِنَ ٱلْجَوْهَرِ ٱلنَّفِيسِ ٱلْمُرَكَّبِ فِي ٱلذَّهَبِ. وَتَضَعُ فِي أَعْنَاقِهِم ٱلْقَلَائِدَ ٱلنَّفِيسَةَ ٱلْمُشْتَمِلَةَ عَلَى فَاخِرِ ٱلْجَوْهَرِ ٱلْأَحْمَرِ وَٱلْأَخْضَرِ وَٱللُّؤْلُؤِ مِمَّا يَعْظُمُ قِيمَتُهُ. وَهِيَ ٱلْيَوْمَ كُنُوزُهُمْ وَذَخَائِرُهُم وَتَلْبَسُهُ قُوَّادُهُم وَوُجُوهُهُم. وَٱلرَّئِيسُ مِنْهُم يَرْكَبُ عَلَى عُنُقِ رَجُلٍ مِنْهُمْ وَفِي يَدِهِ شَيْءٌ يُعْرَفُ بِٱلْجَتْرَةِ وَهِيَ مِظَلَّةٌ مِنْ رِيشِ ٱلطَّوَاوِيسِ يَأْخُذُهَا بِيَدِهِ فَيَتَّقِي بِهَا ٱلشَّمْسَ وَأَصْحَابُهُ مُحْدِقُونَ بِهِ (سلسلة التواريخ)

ذكر عمود السواري في الاسكندرية

٢٧٩ مِنْ غَرَائِبِ مَدِينَةِ ٱلْإِسْكَنْدَرِيَّةِ عَمُودُ ٱلرُّخَامِ ٱلْهَائِلُ ٱلَّذِي بِخَارِجِهَا ٱلْمُسَمَّى عِنْدَهُمْ بِعَمُودِ ٱلسَّوَارِي. وَهُوَ مُتَوَسِّطٌ فِي غَابَةِ نَخْلٍ وَقَدِ ٱمْتَازَ عَنْ شَجَرَاتِهَا سُمُوًّا وَٱرْتِفَاعًا. وَهُوَ قِطْعَةٌ وَاحِدَةٌ مُحْكَمَةُ ٱلنَّحْتِ قَدْ أُقِيمَ عَلَى قَوَاعِدِ حِجَارَةٍ مُرَبَّعَةٍ أَمْثَالِ ٱلدَّكَاكِينِ ٱلْعَظِيمَةِ. وَلَا تُعْرَفُ كَيْفِيَّةُ وَضْعِهِ هُنَالِكَ وَلَا يُتَحَقَّقُ مَنْ وَضَعَهُ (لابن بطوطة)

سبب موت الوليد بن عبد الملك

٢٨٠ وَقَعَ بَيْنَ ٱلْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ ٱلْمَلِكِ وَ(بَيْنَ) أَخِيهِ سُلَيْمَانَ كَلَامٌ. فَعَجَّلَ عَلَيْهِ سُلَيْمَانُ بِأَمْرٍ يَلْحَقُ أُمَّهُ. فَفَتَحَ فَاهُ لِيُجِيبَهُ. وَإِذَا بِجَنْبِهِ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ ٱلْعَزِيزِ فَأَمْسَكَ عَلَى فِيهِ وَرَدَّ كَلِمَتَهُ وَقَالَ: يَا ٱبْنَ عَبْدِ ٱلْمَلِكِ. أَخُوكَ وَٱبْنُ أُمِّكَ وَلَهُ ٱلسَّبْقُ عَلَيْكَ. فَقَالَ:

يا أبا حفص قتلتني . قال : وما صنعت بك . قال : رددت في صدري أحر من الجمر . ومال لجنبه فمات (للطرطوشي)

دير سمعان

٢٨١ دير سمعان بناحية دمشق في موضع نزه محدقة به البساتين والدور والقصور . وكان فيه حبيس مشهور منقطع عن الخلق جداً . وكان يخرج رأسه من كوة في كل سنة يوماً معلوماً فكل من وقع عليه بصره من المرضى والزمنى عوفي . فسمع به إبرهيم ابن أدهم فذهب إليه حتى يشاهد ذلك . قال : رأيت عند الدير خلقاً كثيراً من الواقفين حذاء تلك الكوة يترقبون خروج رأس الحبيس . فلما كان ذلك اليوم أخرج رأسه ونظر إليهم يميناً وشمالاً . فكل من وقع نظره عليه قام سليماً معافى (للقزويني)

ذكر موتى أهل الصين

٢٨٢ إذا مات رجل من أهل الصين لم يدفن إلا في اليوم الذي مات في مثله من قابل . يجعلونه في تابوت ويخلونه في منازلهم ويجعلون عليه النورة . وأما الملوك فيجعلونهم في الصبر والكافور سنين . ومن لم يبك ضرب بالخشب كذلك النساء والرجال (سلسلة التواريخ)

محمد بن مروان وملك النوبة

٢٨٣ ذكر محمد بن مروان للمهدي قال : لما شتت شمل بني

مَرْوَانَ وَقَفْتُ أَنَا بِأَرْضِ ٱلنُّوبَةِ . فَأَحْبَبْتُ أَنْ يُمَكِّنَنِي مَلِكُهُمْ مِنَ ٱلْمُقَامِ عِنْدَهُ زَمَانًا . فَجَاءَنِي زَائِرًا وَهُوَ رَجُلٌ طَوِيلٌ أَسْوَدُ ٱللَّوْنِ . فَخَرَجْتُ إِلَيْهِ مِنْ قُبَّتِي وَسَأَلْتُهُ أَنْ يَدْخُلَهَا . فَأَبَى أَنْ يَجْلِسَ إِلَّا خَارِجَ ٱلْقُبَّةِ عَلَى ٱلتُّرَابِ . فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذٰلِكَ فَقَالَ : إِنَّ ٱللّٰهَ تَعَالَى أَعْطَانِي ٱلْمُلْكَ فَحَقٌّ عَلَيَّ أَنْ أُقَابِلَهُ بِٱلتَّوَاضُعِ (للقزويني)

الطبيب والميت

٢٨٤ حَدَّثَ بَعْضُ ٱلشَّامِيِّينَ أَنَّ رَجُلًا خَبَّازًا بَيْنَمَا هُوَ يَخْبِزُ فِي تَنُّورِهِ بِمَدِينَةِ دِمَشْقَ إِذْ عَبَرَ عَلَيْهِ رَجُلٌ يَبِيعُ ٱلْمِشْمِشَ . (قَالَ) فَٱشْتَرَى مِنْهُ وَجَعَلَ يَأْكُلُهُ بِٱلْخُبْزِ ٱلْحَارِّ . فَلَمَّا فَرَغَ سَقَطَ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ فَنَظَرُوهُ فَإِذَا هُوَ مَيْتٌ . فَجَعَلُوا يَتَرَبَّصُونَ بِهِ وَيَحْمِلُونَ إِلَيْهِ ٱلْأَطِبَّاءَ فَيَلْتَمِسُونَ دَلَائِلَهُ وَمَوَاضِعَ ٱلْحَيَاةِ مِنْهُ فَقَضَوْا بِأَنَّهُ مَيْتٌ . فَغُسِّلَ وَكُفِّنَ وَحُمِلَ إِلَى ٱلْجَبَّانَةِ . فَلَمَّا خَرَجُوا بِهِ مِنْ بَابِ ٱلْمَدِينَةِ ٱسْتَقْبَلَهُمْ رَجُلٌ طَبِيبٌ يُقَالُ لَهُ ٱلْيَبْرُودِيُّ وَكَانَ طَبِيبًا مَاهِرًا حَاذِقًا بِٱلطِّبِّ فَسَمِعَ ٱلنَّاسَ يَلْهَجُونَ بِقِصَّتِهِ فَقَالَ لَهُمْ : حُطُّوهُ حَتَّى أُبْصِرَهُ . فَحَطُّوهُ وَجَعَلَ يُقَلِّبُهُ وَيَنْظُرُ فِي أَمَارَاتِ ٱلْحَيَاةِ ٱلَّتِي يَعْرِفُهَا . ثُمَّ فَتَحَ فَمَهُ وَسَقَاهُ شَيْئًا وَإِذَا ٱلرَّجُلُ قَدْ فَتَحَ عَيْنَيْهِ وَتَكَلَّمَ وَعَادَ كَمَا كَانَ إِلَى دُكَّانِهِ (للطرطوشي)

المستحسن من أفعال السودان

٢٨٥ مِنْ أَفْعَالِهِمِ ٱلْحَسَنَةِ قِلَّةُ ٱلظُّلْمِ . فَهُمْ أَبْعَدُ ٱلنَّاسِ عَنْهُ

وَسُلْطَانُهُمْ لَا يُسَامِحُ أَحَدًا فِي شَيْءٍ مِنْهُ. وَمِنْهَا شُمُولُ ٱلْأَمْنِ فِي بِلَادِهِمْ فَلَا يَخَافُ ٱلْمُسَافِرُ فِيهَا وَلَا ٱلْمُقِيمُ مِنْ سَارِقٍ وَلَا غَاصِبٍ. وَمِنْهَا عَدَمُ تَعَرُّضِهِمْ لِمَالِ مَنْ يَمُوتُ بِبِلَادِهِمْ مِنَ ٱلْبِيضَانِ وَلَوْ كَانَ ٱلْقَنَاطِيرَ ٱلْمُقَنْطَرَةَ. إِنَّمَا يَتْرُكُونَهُ بِيَدِ ثِقَةٍ مِنَ ٱلْبِيضَانِ حَتَّى يَأْخُذَهُ مُسْتَحِقُّهُ. وَمِنْهَا مُوَاظَبَتُهُمْ لِلصَّلَوَاتِ وَٱلْتِزَامُهُمْ لَهَا فِي ٱلْجَمَاعَاتِ وَضَرْبُهُمْ أَوْلَادَهُمْ عَلَيْهَا. وَإِذَا كَانَ يَوْمُ ٱلْجُمُعَةِ إِنْ لَمْ يُبَكِّرِ ٱلْإِنْسَانُ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ لَمْ يَجِدْ أَيْنَ يُصَلِّي لِكَثْرَةِ ٱلزِّحَامِ (لابن بطوطة)

غناء ابرهيم بن المهدي

٢٨٦ حَكَى ٱلْمُنَجِّمُ قَالَ: حُكِيَ لِي أَنَّ إِبْرٰهِيمَ بْنَ ٱلْمَهْدِيِّ كَانَ أَحْسَنَ ٱلنَّاسِ غِنَاءً. وَذٰلِكَ أَنِّي كُنْتُ أَرَاهُ فِي مَجَالِسِ ٱلْخُلَفَاءِ مِثْلِ ٱلْمَأْمُونِ وَٱلْمُعْتَصِمِ يُغَنِّي ٱلْمُغَنُّونَ فَإِذَا ٱبْتَدَأَ هُوَ لَمْ يَبْقَ أَحَدٌ مِنَ ٱلْغِلْمَانِ وَٱلْمُتَصَرِّفِينَ وَأَصْحَابِ ٱلصِّنَاعَاتِ وَٱلْمِهَنِ ٱلصِّغَارِ وَٱلْكِبَارِ إِلَّا وَقَدْ تَرَكَ مَا فِي يَدِهِ وَصَارَ بِأَقْرَبِ مَوْضِعٍ يُمْكِنُهُ أَنْ يَسْمَعَهُ. فَلَا يَزَالُ مُصْغِيًا إِلَيْهِ لَاهِيًا عَمَّا كَانَ فِيهِ مَا دَامَ يُغَنِّي فَإِذَا أَمْسَكَ وَغَنَّى غَيْرُهُ رَجَعُوا إِلَى أَشْغَالِهِمْ. وَقَدْ رَأَيْتُ مِنْهُ شَيْئًا عَجِيبًا لَوْ حَدَّثْتُ بِهِ مَا صُدِّقَ. كَانَ إِذَا ٱبْتَدَأَ يُغَنِّي أَصْغَتِ ٱلْوَحْشُ وَمَدَّتْ أَعْنَاقَهَا وَلَمْ تَزَلْ تَدْنُو مِنْهُ حَتَّى تَضَعَ رُؤُوسَهَا عَلَى ٱلدُّكَّانِ ٱلَّذِي كُنَّا عَلَيْهِ. فَإِذَا سَكَتَ نَفَرَتْ عَنَّا حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى أَبْعَدِ غَايَةٍ يُمْكِنُهَا ٱلتَّبَاعُدُ فِيهَا عَنَّا

٢٨٧ قَدْ جَاءَ فِي ٱلنَّوَادِرِ عَنْ لَيْلَى ٱلْأَخْيَلِيَّةِ أَنْ قَالَ ٱلْحَجَّاجُ: يَا غُلَامُ

اذْهَبْ إِلَى فُلَانٍ فَقُلْ لَهُ يَقْطَعْ لِسَانَهَا . فَأَمَرَ بِإِحْضَارِ الْحَجَّامِ فَقَالَتْ : ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ . إِنَّمَا أَمَرَكَ أَنْ تَقْطَعَ لِسَانِي بِالصِّلَةِ . وَهِيَ لَفْظَةٌ مُسْتَعْمَلَةٌ عِنْدَ مَنْ لَهُ أَمْرٌ وَنَهْيٌ . فَتَعَجَّبَ مِنْ ذَكَائِهَا (للشريشي)

انصاف هرمز لرعيته

٢٨٨ كَانَ هُرْمُزُ بْنُ أَنُوشِرْوَانَ عَادِلًا يَأْخُذُ لِلْأَدْنَى مِنَ الشَّرِيفِ . وَبَالَغَ فِي ذٰلِكَ حَتَّى أَبْغَضَهُ خَوَاصُّهُ وَأَقَامَ الْحَقَّ عَلَى بَنِيهِ وَمُحِبِّيهِ . وَأَفْرَطَ فِي الْعَدْلِ وَالتَّشْدِيدِ عَلَى الْأَكَابِرِ وَقَصَرَ أَيْدِيَهُمْ عَنِ الضُّعَفَاءِ إِلَى الْغَايَةِ . وَوَضَعَ صُنْدُوقًا فِي أَعْلَاهُ خَرْقٌ وَأَمَرَ أَنْ يُلْقِيَ الْمُتَظَلِّمُ قِصَّتَهُ فِيهِ وَالصُّنْدُوقُ مَخْتُومٌ بِخَاتَمِهِ . وَكَانَ يَفْتَحُ الصُّنْدُوقَ وَيَنْظُرُ فِي الْمَظَالِمِ خَوْفًا مِنْ أَنْ لَا تُوصَلَ إِلَيْهِ الشَّكَاوَى عَلَى بِطَانَتِهِ وَأَهْلِهِ . ثُمَّ طَلَبَ أَنْ يَعْلَمَ بِظُلْمِ الْمُتَظَلِّمِ سَاعَةً فَسَاعَةً فَأَمَرَ بِاتِّخَاذِ سِلْسِلَةٍ مِنَ الطَّرِيقِ وَخَرَقَ لَهَا فِي دَارِهِ إِلَى مَوْضِعِ جُلُوسِهِ وَقْتَ خَلْوَتِهِ وَجَعَلَ فِيهَا جَرَسًا . فَكَانَ الْمُتَظَلِّمُ يَجِيءُ مِنْ ظَاهِرِ الدَّارِ فَيُحَرِّكُ السِّلْسِلَةَ فَيَعْلَمُ بِهِ فَيَتَقَدَّمُ بِإِحْضَارِهِ وَإِزَالَةِ ظُلَامَتِهِ

شهادة جالينوس للنصارى

٢٨٩ قَدْ أَدْرَكَ جَالِينُوسُ عَهْدَ قُومُوذُوسَ وَكَانَ دِينُ النَّصَارَى قَدْ ظَهَرَ فِي أَيَّامِهِ . وَقَدْ ذَكَرَهُمْ جَالِينُوسُ فِي كِتَابِهِ فِي جَوَامِعِ كِتَابِ أَفْلَاطُونَ فِي سِيَاسَةِ الْمُدُنِ فَقَالَ : إِنَّ جُمْهُورَ النَّاسِ لَا يُمْكِنُهُمْ أَنْ يَفْهَمُوا سِيَاقَةَ الْأَقَاوِيلِ الْبُرْهَانِيَّةِ وَلِذٰلِكَ صَارُوا مُحْتَاجِينَ إِلَى

رُمُوزٍ يَنتفِعُونَ بِهَا . (يَعْنِي بِالرُّمُوزِ الإِخْبَارَ عَنِ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ فِي الدَّارِ الآخِرَةِ) . مِنْ ذَلِكَ أَنَّا نَرَى الآنَ الْقَوْمَ الَّذِينَ يُدْعَونَ نَصَارَى إِنَّمَا أَخَذُوا إِيمَانَهُمْ عَنِ الرُّمُوزِ . وَقَدْ يَظْهَرُ مِنْهُمْ أَفْعَالٌ مِثْلُ أَفْعَالِ مَنْ تَفَلْسَفَ بِالْحَقِيقَةِ . وَذَاكَ أَنَّ عَدَمَ جَزَعِهِمْ مِنَ الْمَوْتِ أَمْرٌ قَدْ نَرَاهُ كُلُّنَا . وَكَذَلِكَ أَيْضًا عَفَافُهُمْ فَإِنَّ مِنْهُمْ قَوْمًا رِجَالًا وَنِسَاءً أَيْضًا قَدْ أَقَامُوا جَمِيعَ أَيَّامِ حَيَاتِهِمْ مُمْتَنِعِينَ عَنِ الْمَآثِمِ . وَمِنْهُمْ قَوْمٌ قَدْ بَلَغَ مِنْ ضَبْطِهِمْ لِأَنْفُسِهِمْ فِي التَّدْبِيرِ وَشِدَّةِ حِرْصِهِمْ عَلَى الْعَدْلِ أَنْ صَارُوا غَيْرَ مُقَصِّرِينَ عَنِ الَّذِينَ يَتَفَلْسَفُونَ بِالْحَقِيقَةِ . انْتَهَى كَلَامُ جَالِينُوسَ (لابي الفداء)

محمد الزيات

٢٩٠ قِيلَ إِنَّ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ الزَّيَّاتَ عَمِلَ تَنُّورًا مِنْ حَدِيدٍ . وَوَضَعَ مَسَامِيرَ فِي دَاخِلِهِ لِيُعَذِّبَ مَنْ يُرِيدُ عَذَابَهُ . فَكَانَ هُوَ أَوَّلَ مَنْ جُعِلَ فِيهِ وَقِيلَ لَهُ : ذُقْ مَا رُمْتَ أَنْ تُذِيقَ النَّاسَ (لابن طقطقي)

ظلم أبي رغال

٢٩١ كَانَ أَبُو رِغَالٍ مَلِكًا بِالطَّائِفِ وَكَانَ يَظْلِمُ رَعِيَّتَهُ . فَمَرَّ بِامْرَأَةٍ تُرْضِعُ صَبِيًّا يَتِيمًا بِلَبَنِ عَنْزٍ لَهَا فَأَخَذَهَا مِنْهَا . وَكَانَتْ سَنَةً مُجْدِبَةً فَبَقِيَ الصَّبِيُّ بِلَا مُرْضِعَةٍ فَمَاتَ . فَرَمَى اللهُ أَبَا رِغَالٍ بِقَارِعَةٍ فَأَهْلَكَهُ . فَرَجَمَتِ الْعَرَبُ قَبْرَهُ وَهُوَ بَيْنَ مَكَّةَ وَالطَّائِفِ (للاصبهاني)

المتظلّمون في بلاد الصين

٢٩٢ فِي كُلِّ مَدِينَةٍ مِنْ مُدُنِ ٱلصِّينِ شَيْءٌ يُدْعَى ٱلدُّرَا . وَهُوَ جَرَسٌ عَلَى رَأْسِ مَلِكِ تِلْكَ ٱلْمَدِينَةِ . مَرْبُوطٌ بِخَيْطٍ مَارٍّ عَلَى ظَهْرِ ٱلطَّرِيقِ لِلْعَامَّةِ كَافَّةً . وَبَيْنَ ٱلْمَلِكِ وَبَيْنَهُ نَحْوٌ مِنْ فَرْسَخٍ . فَإِذَا حُرِّكَ ٱلْخَيْطُ ٱلْمَمْدُودُ أَدْنَى حَرَكَةٍ تَحَرَّكَ ٱلْجَرَسُ . فَمَنْ كَانَتْ لَهُ ظُلَامَةٌ حَرَّكَ هٰذَا ٱلْخَيْطَ فَيَتَحَرَّكُ ٱلْجَرَسُ مِنْهُ عَلَى رَأْسِ ٱلْمَلِكِ . فَيُؤْذَنُ لَهُ فِي ٱلدُّخُولِ حَتَّى يُنْهِيَ حَالَهُ بِنَفْسِهِ وَيَشْرَحَ ظُلَامَتَهُ . وَجَمِيعُ ٱلْبِلَادِ فِيهَا مِثْلُ ذٰلِكَ (سلسلة التواريخ)

نظام الملك والشيخ الفقير

٢٩٣ كَانَ نِظَامُ ٱلْمُلْكِ إِذَا دَخَلَ عَلَيْهِ ٱلْأَئِمَّةُ ٱلْأَكَابِرُ يَقُومُ لَهُمْ وَيَجْلِسُ فِي مَسْنَدِهِ . وَكَانَ لَهُ شَيْخٌ فَقِيرٌ إِذَا دَخَلَ إِلَيْهِ يَقُومُ لَهُ وَيُجْلِسُهُ فِي مَكَانِهِ وَيَجْلِسُ بَيْنَ يَدَيْهِ . فَقِيلَ لَهُ فِي ذٰلِكَ فَقَالَ : إِنَّ أُولٰئِكَ إِذَا دَخَلُوا عَلَيَّ يُثْنُونَ عَلَيَّ بِمَا لَيْسَ فِيَّ فَيَزِيدُنِي كَلَامُهُمْ عُجْبًا وَتِيهًا . وَهٰذَا يُذَكِّرُنِي عُيُوبَ نَفْسِي وَمَا أَنَا فِيهِ مِنَ ٱلظُّلْمِ . فَتَنْكَسِرُ نَفْسِي لِذٰلِكَ فَأَرْجِعُ عَنْ كَثِيرٍ مِمَّا أَنَا فِيهِ (لابي الفرج)

قيس بن سعد والاعرابي

٢٩٤ قِيلَ لِقَيْسِ بْنِ سَعْدٍ : هَلْ رَأَيْتَ قَطُّ أَسْخَى مِنْكَ . قَالَ : نَعَمْ . نَزَلْنَا بِٱلْبَادِيَةِ عَلَى ٱمْرَأَةٍ فَحَضَرَ زَوْجُهَا فَقَالَتْ : إِنَّهُ نَزَلَ بِكَ ضِيفَانٌ . فَجَاءَ بِنَاقَةٍ فَنَحَرَهَا وَقَالَ : شَأْنَكُمْ . فَلَمَّا جَاءَ ٱلْغَدُ جَاءَ بِأُخْرَى

وَنَحرَهَا وقَالَ: شَأْنكُمْ. فقُلْتُ: مَا أَكَلْنَا مِنَ ٱلَّتِي نَحَرْتَ ٱلبَارِحَةَ إِلَّا ٱليَسِيرَ. فقَالَ: إِنِّي لَا أُطعِمُ أَضْيَافِي ٱلغَابَّ. فَأَقَمْنَا عِندَهُ أَيَّامًا وَٱلسَّمَاءُ تُمطِرُ وَهُوَ يَفْعَلُ كَذٰلِكَ. فَلَمَّا أَرَدْنَا ٱلرَّحِيلَ وَضَعْنَا فِي بَيتِهِ مِائَةَ دِينَارٍ وَقُلْنَا لِلمَرأَةِ: ٱعْتَذِرِي لَنَا مِنْهُ وَمَضَيْنَا. فَلَمَّا مَتَعَ ٱلنَّهَارُ إِذَا رَجُلٌ يَصِيحُ خَلْفَنَا: قِفُوا أَيُّهَا ٱلرَّكْبُ ٱللِّئَامُ أَعْطَيتُمُونَا ثَمَنَ ٱلقِرَى. لَتَأْخُذُنَّهَا وَإِلَّا طَعَنْتُكُمْ بِرُمْحِي. فَأَخَذْنَاهَا وَٱنْصَرَفَ (للطرطوشي)

قلعة ماردين

٢٩٥ قَالَ ٱلقَزوِينِيُّ: هِيَ قَلْعَةٌ مَشْهُورَةٌ عَلَى قُلَّةِ جَبَلٍ بِٱلْجَزِيرَةِ لَيسَ عَلَى وَجهِ ٱلأَرْضِ قَلْعَةٌ أَحْسَنُ مِنهَا وَلَا أَحكَمُ وَلَا أَعْظَمُ. وَهِيَ مُشْرِفَةٌ عَلَى دُنَيسِرَ وَدَارَا وَنَصِيبِينَ وَقُدَّامَهَا رَبَضٌ عَظِيمٌ فِيهِ أَسْوَاقٌ وَفَنَادِقُ وَمَدَارِسُ وَرُبُطٌ. وَوَضْعُهَا وَضْعٌ عَجِيبٌ لَيسَ فِي شَيْءٍ مِنَ ٱلبُلْدَانِ مِثْلُهَا. وَذٰلِكَ أَنَّ دُورَهُمْ كَٱلدَّرَجِ كُلُّ دَارٍ فَوقَ أُخْرَى. وَجُلُّ شُربِهِمْ مِنَ ٱلصَّهَارِيجِ ٱلْمُعَدَّةِ فِي دُورِهِمْ. وَقَالَ بَعْضُ ٱلظُّرَفَاءِ.

فِي مَارِدِينَ حَمَاهَا ٱللهُ لِي سَكَنٌ   لَوْلَا ٱلضَّرُورَةُ مَا فَارَقْتُهَا نَفَسَا

موت ملوك السودان

٢٩٦ إِذَا مَاتَ مَلِكُ ٱلسُّودَانِ عَقَدُوا لَهُ قُبَّةً عَظِيمَةً مِنْ خَشَبِ ٱلسَّاجِ وَوَضَعُوهَا فِي مَوضِعِ قَبرِهِ. ثُمَّ أَتَوا بِهِ عَلَى سَرِيرٍ قَلِيلِ ٱلفَرْشِ وَٱلوِطَاءِ فَأَدْخَلُوهُ فِي تِلْكَ ٱلقُبَّةِ. وَوَضَعُوا مَعَهُ حِلْيَتَهُ وَسِلَاحَهُ وَآنِيَتَهُ ٱلَّتِي كَانَ يَأْكُلُ فِيهَا وَيَشْرَبُ وَأَدْخَلُوا فِيهَا ٱلأَطْعِمَةَ وَٱلأَشْرِبَةَ

وَأَدْخَلُوا مَعَهُ رِجَالًا مِمَّنْ كَانَ يَخْدُمُ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ. وَأَغْلَقُوا عَلَيْهِمْ بَابَ الْقُبَّةِ وَجَعَلُوا فَوْقَ الْقُبَّةِ الْحُصُرَ وَالْأَمْتِعَةَ. ثُمَّ اجْتَمَعَ النَّاسُ فَرَدَمُوا فَوْقَهَا بِالتُّرَابِ حَتَّى تَأْتِيَ كَالْجَبَلِ الضَّخْمِ. ثُمَّ يَخْنَدِقُونَ حَوْلَهَا حَتَّى لَا يُوصَلَ إِلَى ذَلِكَ الْكَوْمِ إِلَّا مِنْ مَوْضِعٍ وَاحِدٍ. وَهُمْ يَذْبَحُونَ لِمَوْتَاهُمُ الذَّبَائِحَ (لابن عبد العزيز البكري)

ضعف رأي الخليفة الامين

٢٩٧ مِمَّا يُحْكَى مِنْ تَفْرِيطِ الْأَمِينِ وَجَهْلِهِ أَنَّهُ كَانَ قَدْ أَرْسَلَ إِلَى حَرْبِ أَخِيهِ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ أَبِيهِ يُقَالُ لَهُ عَلِيُّ بْنُ عِيسَى بْنِ مَاهَانَ. وَأَرْسَلَ مَعَهُ خَمْسِينَ أَلْفًا. وَكَانَ أَوَّلَ بَعْثٍ بَعَثَهُ إِلَى أَخِيهِ. فَمَضَى عَلِيُّ ابْنُ عِيسَى بْنِ مَاهَانَ فِي ذَلِكَ الْعَسْكَرِ الْكَثِيفِ. وَكَانَ شَيْخًا مِنْ شُيُوخِ الدَّوْلَةِ جَلِيلًا وَمَهِيبًا. فَالْتَقَى بِطَاهِرِ بْنِ الْحُسَيْنِ ظَاهِرَ الرَّيِّ وَعَسْكَرُ طَاهِرٍ نَحْوُ أَرْبَعَةِ آلَافِ فَارِسٍ. فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا كَانَتِ الْغَلَبَةُ فِيهِ لِطَاهِرٍ. وَقُتِلَ عَلِيُّ بْنُ عِيسَى فَأَرْسَلَ طَاهِرٌ رَأْسَهُ إِلَى الْمَأْمُونِ. وَكَتَبَ إِلَيْهِ كِتَابًا نُسْخَتُهُ: أَمَّا بَعْدُ فَهٰذَا كِتَابِي إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَطَالَ اللّٰهُ بَقَاءَهُ وَرَأْسُ عَلِيِّ بْنِ عِيسَى بَيْنَ يَدَيَّ وَخَاتَمُهُ فِي يَدِي وَجُنْدُهُ تَحْتَ أَمْرِي وَالسَّلَامُ. وَأَرْسَلَ الْكِتَابَ عَلَى الْبَرِيدِ فَوَصَلَ إِلَى الْمَأْمُونِ فِي ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ وَبَيْنَهُمَا مَسِيرُ مِائَتَيْنِ وَخَمْسِينَ فَرْسَخًا. ثُمَّ إِنَّ خَبَرَ عَلِيِّ بْنِ عِيسَى وَرَدَ إِلَى الْأَمِينِ وَهُوَ يَصْطَادُ السَّمَكَ فَقَالَ لِلَّذِي أَخْبَرَهُ بِذَلِكَ: دَعْنِي فَإِنَّ كَوْثَرًا قَدِ اصْطَادَ

سَمكَتَيْنِ وَأَنَا إِلَى ٱلْآنَ مَا ٱصْطَدتُ شَيْئاً . وَكَانَ كَوْثَرُ خَادِماً لَهُ وَكَانَ يُحِبُّهُ (للفخري)

موت ملوك بلاد سرنديب

٢٩٨ إِذَا مَاتَ ٱلْمَلِكُ بِبِلَادِ سَرَنْدِيبَ صُيِّرَ عَلَى عَجَلَةٍ قَرِيباً مِنَ ٱلْأَرْضِ وَعُلِّقَ فِي مُؤَخَّرِهَا مُسْتَلْقِياً عَلَى ظَهْرِهِ يَجُرُّ شَعْرُ رَأْسِهِ ٱلتُّرَابَ عَنِ ٱلْأَرْضِ. وَٱمْرَأَةٌ بِيَدِهَا مِكْنَسَةٌ تَحْثُو ٱلتُّرَابَ عَلَى رَأْسِهِ وَتُنَادِي: أَيُّهَا ٱلنَّاسُ هٰذَا مَلِكُكُمْ بِٱلْأَمْسِ قَدْ مَلَكَكُمْ وَكَانَ أَمْرُهُ نَافِذاً فِيكُمْ وَقَدْ صَارَ إِلَى مَا تَرَوْنَ مِنْ تَرْكِ ٱلدُّنْيَا وَأَخَذَ رُوحَهُ مَلَاكُ ٱلْمَوْتِ فَلَا تَغْتَرُّوا بِٱلْحَيَاةِ بَعْدَهُ. وَكَلَامٌ نَحْوُ هٰذَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ. ثُمَّ يُهَيَّأُ لَهُ ٱلصَّنْدَلُ وَٱلْكَافُورُ وَٱلزَّعْفَرَانُ فَيُحْرَقُ بِهِ ثُمَّ يُرْمَى بِرَمَادِهِ فِي ٱلرِّيحِ. وَٱلْهِنْدُ كُلُّهُمْ يُحْرِقُونَ مَوْتَاهُمْ بِٱلنَّارِ. وَسَرَنْدِيبُ آخِرُ ٱلْجَزَائِرِ. وَهِيَ مِنْ بِلَادِ ٱلْهِنْدِ. وَرُبَّمَا أُحْرِقَ ٱلْمَلِكُ فَتَدْخُلُ نِسَاؤُهُ ٱلنَّارَ فَيَحْتَرِقْنَ مَعَهُ

حذاقة اهل الصين

٢٩٩ أَهْلُ ٱلصِّينِ مِنْ أَحْذَقِ خَلْقِ ٱللّٰهِ كَفّاً بِنَقْشٍ وَصِنَاعَةٍ وَكُلِّ عَمَلٍ لَا يَتَقَدَّمُهُمْ فِيهِ أَحَدٌ مِنْ سَائِرِ ٱلْأُمَمِ. وَٱلرَّجُلُ مِنْهُمْ يَصْنَعُ بِيَدِهِ مَا يُقَدِّرُ أَنَّ غَيْرَهُ يَعْجِزُ عَنْهُ فَيَقْصِدُ بِهِ بَابَ ٱلْمَلِكِ يَلْتَمِسُ ٱلْجَزَاءَ عَلَى لَطِيفِ مَا ٱبْتَدَعَ. فَيَأْمُرُ ٱلْمَلِكُ بِنَصْبِهِ عَلَى بَابِهِ مِنْ وَقْتِهِ ذٰلِكَ إِلَى سَنَةٍ. فَإِنْ لَمْ يُخْرِجْ أَحَدٌ فِيهِ عَيْباً جَازَاهُ وَأَدْخَلَهُ فِي جُمْلَةِ صُنَّاعِهِ وَإِنْ أُخْرِجَ فِيهِ عَيْبٌ ٱطَّرَحَهُ وَلَمْ يُجَازِهِ. وَإِنَّ رَجُلاً مِنْهُمْ صَوَّرَ سُنْبُلَةً

عَلَيْهَا عُصْفُورٌ فِي ثَوْبِ حَرِيرٍ لَا يَشُكُّ ٱلنَّاظِرُ إِلَيْهَا أَنَّهَا سُنْبُلَةٌ وَأَنَّ عُصْفُورًا عَلَيْهَا . فَبَقِيَتْ مُدَّةً ثُمَّ ٱجْتَازَ بِهَا رَجُلٌ أَحْدَبُ فَعَابَهَا . فَأُدْخِلَ إِلَى مَلِكِ ذٰلِكَ ٱلْبَلَدِ وَحَضَرَ صَانِعُهَا . فَسُئِلَ ٱلْأَحْدَبُ عَنِ ٱلْعَيْبِ فَقَالَ : ٱلْمُتَعَارَفُ عِنْدَ ٱلنَّاسِ جَمِيعًا أَنَّهُ لَا يَقَعُ عُصْفُورٌ عَلَى سُنْبُلَةٍ إِلَّا أَمَالَهَا . وَإِنَّ هٰذَا ٱلْمُصَوِّرَ صَوَّرَ ٱلسُّنْبُلَةَ قَائِمَةً لَا مَيْلَ لَهَا وَأَثْبَتَ ٱلْعُصْفُورَ فَوْقَهَا مُنْتَصِبًا فَأَخْطَأَ . فَصُدِّقَ وَلَمْ يُثِبِ ٱلْمَلِكُ صَانِعَهَا بِشَيْءٍ (سلسلة التواريخ)

٣٠٠ حَدَّثَ ٱبْنُ بَطُوطَةَ بِهٰذَا ٱلشَّأْنِ قَالَ : وَأَهْلُ ٱلصِّينِ أَعْظَمُ ٱلْأُمَمِ إِحْكَامًا لِلصِّنَاعَاتِ وَأَشَدُّهُمْ إِتْقَانًا فِيهَا . وَذٰلِكَ مَشْهُورٌ مِنْ حَالِهِمْ قَدْ وَصَفَهُ ٱلنَّاسُ فِي تَصَانِيفِهِمْ فَأَطْنَبُوا فِيهِ . وَأَمَّا ٱلتَّصْوِيرُ فَلَا يُجَارِيهِمْ أَحَدٌ فِي إِحْكَامِهِ فَإِنَّ لَهُمْ فِيهِ ٱقْتِدَارًا عَظِيمًا . وَمِنْ عَجِيبِ مَا شَاهَدْتُ لَهُمْ مِنْ ذٰلِكَ أَنِّي مَا دَخَلْتُ قَطُّ مَدِينَةً مِنْ مُدُنِهِمْ ثُمَّ عُدْتُ إِلَيْهَا إِلَّا وَرَأَيْتُ صُورَتِي وَصُوَرَ أَصْحَابِي مَنْقُوشَةً فِي ٱلْحِيطَانِ وَٱلْكَوَاغِدِ مَوْضُوعَةً فِي ٱلْأَسْوَاقِ . وَلَقَدْ دَخَلْتُ إِلَى مَدِينَةِ ٱلسُّلْطَانِ فَمَرَرْتُ عَلَى سُوقِ ٱلنَّقَّاشِينَ وَوَصَلْتُ إِلَى قَصْرِ ٱلسُّلْطَانِ مَعَ أَصْحَابِي وَنَحْنُ عَلَى زِيِّ ٱلْعِرَاقِيِّينَ . فَلَمَّا عُدْتُ مِنَ ٱلْقَصْرِ عَشِيًّا مَرَرْتُ بِٱلسُّوقِ ٱلْمَذْكُورَةِ فَرَأَيْتُ صُورَتِي وَصُوَرَ أَصْحَابِي مَنْقُوشَةً فِي كَاغِدٍ قَدْ أَلْصَقُوهُ بِٱلْحَائِطِ . فَجَعَلَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا يَنْظُرُ إِلَى صُورَةِ صَاحِبِهِ لَا تُخْطِئُ شَيْئًا مِنْ شِبْهِهِ . وَذُكِرَ لِي أَنَّ ٱلسُّلْطَانَ

أَرَيهُمْ بِذٰلِكَ وَأَنَّهُمْ أَتَوْا إِلَى ٱلْقَصْرِ وَنَحْنُ بِهِ فَجَعَلُوا يَنْظُرُونَ إِلَيْنَا وَيُصَوِّرُونَ صُورَنَا وَنَحْنُ لَمْ نَشْعُرْ بِذٰلِكَ . وَتِلْكَ عَادَةٌ لَهُمْ فِي تَصْوِيرِ كُلِّ مَنْ يَمُرُّ بِهِمْ . وَتَنْتَهِي حَالُهُمْ فِي ذٰلِكَ إِلَى أَنَّ ٱلْغَرِيبَ إِذَا فَعَلَ مَا يُوجِبُ فِرَارَهُ عَنْهُمْ بَعَثُوا صُورَتَهُ إِلَى ٱلْبِلَادِ وَبُحِثَ عَنْهُ فَحَيْثُمَا وُجِدَ شِبْهُ تِلْكَ ٱلصُّورَةِ أُخِذَ (لابن بطوطة)

عدل نور الدين

٣٠١ لَمْ يَكُنْ فِي سِيَرِ ٱلْمُلُوكِ أَحْسَنُ مِنْ سِيرَةِ نُورِ ٱلدِّينِ وَلَا أَكْثَرُ تَحَرِّيًا لِلْعَدْلِ مِنْهُ . وَكَانَ لَا يَأْكُلُ وَلَا يَلْبَسُ وَلَا يَتَصَرَّفُ فِي ٱلَّذِي يَخُصُّهُ إِلَّا مِنْ مُلْكٍ كَانَ لَهُ . قَدِ ٱشْتَرَاهُ مِنْ سَهْمِهِ مِنَ ٱلْغَنِيمَةِ . وَلَقَدْ شَكَا إِلَيْهِ زَوْجَتُهُ مِنَ ٱلضِّيقَةِ . فَأَعْطَاهَا ثَلَاثَةَ دَكَاكِينَ فِي حِمْصَ كَانَتْ لَهُ يَحْصُلُ مِنْهَا فِي ٱلسَّنَةِ نَحْوُ ٱلْعِشْرِينَ دِينَارًا . فَلَمَّا ٱسْتَقَلَّتْهَا قَالَ : لَيْسَ لِي إِلَّا هٰذَا . وَجَمِيعُ مَا فِي يَدِي أَنَا خَازِنٌ فِيهِ لِلْمُسْلِمِينَ لَا أَخُونُهُمْ فِيهِ وَلَا أَخُوضُ نَارَ جَهَنَّمَ لِأَجْلِكِ (لابي الفرج)

الشيخ أبو عبد الله والفيلة

٣٠٢ يُحْكَى أَنَّ ٱلشَّيْخَ أَبَا عَبْدِ ٱللّٰهِ بْنَ خَفِيفٍ قَصَدَ مَرَّةً جَبَلَ سَرَنْدِيبَ وَمَعَهُ نَحْوُ ثَلَاثِينَ مِنَ ٱلْفُقَرَاءِ . فَأَصَابَتْهُمْ مَجَاعَةٌ فِي طَرِيقِ ٱلْجَبَلِ حَيْثُ لَا عِمَارَةَ وَتَاهُوا عَنِ ٱلطَّرِيقِ . وَطَلَبُوا مِنَ ٱلشَّيْخِ أَنْ يَأْذَنَ لَهُمْ فِي ٱلْقَبْضِ عَلَى بَعْضِ ٱلْفِيَلَةِ ٱلصِّغَارِ وَهِيَ فِي ذٰلِكَ ٱلْمَحَلِّ كَثِيرَةٌ جِدًّا وَمِنْهُ تُحْمَلُ إِلَى حَضْرَةِ مَلِكِ ٱلْهِنْدِ . فَنَهَاهُمُ ٱلشَّيْخُ عَنْ

ذلِكَ فَغَلَبَ عَلَيهِم ٱلْجُوعُ فَتَعَدَّوْا قَوْلَ ٱلشَّيْخِ وَقَبَضُوا عَلَى فِيلٍ صَغِيرٍ مِنْهَا وَذَكَّوْهُ وَأَكَلُوا لَحْمَهُ وَٱمْتَنَعَ ٱلشَّيْخُ مِنْ أَكْلِهِ. فَلَمَّا نَامُوا تِلْكَ ٱللَّيْلَةَ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْفِيَلَةُ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ وَأَتَتْ إِلَيْهِمْ. فَكَانَتْ تَشُمُّ ٱلرَّجُلَ مِنْهُمْ وَتَقْتُلُهُ حَتَّى أَتَتْ عَلَى جَمِيعِهِمْ. وَشَمَّتِ ٱلشَّيْخَ وَلَمْ تَتَعَرَّضْ لَهُ وَأَخَذَهُ فِيلٌ مِنْهَا وَلَفَّ عَلَيْهِ خُرْطُومَهُ وَرَمَى بِهِ عَلَى ظَهْرِهِ وَأَتَى بِهِ ٱلْمَوْضِعَ ٱلَّذِي فِيهِ ٱلْعِمَارَةُ. فَلَمَّا رَآهُ أَهْلُ تِلْكَ ٱلنَّاحِيَةِ عَجِبُوا مِنْهُ وَٱسْتَقْبَلُوهُ لِيَتَعَرَّفُوا أَمْرَهُ. فَلَمَّا قَرُبَ مِنْهُمْ أَمْسَكَهُ ٱلْفِيلُ بِخُرْطُومِهِ وَوَضَعَهُ عَنْ ظَهْرِهِ إِلَى ٱلْأَرْضِ بِحَيْثُ يَرَوْنَهُ. فَجَاؤُوا إِلَيْهِ وَذَهَبُوا بِهِ إِلَى مَلِكِهِمْ فَعَرَّفُوهُ خَبَرَهُ وَهُمْ كُفَّارٌ وَأَقَامَ عِنْدَهُمْ أَيَّامًا (لابن بطوطة)

موت المنصور

٣٠٣ أَخْبَرَ ٱلْفَضْلُ بْنُ ٱلرَّبِيعِ قَالَ: كُنْتُ مَعَ ٱلْمَنْصُورِ فِي ٱلسَّفَرِ ٱلَّذِي مَاتَ فِيهِ. فَنَزَلْنَا بَعْضَ ٱلْمَنَازِلِ فَدَعَا بِي وَهُوَ فِي قُبَّتِهِ إِلَى حَائِطٍ وَقَالَ: أَلَمْ أَنْهَكُمْ أَنْ تَدَعُوا ٱلْعَامَّةَ تَدْخُلُ هٰذِهِ ٱلْمَنَازِلَ فَيَكْتُبُونَ فِيهَا مَا لَا خَيْرَ فِيهِ. قُلْتُ: وَمَا هُوَ. قَالَ: أَلَا تَرَى مَا عَلَى ٱلْحَائِطِ مَكْتُوبًا:

أَبَا جَعْفَرٍ حَانَتْ وَفَاتُكَ وَٱنْقَضَتْ
سِنُوكَ وَأَمْرُ ٱللّٰهِ لَا بُدَّ نَازِلُ

أَبَا جَعْفَرٍ هَلْ كَاهِنٌ أَوْ مُنَجِّمٌ
يَرُدُّ قَضَاءَ ٱللّٰهِ أَمْ أَنْتَ جَاهِلُ

فقُلْتُ: وَٱللهِ ما عَلى ٱلْحَائِطِ شَيْءٌ وَإِنَّهُ لَنَقِيٌّ أَبيَضُ. قَالَ: إِنَّهَا وَٱللهِ نَفْسِي نُعِيَتْ إِلَى ٱلرَّحِيلِ. فَرَحَلْنَا وَثَقُـلَ حَتَّى بَلَغَ بِئْرَ مَيْمُونٍ. فَقُلْتُ لَهُ: قَدْ دَخَلْتَ ٱلْحَرَمَ. قَالَ: ٱلْحَمْدُ لِلهِ. وَقُبِضَ مِنْ يَوْمِهِ. وَلَمَّا حَضَرَتْهُ ٱلْوَفَاةُ قَالَ: ٱلسُّلْطَانُ مَنْ لَا يَمُوتُ (للشريشي)

يحيي بن خالد والفصّ

٣٠٤ قِيلَ لِيَحْيَى بْنِ خَالِدِ بْنِ بَرْمَكَ: أَيُّهَا ٱلْوَزِيرُ أَخْبِرْنَا بِأَحْسَنِ مَا رَأَيْتَ فِي أَيَّامِ سَعَادَتِكَ. قَالَ: رَكِبْتُ يَوْمًا فِي بَعْضِ ٱلْأَيَّامِ فِي سَفِينَةٍ أُرِيدُ ٱلتَّنَزُّهَ. فَلَمَّا خَرَجْتُ بِرِجْلِي لِأَصْعَدَ ٱتَّكَأْتُ عَلَى لَوْحٍ مِنْ أَلْوَاحِهَا. وَكَانَ بِإِصْبَعِي خَاتَمٌ فَطَارَ فَصُّهُ مِنْ يَدِي وَكَانَ يَاقُوتًا أَحْمَرَ قِيمَتُهُ أَلْفُ مِثْقَالٍ مِنَ ٱلذَّهَبِ. فَتَطَيَّرْتُ مِنْ ذٰلِكَ ثُمَّ عُدْتُ إِلَى مَنْزِلِي وَإِذَا بِٱلطَّبَّاخِ قَدْ أَتَى بِذٰلِكَ ٱلْفَصِّ بِعَيْنِهِ وَقَالَ: أَيُّهَا ٱلْوَزِيرُ لَقِيتُ هٰذَا ٱلْفَصَّ فِي بَطْنِ حُوتٍ وَذٰلِكَ لِأَنِّي ٱشْتَرَيْتُ حِيتَانًا لِلْمَطْبَخِ فَشَقَقْتُ بَطْنَهَا فَرَأَيْتُ هٰذَا ٱلْفَصَّ فَقُلْتُ: لَا يَصْلُحُ هٰذَا إِلَّا لِلْوَزِيرِ أَعَزَّهُ ٱللهُ تَعَالَى. فَقُلْتُ: ٱلْحَمْدُ لِلهِ هٰذَا بُلُوغُ ٱلْغَايَةِ

الذلّ بعد العزّة

٣٠٥ وَقِيلَ لِيَحْيَى: أَخْبِرْنَا بِبَعْضِ مَا لَقِيتَ مِنَ ٱلْمِحَنِ. قَالَ: ٱشْتَهَيْتُ لَحْمًا فِي قِدْرِ طَبَّاخٍ وَأَنَا فِي ٱلسِّجْنِ. فَغَرِمْتُ أَلْفَ دِينَارٍ فِي شَهْوَتِي حَتَّى أُتِيتُ بِقِدْرٍ وَلَحْمٍ مُقَطَّعٍ فِي قَصَبَةٍ فَارِسِيَّةٍ. وَٱلْخَلُّ وَسَائِرُ حَوَائِجِهَا فِي قَصَبَةٍ أُخْرَى. وَتَرَكُوا عِنْدِي مَا أَحْتَاجُ إِلَيْهِ. وَأَتَيْتُ

بِنَارٍ فَأَوْقَدْتُ تَحْتَ ٱلْقِدْرِ وَنَفَخْتُ وَلِحْيَتِي فِي ٱلْأَرْضِ حَتَّى كَادَتْ رُوحِي تَخْرُجُ . فَلَمَّا نَضِجَتْ تَرَكْتُهَا تَفُورُ وَتَغْلِي وَفَتَّتُّ ٱلْخُبْزَ . وَعَمَدْتُ لِأُنْزِلَهَا فَٱنْفَلَتَتْ مِنْ يَدِي وَٱنْكَسَرَتِ ٱلْقِدْرُ عَلَى ٱلْأَرْضِ فَبَقِيتُ أَلْتَقِطُ ٱللَّحْمَ . وَأَمْسَحُ مِنْهُ ٱلتُّرَابَ وَآكُلُهُ وَذَهَبَ ٱلْمَرَقُ ٱلَّذِي كُنْتُ أَشْتَهِيهِ وَهٰذَا أَعْظَمُ مَا مَرَّ بِي (للاتليدي)

الخطيب والتلميذ

٣٠٦ إِشْتَهَرَ فِي جَزِيرَةِ صِقِلِّيَةَ أَرْخِيلُوخُوسُ ٱلْخَطِيبُ ٱلْمُلَقَّبُ بِٱلْغُرَابِ . وَسَارَ إِلَيْهِ ٱلطَّلَبَةُ لِٱسْتِفَادَةِ ٱلْخَطَابَةِ مِنْهُ . وَكَانَ مِنْ جُمْلَةِ قَاصِدِيهِ فَتًى مِنَ ٱلْيُونَانِ يُقَالُ لَهُ تِيسِيَاسُ وَرَغِبَ إِلَيْهِ فِي تَعْلِيمِ هٰذَا ٱلْفَنِّ وَضَمِنَ لَهُ عَنْ ذٰلِكَ مَالًا مُعَيَّنًا فَأَجَابَهُ بِرَغْبَتِهِ وَعَلَّمَهُ . فَلَمَّا أَتْقَنَهَا حَاوَلَ ٱلْغَدْرَ بِهِ وَرَامَ فَسْخَ مَا وَافَقَهُ عَلَيْهِ فَقَالَ لَهُ : يَا مُعَلِّمُ مَا حَدُّ ٱلْخَطَابَةِ . فَقَالَ : إِنَّهَا ٱلْمُفِيدَةُ لِلْإِقْنَاعِ . قَالَ : إِنِّي أُنَاظِرُكَ ٱلْآنَ فِي ٱلْأُجْرَةِ . فَإِنْ أَقْنَعْتُكَ بِأَنِّي لَا أَدْفَعُهَا إِلَيْكَ لَمْ أَدْفَعْهَا إِذْ قَدْ أَقْنَعْتُكَ بِذٰلِكَ . وَإِنْ لَمْ أَقْدِرْ عَلَى ذٰلِكَ فَلَسْتُ أُعْطِيكَ شَيْئًا لِأَنَّنِي لَمْ أَتَعَلَّمْ مِنْكَ ٱلْخَطَابَةَ ٱلَّتِي هِيَ مُفِيدَةٌ لِلْإِقْنَاعِ . فَأَجَابَهُ ٱلْمُعَلِّمُ وَقَالَ : وَأَنَا أَيْضًا أُنَاظِرُكَ فَإِنْ أَقْنَعْتُكَ بِأَنَّهُ يَجِبُ لِي أَخْذُ حَقِّي مِنْكَ أَخَذْتُهُ أَخْذَ مَنْ أَقْنَعَ . وَإِنْ لَمْ أُقْنِعْكَ فَيَجِبُ أَيْضًا أَخْذُهُ مِنْكَ إِذْ قَدْ نَشَأْتَ تِلْمِيذًا يَسْتَظْهِرُ عَلَى مُعَلِّمِهِ . قَدْ قِيلَ فِي ٱلْمَثَلِ : بَيْضٌ رَدِيٌّ لِغُرَابٍ رَدِيءٍ (لابي الفرج)

صِفة مَسجد البصرة وذكر خطيبها

٣٠٧ مَسْجِدُ ٱلْبَصْرَةِ مِنْ أَحْسَنِ ٱلْمَسَاجِدِ . وَصَحْنُهُ مُتَنَاهِي ٱلِٱنْفِسَاحِ مَفْرُوشٌ بِٱلْحَصْبَاءِ ٱلْحَمْرَاءِ ٱلَّتِي يُؤْتَى بِهَا مِنْ وَادِي ٱلسِّبَاعِ . شَهِدْتُ مَرَّةً بِهٰذَا ٱلْمَسْجِدِ صَلَاةَ ٱلْجُمُعَةِ . فَلَمَّا قَامَ ٱلْخَطِيبُ بِهِ إِلَى ٱلْخُطْبَةِ وَسَرَدَهَا لَحَنَ فِيهَا لَحْنًا كَثِيرًا جَلِيًّا فَعَجِبْتُ مِنْ أَمْرِهِ وَذَكَرْتُ ذٰلِكَ لِلْقَاضِي حُجَّةِ ٱلدِّينِ فَقَالَ لِي : إِنَّ هٰذَا ٱلْبَلَدَ لَمْ يَبْقَ بِهِ مَنْ يَعْرِفُ شَيْئًا مِنْ عِلْمِ ٱلنَّحْوِ . وَهٰذِهِ عِبْرَةٌ لِمَنْ تَفَكَّرَ فِيهَا . سُبْحَانَ مُغَيِّرِ ٱلْأَشْيَاءِ وَمُقَلِّبِ ٱلْأُمُورِ . هٰذِهِ ٱلْبَصْرَةُ ٱلَّتِي إِلَى أَهْلِهَا ٱنْتَهَتْ رِئَاسَةُ ٱلنَّحْوِ وَفِيهَا أَصْلُهُ وَفَرْعُهُ وَمِنْ أَهْلِهَا إِمَامُهُ ٱلَّذِي لَا يُنْكَرُ سَبْقُهُ لَا يُقِيمُ خَطِيبُهَا خُطْبَةَ ٱلْجُمُعَةِ عَلَى دَؤُوبِهِ عَلَيْهَا (لابن بطوطة)

حِلم المأمون

٣٠٨ إِنَّهُ كَانَ لِلْمَأْمُونِ خَادِمٌ يَسْرِقُ طَاسَاتِهِ ٱلَّتِي يَشْرَبُ فِيهَا . فَقَالَ لَهُ ٱلْمَأْمُونُ : إِذَا سَرَقْتَ شَيْئًا فَأْتِنِي بِمَا تَسْرِقُهُ فَأَشْتَرِيَهُ مِنْكَ . فَقَالَ لَهُ ٱلْخَادِمُ : ٱشْتَرِ مِنِّي هٰذِهِ . وَأَشَارَ إِلَى ٱلَّتِي بَيْنَ يَدَيْهِ . فَقَالَ : بِكَمْ . قَالَ : بِدِينَارَيْنِ . قَالَ : عَلَى شَرْطِ أَنَّكَ لَا تَسْرِقُهَا . قَالَ : نَعَمْ . فَأَعْطَاهُ دِينَارَيْنِ . فَلَمْ يَعُدِ ٱلْخَادِمُ يَسْرِقُ بَعْدَهَا شَيْئًا لِمَا رَأَى مِنْ حِلْمِهِ (للاتليدي)

ذكر العَجَلات التي يُسافَر عليها ببلاد الروم

٣٠٩ أَلرُّومُ يُسَمُّونَ ٱلْعَجَلَةَ عَرَبَةً . وَهِيَ عَجَلَاتٌ تَكُونُ لِلْوَاحِدَةِ

مِنهنَّ أَرْبعُ بَكَرَاتٍ كِبَارٍ وَمِنهَا مَا يَجُرُّهُ فَرَسَانِ وَمِنهَا مَا يَجُرُّهُ أَكْثَرُ مِنْ ذٰلِكَ وَتَجُرُّهَا أَيضًا ٱلْبَقَرُ وَٱلْجِمَالُ عَلَى حَالِ ٱلْعَرَبَةِ فِي ثِقَلِهَا أَوْ خِفَّتِهَا • وَٱلَّذِي يَخْدِمُ ٱلْعَرَبَةَ يَرْكَبُ أَحَدَ ٱلْأَفْرَاسِ ٱلَّتِي تَجُرُّهَا وَيَكُونُ عَلَيْهِ سَرْجٌ وَفِي يَدِهِ سَوْطٌ يُحَرِّكُهَا لِلْمَشْيِ وَعُودٌ كَبِيرٌ يُصَوِّبُهَا بِهِ إِذَا عَاجَتْ عَنِ ٱلْقَصْدِ • وَيُجْعَلُ عَلَى ٱلْعَرَبَةِ شِبْهُ قُبَّةٍ مِنْ قُضْبَانِ خَشَبٍ مَرْبُوطٍ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ بِسُيُورِ جِلْدٍ رَقِيقٍ وَهِيَ خَفِيفَةُ ٱلْحَمْلِ وَتُكْسَى بِاللِّبْدِ أَوْ بِٱلْمَلَفِّ • وَيَكُونُ فِيهَا طِيقَانٌ مُشَبَّكَةٌ وَيَرَى ٱلَّذِي بِدَاخِلِهَا ٱلنَّاسَ وَلَا يَرَوْنَهُ وَيَتَقَلَّبُ فِيهَا كَمَا يُحِبُّ وَيَنَامُ وَيَأْكُلُ وَيَقْرَأُ وَيَكْتُبُ وَهُوَ فِي حَالِ سَيْرِهِ • وَٱلَّتِي تَحْمِلُ ٱلْأَثْقَالَ وَٱلْأَزْوَادَ وَخَزَائِنَ ٱلْأَطْعِمَةِ مِنْ هٰذِهِ ٱلْعَرَبَاتِ يَكُونُ عَلَيْهَا شِبْهُ ٱلْبَيْتِ كَمَا ذَكَرْنَا وَعَلَيْهِ قُفْلٌ (لابن بطوطة)

كرم حسن بن سهل

٣١٠ كَانَ ٱلْحَسَنُ بْنُ سَهْلٍ وَزِيرًا لِلْمَأْمُونِ • وَتَزَوَّجَ ٱلْمَأْمُونُ ٱبْنَتَهُ بُورَانَ وَٱنْحَدَرَ فِي أَهْلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَعَسَاكِرِهِ وَأُمَرَائِهِ إِلَى فَمِ ٱلصُّلْحِ بِوَاسِطَ • فَقَامَ ٱلْحَسَنُ بْنُ سَهْلٍ فِي إِنْزَالِهِمْ قِيَامًا عَظِيمًا وَبَذَلَ مِنَ ٱلْأَمْوَالِ وَنَثَرَ مِنَ ٱلدُّرَرِ مَا يَفُوتُ حَدَّ ٱلْكَثْرَةِ حَتَّى أَنَّهُ عَمِلَ بَطَاطِيخَ مِنْ عَنْبَرٍ وَجَعَلَ فِي وَسْطِ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا رُقْعَةً بِضَيْعَةٍ مِنْ ضِيَاعِهِ وَنَثَرَهَا فَمَنْ وَقَعَتْ فِي يَدِهِ بَطِّيخَةٌ مِنْهَا فَتَحَهَا وَتَسَلَّمَ ٱلضَّيْعَةَ ٱلَّتِي فِيهَا • وَكَانَتْ دَعْوَةً عَظِيمَةً تَتَجَاوَزُ حَدَّ

ٱلْكَثْرَةِ حَتَّى أَنَّ ٱلْمَأْمُونَ نَسَبَ وَزِيرَهُ فِي ذٰلِكَ إِلَى ٱلسَّرَفِ . وَقَالُوا : جُمْلَةُ مَا أُخْرِجَ عَلَى دَعْوَةِ فَمِ ٱلصِّلْحِ خَمْسُونَ أَلْفَ أَلْفِ دِرْهَمٍ . وَكَانَ ٱلْحَسَنُ بْنُ سَهْلٍ قَدْ فَرَشَ لِلْمَأْمُونِ حَصِيرًا مَنْسُوجًا مِنْ ذَهَبٍ وَنَثَرَ عَلَيْهِ أَلْفَ لُؤْلُؤَةٍ مِنْ كِبَارِ ٱللُّؤْلُؤِ (الفخري)

ملك الروم وحاتم الطائي

٣١١ مِنْ أَعْجَبِ مَا حُكِيَ عَنْ حَاتِمٍ ٱلطَّائِيِّ هُوَ أَنَّ أَحَدَ قَيَاصِرَةِ ٱلرُّومِ بَلَغَتْهُ أَخْبَارُ حَاتِمٍ فَٱسْتَغْرَبَ ذٰلِكَ . وَكَانَ قَدْ بَلَغَهُ أَنَّ لِحَاتِمٍ فَرَسًا مِنْ كِرَامِ ٱلْخَيْلِ عَزِيزَةً عِنْدَهُ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ بَعْضَ حُجَّابِهِ يَطْلُبُ مِنْهُ ٱلْفَرَسَ هَدِيَّةً إِلَيْهِ وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَمْتَحِنَ سَمَاحَتَهُ بِذٰلِكَ . فَلَمَّا دَخَلَ ٱلْحَاجِبُ دِيَارَ طَيِّئٍ سَأَلَ عَنْ أَبْيَاتِ حَاتِمٍ حَتَّى دَخَلَ عَلَيْهِ . فَٱسْتَقْبَلَهُ وَرَحَّبَ بِهِ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ أَنَّهُ حَاجِبُ ٱلْمَلِكِ . وَكَانَتِ ٱلْمَوَاشِي حِينَئِذٍ فِي ٱلْمَرَاعِي فَلَمْ يَجِدْ إِلَيْهَا سَبِيلًا لِقِرَى ضَيْفِهِ فَنَحَرَ ٱلْفَرَسَ وَأَضْرَمَ ٱلنَّارَ . ثُمَّ دَخَلَ إِلَى ضَيْفِهِ يُحَادِثُهُ فَأَعْلَمَهُ أَنَّهُ رَسُولُ قَيْصَرَ وَقَدْ حَضَرَ يَسْتَمِيحُهُ ٱلْفَرَسَ فَسَاءَ ذٰلِكَ حَاتِمًا وَقَالَ : هَلَّا أَعْلَمْتَنِي قَبْلَ ٱلْآنَ فَإِنِّي قَدْ نَحَرْتُهَا لَكَ إِذْ لَمْ أَجِدْ جَزُورًا غَيْرَهَا بَيْنَ يَدَيَّ . فَعَجِبَ ٱلرَّسُولُ مِنْ سَخَائِهِ وَقَالَ : وَٱللّٰهِ لَقَدْ رَأَيْنَا مِنْكَ أَكْثَرَ مِمَّا سَمِعْنَا (لابن عبد ربه)

وفاة نجل ملك إيذج

٣١٢ لَمَّا دَخَلْتُ مَدِينَةَ إِيذَجَ أَرَدْتُ رُؤْيَةَ ٱلسُّلْطَانِ فَلَمْ يَتَأَتَّ لِي

ذَلِكَ بِسَبَبِ أَنَّهُ لَا يَخْرُجُ إِلَّا يَوْمَ الْجُمُعَةِ. وَكَانَ لَهُ ابْنٌ هُوَ وَلِيُّ عَهْدِهِ وَلَيْسَ لَهُ سِوَاهُ فَمَرِضَ فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ وَلَمَّا انْتَصَفَ اللَّيْلُ فِي إِحْدَى اللَّيَالِي سَمِعْنَا الصُّرَاخَ وَالنُّوَاحَ وَقَدْ مَاتَ الْمَرِيضُ الْمَذْكُورُ. وَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ دَخَلَ عَلَيَّ شَيْخُ الزَّاوِيَةِ وَأَهْلُ الْبَلَدِ وَقَالُوا: إِنَّ كُبَرَاءَ الْمَدِينَةِ مِنَ الْقُضَاةِ وَالْفُقَهَاءِ وَالْأَشْرَافِ وَالْأُمَرَاءِ قَدْ ذَهَبُوا إِلَى دَارِ السُّلْطَانِ لِلْعَزَاءِ فَيَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَذْهَبَ فِي جُمْلَتِهِمْ. فَأَنِفْتُ مِنْ ذَلِكَ. فَعَزَمُوا عَلَيَّ فَلَمْ يَكُنْ لِي بُدٌّ مِنَ الْمَسِيرِ فَسِرْتُ مَعَهُمْ. فَوَجَدْتُ مَشُورَ دَارِ السُّلْطَانِ مُمْتَلِئًا رِجَالًا وَصِبْيَانًا مِنَ الْمَمَالِيكِ وَأَبْنَاءِ الْمُلُوكِ وَالْوُزَرَاءِ وَالْأَجْنَادِ وَقَدْ لَبِسُوا التَّلَالِيسَ وَجِلَالَ الدَّوَابِّ وَجَعَلُوا فَوْقَ رُؤُوسِهِمُ التُّرَابَ وَالتِّبْنَ وَبَعْضُهُمْ قَدْ جَزَّ نَاصِيَتَهُ. وَانْقَسَمُوا فِرْقَتَيْنِ فِرْقَةٌ بِأَعْلَى الْمَشُورِ وَفِرْقَةٌ بِأَسْفَلِهِ. وَتَزْحَفُ كُلُّ فِرْقَةٍ إِلَى جِهَةِ الْأُخْرَى وَهُمْ ضَارِبُونَ بِأَيْدِيهِمْ عَلَى صُدُورِهِمْ قَائِلُونَ: مَوْلَانَا. فَرَأَيْتُ مِنْ ذَلِكَ أَمْرًا هَائِلًا وَمَنْظَرًا فَظِيعًا لَمْ أَعْهَدْ مِثْلَهُ. وَلَمَّا دَخَلْتُ رَأَيْتُ جِهَاتِ الْمَشُورِ غَاصَّةً بِالنَّاسِ ... وَنَظَرْتُ يَمِينًا وَشِمَالًا لِأَرْتَادَ مَوْضِعًا لِجُلُوسِي. فَرَأَيْتُ هُنَالِكَ سَقِيفَةً مُرْتَفِعَةً عَنِ الْأَرْضِ بِمِقْدَارِ شِبْرٍ وَفِي إِحْدَى زَوَايَاهَا رَجُلٌ مُنْفَرِدٌ عَنِ النَّاسِ قَاعِدٌ عَلَيْهِ ثَوْبُ صُوفٍ شِبْهُ اللِّبْدِ يَلْبَسُهُ بِتِلْكَ الْبِلَادِ ضُعَفَاءُ النَّاسِ أَيَّامَ الْمَطَرِ وَالثَّلْجِ وَفِي الْأَسْفَارِ. فَتَقَدَّمْتُ إِلَى حَيْثُ الرَّجُلُ وَانْقَطَعَ عَنِّي أَصْحَابِي لَمَّا رَأَوْا إِقْدَامِي نَحْوَهُ

وَعَجِبُوا مِنِّي وَأَنَا لَا عِلْمَ عِنْدِي بِشَيْءٍ مِنْ حَالِهِ . فَصَعِدْتُ السَّقِيفَةَ وَسَلَّمْتُ عَلَى الرَّجُلِ فَرَدَّ عَلَيَّ السَّلَامَ وَارْتَفَعَ عَنِ الْأَرْضِ كَأَنَّهُ يُرِيدُ الْقِيَامَ وَهُمْ يُسَمُّونَ ذٰلِكَ نِصْفَ الْقِيَامِ . وَقَعَدْتُ فِي الرُّكْنِ الْمُقَابِلِ لَهُ : ثُمَّ نَظَرْتُ إِلَى النَّاسِ وَقَدْ رَمَوْنِي بِأَبْصَارِهِمْ جَمِيعًا . فَعَجِبْتُ مِنْهُمْ وَرَأَيْتُ الْفُقَهَاءَ وَالْمَشَايِخَ وَالْأَشْرَافَ مُسْتَنِدِينَ إِلَى الْحَائِطِ تَحْتَ السَّقِيفَةِ . وَأَشَارَ إِلَيَّ أَحَدُ الْقُضَاةِ أَنْ أَنْحَطَّ إِلَى جَانِبِهِ . فَلَمْ أَفْعَلْ . وَحِينَئِذٍ اسْتَشْعَرْتُ أَنَّهُ السُّلْطَانُ . فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ سَاعَةٍ أَتَى شَيْخُ الْمَشَايِخِ نُورُ الدِّينِ الْكِرْمَانِيُّ فَصَعِدَ إِلَى السَّقِيفَةِ وَسَلَّمَ عَلَى الرَّجُلِ . فَقَامَ إِلَيْهِ وَجَلَسَ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ فَحِينَئِذٍ عَلِمْتُ أَنَّ الرَّجُلَ هُوَ السُّلْطَانُ . ثُمَّ جِيءَ بِالْجِنَازَةِ وَهِيَ بَيْنَ أَشْجَارِ الْأُتْرُجِّ وَاللَّيْمُونِ وَالنَّارَنْجِ وَقَدْ مَلَأُوا أَغْصَانَهَا بِثِمَارِهَا وَالْأَشْجَارُ بِأَيْدِي الرِّجَالِ . فَكَأَنَّ الْجِنَازَةَ تَمْشِي فِي بُسْتَانٍ وَالْمَشَاعِلُ فِي رِمَاحٍ طِوَالٍ بَيْنَ يَدَيْهَا وَالشَّمْعُ كَذٰلِكَ . فَصُلِّيَ عَلَيْهَا وَذَهَبَ النَّاسُ مَعَهَا إِلَى مَدْفَنِ الْمُلُوكِ وَهُوَ بِمَوْضِعٍ يُقَالُ لَهُ هَلَافَيْجَانُ عَلَى أَرْبَعَةِ أَمْيَالٍ مِنَ الْمَدِينَةِ . وَهُنَالِكَ مَدْرَسَةٌ عَظِيمَةٌ يَشُقُّهَا النَّهْرُ وَبِدَاخِلِهَا مَسْجِدٌ تُقَامُ فِيهِ الْجُمُعَةُ وَبِخَارِجِهَا حَمَّامٌ وَيَحُفُّ بِهَا بُسْتَانٌ عَظِيمٌ وَبِهَا الطَّعَامُ لِلْوَارِدِ وَالصَّادِرِ . وَلَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أَذْهَبَ مَعَهُمْ إِلَى مَدْفَنِ الْجِنَازَةِ لِبُعْدِ الْمَوْضِعِ فَعُدْتُ إِلَى الْمَدْرَسَةِ

(لابن بطوطة)

اَلْبَابُ ٱلتَّاسِعُ
فِي ٱلْأَسفَارِ

سَفَر ابن بطوطة الى مدينة بلغار

٣١٣ قَالَ ٱبْنُ بَطُوطَةَ: كُنْتُ سَمِعْتُ بِمَدِينَةِ بُلْغَارَ فَأَرَدْتُ ٱلتَّوَجُّهَ إِلَيْهَا لِأَرَى مَا ذُكِرَ عَنْهَا مِنِ ٱنْتِهَاءِ قِصَرِ ٱللَّيْلِ بِهَا وَقِصَرِ ٱلنَّهَارِ أَيْضًا فِي عَكْسِ ذٰلِكَ ٱلْفَصْلِ. وَكَانَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ مَحَلَّةِ ٱلسُّلْطَانِ أُوزْبَكَ خَانَ سُلْطَانِ ٱلْأَتْرَاكِ مَسِيرَةُ عَشْرٍ. فَطَلَبْتُ مِنْهُ مَنْ يُوصِلُنِي إِلَيْهَا فَبَعَثَ مَعِي مَنْ أَوْصَلَنِي إِلَيْهَا وَرَدَّنِي إِلَيْهِ. وَوَصَلْتُهَا فِي رَمَضَانَ. فَلَمَّا صَلَّيْنَا ٱلْمَغْرِبَ أَفْطَرْنَا وَأُذِّنَ بِٱلْعِشَاءِ فِي أَثْنَاءِ إِفْطَارِنَا فَصَلَّيْنَاهَا وَأَتْمَمْنَا بَاقِيَ ٱلصَّلَوَاتِ فَطَلَعَ ٱلْفَجْرُ فِي إِثْرِ ذٰلِكَ. وَيَقْصُرُ كَذٰلِكَ ٱلنَّهَارُ بِهَا فِي فَصْلِ قِصَرِهِ أَيْضًا وَأَقَمْتُ بِهَا ثَلَاثًا. وَكُنْتُ أَرَدْتُ ٱلدُّخُولَ إِلَى أَرْضِ ٱلظُّلْمَةِ وَٱلدُّخُولُ إِلَيْهَا مِنْ بُلْغَارَ وَبَيْنَهُمَا مَسِيرَةُ أَرْبَعِينَ يَوْمًا. ثُمَّ أَضْرَبْتُ عَنْ ذٰلِكَ لِعِظَمِ ٱلْمَؤُونَةِ فِيهِ وَقِلَّةِ ٱلْجَدْوَى. وَٱلسَّفَرُ إِلَيْهَا لَا يَكُونُ إِلَّا فِي عَجَلَاتٍ صِغَارٍ تَجُرُّهَا كِلَابٌ كِبَارٌ. فَإِنَّ تِلْكَ ٱلْمَفَازَةَ فِيهَا ٱلْجَلِيدُ فَلَا تَثْبُتُ قَدَمُ ٱلْآدَمِيِّ وَلَا حَافِرُ ٱلدَّابَّةِ فِيهَا وَٱلْكِلَابُ لَهَا ٱلْأَظْفَارُ فَتَثْبُتُ أَقْدَامُهَا فِي ٱلْجَلِيدِ. وَلَا يَدْخُلُهَا إِلَّا ٱلْأَقْوِيَاءُ مِنَ ٱلتُّجَّارِ ٱلَّذِينَ يَكُونُ لِأَحَدِهِمْ مِائَةُ عَجَلَةٍ أَوْ نَحْوُهَا مُوَقَّرَةٍ بِطَعَامِهِ وَشَرَابِهِ وَحَطَبِهِ. فَإِنَّهَا لَا شَجَرَ فِيهَا وَلَا حَجَرَ وَلَا مَدَرَ. وَٱلدَّلِيلُ

بِتِلْكَ ٱلْأَرْضِ هُوَ ٱلْكَلْبُ ٱلَّذِي قَدْ سَارَ فِيهَا مِرَارًا كَثِيرَةً وَتَنْتَهِي قِيمَتُهُ إِلَى أَلْفِ دِينَارٍ وَنَحْوِهَا. وَتُرْبَطُ ٱلْعَرَبَةُ إِلَى عُنُقِهِ وَيُقْرَنُ مَعَهُ ثَلَاثَةٌ مِنَ ٱلْكِلَابِ وَيَكُونُ هُوَ ٱلْمُقَدَّمُ وَتَتْبَعُهُ سَائِرُ ٱلْكِلَابِ بِالْعَرَبَاتِ. فَإِذَا وَقَفَ وَقَفَتْ. وَإِذَا كَمَلَتْ لِلْمُسَافِرِينَ بِهٰذِهِ ٱلْفَلَاةِ أَرْبَعُونَ مَرْحَلَةً نَزَلُوا عِنْدَ ٱلظُّلْمَةِ. وَتَرَكَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مَا جَاءَ بِهِ مِنَ ٱلْمَتَاعِ هُنَالِكَ. وَعَادُوا إِلَى مَنْزِلِهِمِ ٱلْمُعْتَادِ. فَإِذَا كَانَ ٱلْغَدُ عَادُوا لِتَفَقُّدِ مَتَاعِهِمْ فَيَجِدُونَ بِإِزَائِهِ مِنَ ٱلسَّمُّورِ وَٱلسِّنْجَابِ وَٱلْقَاقُمِ. فَإِنْ رَضِيَ صَاحِبُ ٱلْمَتَاعِ مَا وَجَدَهُ إِزَاءَ مَتَاعِهِ أَخَذَهُ وَإِنْ لَمْ يَرْضَهُ تَرَكَهُ

رحلة ابن بطوطة الى الصين ومحنته بالاسر

٣١٤ أَحَبَّ مَلِكُ ٱلْهِنْدِ أَنْ يَبْعَثَ هَدَايَا نَفِيسَةً لِمَلِكِ ٱلصِّينِ. فَعَيَّنَ ٱلسُّلْطَانُ لِلسَّفَرِ مَعِي ٱلْأَمِيرَ ظَهِيرَ ٱلدِّينِ ٱلزَّنْجَانِيَّ وَهُوَ مِنْ فُضَلَاءِ أَهْلِ ٱلْعِلْمِ. وَٱلْفَتَى كَافُورًا وَإِلَيْهِ سُلِّمَتِ ٱلْهَدِيَّةُ. وَبَعَثَ مَعَنَا ٱلْأَمِيرَ مُحَمَّدًا ٱلْهَرَوِيَّ فِي أَلْفِ فَارِسٍ لِيُوصِلَنَا إِلَى ٱلْمَوْضِعِ ٱلَّذِي نَرْكَبُ مِنْهُ ٱلْبَحْرَ. وَكَانَ سَفَرُنَا فِي ٱلسَّابِعَ عَشَرَ لِشَهْرِ صَفَرٍ سَنَةَ سَبْعِمِائَةٍ وَثَلَاثٍ وَأَرْبَعِينَ. وَكَانَ نُزُولُنَا فِي أَوَّلِ مَرْحَلَةٍ بِمَنْزِلِ تِلْبَتَ. وَرَحَلْنَا مِنْهُ إِلَى مَنْزِلِ أَوْ ثُمَّ إِلَى بِيَانَةَ. ثُمَّ سِرْنَا مِنْهَا إِلَى مَدِينَةِ كُولَ. وَلَمَّا ٱنْتَهَيْنَا إِلَيْهَا بَلَغَنَا أَنَّ بَعْضَ كُفَّارِ ٱلْهُنُودِ حَاصَرُوا بَلْدَةَ ٱلْجَلَالِي وَأَحَاطُوا بِهَا وَهِيَ عَلَى مَسَافَةِ سَبْعَةِ أَمْيَالٍ مِنْ كُولَ. فَقَصَدْنَاهَا وَٱلْكُفَّارُ يُقَاتِلُونَ

أَهلَها وَقَدْ أَشرَفُوا عَلَى ٱلتَّلَفِ . وَلَمْ يَعلَمِ ٱلكُفَّارُ بِنَا حَتَّى صَدَقْنَا
ٱلْحَملَةَ عَلَيهِم وَهُمْ فِي نَحوِ أَلفِ فَارِسٍ وَثَلاثَةِ آلافِ رَاجِلٍ فَقَتَلْنَاهُمْ
عَنْ آخِرِهِمْ وَٱحْتَوَينَا عَلَى خَيلِهِمْ وَأَسلِحَتِهِمْ . وَٱسْتُشْهِدَ مِنْ أَصحَابِنَا
ثَلاثَةٌ وَعِشْرُونَ فَارِسًا وَخَمسَةٌ وَخَمسُونَ رَاجِلًا وَٱسْتُشْهِدَ ٱلْفَتَى
كَافُورٌ ٱلسَّاقِي ٱلَّذِي كَانَتِ ٱلْهَدِيَّةُ مُسَلَّمَةً بِيَدِهِ . فَكَتَبنَا إِلَى ٱلسُّلْطَانِ
بِخَبَرِهِ وَأَقَمنَا فِي ٱنتِظَارِ ٱلْجَوَابِ . وَكَانَ ٱلكُفَّارُ فِي أَثنَاءِ ذٰلِكَ يَنزِلُونَ
مِن جَبَلٍ هُنَالِكَ مَنِيعٍ . فَيُغِيرُونَ عَلَى نَوَاحِي بَلْدَةِ ٱلْجَلالِي . وَكَانَ
أَصحَابُنَا يَركَبُونَ كُلَّ يَومٍ مَعَ أَمِيرِ تِلْكَ ٱلنَّاحِيَةِ لِيُعِينُوهُ عَلَى مُدَافَعَتِهِمْ .
وَفِي بَعضِ تِلْكَ ٱلأَيَّامِ رَكِبْتُ فِي جَمَاعَةٍ مِنْ أَصحَابِي وَدَخَلْنَا بُستَانًا
نَقِيلُ فِيهِ وَذٰلِكَ فَصلَ ٱلقَيْظِ . فَسَمِعنَا ٱلصِّيَاحَ فَرَكِبنَا وَلَحِقْنَا كُفَّارًا
أَغَارُوا عَلَى قَرْيَةٍ مِنْ قُرَى ٱلْجَلالِي فَٱتَّبَعنَاهُمْ . فَتَفَرَّقُوا وَتَفَرَّقَ أَصحَابُنَا
فِي طَلَبِهِمْ وَٱنفَرَدْتُ فِي خَمسَةٍ مِنْ أَصحَابِي . فَخَرَجَ عَلَينَا جُمْلَةٌ مِنَ
ٱلْفُرسَانِ وَٱلرِّجَالِ مِنْ غَيضَةٍ هُنَالِكَ فَفَرَرْنَا مِنْهُمْ لِكَثْرَتِهِمْ .
وَٱتَّبَعَنِي نَحوُ عَشَرَةٍ مِنْهُمْ ثُمَّ ٱنقَطَعُوا عَنِّي إِلَّا ثَلاثَةً مِنْهُمْ . وَلَا
طَرِيقَ بَينَ يَدَيَّ . وَتِلْكَ ٱلأَرضُ كَثِيرَةُ ٱلْحِجَارَةِ . فَنَشِبَتْ يَدَا
فَرَسِي بَينَ ٱلْحِجَارَةِ فَنَزَلْتُ عَنهُ وَٱقتَلَعتُ يَدَهُ وَعُدتُ إِلَى رُكُوبِهِ .
وَٱلعَادَةُ بِٱلْهِندِ أَنْ يَكُونَ مَعَ ٱلإِنسَانِ سَيفَانِ أَحَدُهُمَا مُعَلَّقٌ بِٱلسَّرجِ
وَيُسَمَّى ٱلرِّكَابِيَّ وَٱلآخَرُ فِي ٱلتَّرْكَشِ . فَسَقَطَ سَيفِي ٱلرِّكَابِيُّ
مِنْ غِمدِهِ وَكَانَتْ حِليَتُهُ ذَهَبًا فَنَزَلْتُ فَأَخَذْتُهُ وَتَقَلَّدْتُهُ وَرَكِبْتُ

وَهُمْ فِي أَثَرِي . ثُمَّ وَصَلْتُ إِلَى خَنْدَقٍ عَظِيمٍ فَنَزَلْتُ وَدَخَلْتُ فِي جَوْفِهِ فَكَانَ آخِرَ عَهْدِي بِهِمْ . ثُمَّ خَرَجْتُ إِلَى وَادٍ فِي وَسَطِ شَعْرَاءَ مُلْتَفَّةٍ فِي وَسَطِهَا طَرِيقٌ فَمَشَيْتُ عَلَيْهِ وَلَا أَعْرِفُ مُنْتَهَاهُ . فَبَيْنَمَا أَنَا فِي ذَلِكَ خَرَجَ عَلَيَّ نَحْوُ أَرْبَعِينَ رَجُلًا مِنَ الْكُفَّارِ بِأَيْدِيهِمِ الْقِسِيُّ . فَأَحْدَقُوا بِي وَخِفْتُ أَنْ يَرْمُونِي رَمْيَةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ إِنْ فَرَرْتُ مِنْهُمْ . وَكُنْتُ غَيْرَ مُتَدَرِّعٍ فَأَلْقَيْتُ بِنَفْسِي إِلَى الْأَرْضِ وَاسْتَأْسَرْتُ وَهُمْ لَا يَقْتُلُونَ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ . فَأَخَذُونِي وَسَلَبُونِي جَمِيعَ مَا عَلَيَّ غَيْرَ جُبَّةٍ وَقَمِيصٍ وَسِرْوَالٍ وَدَخَلُوا بِي إِلَى تِلْكَ الْغَابَةِ . فَانْتَهَوْا بِي إِلَى مَوْضِعِ جُلُوسِهِمْ مِنْهَا عَلَى حَوْضِ مَاءٍ بَيْنَ تِلْكَ الْأَشْجَارِ . وَأَتَوْنِي بِخُبْزِ مَاشٍ وَهُوَ الْجُلْبَانُ فَأَكَلْتُ مِنْهُ وَشَرِبْتُ مِنَ الْمَاءِ . وَكَانَ مَعَهُمْ مُسْلِمَانِ كَلَّمَانِي بِالْفَارِسِيَّةِ وَسَأَلَانِي عَنْ شَأْنِي . فَأَخْبَرْتُهُمَا بِبَعْضِهِ وَكَتَمْتُهُمَا أَنِّي مِنْ جِهَةِ السُّلْطَانِ فَقَالَا لِي : لَا بُدَّ أَنْ يَقْتُلَكَ هَؤُلَاءِ أَوْ غَيْرُهُمْ وَلَكِنَّ هَذَا مُقَدَّمُهُمْ . وَأَشَارَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ فَكَلَّمْتُهُ بِتَرْجَمَةِ الْمُسْلِمَيْنِ وَتَلَطَّفْتُ لَهُ . فَوَكَّلَ بِي ثَلَاثَةً مِنْهُمْ أَحَدُهُمْ شَيْخٌ وَمَعَهُ ابْنُهُ وَالْآخَرُ أَسْوَدُ خَبِيثٌ . وَكَلَّمَنِي أُولَئِكَ الثَّلَاثَةُ فَفَهِمْتُ مِنْهُمْ أَنَّهُمْ أُمِرُوا بِقَتْلِي . وَاحْتَمَلُونِي عَشِيَّ النَّهَارِ إِلَى كَهْفٍ وَسَلَّطَ اللهُ عَلَى الْأَسْوَدِ مِنْهُمْ حُمَّى مُرْعِدَةً فَوَضَعَ رِجْلَيْهِ عَلَيَّ وَنَامَ الشَّيْخُ وَابْنُهُ . فَلَمَّا أَصْبَحَ تَكَلَّمُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ وَأَشَارُوا إِلَيَّ بِالنُّزُولِ مَعَهُمْ إِلَى الْحَوْضِ وَفَهِمْتُ أَنَّهُمْ يُرِيدُونَ قَتْلِي . فَكَلَّمْتُ الشَّيْخَ

وَتَلَطَّفتُ إِلَيهِ فَرَقَّ لِي. وَقَطَعتُ كُمَّي قَمِيصِي وَأَعطَيتُهُ إِيَّاهُمَا لِكَي لَا يَأْخُذَهُ أَصحَابُهُ فِي إِن فَرَرتُ. وَلَمَّا كَانَ عِندَ الظُّهرِ سَمِعنَا كَلَامًا عِندَ الحَوضِ فَظَنُّوا أَنَّهُم أَصحَابُهُم. فَأَشَارُوا إِلَيَّ بِالنُّزُولِ مَعَهُم فَنَزَلنَا وَوَجَدنَا قَومًا آخَرِينَ. فَأَشَارُوا عَلَيهِم أَن يَذهَبُوا فِي صُحبَتِهِم فَأَبَوا. وَجَلَسَ ثَلَاثَتُهُم أَمَامِي وَأَنَا مُوَاجِهٌ لَهُم وَوَضَعُوا حَبلَ قِنَّبٍ كَانَ مَعَهُم بِالأَرضِ وَأَنَا أَنظُرُ إِلَيهِم وَأَقُولُ فِي نَفسِي: بِهٰذَا الحَبلِ يَربِطُونَنِي عِندَ القَتلِ. وَأَقَمتُ كَذٰلِكَ سَاعَةً ثُمَّ جَاءَ ثَلَاثَةٌ مِن أَصحَابِهِم الَّذِينَ أَخَذُونِي فَتَكَلَّمُوا مَعَهُم وَفَهِمتُ أَنَّهُم قَالُوا لَهُم: لِأَيِّ شَيءٍ مَا قَتَلتُمُوهُ. فَأَشَارَ الشَّيخُ إِلَى الأَسوَدِ كَأَنَّهُ اعتَذَرَ بِمَرَضِهِ. وَكَانَ أَحَدُ هٰؤُلَاءِ الثَّلَاثَةِ شَابًّا حَسَنَ الوَجهِ فَقَالَ لِي: أَتُرِيدُ أَن أُسَرِّحَكَ. فَقُلتُ: نَعَم. فَقَالَ: اذهَب. فَأَخَذتُ الجُبَّةَ الَّتِي كَانَت عَلَيَّ فَأَعطَيتُهُ إِيَّاهَا وَأَعطَانِي مُنَيِّرَةً بَالِيَةً عِندَهُ وَأَرَانِي الطَّرِيقَ فَذَهَبتُ وَخِفتُ أَن يَبدُوَ لَهُم فَيُدرِكُونِي. فَدَخَلتُ غَيضَةَ قَصَبٍ وَاختَفَيتُ فِيهَا إِلَى أَن غَابَتِ الشَّمسُ. ثُمَّ خَرَجتُ وَسَلَكتُ الطَّرِيقَ الَّتِي أَرَانِيهَا الشَّابُّ فَأَفضَت بِي إِلَى مَاءٍ فَشَرِبتُ مِنهُ وَسِرتُ إِلَى ثُلُثِ اللَّيلِ فَوَصَلتُ إِلَى جَبَلٍ فَنِمتُ تَحتَهُ. فَلَمَّا أَصبَحتُ سَلَكتُ الطَّرِيقَ فَوَصَلتُ ضُحًى إِلَى جَبَلٍ مِنَ الصَّخرِ عَالٍ فِيهِ شَجَرُ أُمِّ غِيلَانَ وَالسِّدرِ. فَكُنتُ أَجنِي النَّبقَ فَآكُلُهُ حَتَّى أَثَّرَ الشَّوكُ فِي ذِرَاعِي آثَارًا هِيَ بَاقِيَةٌ بِهِ حَتَّى الآنَ. ثُمَّ نَزَلتُ مِن ذٰلِكَ الجَبَلِ إِلَى أَرضٍ مُزدَرَعَةٍ

قُطْنًا. وَبِهَا أَشْجَارُ ٱلْخِرْوَعِ . وَهُنَالِكَ بَائِنٌ وَٱلْبَائِنُ عِنْدَهُمْ بِئْرٌ مُتَّسِعَةٌ جِدًّا مَطْوِيَّةٌ بِٱلْحِجَارَةِ لَهَا دَرَجٌ يُنْزَلُ عَلَيْهَا إِلَى وِرْدِ ٱلْمَاءِ . وَبَعْضُهَا يَكُونُ فِي وَسَطِهِ وَجَوَانِبِهِ ٱلْقِبَابُ مِنَ ٱلْحَجَرِ وَٱلسَّقَائِفُ وَٱلْمَجَالِسُ وَيَتَفَاخَرُ مُلُوكُ ٱلْبِلَادِ وَأُمَرَاؤُهَا بِعِمَارَتِهَا فِي ٱلطُّرُقَاتِ ٱلَّتِي لَا مَاءَ بِهَا . وَسَنَذْكُرُ بَعْضَ مَا رَأَيْنَاهُ مِنْهَا فِيمَا بَعْدُ . وَلَمَّا وَصَلْتُ إِلَى ٱلْبَائِنِ شَرِبْتُ مِنْهُ وَوَجَدْتُ عَلَيْهِ شَيْئًا مِنْ عَسَالِيجِ ٱلْخَرْدَلِ قَدْ سَقَطَتْ لِمَنْ غَسَلَهَا . فَأَكَلْتُ مِنْهَا وَٱدَّخَرْتُ بَاقِيَهَا وَنِمْتُ تَحْتَ شَجَرَةِ خِرْوَعٍ . فَبَيْنَمَا أَنَا كَذَٰلِكَ إِذْ وَرَدَ ٱلْبَائِنَ نَحْوُ أَرْبَعِينَ فَارِسًا مُدَرَّعِينَ فَدَخَلَ بَعْضُهُمْ إِلَى ٱلْمَزْرَعَةِ ثُمَّ ذَهَبُوا وَطَمَسَ ٱللهُ أَبْصَارَهُمْ دُونِي . ثُمَّ جَاءَ بَعْدَهُمْ نَحْوُ خَمْسِينَ فِي ٱلسِّلَاحِ وَنَزَلُوا إِلَى ٱلْبَائِنِ وَأَتَى أَحَدُهُمْ إِلَى شَجَرَةٍ إِزَاءَ ٱلشَّجَرَةِ ٱلَّتِي كُنْتُ تَحْتَهَا فَلَمْ يَشْعُرْ بِي . وَدَخَلْتُ إِذْ ذَاكَ فِي مَزْرَعَةِ ٱلْقُطْنِ وَأَقَمْتُ بِهَا بَقِيَّةَ نَهَارِي وَأَقَامُوا عَلَى ٱلْبَائِنِ يَغْسِلُونَ ثِيَابَهُمْ وَيَلْعَبُونَ . فَلَمَّا كَانَ ٱللَّيْلُ هَدَأَتْ أَصْوَاتُهُمْ فَعَلِمْتُ أَنَّهُمْ قَدْ مَرُّوا أَوْ نَامُوا . فَخَرَجْتُ حِينَئِذٍ وَٱتَّبَعْتُ أَثَرَ ٱلْخَيْلِ وَٱللَّيْلُ مُقْمِرٌ وَسِرْتُ حَتَّى ٱنْتَهَيْتُ إِلَى بَائِنٍ آخَرَ عَلَيْهِ قُبَّةٌ . فَنَزَلْتُ إِلَيْهِ وَشَرِبْتُ مِنْ مَائِهِ وَأَكَلْتُ مِنْ عَسَالِيجِ ٱلْخَرْدَلِ ٱلَّتِي كَانَتْ عِنْدِي . وَدَخَلْتُ ٱلْقُبَّةَ فَوَجَدْتُهَا مَمْلُوءَةً بِٱلْعُشْبِ مِمَّا يَجْمَعُهُ ٱلطَّيْرُ فَنِمْتُ بِهَا وَكُنْتُ أُحِسُّ حَرَكَةَ حَيَوَانٍ فِي تِلْكَ ٱلْعُشْبِ أَظُنُّهُ حَيَّةً فَلَا أُبَالِي بِهَا لِمَا بِي مِنَ ٱلْجُهْدِ . فَلَمَّا أَصْبَحْتُ سَلَكْتُ طَرِيقًا وَاسِعَةً

تُفضِي إِلَى قَرْيَةٍ خَرِبَةٍ . وَسَلَكْتُ سِوَاهَا فَكَانَتْ كَمِثْلِهَا وَأَقَمْتُ كَذٰلِكَ أَيَّامًا . وَفِي بَعْضِهَا وَصَلْتُ إِلَى أَشْجَارٍ مُلْتَفَّةٍ بَيْنَهَا حَوْضُ مَاءٍ وَدَاخِلَهَا شِبْهُ بَيْتٍ وَعَلَى جَوَانِبِ ٱلْحَوْضِ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ كَٱلنَّجِيلِ وَغَيْرِهِ . فَأَرَدْتُ أَنْ أَقْعُدَ هُنَالِكَ حَتَّى يَبْعَثَ ٱللهُ مَنْ يُوصِلُنِي إِلَى ٱلْعِمَارَةِ . ثُمَّ إِنِّي وَجَدْتُ يَسِيرَ قُوَّةٍ فَنَهَضْتُ عَلَى طَرِيقٍ وَجَدْتُ بِهَا أَثَرَ ٱلْبَقَرِ . وَوَجَدْتُ ثَوْرًا عَلَيْهِ بَرْدَعَةٌ وَمِنْجَلٌ فَإِذَا تِلْكَ ٱلطَّرِيقُ تُفضِي إِلَى قُرَى ٱلْكُفَّارِ . فَٱتَّبَعْتُ طَرِيقًا أُخْرَى فَأَفْضَتْ بِي إِلَى قَرْيَةٍ خَرِبَةٍ وَرَأَيْتُ بِهَا أَسْوَدَيْنِ فَخِفْتُهُمَا وَأَقَمْتُ تَحْتَ أَشْجَارٍ هُنَالِكَ . فَلَمَّا كَانَ ٱللَّيْلُ دَخَلْتُ ٱلْقَرْيَةَ وَوَجَدْتُ دَارًا فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِهَا شِبْهَ خَابِيَةٍ كَبِيرَةٍ يَصْنَعُونَهَا لِٱخْتِزَانِ ٱلزَّرْعِ وَفِي أَسْفَلِهَا نَقْبٌ يَسَعُ ٱلرَّجُلَ . فَدَخَلْتُهَا وَوَجَدْتُ دَاخِلَهَا مَفْرُوشًا بِٱلتِّبْنِ وَفِيهِ حَجَرٌ جَعَلْتُ رَأْسِي عَلَيْهِ وَنِمْتُ . وَكَانَ فَوْقَهَا طَائِرٌ يُرَفْرِفُ بِجَنَاحَيْهِ أَكْثَرَ ٱللَّيْلِ وَأَظُنُّهُ كَانَ يَخَافُ فَٱجْتَمَعْنَا خَائِفَيْنِ . وَأَقَمْتُ عَلَى تِلْكَ ٱلْحَالِ سَبْعَةَ أَيَّامٍ مِنْ يَوْمِ أُسِرْتُ وَهُوَ يَوْمُ ٱلسَّبْتِ . وَفِي ٱلسَّابِعِ مِنْهَا وَصَلْتُ إِلَى قَرْيَةٍ لِلْكُفَّارِ عَامِرَةٍ وَفِيهَا حَوْضُ مَاءٍ وَمَنَابِتُ خُضَرٍ فَسَأَلْتُهُمُ ٱلطَّعَامَ فَأَبَوْا أَنْ يُعْطُونِي . فَوَجَدْتُ حَوْلَ بِئْرٍ بِهَا أَوْرَاقَ فِجْلٍ فَأَكَلْتُهَا . وَجِئْتُ ٱلْقَرْيَةَ فَوَجَدْتُ جَمَاعَةَ كُفَّارٍ لَهُمْ طَلِيعَةٌ فَدَعَانِي طَلِيعَتُهُمْ فَلَمْ أُجِبْهُ . وَقَعَدْتُ إِلَى ٱلْأَرْضِ فَأَتَى أَحَدُهُمْ بِسَيْفٍ مَسْلُولٍ وَرَفَعَهُ لِيَضْرِبَنِي بِهِ فَلَمْ أَلْتَفِتْ إِلَيْهِ لِعَظِيمِ مَا بِي مِنْ

ٱلْجُهْدِ. فَفَتَّشَنِي فَلَمْ يَجِدْ عِنْدِي شَيْئًا فَأَخَذَ ٱلْقَمِيصَ ٱلَّذِي كُنْتُ أَعْطَيْتُ كُمَّيْهِ لِلشَّيْخِ ٱلْمُوَكَّلِ بِي. وَلَمَّا كَانَ ٱلْيَوْمُ ٱلثَّامِنُ ٱشْتَدَّ بِيَ ٱلْعَطَشُ وَعَدِمْتُ ٱلْمَاءَ وَوَصَلْتُ إِلَى قَرْيَةٍ خَرَابٍ فَلَمْ أَجِدْ بِهَا حَوْضًا. وَعَادَتُهُمْ بِتِلْكَ ٱلْقُرَى أَنْ يَصْنَعُوا أَحْوَاضًا يَجْتَمِعُ بِهَا مَاءُ ٱلْمَطَرِ فَيَشْرَبُونَ مِنْهُ جَمِيعَ ٱلسَّنَةِ. فَٱتَّبَعْتُ طَرِيقًا فَأَفْضَتْ بِي إِلَى بِئْرٍ غَيْرِ مَطْوِيَّةٍ عَلَيْهَا حَبْلٌ مَصْنُوعٌ مِنْ نَبَاتِ ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ فِيهِ آنِيَةٌ يُسْتَقَى بِهَا فَرَبَطْتُ خِرْقَةً كَانَتْ عَلَى رَأْسِي فِي ٱلْحَبْلِ وَٱمْتَصَصْتُ مَا تَعَلَّقَ بِهَا مِنَ ٱلْمَاءِ فَلَمْ يُرْوِنِي. فَرَبَطْتُ خُفِّي وَٱسْتَقَيْتُ بِهِ فَلَمْ يُرْوِنِي. فَٱسْتَقَيْتُ بِهِ ثَانِيًا فَٱنْقَطَعَ ٱلْحَبْلُ وَوَقَعَ ٱلْخُفُّ فِي ٱلْبِئْرِ. فَرَبَطْتُ ٱلْخُفَّ ٱلْآخَرَ وَشَرِبْتُ حَتَّى رَوِيتُ. ثُمَّ قَطَعْتُهُ فَرَبَطْتُ أَعْلَاهُ فِي رِجْلِي بِحَبْلِ ٱلْبِئْرِ وَبِخِرَقٍ وَجَدْتُهَا هُنَالِكَ. فَبَيْنَمَا أَنَا أَرْبِطُهَا وَأُفَكِّرُ فِي حَالِي إِذْ لَاحَ لِي شَخْصٌ فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ فَإِذَا رَجُلٌ أَسْوَدُ ٱللَّوْنِ بِيَدِهِ إِبْرِيقٌ وَعُكَّازٌ وَعَلَى كَاهِلِهِ جِرَابٌ. فَقَالَ لِي: سَلَامٌ عَلَيْكُمْ. فَقُلْتُ لَهُ: عَلَيْكُمُ ٱلسَّلَامُ وَرَحْمَةُ ٱللهِ وَبَرَكَاتُهُ. فَقَالَ لِي بِٱلْفَارِسِيَّةِ: مَنْ أَنْتَ. فَقُلْتُ لَهُ: أَنَا تَائِهٌ. فَقَالَ لِي: وَأَنَا كَذٰلِكَ. ثُمَّ رَبَطَ إِبْرِيقَهُ بِحَبْلٍ كَانَ مَعَهُ وَٱسْتَقَى مَاءً. فَأَرَدْتُ أَنْ أَشْرَبَ فَقَالَ لِي: ٱصْبِرْ. ثُمَّ فَتَحَ جِرَابَهُ فَأَخْرَجَ مِنْهُ غُرْفَةَ حِمَّصٍ أَسْوَدَ مَقْلُوٍّ مَعَ قَلِيلِ أَرُزٍّ فَأَكَلْتُ مِنْهُ وَشَرِبْتُ وَسَأَلَنِي عَنِ ٱسْمِي. فَقُلْتُ: مُحَمَّدٌ. وَسَأَلْتُهُ عَنِ ٱسْمِهِ. فَقَالَ لِي: ٱلْقَلْبُ ٱلْفَارِحُ. فَتَفَاءَلْتُ بِذٰلِكَ

وَسِرْتُ بِهِ . ثُمَّ قَالَ لِي : بِسْمِ ٱللهِ تُرَافِقُنِي . فَقُلْتُ : نَعَمْ . فَمَشَيْتُ مَعَهُ قَلِيلًا ثُمَّ وَجَدْتُ فُتُورًا فِي أَعْضَائِي وَلَمْ أَسْتَطِعِ ٱلنُّهُوضَ فَقَعَدْتُ . فَقَالَ : مَا شَأْنُكَ . فَقُلْتُ لَهُ : كُنْتُ قَادِرًا عَلَى ٱلْمَشْيِ قَبْلَ أَنْ أَلْقَاكَ فَلَمَّا لَقِيتُكَ عَجَزْتُ . فَقَالَ : سُبْحَانَ ٱللهِ . ٱرْكَبْ فَوْقَ عُنُقِي . فَقُلْتُ لَهُ : إِنَّكَ ضَعِيفٌ وَلَا تَسْتَطِيعُ ذٰلِكَ . فَقَالَ : يُقَوِّينِي ٱللهُ . لَا بُدَّ لَكَ مِنْ ذٰلِكَ . فَرَكِبْتُ عَلَى عُنُقِهِ وَقَالَ لِي : قُلْ : حَسْبُنَا ٱللهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ . فَأَكْثَرْتُ مِنْ ذٰلِكَ . وَغَلَبَتْنِي عَيْنِي فَلَمْ أُفِقْ إِلَّا لِسُقُوطِي عَلَى ٱلْأَرْضِ . فَٱسْتَيْقَظْتُ وَلَمْ أَرَ لِلرَّجُلِ أَثَرًا وَإِذَا أَنَا فِي قَرْيَةٍ عَامِرَةٍ . فَدَخَلْتُهَا فَوَجَدْتُهَا لِرَعِيَّةِ ٱلْهُنُودِ وَحَاكِمُهَا مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ فَأَعْلَمُوهُ بِي فَجَاءَ إِلَيَّ . فَقُلْتُ لَهُ : مَا ٱسْمُ هٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ . فَقَالَ لِي : تَاجْ بُورَه . وَبَيْنَهَا وَبَيْنَ مَدِينَةِ كُولَ حَيْثُ أَصْحَابُنَا فَرْسَخَانِ . وَحَمَلَنِي ذٰلِكَ ٱلْحَاكِمُ إِلَى بَيْتِهِ فَأَطْعَمَنِي طَعَامًا سُخْنًا وَٱغْتَسَلْتُ وَقَالَ لِي : عِنْدِي ثَوْبٌ وَعِمَامَةٌ أَوْدَعَهُمَا عِنْدِي رَجُلٌ عَرَبِيٌّ مِصْرِيٌّ مِنْ أَهْلِ ٱلْمَحَلَّةِ ٱلَّتِي بِكُولَ . فَقُلْتُ لَهُ : هَاتِهِمَا أَلْبَسُهُمَا إِلَى أَنْ أَصِلَ إِلَى ٱلْمَحَلَّةِ . فَأَتَى بِهِمَا فَوَجَدْتُهُمَا مِنْ ثِيَابِي كُنْتُ قَدْ وَهَبْتُهُمَا لِذٰلِكَ ٱلْعَرَبِيِّ لَمَّا قَدِمْنَا كُولَ . فَطَالَ تَعَجُّبِي مِنْ ذٰلِكَ . وَفَكَّرْتُ فِي ٱلرَّجُلِ ٱلَّذِي حَمَلَنِي عَلَى عُنُقِهِ . فَتَذَكَّرْتُ مَا أَخْبَرَنِي بِهِ وَلِيُّ ٱللهِ أَبُو عَبْدِ ٱللهِ ٱلْمُرْشِدِيُّ حَسْبَمَا ذَكَرْنَاهُ فِي ٱلسَّفَرِ ٱلْأَوَّلِ إِذْ قَالَ لِي : سَتَدْخُلُ أَرْضَ ٱلْهِنْدِ وَتَلْقَى بِهَا أَخِي دِلْشَادَ وَيُخَلِّصُكَ مِنْ شِدَّةٍ تَقَعُ فِيهَا . وَتَذَكَّرْتُ قَوْلَهُ

لَمَّا سَأَلْتُهُ عَنِ اسْمِهِ فَقَالَ الْقَلْبُ الْفَارِحُ. وَتَفْسِيرُهُ بِالْفَارِسِيَّةِ دِلْشَادْ. فَعَلِمْتُ أَنَّهُ هُوَ الَّذِي أَخْبَرَنِي بِلِقَائِهِ وَأَنَّهُ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ. وَلَمْ يَحْصُلْ لِي مِنْ صُحْبَتِهِ إِلَّا الْمِقْدَارُ الَّذِي ذَكَرْتُهُ. وَكَتَبْتُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ إِلَى أَصْحَابِي بِكُول مُعْلِمًا لَهُمْ بِسَلَامَتِي فَجَاؤُوا إِلَيَّ بِفَرَسٍ وَثِيَابٍ وَاسْتَبْشَرُوا بِي. وَوَجَدْتُ جَوَابَ السُّلْطَانِ قَدْ وَصَلَهُمْ وَبَعَثَ بِفَتًى يُسَمَّى بِسُنْبُلِ الْجَامَدَارِ عِوَضًا عَنْ كَافُورٍ الْمُسْتَشْهَدِ. وَأَمَرَنَا أَنْ نَتَمَادَى عَلَى سَفَرِنَا وَوَجَدْتُهُمْ أَيْضًا قَدْ كَتَبُوا لِلسُّلْطَانِ بِمَا كَانَ مِنْ أَمْرِي وَتَشَاءَمُوا بِهٰذِهِ السَّفْرَةِ لِمَا جَرَى فِيهَا عَلَيَّ وَعَلَى كَافُورٍ وَهُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يَرْجِعُوا. فَلَمَّا رَأَيْتُ تَأْكِيدَ السُّلْطَانِ فِي السَّفَرِ أَكَّدْتُ عَلَيْهِمْ وَقَوِيَ عَزْمِي فَقَالُوا: أَلَا تَرَى مَا اتَّفَقَ فِي بِدَايَةِ هٰذِهِ السَّفْرَةِ وَالسُّلْطَانُ يَعْذِرُكَ فَلْنَرْجِعْ إِلَيْهِ أَوْ نُقِمْ حَتَّى يَصِلَ جَوَابُهُ. فَقُلْتُ لَهُمْ: لَا يُمْكِنُ الْمُقَامُ وَحَيْثُمَا كُنَّا أَدْرَكَنَا الْجَوَابُ. فَرَحَلْنَا عَنْ كُول وَأَتْمَمْنَا سَفَرَنَا إِلَى الصِّينِ حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَيْهَا (لابن بطوطة)

نبذةٌ من كتاب مروج الذهب للمسعودي

(باختصار)

٣١٥ إِنَّنَا نَذْكُرُ فِي هٰذَا الْبَابِ جُمَلًا مِنْ أَخْبَارِ مَا اتَّصَلَ بِنَا مِنَ الْبَحْرِ الْحَبَشِيِّ وَالْمَمَالِكِ وَالْمُلُوكِ وَجُمَلًا مِنْ تَرْتِيبِهَا وَغَيْرِ ذٰلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ الْعَجَائِبِ فَنَقُولُ: إِنَّ بَحْرَ الصِّينِ وَالْهِنْدِ وَفَارِسَ وَالْيَمَنِ مُتَّصِلَةٌ مِيَاهُهَا غَيْرُ مُنْفَصِلَةٍ. إِلَّا أَنَّ هَيَجَانَهَا وَرُكُودَهَا يَخْتَلِفُ لِاخْتِلَافِ

مَهَابَ رِيَاحِهَا وَإِبَّانِ ثَوَرَانِهَا وَغَيْرِ ذَلِكَ . فَبَحْرُ فَارِسَ تَكْثُرُ أَمْوَاجُهُ وَيَصْعُبُ رُكُوبُهُ عِنْدَ لِينِ بَحْرِ الْهِنْدِ وَاسْتِقَامَةِ الرُّكُوبِ فِيهِ وَقِلَّةِ أَمْوَاجِهِ. وَيَلِينُ بَحْرُ فَارِسَ وَتَقِلُّ أَمْوَاجُهُ وَيَسْهُلُ رُكُوبُهُ عِنْدَ ارْتِجَاجِ بَحْرِ الْهِنْدِ وَاضْطِرَابِ أَمْوَاجِهِ وَظُلْمَتِهِ وَصُعُوبَتِهِ عِنْدَ رُكُوبِهِ ... وَالْغَوْصُ عَلَى اللُّؤْلُؤِ فِي بَحْرِ فَارِسَ إِنَّمَا يَكُونُ فِي أَوَّلِ نِيسَانَ إِلَى آخِرِ أَيْلُولَ وَمَا عَدَا ذَلِكَ مِنْ شُهُورِ السَّنَةِ فَلَا غَوْصَ فِيهَا . وَتَطْلُقُ الْمَرَاكِبُ مِنْ بَحْرِ فَارِسَ إِلَى الْبَحْرِ الثَّانِي وَهُوَ الْمَعْرُوفُ بِلَارَوِي . لَا يُدْرَكُ قَعْرُهُ وَلَا يُحْصَرُ كَثْرَةً مِنْ نِهَايَاتِهِ وَلَا تُضْبَطُ غَايَاتُهُ لِغُزْرِ مَائِهِ وَاتِّسَاعِ فَضَائِهِ . وَكَثِيرٌ مِنَ الْبَحْرِيِّينَ يَزْعُمُونَ أَنَّ الْوَصْفَ لَا يُحِيطُ بِأَقْطَارِهِ لِمَا ذَكَرْنَا مِنْ تَشَعُّبِهِ . وَرُبَّمَا تَقْطَعُهُ السُّفُنُ فِي الشَّهْرَيْنِ وَالثَّلَاثَةِ وَفِي الشَّهْرِ عَلَى قَدْرِ مَهَابِّ الرِّيَاحِ وَالسَّلَامَةِ . وَلَيْسَ فِي هٰذِهِ الْبِحَارِ (أَعْنِي مَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ الْبَحْرُ الْحَبَشِيُّ) أَكْبَرُ مِنْ هٰذَا الْبَحْرِ لَارَوِي وَلَا أَشَدُّ . وَفِي عُرْضِهِ بَحْرُ الزِّنْجِ وَبِلَادُهُمْ . وَعَنْبَرُ هٰذَا الْبَحْرِ قَلِيلٌ . وَذٰلِكَ أَنَّ الْعَنْبَرَ أَكْثَرُهُ يَقَعُ إِلَى بِلَادِ الزِّنْجِ وَسَاحِلِ الشِّحْرِ مِنْ أَرْضِ الْعَرَبِ . وَأَهْلُ الشِّحْرِ أُنَاسٌ مِنْ قُضَاعَةَ بْنِ حِمْيَرَ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْعَرَبِ . وَيُدْعَى مَنْ سَكَنَ هٰذَا الْبَلَدَ مِنَ الْعَرَبِ الْمَهْرَةَ . أَصْحَابُ شُعُورٍ وَجُمَمٍ وَلُغَتُهُمْ بِخِلَافِ لُغَةِ الْعَرَبِ . وَذٰلِكَ أَنَّهُمْ يَجْعَلُونَ الشِّينَ بَدَلًا مِنَ الْكَافِ وَغَيْرِ ذٰلِكَ فِي خِطَابِهِمْ وَنَوَادِرِ كَلَامِهِمْ وَهُمْ ذَوُو فَقْرٍ وَفَاقَةٍ . وَلَهُمْ نُجُبٌ يَرْكَبُونَهَا بِاللَّيْلِ تُعْرَفُ

بِالنُّجُبِ الْمَهْرِيَّةِ تُشَبَّهُ فِي السُّرْعَةِ بِالنُّجُبِ الْبَجَاوِيَّةِ . بَلْ عِنْدَ جَمَاعَةٍ أَنَّهَا أَسْرَعُ مِنْهَا . يَسِيرُونَ عَلَيْهَا عَلَى سَاحِلِ بَحْرِهِمْ . وَأَجْوَدُ الْعَنْبَرِ مَا وَقَعَ إِلَى هٰذِهِ النَّاحِيَةِ وَإِلَى جَزَائِرِ الزَّنْجِ وَسَاحِلِهِ . وَهُوَ الْمُدَوَّرُ الْأَزْرَقُ . وَأَهْلُ جَزَائِرِ الزَّنْجِ مُتَّفِقُو الْكَلِمَةِ لَا يَحْصُرُهُمُ الْعَدَدُ لِكَثْرَتِهِمْ وَلَا تُحْصَى جُيُوشُ الْمَرْأَةِ الْمُتَمَلِّكَةِ عَلَيْهِمْ . وَبَيْنَ الْجَزِيرَةِ وَالْجَزِيرَةِ نَحْوُ الْمِيلِ وَالْفَرْسَخِ وَالْفَرْسَخَيْنِ وَالثَّلَاثَةِ . وَلَيْسَ يُوجَدُ فِي جَزَائِرِ الْبَحْرِ أَلْطَفُ صَنْعَةً مِنْ أَهْلِ هٰذِهِ الْجَزَائِرِ فِي سَائِرِ الْمِهَنِ وَالصَّنَائِعِ مِنَ الثِّيَابِ وَالْآلَاتِ وَغَيْرِ ذٰلِكَ . وَبُيُوتُ أَمْوَالِ هٰذِهِ الْمَلِكَةِ الْوَدَعُ . وَهٰذِهِ الْجَزَائِرُ تُعْرَفُ جَمِيعًا بِالدِّيبَجَاتِ . وَمِنْهَا يُحْمَلُ أَكْثَرُ النَّارَجِيلِ . وَآخِرُ هٰذِهِ الْجَزَائِرِ جَزِيرَةُ سَرَنْدِيبَ . وَيَلِي سَرَنْدِيبَ جَزَائِرُ أُخَرُ نَحْوٌ مِنْ أَلْفِ فَرْسَخٍ تُعْرَفُ بِالرَّامِنِي مَعْمُورَةٌ . فِيهَا مُلُوكٌ وَفِيهَا مَعَادِنُ ذَهَبٍ كَثِيرَةٌ وَيَلِيهَا بِلَادُ قَيْصُورَ وَإِلَيْهَا يُضَافُ الْكَافُورُ الْقَيْصُورِيُّ . وَأَكْثَرُ مَا ذَكَرْنَا مِنْ هٰذِهِ الْجَزَائِرِ غِذَاؤُهُمُ النَّارَجِيلُ . وَيُحْمَلُ مِنْ هٰذِهِ الْجَزَائِرِ خَشَبُ الْبَقَّمِ وَالْخَيْزُرَانُ وَالذَّهَبُ . وَفِيَلَتُهَا كَثِيرَةٌ وَمِنْ أَهْلِهَا مَنْ يَأْكُلُ لُحُومَ النَّاسِ . وَتَتَّصِلُ هٰذِهِ الْجَزَائِرُ بِجَزَائِرِ النَّجْمَالُوسَ . وَهُمْ أُمَمٌ عَجِيبَةٌ يَخْرُجُونَ فِي الْقَوَارِبِ عِنْدَ اجْتِيَازِ الْمَرَاكِبِ بِهِمْ مَعَهُمُ الْعَنْبَرُ وَالنَّارَجِيلُ وَغَيْرُ ذٰلِكَ . فَيَتَعَاوَضُونَ بِالْحَدِيدِ وَشَيْءٍ مِنَ الثِّيَابِ وَلَا يَبِيعُونَ ذٰلِكَ بِالدَّرَاهِمِ وَالدَّنَانِيرِ . وَيَلِيهِمْ جَزَائِرُ يُقَالُ لَهَا أَبْرَامَانُ فِيهَا أُنَاسٌ سُودٌ عَجِيبُو الصُّوَرِ وَالْمَنَاظِرِ

ٱلصِّينِ . وَفِي أَطْرَافِ جَزَائِرِهِ جِبَالٌ كَثِيرَةٌ فِيهَا ٱلنَّاسُ مُخَرَّمُو ٱلْآذَانِ بِيضُ ٱلْوُجُوهِ يَجُزُّونَ شُعُورَهُمْ . وَتَظْهَرُ مِنْ جِبَالِهِمِ ٱلنَّارُ بِٱللَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ . بِنَهَارِهَا نَارٌ حَمْرَاءُ وَبِٱللَّيْلِ تَسْوَدُّ وَتَلْحَقُ بِأَعْنَانِ ٱلسَّمَاءِ لِعُلُوِّهَا وَذَهَابِهَا فِي ٱلْجَوِّ . تَقْذِفُ بِأَشَدِّ مَا يَكُونُ مِنْ صَوْتِ ٱلرُّعُودِ وَٱلصَّوَاعِقِ . ثُمَّ يَلِيهِ بَحْرُ ٱلصِّينِ وَهُوَ بَحْرٌ خَبِيثٌ كَثِيرُ ٱلْمَوْجِ وَٱلْخِبِّ . وَتَفْسِيرُ ٱلْخِبِّ ٱلشِّدَّةُ ٱلْعَظِيمَةُ فِي ٱلْبَحْرِ . وَفِيهَا جِبَالٌ كَثِيرَةٌ لَا بُدَّ لِلْمَرَاكِبِ مِنَ ٱلنُّفُوذِ بَيْنَهَا . وَلَيْسَ بَعْدَ بِلَادِ ٱلصِّينِ مِمَّا يَلِي ٱلْبَحْرَ مَمَالِكُ تُعْرَفُ وَلَا بِلَادٌ تُوصَفُ إِلَّا بِلَادُ ٱلسِّيلَى وَجَزَائِرُهَا . وَلَمْ يَصِلْ إِلَيْهَا مِنَ ٱلْغُرَبَاءِ أَحَدٌ مِنَ ٱلْعِرَاقِ وَلَا غَيْرِهَا فَخَرَجَ عَنْهَا لِصِحَّةِ هَوَائِهَا وَرِقَّةِ مَائِهَا وَجُودَةِ تُرْبَتِهَا وَلِكَثْرَةِ خَيْرِهَا إِلَّا ٱلنَّادِرُ مِنَ ٱلنَّاسِ . وَأَهْلُهَا مُهَادِنُونَ لِأَهْلِ ٱلصِّينِ وَمُلُوكِهَا . وَٱلْهَدَايَا بَيْنَهُمْ لَا تَكَادُ تَنْقَطِعُ . وَقَدْ قِيلَ إِنَّهُمْ شَعْبٌ مِنْ وَلَدِ عَامُورٍ سَكَنُوا هُنَالِكَ عَلَى حَسَبِ مَا ذَكَرْنَا مِنْ سُكْنَى أَهْلِ ٱلصِّينِ فِي بِلَادِهِمْ . وَلِلصِّينِ أَنْهَارٌ كِبَارٌ مِثْلُ دِجْلَةَ وَٱلْفُرَاتِ تَجْرِي مِنْ بِلَادِ ٱلتُّرْكِ وَٱلتُّبَّتِ وَٱلصُّغْدِ . وَهُمْ بَيْنَ بُخَارَى وَسَمَرْقَنْدَ . وَهُنَالِكَ جِبَالُ ٱلنُّوشَادِرِ . فَإِذَا كَانَ ٱلصَّيْفُ رَأَيْتَ فِي ٱللَّيْلِ نِيرَانًا قَدِ ٱرْتَفَعَتْ مِنْ تِلْكَ ٱلْجِبَالِ مِنْ نَحْوِ مِائَةِ فَرْسَخٍ . وَبِٱلنَّهَارِ يَظْهَرُ مِنْهَا ٱلدُّخَانُ لِغَلَبَةِ شُعَاعِ ٱلشَّمْسِ وَضَوْءِهَا وَضَوْءِ ٱلنَّهَارِ . وَمِنْ هُنَالِكَ يُحْمَلُ ٱلنُّوشَادِرُ . فَإِذَا كَانَ أَوَّلُ ٱلشِّتَاءِ مَنْ أَرَادَ مِنْ بِلَادِ خُرَاسَانَ أَنْ يَسْلُكَ إِلَى بِلَادِ ٱلصِّينِ صَارَ إِلَى مَا هُنَالِكَ .

وَهُنَالِكَ وَادٍ بَيْنَ تِلْكَ ٱلْجِبَالِ طُولُهُ أَرْبَعُونَ مِيلًا أَوْ خَمْسُونَ مِيلًا . فَيَأْتِي إِلَى أُنَاسٍ هُنَالِكَ عَلَى فَمِ ٱلْوَادِي فَيُرَغِّبُهُمْ فِي ٱلْأُجْرَةِ ٱلنَّفِيسَةِ فَيَحْمِلُونَ مَا مَعَهُ عَلَى أَكْتَافِهِمْ . وَبِأَيْدِيهِمُ ٱلْعِصِيُّ يَضْرِبُونَ جَنْبَيْهِ خَوْفًا أَنْ يَتْلَجَ وَيَقِفَ فَيَمُوتَ مِنْ كَرْبِ ٱلْوَادِي . وَهُوَ يُحْضِرُ أَمَامَهُمْ حَتَّى يَخْرُجُوا إِلَى ذَٰلِكَ ٱلرَّأْسِ مِنَ ٱلْوَادِي . وَهُنَالِكَ غَابَاتٌ وَمُسْتَنْقَعَاتٌ لِلْمَاءِ فَيَطْرَحُونَ أَنْفُسَهُمْ فِي ذَٰلِكَ ٱلْمَاءِ لِمَا قَدْ نَالَهُمْ مِنْ شِدَّةِ ٱلْكَرْبِ وَحَرِّ ٱلنُّوشَادِرِ . وَلَا يَسْلُكُ ذَٰلِكَ ٱلطَّرِيقَ شَيْءٌ مِنَ ٱلْبَهَائِمِ لِأَنَّ ٱلنُّوشَادِرَ يَلْتَهِبُ نَارًا فِي ٱلصَّيْفِ . فَلَا يَسْلُكُ ذَٰلِكَ ٱلْوَادِيَ دَاعٍ وَلَا مُجِيبٌ . فَإِذَا كَانَ ٱلشِّتَاءُ وَكَثُرَتِ ٱلثُّلُوجُ وَٱلْأَنْدَاءُ وَقَعَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمَوْضِعِ فَأَطْفَأَ حَرَّ ٱلنُّوشَادِرِ وَلَهِيبَهُ فَيَسْلُكُ ٱلنَّاسُ حِينَئِذٍ ذَٰلِكَ ٱلْوَادِيَ . وَٱلْبَهَائِمُ لَا صَبْرَ لَهَا عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ حَرِّهِ . وَكَذَٰلِكَ مَنْ وَرَدَ مِنْ بِلَادِ ٱلصِّينِ فُعِلَ بِهِ مِنَ ٱلضَّرْبِ مَا فُعِلَ بِٱلْمَارِّ . وَٱلْمَسَافَةُ بَيْنَ بِلَادِ خُرَاسَانَ عَلَى ٱلْمَوْضِعِ ٱلَّذِي ذَكَرْنَا إِلَى بِلَادِ ٱلصِّينِ نَحْوٌ مِنْ أَرْبَعِينَ يَوْمًا . بَيْنَ عَامِرٍ وَغَامِرٍ وَدَهَاسٍ وَرِمَالٍ . وَفِي غَيْرِ هٰذَا ٱلطَّرِيقِ مِمَّا يَسْلُكُهُ ٱلْبَهَائِمُ نَحْوٌ مِنْ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ إِلَّا أَنَّ ذَٰلِكَ فِي خَفَارَاتِ أَنْوَاعٍ مِنَ ٱلتُّرْكِ . وَقَدْ رَأَيْتُ بِبَلْخَ شَيْخًا جَمِيلًا ذَا رَأْيٍ وَفَهْمٍ قَدْ دَخَلَ ٱلصِّينَ مِرَارًا كَثِيرَةً وَلَمْ يَرْكَبِ ٱلْبَحْرَ قَطُّ . وَقَدْ رَأَيْتُ عِدَّةً مِنَ ٱلنَّاسِ مِمَّنْ سَلَكَ مِنْ بِلَادِ ٱلصُّغْدِ عَلَى جِبَالِ ٱلنُّوشَادِرِ إِلَى أَرْضِ ٱلتُّبَّتِ وَٱلصِّينِ بِبِلَادِ خُرَاسَانَ . وَبِلَادُ ٱلْهِنْدِ مُتَّصِلَةٌ بِبِلَادِ

خُرَاسَانَ وَٱلسِّنْدِ مِمَّا يَلِي ٱلْمَنْصُورَةَ وَٱلْمُولْتَانَ . وَٱلْقَوَافِلُ مُتَّصِلَةٌ مِنَ ٱلسِّنْدِ إِلَى خُرَاسَانَ . وَكَذٰلِكَ إِلَى ٱلْهِنْدِ إِلَى أَنْ تَتَّصِلَ هٰذِهِ ٱلدِّيَارُ بِبِلَادِ زَابُلِسْتَانَ

السَّفرة الثّانية من سَفرات السّندباد البحري (*)

٣١٦ قَالَ ٱلسِّنْدَبَادُ ٱلْبَحْرِيُّ إِنِّي لَمَّا ٱنْهَمَكْتُ فِي ٱللَّذَّاتِ وَٱنْتِهَابِ ٱلْمَسَرَّاتِ خَطَرَ بِبَالِي ٱلسَّفَرُ وَٱشْتَاقَتْ نَفْسِي لِلْمَتْجَرِ وَنَسِيتُ مَا لَقِيتُ مِنَ ٱلشِّدَّاتِ . فَأَخَذْتُ فِي ٱلْأُهْبَةِ وَٱشْتَرَيْتُ مَتَاعًا مَلِيحًا وَشَدَدْتُ ٱلْأَحْمَالَ وَسَافَرْتُ مَعَ تُجَّارٍ مُرَافِقِينَ وَرِفَاقٍ مُوَافِقِينَ . حَتَّى وَصَلْنَا إِلَى سَاحِلِ ٱلْبَحْرِ وَرَكِبْنَا فِي مَرْكَبٍ مَكِينٍ وَنَحْنُ بِٱللّٰهِ نَسْتَعِينُ . وَمَا زِلْنَا نَسِيرُ مِنْ جَزِيرَةٍ إِلَى جَزِيرَةٍ وَنَحْنُ نَبِيعُ وَنَشْتَرِي وَنَتَعَوَّضُ حَتَّى نَزَلْنَا ذَاتَ يَوْمٍ عَلَى جَزِيرَةٍ كَثِيرَةِ ٱلْأَشْجَارِ وَٱلْأَثْمَارِ . خَالِيَةٍ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا فِيهَا دَيَّارٌ وَلَا نَافِخُ نَارٍ . فَرَسَا ٱلْمَرْكَبُ عَلَيْهَا . وَطَلَعَ ٱلتُّجَّارُ إِلَيْهَا . وَتَنَزَّهُوا عَلَى رِيَاضِهَا وَأَنْهَارِهَا . وَجَمَعُوا مِنْ أَزْهَارِهَا وَأَثْمَارِهَا . وَأَنَا قَدْ أَخَذْتُ ٱلسُّفْرَةَ وَٱلْمُدَامَ وَجَلَسْتُ عَلَى سَاقِيَةٍ جَارِيَةٍ بَيْنَ أَشْجَارٍ مُثْمِرَةٍ فَأَكَلْتُ وَشَرِبْتُ وَطَابَ لِي ٱلْمَنَامُ . فَرَقَدْتُ مَكَانِي بَيْنَ ٱلْأَشْجَارِ . فَمَا ٱسْتَيْقَظْتُ إِلَّا وَٱلْمَرْكَبُ قَدْ أَقْلَعَ وَسَارَ وَسَافَرَ وَغَاصَ فِي ٱلْبَحْرِ . فَقُمْتُ وَلَمْ أَجِدْ عِنْدِي لَا أَنِيسًا وَلَا جَلِيسًا . وَٱلْمَرْكَبُ

(*) تنبيه . ليست قصّة السندباد البحري امرًا واقعيًا بل أحدوثة مختلقة وقد ضمّناها الى الكتاب لما تضمّنته من الملح والفكاهات واوصاف بلاد معروفة

قد أبعد عني وما بقيت أنظره. فصرخت ولطمت على رأسي وانقطع رجائي من الحياة والدنيا وكادت مرارتي تنفطر من الندم. ووقعت على الأرض مغشيا علي زمانا طويلا وبكيت ولمت زوجي حيث لم أنته عن السفر. وندمت حيث لا ينفع الندم وقلت: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. وبقيت كالمجنون لا أقدر على السكوت فصعدت على شجرة عالية ونظرت يمينا وشمالا. فلم أر غير الماء والسماء فنظرت وإذا شيء أبيض قد لاح لي من البعد فنزلت من الشجرة. وأخذت السفرة وكان فيها زاد كثير. ثم إني قصدت ذلك البياض وإذا هي قبة كبيرة شاهقة ملسة ناعمة. قد نوت منها ودرت حولها فلم أجد لها بابا ولم أطق الصعود إليها من ملاستها. وكانت استدارتها خمسين خطوة فبقيت متحيرا في ذلك وكانت الشمس قد قاربت الغروب. وإذا الجو قد أظلم وظهرت غيمة كبيرة فتأملتها وإذا هي طير. فتذكرت ما أخبر البحريون عن طير الرخ الذي هو بقدر الغيمة وتلك القبة هي بيضته. وإذا بالطير قد نزل عليها وأنا في جانبها. فوقع أحد مخالبه قدامي كأنه سكة حديد كبيرة. فحللت عمامتي من رأسي وشددت نفسي في طرف العمامة وفي المخلب شدا وثيقا. وقلت لعل هذا الطير يخرجني من هذه الجزيرة إلى مكان عامر. فلما أصبح الصباح أقلع الرخ وطار في الفضاء وأنا مربوط في مخلبه ربطا وثيقا والسفرة معي. ولم يزل

فِيهِ فَيَلْتَصِقُ فِيهِ بَعْضُ ٱلْأَلْمَاسِ فَتَنْزِلُ ٱلنُّسُورُ وَتُصْعِدُهُ إِلَى ٱلْجَبَلِ حَتَّى تُطْعِمَهُ أَفْرَاخَهَا. فَيَأْتِي ٱلتُّجَّارُ وَيَأْخُذُونَ مَا لَصِقَ بِهِ مِنَ ٱلْأَحْجَارِ كُلُّ تَاجِرٍ مِنْ شِقَّتِهِ وَلَيْسَ أَحَدٌ يَقْدِرُ أَنْ يَأْخُذَ مِنْهُ شَيْئًا إِلَّا بِهٰذِهِ ٱلْحِيلَةِ. فَطَارَ قَلْبِي بِذٰلِكَ وَجَمَعْتُ مِنَ ٱلْوَادِي مَا قَدَرْتُ مِنْ أَفْخَرِ ٱلْأَلْمَاسِ ٱلْمَلِيحِ وَمَلَأْتُ ٱلسُّفْرَةَ. وَأَتَيْتُ إِلَى شِقَّةٍ كَبِيرَةٍ تَجَلَّلْتُ فِيهَا وَرَبَطْتُهَا فِي ٱلْعِمَامَةِ رَبْطًا وَثِيقًا وَٱلسُّفْرَةُ مَعِي. وَبَعْدَ قَلِيلٍ أَتَتِ ٱلنُّسُورُ وَكُلٌّ مِنْهَا حَمَلَ شِقَّةً وَٱرْتَفَعَ بِهَا إِلَى أَعْلَى ٱلْجَبَلِ. وَشِقَّتِي حَمَلَهَا نَسْرٌ كَبِيرٌ وَوَضَعَهَا فَوْقَ ٱلْجَبَلِ أَيْضًا. وَإِذَا بِصَيْحَاتٍ قَدْ عَلَتْ عَلَى ٱلنُّسُورِ فَأَجْفَلَتْ وَتَرَكَتِ ٱللُّحُومَ وَطَارَتْ. فَأَتَى ٱلتُّجَّارُ كُلٌّ وَاحِدٍ إِلَى شِقَّتِهِ فَنَهَضَ صَاحِبُ شِقَّتِي لِيَأْخُذَ مَا لَصِقَ بِهَا. فَوَجَدَنِي وَٱرْتَعَدَ مِنِّي فَقُلْتُ لَهُ: لَا تَخَفْ أَنَا إِنْسَانٌ مِثْلُكَ. فَصَرَخَ وَبَكَى وَقَالَ: يَا خَيْبَةَ تِجَارَتِي فِيكَ. فَقُلْتُ لَهُ: لَا بَأْسَ عَلَيْكَ. أَنَا مَعِي شَيْءٌ أُعْطِيكَ أَكْثَرَ مِمَّا حَصَلَ لِرِفَاقِكَ. ثُمَّ إِنَّهُ تَقَدَّمَ وَحَلَّ ٱلشِّقَّةَ وَٱلْعِمَامَةَ وَأَخْرَجَنِي. وَإِذَا بِٱلتُّجَّارِ قَدِ ٱجْتَمَعُوا إِلَيَّ وَسَأَلُونِي عَنْ حَالِي وَعَرَفُونِي. فَحَكَيْتُ لَهُمْ مَا جَرَى فَتَعَجَّبُوا عَجَبًا عَظِيمًا وَقَالُوا: ٱلْحَمْدُ لِلّٰهِ عَلَى سَلَامَتِكَ. ثُمَّ مَضَوْا وَأَنَا مَعَهُمْ إِلَى مَجْمَعِ ٱلتُّجَّارِ. ثُمَّ أَخْرَجْتُ مِنَ ٱلسُّفْرَةِ ٱلَّتِي مَعِي وَأَعْطَيْتُ صَاحِبَ شِقَّتِي نَصِيبَهُ وَكُنْتُ قَدْ مَلَأْتُهَا مِنَ ٱلْجَوَاهِرِ ٱلثَّمِينَةِ. وَنِمْتُ تِلْكَ ٱللَّيْلَةَ عِنْدَهُمْ وَهُمْ يَسْأَلُونِي عَنْ عُمْرِي وَأَنَا لَا أَعِي مِنْ فَرَحِي وَأَظُنُّ أَنِّي فِي ٱلْمَنَامِ.

ثُمَّ قُمْنَا فِي الْغَدِ وَسِرْنَا فِي جِبَالٍ عَالِيَةٍ حَتَّى أَتَيْنَا جَزِيرَةً عَظِيمَةً. وَفِيهَا شَجَرَةُ الْكَافُورِ كُلُّ شَجَرَةٍ مِنْهَا تُظَلِّلُ مِائَةَ رَجُلٍ وَأَكْثَرَ. وَهُوَ أَنَّهُمْ يَثْقُبُونَ أَعْلَى الشَّجَرَةِ فَيَسِيلُ مِنْهَا مَاءُ الْكَافُورِ وَيَمْلَأُ جِرَارًا عَدِيدَةً. وَبَعْدَ ذٰلِكَ يَظْهَرُ قَطْرُ الْكَافُورِ كَالصَّمْغِ ثُمَّ يَبْطُلُ وَتَجِفُّ الشَّجَرَةُ. وَفِي هٰذِهِ الْجَزِيرَةِ وَحْشٌ يُسَمَّى الْكَرْكَدَنَّ. وَهُوَ كَرَعَايَا الْبَقَرِ دُونَ الْفِيلِ وَأَكْبَرُ مِنَ الْجَامُوسِ وَمَأْكُولُهُ نَبَاتُ الْأَرْضِ. وَلَهُ قَرْنٌ وَاحِدٌ فِي وَسَطِ رَأْسِهِ طُولُهُ ذِرَاعٌ وَعَرْضُهُ قَبْضَةٌ وَفِيهِ صُورَةٌ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ. فَإِذَا انْشَقَّ رَأَيْتَ الصُّورَةَ بَيَاضًا فِي سَوَادٍ يُشْبِهُ صُورَةَ إِنْسَانٍ وَبَعْضَ الْحَيَوَانِ. وَذَكَرُوا أَنَّ هٰذَا الْقَرْنَ تُتَّخَذُ مِنْهُ كُلُّ مِنْطَقَةٍ تُسَاوِي أَلْفَ دِينَارٍ. وَهٰذَا الْحَيَوَانُ هُوَ الْكَرْكَدَنُّ يَشُكُّ الْفِيلَ بِقَرْنِهِ يَحْمِلُهُ عَلَى رَأْسِهِ فَيَسِيلُ دُهْنُهُ عَلَى عَيْنَيِ الْكَرْكَدَنِّ فَيُعْمِيهِ وَيَبْقَى مُلْقًى عَلَى الْأَرْضِ. فَيَأْتِي الطَّيْرُ الَّذِي هُوَ الرُّخُّ وَيَأْخُذُ الِاثْنَيْنِ فِي مَخَالِبِهِ وَيَطِيرُ فِي الْجَوِّ وَيَمْضِي يُطْعِمُهُمَا فِرَاخَهُ. وَرَأَيْتُ فِي تِلْكَ الْجَزِيرَةِ عَجَائِبَ كَثِيرَةً تُحَيِّرُ الْعَقْلَ. ثُمَّ إِنِّي بِعْتُ مِنَ الْأَلْمَاسِ الَّذِي مَعِي وَتَعَوَّضْتُ شَيْئًا كَثِيرًا وَمَا زِلْتُ أَسِيرُ مِنْ جَزِيرَةٍ إِلَى جَزِيرَةٍ وَمِنْ بِلَادٍ إِلَى بِلَادٍ حَتَّى وَصَلْتُ إِلَى الْبَصْرَةِ. وَمِنْهَا إِلَى بَغْدَادَ وَدَخَلْتُ دَارِي وَمَعِي مِنَ الْمَالِ مَا لَا يُوصَفُ وَلَا يُعَدُّ. فَتَصَدَّقْتُ وَأَعْطَيْتُ الْفُقَرَاءَ وَالْمُحْتَاجِينَ. وَبَقِيتُ عَلَى هٰذَا الْحَالِ أَقْضِي الْأَوْقَاتَ بِالْهَنَاءِ وَالْمَسَرَّاتِ. وَنَسِيتُ مَا لَاقَيْتُ مِنَ الْمَشَقَّاتِ

السفرة الثالثة

٣١٧ وَلَمَّا أَصْبَحَ صَبَاحُ ٱلْيَوْمِ ٱلثَّانِي جَلَسَ ٱلسَّادَاتُ لِاسْتِمَاعِ حِكَايَةِ مَا أَصَابَهُ فِي ٱلسَّفْرَةِ ٱلثَّالِثَةِ. قَالَ ٱلسِّنْدَبَادُ ٱلْبَحْرِيُّ: فَلَمَّا ٱنْهَمَكْتُ فِي ٱللَّذَّاتِ وَغَرِقْتُ فِي ٱلْهَنَاءِ وَٱلْمَسَرَّاتِ وَنَسِيتُ مَا لَقِيتُ مِنَ ٱلْعَنَاءِ وَٱلْمَشَقَّاتِ وَبَقِيتُ كَذٰلِكَ بُرْهَةً مِنَ ٱلْأَوْقَاتِ خَطَرَ بِبَالِي ٱلسَّفَرُ وَٱشْتَاقَتْ نَفْسِي لِلْمَتْجَرِ. فَشَدَدْتُ ٱلْأَحْمَالَ ٱلثِّقَالَ وَٱلْأَمْتِعَةَ ٱلْغَوَالِيَ. وَسَافَرْتُ مِنْ بَغْدَادَ إِلَى بَعْضِ ٱلْبِلَادِ حَتَّى وَصَلْتُ إِلَى سَاحِلِ ٱلْبَحْرِ مَعَ تُجَّارٍ مُرَافِقِينَ وَرِفَاقٍ مُوَافِقِينَ وَمَعِي مِنَ ٱلْبَضَائِعِ مَا يَسُرُّ ٱلْمُشْتَرِيَ وَٱلْبَائِعَ. فَنَزَلْنَا فِي ٱلْبَحْرِ ٱلْعَجَّاجِ ٱلْمُتَلَاطِمِ بِٱلْأَمْوَاجِ ٱلْوَاسِعِ ٱلْفِجَاجِ ٱلدَّاخِلُ إِلَيْهِ مَفْقُودٌ وَٱلْخَارِجُ مِنْهُ مَوْلُودٌ. فَسِرْنَا أَيَّامًا وَلَيَالِيَ مُدَّةً مِنَ ٱلزَّمَانِ وَنَحْنُ نَبِيعُ وَنَشْتَرِي. وَنَأْخُذُ وَنُعْطِي مِنْ جَزِيرَةٍ إِلَى جَزِيرَةٍ وَمِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ. فَلَمَّا كَانَ بَعْضُ ٱلْأَيَّامِ وَنَحْنُ عَلَى وَجْهِ ٱلْمِيَاهِ وَإِذَا بِٱلْبَحْرِ قَدْ هَاجَ وَمَاجَ وَتَلَاطَمَ بِٱلْأَمْوَاجِ وَٱلْمَرْكَبُ قَدْ بَقِيَ فِي أَقْصَى ٱلْبُعْدِ ٱلْبَعِيدِ وَنَحْنُ بَقِينَا فِي حَالِ سُوءٍ وَأَمْرٍ شَدِيدٍ وَلَمْ نَدْرِ أَيَّ مَكَانٍ نُرِيدُ. فَمَا كَانَ إِلَّا ٱلْقَلِيلُ حَتَّى حَطَّ ٱلرَّئِيسُ ٱلشِّرَاعَ وَأَبْطَلَ ٱلْحَدِيثَ وَٱلنِّزَاعَ وَأَوْقَفَ ٱلْمَرْكَبَ وَنَادَى بِٱلْوَيْلِ وَٱلثُّبُورِ وَعَظَائِمِ ٱلْأُمُورِ وَقَالَ لَنَا: ٱعْلَمُوا أَنَّنَا قَدْ وَقَعْنَا فِي جَزَائِرِ ٱلزُّغْبِ ٱلْوَحْشِيِّينَ. وَقَدْ أَحَاطُوا بِنَا وَلَيْسَ لَنَا سَبِيلٌ إِلَى قَتْلِ وَاحِدٍ مِنْهُمْ لِأَنَّهُمْ أَكْثَرُ مِنَ ٱلْجَرَادِ. وَإِنْ قَتَلْنَا وَاحِدًا مِنْهُمْ

فَإِنَّهُمْ يَقْتُلُونَ كُلَّ مَنْ فِي ٱلْمَرْكَبِ. وَبَيْنَا نَحْنُ فِي هٰذَا ٱلْكَلَامِ إِذْ أَحَاطَ بِنَا أُنَاسٌ شَنِيعُو ٱلْخِلْقَةِ زُغْبٌ حُمْرٌ لَا يُفْهَمُ لَهُمْ كَلَامٌ. وَهُمْ صِغَارٌ وَحْشِيُّونَ طُولُ كُلِّ وَاحِدٍ أَرْبَعَةُ أَشْبَارٍ يَتَسَلَّقُونَ ٱلْأَخْشَابَ بِأَيْدِيهِمْ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَصْعَدُوا بِأَرْجُلِهِمْ. فَفَزِعْنَا مِنْهُمْ وَلَمْ نَتَكَلَّمْ بِكَلِمَةٍ. فَنَصَبُوا ٱلشِّرَاعَ كَمَا أَرَادُوا وَسَارُوا وَأَخَذُوا ٱلْمَرْكَبَ بِجَمِيعِ مَا كَانَ فِيهِ. وَمَضَوْا وَبَقِينَا نَحْنُ فِي ٱلْجَزِيرَةِ لَا نَعْلَمُ فِي أَيِّ أَرْضٍ وَلَا أَيِّ مَكَانٍ. فَحَزِنَّا عَلَى مَا نَابَنَا وَمَا أَصَابَنَا وَلَيْسَ فِي ٱلْيَدِ حِيلَةٌ. ثُمَّ إِنَّنَا صَبَرْنَا عَلَى ذٰلِكَ وَأَقَمْنَا فِي ٱلْجَزِيرَةِ وَحَصَّلْنَا مِنَ ٱلنَّبَاتِ مَا يَرُدُّ ٱلرَّمَقَ. فَبَيْنَمَا نَحْنُ كَذٰلِكَ إِذْ بَانَ لَنَا بَيْتٌ فِي ٱلْجَزِيرَةِ مِنْ بَعِيدٍ فَقَصَدْنَاهُ وَإِذَا هُوَ قَصْرٌ عَظِيمٌ وَشَاهِقٌ وَلَهُ بَابَانِ مِنَ ٱلْآبَنُوسِ وَهُوَ مُغْلَقٌ. فَدَفَعْنَاهُ فَٱنْفَتَحَ وَدَخَلْنَا فِيهِ فَنَظَرْنَا فِي صَدْرِهِ إِيوَانًا عَالِيًا وَسُدَّةً مَنْصُوبَةً قُدَّامَ ٱلْإِيوَانِ وَآثَارَ طَبِيخٍ وَنَارٍ وَعِظَامٍ وَسَفَافِيدَ حَدِيدٍ كِبَارًا. فَتَعَجَّبْنَا مِنْ ذٰلِكَ وَفَزِعْنَا فَزَعًا عَظِيمًا. وَكَانَتِ ٱلشَّمْسُ قَدْ قَارَبَتِ ٱلْغُرُوبَ وَإِذَا بِٱلْأَرْضِ قَدِ ٱرْتَجَّتْ وَتَزَعْزَعَتْ وَدَخَلَ مِنَ ٱلْبَابِ صُورَةُ إِنْسَانٍ لَوْنُهُ أَسْوَدُ وَطُولُهُ أَعْلَى مِنْ نَخْلَةٍ وَعَيْنُهُ تَلْمَعُ كَٱلْجَمْرِ وَأَنْيَابُهُ كَٱلسِّيَاخِ ٱلْغَلِيظَةِ وَفَمُهُ أَوْسَعُ مِنْ فَمِ بَعِيرٍ كَبِيرٍ وَشَفَتُهُ ٱلسُّفْلَى إِلَى صَدْرِهِ وَآذَانُهُ كَآذَانِ ٱلْفِيلِ مُنْبَسِطَةٌ عَلَى كَتِفَيْهِ وَأَظَافِيرُهُ كَمَخَالِبِ أَعْظَمِ ٱلْوُحُوشِ. فَلَمَّا نَظَرْنَاهُ غِبْنَا عَنْ صَوَابِنَا وَبَقِينَا مَطْرُوحِينَ كَٱلْمَوْتَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ. ثُمَّ دَخَلَ وَجَلَسَ فِي

ٱلشِّدَّةِ وَبَعْدَ قَلِيلٍ قَامَ وَأَتَى إِلَيْنَا. فَمَدَّ يَدَهُ فَوَقَعَتْ عَلَيَّ دُونَ ٱلْكُلِّ فَصِرْتُ كَٱلْمَيِّتِ . فَأَخَذَنِي إِلَى قِبَالِ وَجْهِهِ وَجَعَلَ يُقَلِّبُنِي كَمَا يُقَلِّبُ ٱلْقَصَّابُ رَأْسَ ٱلْغَنَمِ . فَلَمَّا رَآنِي ضَعِيفًا قَلِيلَ ٱللَّحْمِ أَلْقَانِي مِنْ يَدِهِ. وَبَدَأَ يُقَلِّبُنَا وَاحِدًا وَاحِدًا حَتَّى وَقَعَتْ يَدُهُ عَلَى رَئِيسِ ٱلْمَرْكَبِ. فَرَآهُ سَمِينًا وَعَرِيضَ ٱلْأَكْتَافِ فَقَبَضَهُ كَمَا يُقْبَضُ ٱلْعُصْفُورُ. وَأَخَذَ سَفُّودًا مِنْ تِلْكَ سَفَافِيدِ ٱلْحَدِيدِ. ثُمَّ أَوْقَدَ نَارًا عَظِيمَةً وَشَوَاهُ حَتَّى ٱسْتَوَى عَلَى ٱلْجَمْرِ ثُمَّ جَلَسَ فِي ذٰلِكَ ٱلْإِيوَانِ وَمَزَّقَهُ بِأَظَافِيرِهِ وَأَكَلَهُ جَمِيعَهُ وَٱنْطَرَحَ عَلَى ٱلسَّرِيرِ فِي ٱلْإِيوَانِ وَنَامَ وَغَطَّ . فَلَمَّا عَايَنَّا مَا فَعَلَ مِنَ ٱلْأَهْوَالِ قُلْنَا: إِنَّا لِلّٰهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ فَمَا هٰذِهِ إِلَّا مِيتَةٌ شَنِيعَةٌ. وَمَا زِلْنَا نَرْتَعِدُ مِنَ ٱلْمَسَاءِ إِلَى ٱلْفَجْرِ حَتَّى أَنَّهُ قَامَ وَفَتَحَ ٱلْبَابَ وَمَضَى. فَلَمَّا بَعُدَ عَنَّا قُمْنَا وَنَحْنُ بِأَسْوَإِ حَالٍ وَسَعَيْنَا فِي ٱلْجَزِيرَةِ لَعَلَّنَا نَرَى مَكَانًا نَلْجَأُ فِيهِ مِنْهُ فَلَمْ نَجِدْ. وَلَمْ نَقْدِرْ أَنْ نَتَخَلَّفَ بَعْضُنَا عَنْ بَعْضٍ. فَلَمَّا أَدْرَكَنَا ٱلْمَسَاءُ رَجَعْنَا إِلَى ٱلْقَصْرِ مِنْ خَوْفِنَا وَإِذَا بِٱلْأَسْوَدِ قَدْ جَاءَ أَيْضًا وَفَعَلَ بِنَا مِثْلَ ٱلْعَادَةِ وَنَقَّى ٱلْأَسْمَنَ فِينَا وَأَخَذَهُ وَشَوَاهُ وَأَكَلَهُ وَدَخَلَ إِلَى مَكَانِهِ وَنَامَ وَنَخَرَ إِلَى ٱلصَّبَاحِ . ثُمَّ قَامَ وَمَضَى وَنَحْنُ لَا نَعِي مِنَ ٱلْفَزَعِ فَقُلْنَا: نُلْقِي أَرْوَاحَنَا فِي ٱلْبَحْرِ وَنَمُوتُ غَرَقًا خَيْرٌ مِنْ هٰذِهِ ٱلْمِيتَةِ ٱلشَّنِيعَةِ . فَقَالَ بَعْضُنَا: تَعَالَوْا حَتَّى نَعْمَلَ عَلَى هَلَاكِهِ وَنَسْتَرِيحَ مِنْ شَرِّهِ. فَقُلْتُ لَهُمْ: تَعَالَوْا نَعْمَلْ لَنَا كَلَكَاتٍ مِنْ هٰذِهِ ٱلْأَخْشَابِ تَسَعُ كُلُّ وَاحِدَةٍ ثَلَاثَةَ رِجَالٍ وَنَتْرُكُهَا عَلَى

شَاطِىءِ ٱلْبَحْرِ مَشْدُودَةً وَنُدَبِّرُ ٱلْحِيلَةَ فِي هَلَاكِهِ. فَإِذَا أَهْلَكْنَاهُ أَقَمْنَا إِلَى أَنْ يَجُوزَ بِنَا مَرْكَبٌ. وَإِذَا لَمْ نَقْدِرْ أَنْ نُهْلِكَهُ نَنْزِلُ فِي ٱلْكَلَكَاتِ وَنَسِيرُ فِي ٱلْبَحْرِ وَدَعُونَا نَغْرَقُ. فَأَجَابُوا إِلَى مَشُورَتِي وَصَنَعْنَا كَمَا قُلْتُ لَهُمْ وَتَرَكْنَا ٱلْكَلَكَاتِ مَشْدُودَةً عَلَى شَاطِىءِ ٱلْبَحْرِ. وَلَمَّا كَانَ ٱلْمَسَاءُ دَخَلْنَا إِلَى ٱلْقَصْرِ وَٱخْتَفَيْنَا. فَأَتَى ٱلْأَسْوَدُ إِلَيْنَا وَنَقَّى ٱلسَّمِينَ فِينَا وَشَوَاهُ وَأَكَلَهُ وَنَامَ كَعَادَتِهِ وَبَدَأَ يَنْخَرُ. فَقُمْنَا وَأَخَذْنَا سَفَافِيدَ ٱلْحَدِيدِ وَأَوْقَدْنَا ٱلنَّارَ وَأَحْمَيْنَاهَا حَتَّى صَارَتْ مِثْلَ ٱلنَّارِ. ثُمَّ أَخَذَ عَشَرَةُ رِجَالٍ مِنَّا أَعْنِي عَشَرَةً أَقْوِيَاءَ عَشَرَةَ سَفَافِيدَ وَدَنَوْا مِنَ ٱلْأَسْوَدِ. وَنَحْنُ نَعْرِفُ أَنَّهُ لَا يُفِيقُ إِلَّا ٱلصَّبَاحَ. وَكَانَ نَائِمًا عَلَى ظَهْرِهِ يَنْخَرُ كَٱلرَّعْدِ. فَوَضَعْنَا ٱلسَّفَافِيدَ فِي عَيْنَيْهِ. فَصَرَخَ صَرْخَةً عَظِيمَةً وَقَعْنَا مِنْهَا جَمِيعًا عَلَى ٱلْأَرْضِ وَقَدْ أَيِسْنَا مِنَ ٱلْحَيَاةِ. ثُمَّ إِنَّهُ نَهَضَ قَائِمًا وَأَخَذَ ٱلْبَابَ فِي وَجْهِهِ وَخَرَجَ. فَلَمَّا طَلَعَ ٱلْفَجْرُ وَأَضَاءَ ٱلنَّهَارُ قُمْنَا وَنَحْنُ نَرْجُفُ مِنَ ٱلْخَوْفِ. وَجَعَلْنَا نَدُورُ فِي ٱلْجَزِيرَةِ وَنَأْكُلُ بَعْضَ ٱلنَّبَاتِ وَٱلْحَشِيشِ إِلَى أَنْ جَاءَ ٱلْمَسَاءُ. فَأَتَيْنَا إِلَى جَانِبِ ٱلْبَحْرِ وَجَلَسْنَا وَقُلْنَا: إِنْ غَابَتِ ٱلشَّمْسُ وَلَمْ يَجِيءْ فَيَكُونُ قَدْ هَلَكَ. فَبَيْنَمَا نَحْنُ فِي هٰذَا ٱلْكَلَامِ وَإِذَا بِٱلْأَسْوَدِ قَدْ أَقْبَلَ وَٱثْنَانِ يَقُودَانِهِ وَمَعَهُ جَمَاعَةٌ طِوَالٌ مِثْلُهُ أَيْضًا. فَلَمَّا رَأَيْنَاهُمْ نَزَلْنَا فِي ٱلْكَلَكَاتِ وَقَذَفْنَاهَا فِي ٱلْبَحْرِ. فَلَمَّا أَنْ نَظَرُونَا أَتَوْا إِلَيْنَا وَأَدْرَكُونَا وَصَرَخُوا فِينَا وَرَمَوْنَا بِحِجَارَةٍ كِبَارٍ. فَأَهْلَكُوا أَكْثَرَنَا فِي ٱلْبَحْرِ فَنَجَوْتُ وَرَفِيقَيَّ ٱلِٱثْنَيْنِ. وَلَمْ نَزَلْ

نَقْذِفُ وَنَجْتَهِدُ وَالرِّيحُ تَلْعَبُ بِنَا يَمِينًا وَشِمَالًا وَلَا نَدْرِي أَيْنَ نَحْنُ.
وَبَقِينَا كَذٰلِكَ اللَّيْلَ كُلَّهُ. فَلَمَّا طَلَعَ الْفَجْرُ أَلْقَتْنَا الرِّيحُ إِلَى السَّاحِلِ
فَطَلَعْنَا وَنَحْنُ فِي حَالِ الْعَدَمِ. وَتِلْكَ الْجَزِيرَةُ كَثِيرَةُ الْأَشْجَارِ وَالْأَثْمَارِ
فَفَرِحْنَا بِخَلَاصِنَا مِنَ الْمَوْتِ وَاسْتَرَحْنَا قَلِيلًا وَأَكَلْنَا كِفَايَتَنَا مِنَ
الْأَثْمَارِ وَبَقِينَا كَذٰلِكَ إِلَى الْمَسَاءِ. وَنِمْنَا عَلَى جَانِبِ الْبَحْرِ وَإِذَا صَوْتُ
دَبِيبٍ عَظِيمٍ وَصَلَ إِلَيْنَا. فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ عَظِيمَةٌ كَأَنَّهَا نَخْلَةٌ فَدَنَتْ
مِنَّا وَجَذَبَتِ الْوَاحِدَ مِنَّا وَبَلَعَتْهُ. وَبَعْدَ سَاعَةٍ قَذَفَتْ عِظَامَهُ وَمَضَتْ.
وَبَقِيتُ أَنَا وَرَفِيقِي نَرْتَعِدُ إِلَى الصَّبَاحِ مِنَ الْخَوْفِ وَقَدْ أَشْرَفْنَا عَلَى
الْهَلَاكِ وَقُلْنَا: إِنَّنَا قَدْ فَرِحْنَا مِنْ خَلَاصِنَا مِنَ الْأَسْوَدِ وَالْبَحْرِ وَوَقَعْنَا
فِي أَنْحَسَ مِنْ ذٰلِكَ وَأَصْعَبَ مِنَ الْغَرَقِ وَالْحَرِيقِ. فَقُمْنَا نَدُورُ فِي
الْجَزِيرَةِ فَرَأَيْنَا شَجَرَةً عَالِيَةً جِدًّا. فَأَكَلْنَا مِنْ بَعْضِ الْأَثْمَارِ وَنَحْنُ فِي
غَمٍّ شَدِيدٍ مِنَ الْخَوْفِ حَتَّى أَدْرَكَنَا الْمَسَاءُ فَطَلَعْنَا إِلَى شَجَرَةٍ عَالِيَةٍ
حَتَّى نَخْلُصَ مِنَ الْحَيَّةِ. فَلَمَّا جَاءَ اللَّيْلُ وَالظَّلَامُ إِذَا بِالْحَيَّةِ قَدْ أَتَتْ
وَدَارَتْ بَيْنَ الْأَشْجَارِ حَتَّى انْتَهَتْ إِلَيْنَا وَتَعَلَّقَتْ فِي الشَّجَرَةِ وَجَذَبَتْ
رَفِيقِي وَابْتَلَعَتْهُ وَكَانَ أَسْفَلَ مِنِّي. وَبَقِيتُ وَحْدِي أَرْتَعِدُ إِلَى الصَّبَاحِ
فَنَزَلْتُ مِنَ الشَّجَرَةِ كَالْمَيِّتِ وَقَدْ أَيْقَنْتُ أَنَّهَا الْمَسَاءَ تَبْلَعُنِي أَيْضًا كَمَا
بَلَعَتْ رِفَاقِي. فَأَرَدْتُ أَنْ أَرْمِيَ رُوحِي فِي الْبَحْرِ وَلٰكِنَّ الرُّوحَ حُلْوَةٌ.
وَإِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللهِ وَدُرْتُ وَطُفْتُ فِي الْجَزِيرَةِ وَأَنَا مُحْتَارٌ فِي أَمْرِي
فَرَأَيْتُ أَخْشَابًا مَقْطُوعَةً فَشَدَدْتُ بَعْضَهَا إِلَى بَعْضٍ. وَلَمَّا جَاءَ الْمَسَاءُ

رَبطتُ ٱلْأَخشَابَ فِي يَدِي وَرِجْلِي وَوَاحِدَةً فِي ظَهْرِي وَوَاحِدَةً فِي جَنْبِي وَشَدَدْتُهَا بِلِيفِ ٱلشَّجَرِ وَٱنطَرَحتُ أَنتَظِرُ ٱلْمَوتَ. فَلَمَّا كَانَ ٱلْمَسَاءُ أَتَتِ ٱلْحَيَّةُ تَسرِي إِلَى أَنْ وَصَلَتْ إِلَيَّ. فَجَعَلَتْ تُقَلِّبُنِي يَمِينًا وَشِمَالًا وَتَجذِبُنِي وَأَنَا أَبعُدُ عَنهَا وَلَا تَقدِرُ عَلَى ٱبتِلَاعِي مِن تِلكَ ٱلْأَخشَابِ ٱلَّتِي أَنَا مَشدُودٌ بِهَا. وَلَمْ تَزَلْ تَلْعَبُ بِي كَمَا تَلْعَبُ ٱلْقِطَّةُ بِٱلْفَارَةِ حَتَّى أَضَاءَ ٱلْفَجرُ وَمَضَتْ عَنِّي. فَلَمَّا أَشرَقَتِ ٱلشَّمسُ حَلَلْتُ ٱلْأَخشَابَ عَنِّي وَأَنَا مِثْلُ ٱلْمَيِّتِ مِنْ عِظَمِ مَا قَاسَيتُ مِنْ نَفَسِهَا ٱلْكَرِيهِ. وَكَانَ ٱلْمَوتُ أَهوَنَ عَلَيَّ مِمَّا قَاسَيتُهُ تِلْكَ ٱللَّيلَةَ. ثُمَّ أَتَيتُ إِلَى جَانِبِ ٱلْبَحرِ وَأَرَدتُ أَنْ أُلقِيَ نَفسِي فِي ٱلْمَاءِ وَإِذَا بِمَرْكَبٍ مِنْ بُعْدٍ وَهُوَ كَأَنَّهُ قِطْعَةٌ مِنَ ٱلْجَبَلِ فِي ٱلْبَحرِ. فَنَادَيتُهُ بِأَعلَى صَوتِي وَرَفَعتُ عِمَامَتِي إِلَى فَوقُ فَرَآنِي أَصحَابُ ٱلْمَركَبِ فَأَتَوا إِلَيَّ وَأَخَذُونِي فِي زَورَقٍ إِلَى ٱلْمَركَبِ وَسَأَلُونِي عَنْ حَالِي. فَحَكَيتُ لَهُمْ حِكَايَتِي مِنَ ٱلْأَوَّلِ إِلَى ٱلْآخِرِ فَتَعَجَّبُوا عَجَبًا عَظِيمًا. وَقَالَ كُلُّ مَشَايِخِ ٱلْمَركَبِ: إِنَّ ٱلْأَسوَدَ ٱلْكَبِيرَ قَدْ ذَكَرَهُ ٱلْبَحرِيُّونَ وَهُمْ كَثِيرُونَ ذَوُو خِلْقَةٍ عَظِيمَةٍ يُشبِهُونَ بَنِي آدَمَ وَيَأْكُلُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْحَيَاةِ وَمَطبُوخِينَ. وَأَمَّا ٱلْحَيَّةُ ٱلَّتِي ذَكَرتَهَا تَختَفِي بِٱلنَّهَارِ وَتَظهَرُ بِٱللَّيلِ وَلَا يَخلُصُ مِنهَا أَحَدٌ فَٱلْحَمدُ لِلّٰهِ ٱلَّذِي خَلَّصَكَ مِنهَا. ثُمَّ إِنَّهُمْ فَرِحُوا بِي وَأَطعَمُونِي مِن زَادِهِمْ وَأَعطَانِي رَئِيسُ ٱلْمَركَبِ ثِيَابًا وَكُسوَةً وَسِرتُ مَعَهُمْ فِي ٱلْمَركَبِ وَأَنَا لَا أُصَدِّقُ ذٰلِكَ وَأَظُنُّ أَنِّي فِي ٱلْمَنَامِ. وَمَا زِلْنَا نَسِيرُ

مِنْ جَزِيرَةٍ إِلَى جَزِيرَةٍ حَتَّى أَشْرَفْنَا عَلَى جَزِيرَةِ السَّلَاهِطِ. وَفِيهَا الصَّنْدَلُ الْكَثِيرُ. فَرَسَا الْمَرْكَبُ هُنَاكَ. وَخَرَجَ التُّجَّارُ إِلَى الْجَزِيرَةِ وَنَقَلُوا بَضَائِعَهُمْ وَبَدَؤُوا يَبِيعُونَ وَيَشْتَرُونَ مَعَ أَهْلِهَا. فَقَالَ لِيَ الرَّئِيسُ: يَا أَخِي. قُلْتُ: نَعَمْ يَا سَيِّدِي. فَقَالَ لِي: مَعَنَا وَدِيعَةٌ لِرَجُلٍ تَاجِرٍ كَانَ مَعَنَا مِنْ مُدَّةِ زَمَانٍ وَعُدِمَ وَنَحْنُ نُتَاجِرُ لَهُ فِيهَا حَتَّى نَنْظُرَ أَحَدًا مِنْ أَهْلِهِ نُعْطِيهِ إِيَّاهَا. وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ تَحْرُسَهَا فَأُعْطِيكَ أُجْرَتَكَ. ثُمَّ إِنَّهُ أَحْضَرَ حَمَّالِينَ وَنَقَلُوهَا إِلَى بَاقِي الْأَحْمَالِ. وَابْتَدَأَ الْكَاتِبُ يَكْتُبُ الْأَحْمَالَ بِاسْمِ أَصْحَابِهَا. فَقَالَ الْكَاتِبُ لِلرَّئِيسِ: وَهٰذِهِ الْأَحْمَالُ بِاسْمِ مَنْ أَكْتُبُهَا. قَالَ لَهُ: بِاسْمِ السِّنْدِبَادِ الْبَحْرِيِّ. فَلَمَّا سَمِعْتُ ذٰلِكَ الْكَلَامَ انْزَعَجْتُ وَخَفَقَ قَلْبِي ثُمَّ إِنِّي صَبَرْتُ حَتَّى انْتَقَلَتِ الْأَحْمَالُ إِلَى أَمَاكِنِهَا وَجَلَسَ التُّجَّارُ فِي رَاحَتِهِمْ. فَتَقَدَّمْتُ إِلَى الرَّئِيسِ وَقُلْتُ لَهُ: يَا مَوْلَايَ أَيْنَ صَاحِبُ هٰذِهِ الْوَدِيعَةِ وَكَيْفَ أَمْرُهُ وَحَالُهُ. فَقَالَ لِي: كَانَ مَعَنَا مِنْ مُدَّةِ سَنَتَيْنِ رَجُلٌ تَاجِرٌ بَغْدَادِيٌّ اسْمُهُ السِّنْدِبَادُ الْبَحْرِيُّ. فَنَزَلْنَا ذَاتَ يَوْمٍ عَلَى جَزِيرَةٍ فِي الْبَحْرِ كَثِيرَةِ الْأَشْجَارِ وَالْأَثْمَارِ فَخَرَجَ التُّجَّارُ إِلَيْهَا لِيَسْتَرِيحُوا وَيَتَنَزَّهُوا عَلَى أَشْجَارِهَا وَأَثْمَارِهَا. فَلَمَّا كَانَ آخِرُ النَّهَارِ اجْتَمَعَ جَمِيعُ التُّجَّارِ إِلَى الْمَرْكَبِ وَالسِّنْدِبَادُ لَيْسَ هُوَ مَعَهُمْ فَنَسِينَاهُ فِي الْجَزِيرَةِ وَسِرْنَا وَلَا نَدْرِي مَا جَرَى لَهُ. وَهٰذَا مَالُهُ وَسَأُقِرُّ لَهُ بِهِ وَقَدْ كَسَبَ شَيْئًا كَثِيرًا. وَنَحْنُ نَدُورُ عَلَى وَاحِدٍ مِنْ أَهْلِهِ أَوْ مِنْ بَلَدِهِ حَتَّى نُرْسِلَ لَهُ رِزْقَهُ فَمَا وَجَدْنَا. فَقُلْتُ لَهُ: أَنَا

ٱلسِّنْدِبَادُ ٱلْبَحْرِيُّ وَهٰذَا مَالِي وَرِزْقِي . فَلَمَّا سَمِعَ ٱلرَّئِيسُ كَلَامِي
قَالَ : لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللّٰهِ ٱلْعَلِيِّ ٱلْعَظِيمِ مَا بَقِيَ أَحَدٌ يَخَافُ ٱللّٰهَ .
يَا سُبْحَانَ ٱللّٰهِ أَنْتَ رَجُلٌ غَرِيقٌ وَقَدْ خَلَّصَكَ ٱللّٰهُ مِنْ هٰذِهِ ٱلشَّدَائِدِ
وَٱلْأَهْوَالِ وَنَجَّاكَ مِنَ ٱلْمَوْتِ ٱلشَّنِيعِ وَبَعْدَ هٰذَا تَدَّعِي بِمَالِ رَجُلٍ
مَيِّتٍ حَتَّى تَأْخُذَهُ . أَمَا تَخَافُ مِنَ ٱللّٰهِ تَعَالَى . فَقُلْتُ لَهُ : يَا سَيِّدِي
وَٱللّٰهِ ٱلْعَظِيمِ ٱلَّذِي هُوَ خَلَّصَنِي مِنْ جَمِيعِ ٱلْأَهْوَالِ ٱلصَّعْبَةِ إِنِّي أَنَا
ٱلسِّنْدِبَادُ ٱلْبَحْرِيُّ وَأَنَا ٱلَّذِي نَسُونِي فِي ٱلْجَزِيرَةِ وَكُنْتُ قَدْ رَقَدْتُ
عَلَى بَعْضِ سَوَاقِيهَا فَلَمَّا ٱنْتَبَهْتُ مَا وَجَدْتُ أَحَدًا . ثُمَّ إِنِّي حَكَيْتُ
لَهُ جَمِيعَ حِكَايَتِي وَقُلْتُ لَهُ : إِنَّ ٱلتُّجَّارَ ٱلْمُتَرَدِّدِينَ إِلَى وَادِي ٱلْأَلْمَاسِ
يَشْهَدُونَ لِي وَهُمْ يَعْرِفُونِي . فَبُهِتَ ٱلرَّئِيسُ وَٱلْجَمَاعَةُ مِنْ كَلَامِي
وَبَقِيَ أُنَاسٌ تُصَدِّقُ وَأُنَاسٌ تُكَذِّبُ . وَإِذَا بِتَاجِرٍ تَقَدَّمَ إِلَيَّ وَعَانَقَنِي
وَقَبَّلَنِي وَقَالَ : يَا جَمَاعَةُ أَمَا حَكَيْتُ لَكُمْ أَنِّي وَجَدْتُ فِي شِقَّتِي فِي
بَعْضِ أَسْفَارِي فِي وَادِي ٱلْأَلْمَاسِ لَمَّا رَمَيْنَا شِقَقَ ٱللَّحْمِ رَجُلًا مُلْتَفًّا
فَلَمْ تُصَدِّقُونِي . وَٱللّٰهِ ٱلْعَظِيمِ إِنَّ هٰذَا هُوَ ٱلرَّجُلُ ٱلَّذِي وَجَدْتُهُ
فِي شِقَّتِي وَأَعْطَانِي مِنْ أَفْخَرِ ٱلْأَلْمَاسِ ٱلْغَالِي وَهٰذَا هُوَ ٱلسِّنْدِبَادُ
ٱلْبَحْرِيُّ بِٱلْحَقِيقَةِ . وَحِينَئِذٍ لَمَّا حَقَّقَنِي ٱلرَّئِيسُ عَرَفَنِي أَيْضًا فَنَهَضَ
وَعَانَقَنِي بِوِدَادٍ وَقَبَّلَنِي وَسَلَّمَ عَلَيَّ وَبَاقِي ٱلتُّجَّارِ أَيْضًا وَقَالُوا لِي :
ٱلْحَمْدُ لِلّٰهِ عَلَى سَلَامَتِكَ . وَٱللّٰهِ ٱلْعَظِيمِ إِنَّ حِكَايَتَكَ مِنْ أَعْجَبِ
ٱلْعَجَبِ وَيَجِبُ أَنْ تُكْتَبَ بِمَاءِ ٱلذَّهَبِ . ثُمَّ إِنِّي تَسَلَّمْتُ مَالِي جَمِيعَهُ

وَشَكَرْتُ ٱللهَ تَعَالَى . وَدَعَوْتُ لِلرَّئِيسِ بِمَا صَنَعَ مَعِي مِنَ ٱلْجَمِيلِ .
ثُمَّ إِنَّنَا بِعْنَا وَٱشْتَرَيْنَا وَتَعَوَّضْنَا مِنْ هُنَاكَ إِلَى بِلَادٍ أُخَرَ وَمَعِي مِنَ
ٱلْأَمْوَالِ شَيْءٌ لَا يُوصَفُ . وَأَخَذْنَا ٱلسُّنْبُلَ وَٱلْقَرَنْفُلَ وَٱلدَّارَصِينِيَّ
وَسِرْنَا فِي سَوَاحِلِ ٱلْهِنْدِ . وَرَأَيْنَا سَمَكًا فِي حَدِّ جَانِبِ ٱلْبَحْرِ تَبْلُغُ
ٱلْوَاحِدَةُ عِشْرِينَ ذِرَاعًا . وَرَأَيْتُ سُلَحْفَاةً عَرْضُهَا عِشْرُونَ ذِرَاعًا . وَمَا
زِلْنَا نَسِيرُ مِنْ سَاحِلٍ إِلَى سَاحِلٍ وَمِنْ بِلَادٍ إِلَى بِلَادٍ حَتَّى أَتَيْتُ
بَلَدِي بَغْدَادَ . وَمَعِي ٱلْأَمْوَالُ وَٱلْأَحْمَالُ وَٱلْبَضَائِعُ ٱلْغَالِيَةُ وَدَخَلْتُ
أَوْطَانِي . وَٱجْتَمَعْتُ بِأَهْلِي وَإِخْوَانِي . وَتَصَدَّقْتُ عَلَى ٱلْمُحْتَاجِينَ .
وَأَعْطَيْتُ ٱلْفُقَرَاءَ وَٱلْمَسَاكِينَ . وَأَخَذْتُ فِي ٱلْهَنَاءِ وَٱلْمَسَرَّاتِ وَٱنْتِهَابِ
ٱلْفُرَصَاتِ . وَنَسِيتُ مَا لَاقَيْتُ مِنَ ٱلشَّدَائِدِ ٱلْمُرَّاتِ وَٱلْمَشَقَّاتِ
ٱلصَّعْبَاتِ . وَنَوَيْتُ أَنْ أَتْرُكَ ٱلسَّفَرَ . فَلَمَّا سَمِعَ ٱلسَّادَاتُ كَلَامَهُ
تَعَجَّبُوا عَجَبًا عَظِيمًا وَسَبَّحُوا ٱللهَ ٱلْكَرِيمَ . وَٱنْصَرَفُوا إِلَى مَنَازِلِهِمْ بِغَايَةِ
ٱلتَّكْرِيمِ . (أَلْف لَيْلَةٍ وَلَيْلَة)

أَلْبَابُ ٱلْعَاشِرُ
فِي غَرَائِبِ ٱلْمَوْجُودَاتِ
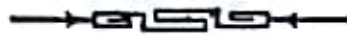
المعدنيات

٣١٨ قَالَ ٱلْقَزْوِينِيُّ: اَلْجَوَاهِرُ ٱلْمَعْدِنِيَّةُ كَثِيرَةٌ لَا يَعْرِفُ ٱلْإِنْسَانُ مِنْهَا إِلَّا ٱلْقَلِيلَ. فَمِنَ ٱلْحُكَمَاءِ مَنْ كَانَ لَهُ عِنَايَةٌ بِٱلْبَحْثِ عَنْهَا فَٱسْتَخْرَجَ خَاصِيَّةَ بَعْضِهَا. وَعَدَدُهَا نَحْوٌ مِنْ سَبْعِمِائَةِ صِنْفٍ. فَأَوْرَدْنَا طَرَفًا مِنْهَا. وَمَا فِيهَا مِنَ ٱلْخَوَاصِ ٱلْعَجِيبَةِ. فَمِنَ ٱلْمَعَادِنِ مَا هُوَ صُلْبٌ لَا يَذُوبُ بِٱلنَّارِ ٱلْبَتَّةَ بَلْ يَنْكَسِرُ بِٱلْفَاسِ كَأَصْنَافِ ٱلْيَوَاقِيتِ. وَمِنْهَا مَا هُوَ تُرَابٌ رِخْوٌ يَذُوبُ فِي ٱلْمَاءِ كَٱلْأَمْلَاحِ وَٱلزَّاجَاتِ. وَمِنْهَا مَا هُوَ نَبَاتٌ كَٱلْمَرْجَانِ. وَمِنْهَا مَا هُوَ مِنَ ٱلْحَيَوَانِ كَٱلدُّرِّ وَٱللَّآلِي. وَمِنْهَا مَا هُوَ مُتَوَلِّدٌ فِي ٱلْهَوَاءِ كَٱلرُّجُومِ. وَمِنْهَا مَا يَنْعَقِدُ فِي ٱلْمَاءِ. وَمِنْهَا مَا بَيْنَهُمَا أُلْفَةٌ كَٱلذَّهَبِ وَٱلْأَلْمَاسِ. وَمِنْهَا مَا بَيْنَهُمَا مُجَاذَبَةٌ شَدِيدَةٌ كَٱلْحَدِيدِ وَٱلْمَغْنَاطِيسِ فَإِنَّ بَيْنَ هٰذَيْنِ ٱلْحَجَرَيْنِ مَيْلًا شَدِيدًا. فَإِذَا شَمَّ ٱلْحَدِيدُ رَائِحَةَ ٱلْمَغْنَاطِيسِ يَذْهَبُ حَتَّى يَلْتَزِقَ بِهِ وَيُمْسِكَهُ. وَمِنْهَا مَا بَيْنَهُمَا مُخَالَفَةٌ كَٱلسُّنْبَاذَجِ وَسَائِرِ ٱلْأَحْجَارِ فَإِنَّهُ يَحُكُّهَا وَيَجْعَلُهَا مُلْسًا. وَكَٱلْأَلْمَاسِ وَبَقِيَّةِ ٱلْمَعَادِنِ فَإِنَّ ٱلْأَلْمَاسَ يَقْهَرُ سَائِرَ ٱلْأَحْجَارِ. وَمِنْهَا مَا فِيهِ قُوَّةٌ مُنَظِّفَةٌ كَٱلنُّوشَادِرِ فَإِنَّهُ يُنَظِّفُ سَائِرَ ٱلْأَحْجَارِ مِنَ ٱلْوَسَخِ. وَلَيْسَ هٰذَا ٱلْقَوْلُ ٱلَّذِي ذَكَرْنَاهُ جَامِعًا لِخَوَاصِ ٱلْأَحْجَارِ

كُلِّهَا بَلْ أَوْرَدْنَاهُ عَلَى سَبِيلِ ٱلتَّعَجُّبِ وَٱلْمِثَالِ. وَلْنَذْكُرِ ٱلْآنَ بَعْضَ ٱلْأَحْجَارِ وَشَيْئًا مِنْ خَوَاصِّهَا مُرَتَّبَةً عَلَى حُرُوفِ ٱلْمُعْجَمِ

٣١٩ (أَلْإِثْمِدُ). قَالَ أَرِسْطُو: هُوَ حَجَرٌ مَعْرُوفٌ لَهُ مَعَادِنُ كَثِيرَةٌ وَأَغْلَبُهُ فِي أَكْنَافِ ٱلْمَشْرِقِ وَأَجْوَدُهُ ٱلْأَصْبَهَانِيُّ. وَهُوَ حَجَرٌ يُخَالِطُهُ ٱلرَّصَاصُ. يُحِدُّ ٱلْبَصَرَ وَيَنْفَعُ ٱلْعُيُونَ ٱكْتِحَالًا وَيُحَسِّنُهَا وَيَدْفَعُ عَنْهَا نُزُولَ ٱلْمَاءِ وَيُقَوِّي أَعْصَابَهَا وَيَدْفَعُ عَنْهَا كَثِيرًا مِنَ ٱلْآفَاتِ وَٱلْأَوْجَاعِ لَاسِيَّمَا ٱلْعَجَائِزَ وَٱلْمَشَايِخَ ٱلَّذِينَ ضَعُفَتْ أَبْصَارُهُمْ

(عجائب المخلوقات للقزويني)

٣٢٠ (أَلرُّجُومُ). لَمَّا كُنْتُ فِي مَدِينَةِ بِزْكِي سَأَلَنِي يَوْمًا سُلْطَانُهَا فِي ٱلْمَجَالِسِ فَقَالَ لِي: هَلْ رَأَيْتَ قَطُّ حَجَرًا نَزَلَ مِنَ ٱلسَّمَاءِ. فَقُلْتُ: مَا رَأَيْتُ ذَلِكَ وَلَا سَمِعْتُ بِهِ. فَقَالَ لِي: إِنَّهُ قَدْ نَزَلَ بِخَارِجِ بَلَدِنَا هٰذَا حَجَرٌ مِنَ ٱلسَّمَاءِ. ثُمَّ دَعَا رِجَالًا وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَأْتُوا بِٱلْحَجَرِ. فَأَتَوْا بِحَجَرٍ أَسْوَدَ أَصَمَّ شَدِيدِ ٱلصَّلَابَةِ لَهُ بَرِيقٌ قَدَّرْتُ أَنَّ زِنَتَهُ تَبْلُغُ قِنْطَارًا. وَأَمَرَ ٱلسُّلْطَانُ بِإِحْضَارِ ٱلْقَطَّاعِينَ فَحَضَرَ أَرْبَعَةٌ مِنْهُمْ فَأَمَرَهُمْ أَنْ يَضْرِبُوهُ فَضَرَبُوا عَلَيْهِ ضَرْبَةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ بِمَطَارِقِ ٱلْحَدِيدِ فَلَمْ يُؤَثِّرُوا فِيهِ شَيْئًا. فَعَجِبْتُ مِنْ أَمْرِهِ. وَأَمَرَ بِرَدِّهِ إِلَى حَيْثُ كَانَ

٣٢١ (أَلْقَارُ). نَزَلْنَا مَعَ ٱلْقَافِلَةِ مَوْضِعًا يُعْرَفُ بِٱلْقَيَّارَةِ. وَٱلْقُرَى وَٱلْعِمَارَةُ مُتَّصِلَةٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ ٱلْمَوْصِلِ وَهُوَ بِمَقْرُبَةٍ مِنْ دِجْلَةَ. وَهُنَالِكَ أَرْضٌ سَوْدَاءُ فِيهَا عُيُونٌ تَنْبُعُ بِٱلْقَارِ وَيُصْنَعُ لَهُ أَحْوَاضٌ

يجتمع فيها. فتراه شبه الصلصال على وجه الأرض حالك اللون صقيلا رطبا وله رائحة طيبة. وحول تلك العيون بركة كبيرة سوداء يعلوها شبه الطحلب الرقيق فتقذفه إلى جوانبها فيصير أيضا قارا. وبمقربة من هذا الموضع عين كبيرة فإذا أرادوا نقل القار منها أوقدوا عليها النار فتنشف النار ما هنالك من رطوبة مائية. ثم يقطعونه قطعا وينقلونه. وقد تقدم لنا ذكر العين التي بين الكوفة والبصرة على هذا النحو (لابن بطوطة)

٣٢٢ (العنبر). ما يقع من العنبر إلى سواحل بحر فارس هو شيء تقذفه الأمواج إليه. ومبدأه من بحر الهند. على أنه لا يعرف مخرجه. غير أن أجوده ما وقع إلى بلاد بربر أو حدود بلاد الزنج وما والاها. وهو الأبيض المدور والأزرق النادر كبيض النعام أو دون ذلك. وذلك أن البحر إذا اشتد هيجانه قذف من قعره العنبر. ومنه ما يوجد فوق البحر ويزن وزنا كثيرا. فإذا رآه الحوت المعروف بالتال ابتلعه. فإذا حصل في جوفه قتله. وطفا الحوت فوق الماء. وله قوم يرصدونه في قوارب. قد عرفوا الأوقات التي توجد فيها هذه الحيتان المبتلعة العنبر. فإذا عاينوا منها شيئا اجتذبوه إلى الأرض بكلاليب حديد فيها حبال متينة تنشب في ظهر الحوت. فيشقون عنه ويخرجون العنبر منه

(مروج الذهب للمسعودي)

٣٢٣ (ٱلنُّحَاسُ) . وَفِي مَدِينَةِ تَكَدَّا مِنْ أَعْمَالِ أَفْرِيقِيَةَ مَعْدِنُ ٱلنُّحَاسِ . وَهُوَ بِخَارِجِهَا يَحْفِرُونَ عَلَيْهِ فِي ٱلْأَرْضِ . وَيَأْتُونَ بِهِ إِلَى ٱلْبَلَدِ فَيَسْبِكُونَهُ فِي دُورِهِمْ . يَفْعَلُ ذٰلِكَ عَبِيدُهُمْ وَخَدَمُهُمْ . فَإِذَا سَبَكُوهُ نُحَاسًا أَحْمَرَ صَنَعُوا مِنْهُ قُضْبَانًا فِي طُولِ شِبْرٍ وَنِصْفٍ . بَعْضُهَا رِقَاقٌ وَبَعْضُهَا غِلَاظٌ . فَتُبَاعُ ٱلْغِلَاظُ مِنْهَا بِحِسَابِ أَرْبَعِ مِائَةِ قَضِيبٍ بِمِثْقَالِ ذَهَبٍ . وَتُبَاعُ ٱلرِّقَاقُ بِحِسَابِ سِتِّمِائَةٍ وَسَبْعِ مِائَةٍ بِمِثْقَالٍ . وَهِيَ صَرْفُهُمْ . يَشْتَرُونَ بِرِقَاقِهَا ٱللَّحْمَ وَٱلْحَطَبَ . وَيَشْتَرُونَ بِغِلَاظِهَا ٱلْعَبِيدَ وَٱلْخَدَمَ وَٱلذُّرَةَ وَٱلسَّمْنَ وَٱلْقَمْحَ . وَيُحْمَلُ ٱلنُّحَاسُ مِنْهَا إِلَى مَدِينَةِ كُوبَرَ مِنْ بِلَادِ ٱلْكُفَّارِ (لابن بطوطة)

٣٢٤ (ٱلْيَاقُوتُ) . حَجَرٌ صُلْبٌ شَدِيدُ ٱلْيَبَسِ رَزِينٌ صَافٍ شَفَّافٌ مُخْتَلِفُ ٱلْأَلْوَانِ أَحْمَرُ وَأَصْفَرُ وَأَخْضَرُ . أَمَّا ٱلْأَحْمَرُ فَأَشْرَفُهَا وَأَنْفَسُهَا . وَهُوَ حَجَرٌ إِذَا نُفِخَ عَلَيْهِ ٱلنَّارُ ٱزْدَادَ حُسْنًا وَحُمْرَةً . وَمَعْدِنُهُ ٱلْبُلْدَانُ ٱلْجَنُوبِيَّةُ عِنْدَ خَطِّ ٱلِٱسْتِوَاءِ . وَهُوَ قَلِيلُ ٱلْوُجُودِ عَزِيزٌ (للقزويني)

ذكر معدن الياقوت في جزيرة سيلان

٣٢٥ أَلْيَاقُوتُ ٱلْعَجِيبُ ٱلْبَهْرَمَانُ إِنَّمَا يَكُونُ بِبَلْدَةِ كُنْكَارَ فِي جَزِيرَةِ سَيْلَانَ . فَمِنْهُ مَا يَخْرُجُ مِنَ ٱلْخَوْرِ وَهُوَ عَزِيزٌ عِنْدَهُمْ . وَمِنْهُ مَا يُحْفَرُ عَنْهُ . وَجَزِيرَةُ سَيْلَانَ يُوجَدُ ٱلْيَاقُوتُ فِي جَمِيعِ مَوَاضِعِهَا . وَهِيَ مُتَمَلَّكَةٌ فَيَشْتَرِي ٱلْإِنْسَانُ ٱلْقِطْعَةَ مِنْهَا . وَيَحْفِرُ عَنِ ٱلْيَاقُوتِ فَيَجِدُ أَحْجَارًا بَيْضَاءَ مُشَعَّبَةً وَهِيَ ٱلَّتِي يَتَكَوَّنُ ٱلْيَاقُوتُ فِي أَجْوَافِهَا .

فيعطيها ٱلحكاكين فيحكونها حتى تنفلق عن أحجار ٱلياقوت. فمنه ٱلأحمر ومنه ٱلأصفر ومنه ٱلأزرق ويسمونه ٱلنيلم. وعادتهم أن ما بلغ ثمنه من أحجار ٱلياقوت إلى مائة فنم فهو للسلطان يعطي ثمنه ويأخذه وما نقص عن تلك ٱلقيمة فهو لأصحابه. وصرف مائة فنم ستة دنانير من ٱلذهب. وجميع ٱلنساء بجزيرة سيلان لهن ٱلقلائد من ٱلياقوت ٱلملون ويجعلنه في أيديهن وأرجلهن عوضا من ٱلأسورة وٱلخلاخيل. ويصنعن منه شبكة يجعلنها على رؤوسهن. ولقد رأيت على جبهة ٱلفيل ٱلأبيض سبعة أحجار منه كل حجر أعظم من بيضة ٱلدجاجة. ورأيت عند ٱلسلطان سكرجة على مقدار ٱلكف من ٱلياقوت فيها دهن ٱلعود. فجعلت أعجب منها فقال: إن عندنا ما هو أضخم من ذلك (لابن بطوطة)

النبات

٣٢٦ ٱلنبات متوسط بين ٱلمعادن وٱلحيوان. بمعنى أنه خارج عن نقصان ٱلجمادية ٱلصرفة ٱلتي للمعادن وغير واصل إلى كمال ٱلحس وٱلحركة ٱللتين ٱختص بهما ٱلحيوان لكنه يشارك ٱلحيوان في بعض ٱلأمور. لأن ٱلباريء تعالى يخلق لكل شيء من ٱلآلات ما يحتاج إليها في بقاء ذاته ونوعه وما زاد عليها يكون ثقلا وكلا عليه لا يخلقه. ولا حاجة للنبات إلى ٱلحس وٱلحركة بخلاف ٱلحيوان. ومن عجيب صنع ٱلله تعالى أن ٱلحب وٱلنوى إذا حصلا في تربة

نديّة وأصابهما حرّ الشمس انشقّا وجذبا بقوّة خلقها الله تعالى فيهما الأجزاء اللطيفة الأرضيّة من الأرض والمائيّة من الماء. ثمّ إنّ تلك الأجزاء يتراكم بعضها على بعض بواسطة قوى خلقها الله تعالى فيها. حتّى يصير الحبّ نجماً بالغاً ذا عرق وقضبان وأوراق وأزهار. وحبّ النوى شجراً عظيماً ذا عروق وساق وأغصان وأوراق وثمرة

(للقزويني)

٣٢٧ (بطّيخ خوارزم). لا نظير له في بلاد الدنيا شرقاً ولا غرباً. إلّا ما كان من بطّيخ بخارى. ويليه بطّيخ أصفهان. وقشره أخضر وباطنه أحمر. وهو صادق الحلاوة وفيه صلابة. ومن العجائب أنّه يقدّد وييبّس في الشمس. ويجعل في القواصر. كما يصنع عندنا بالشريحة وبالتين المالقي. ويحمل من خوارزم إلى أقصى بلاد الهند والصين. وليس في جميع الفواكه اليابسة أطيب منه. وكنت أيّام إقامتي بدهلي من بلاد الهند متى قدم المسافرون بعثت من يشتري لي منهم قديد البطّيخ. وكان ملك الهند إذا أتي إليه بشيء منه بعث إليّ به لما يعلم من محبّتي له. ومن عادته أنّه يطرف الغرباء بفواكه بلادهم ويتفقّدهم بذلك (لابن بطوطة)

٣٢٨ (التورزي). ومن غرائب بلاد السودان شجرة طويلة الساق دقيقتها تسمّى تورزي تنبت في الرمال. ولها ثمر كبير منتفخ داخله صوف أبيض. تصنع منه الثياب والأكسية. ولا

تُؤَثِّرُ ٱلنَّارُ فِيمَا صُنِعَ مِنْ ذٰلِكَ ٱلصُّوفِ مِنَ ٱلثِّيَابِ وَلَوْ أُوقِدَتْ عَلَيْهِ ٱلدَّهْرَ. وَأَخْبَرَ ٱلْفَقِيهُ عَبْدُ ٱلْمَلِكِ أَنَّ أَهْلَ ٱللَّامِسِ بَلَدٍ هُنَاكَ لَيْسَ لَهُمْ لُبْسٌ إِلَّا مِنْ هٰذَا ٱلصِّنْفِ. وَقَدْ حَدَّثَ جَمَاعَةٌ أَنَّهُمْ رَأَوْا مِنْهُ أَهْدَابَ مِنْدِيلٍ عِنْدَ أَبِي ٱلْفَضْلِ ٱلْبَغْدَادِيِّ تُحْمَى عَلَيْهِ ٱلنَّارُ فَيَزْدَادُ بَيَاضًا. وَيَكُونُ لَهُ ٱلنَّارُ غَسْلًا وَهُوَ كَثَوْبِ ٱلْكَتَّانِ (للبكري)

٣٢٩ (أَلتَّنْبُولُ). شَجَرٌ يُغْرَسُ كَمَا تُغْرَسُ دَوَالِي ٱلْعِنَبِ وَيُصْنَعُ لَهُ مُعَرَّشَاتٌ مِنَ ٱلْقَصَبِ كَمَا يُصْنَعُ لِدَوَالِي ٱلْعِنَبِ. أَوْ يُغْرَسُ فِي مُجَاوَرَةِ ٱلنَّارَجِيلِ فَيَصْعَدُ فِيهَا كَمَا تَصْعَدُ ٱلدَّوَالِي وَكَمَا يَصْعَدُ ٱلْفُلْفُلُ. وَلَا ثَمَرَ لِلتَّنْبُولِ وَإِنَّمَا ٱلْمَقْصُودُ مِنْهُ وَرَقُهُ وَهُوَ يُشْبِهُ وَرَقَ ٱلْعُلَّيْقِ وَأَطْيَبُهُ ٱلْأَصْفَرُ. وَتُجْتَنَى أَوْرَاقُهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَأَهْلُ ٱلْهِنْدِ يُعَظِّمُونَ ٱلتَّنْبُولَ تَعْظِيمًا شَدِيدًا. وَإِذَا أَتَى ٱلرَّجُلُ دَارَ صَاحِبِهِ وَأَعْطَاهُ خَمْسَ وَرَقَاتٍ مِنْهُ فَكَأَنَّمَا أَعْطَاهُ ٱلدُّنْيَا وَمَا فِيهَا لَاسِيَّمَا إِنْ كَانَ أَمِيرًا أَوْ كَبِيرًا. وَإِعْطَاؤُهُ عِنْدَهُمْ أَعْظَمُ شَأْنًا وَأَدَلُّ عَلَى ٱلْكَرَامَةِ مِنْ إِعْطَاءِ ٱلْفِضَّةِ وَٱلذَّهَبِ. وَكَيْفِيَّةُ ٱسْتِعْمَالِهِ أَنْ يُؤْخَذَ قَبْلَهُ ٱلْفُوفَلُ وَهُوَ يُشْبِهُ جَوْزَ ٱلطِّيبِ. فَيُكَسَّرُ حَتَّى يَصِيرَ أَطْرَافًا صِغَارًا وَيَجْعَلُهُ ٱلْإِنْسَانُ فِي فَمِهِ وَيَعْلُكُهُ. ثُمَّ يَأْخُذُ وَرَقَ ٱلتَّنْبُولِ فَيَجْعَلُ عَلَيْهَا شَيْئًا مِنَ ٱلنُّورَةِ وَيَمْضَغُهَا مَعَ ٱلْفُوفَلِ. وَخَاصِيَّتُهُ أَنَّهُ يُطَيِّبُ ٱلنَّكْهَةَ وَيُذْهِبُ بِرَوَائِحِ ٱلْفَمِ وَيَهْضِمُ ٱلطَّعَامَ. وَيَقْطَعُ ضَرَرَ شُرْبِ ٱلْمَاءِ عَلَى ٱلرِّيقِ

٣٣٠ (أَلْعُودُ ٱلْهِنْدِيُّ). شَجَرُهُ يُشْبِهُ شَجَرَ ٱلْبَلُّوطِ إِلَّا أَنَّ قِشْرَهُ

دَقِيقٌ وَأَوْرَاقُهُ كَأَوْرَاقِ ٱلْبَلُّوطِ سَوَاءٌ وَلَا ثَمَرَ لَهُ. وَشَجَرَتُهُ لَا تَعْظُمُ كُلَّ ٱلْعِظَمِ وَعُرُوقُهُ طَوِيلَةٌ مُمْتَدَّةٌ وَفِيهَا ٱلرَّائِحَةُ ٱلْعَطِرَةُ. وَأَمَّا عِيدَانُ شَجَرَتِهِ وَوَرَقُهَا فَلَا عِطْرِيَّةَ فِيهَا. وَكُلُّ مَا بِبِلَادِ ٱلْمُسْلِمِينَ مِنْ شَجَرِهِ فَهُوَ مُتَمَلَّكٌ وَأَمَّا ٱلَّذِي فِي بِلَادِ ٱلْكُفَّارِ فَأَكْثَرُهُ غَيْرُ مُتَمَلَّكٍ. وَٱلْمُتَمَلَّكُ مِنْهُ مَا كَانَ بِقَاقُلَةَ. وَهُوَ أَطْيَبُ ٱلْعُودِ. وَكَذٰلِكَ ٱلْقَمَارِيُّ هُوَ أَطْيَبُ أَنْوَاعِ ٱلْعُودِ وَيَبِيعُونَهُ لِأَهْلِ ٱلْجَاوَةِ بِٱلْأَثْوَابِ. وَمِنَ ٱلْقَمَارِيِّ صِنْفٌ يُطْبَعُ عَلَيْهِ كَٱلشَّمْعِ. وَأَمَّا ٱلْعَطَاسُ فَإِنَّهُ يُقْطَعُ ٱلْعِرْقُ مِنْهُ وَيُدْفَنُ فِي ٱلتُّرَابِ أَشْهُرًا فَتَبْقَى فِيهِ قُوَّتُهُ. وَهُوَ مِنْ أَعْجَبِ أَنْوَاعِهِ

٣٣١ (أَلْقَرَنْفُلُ). أَشْجَارٌ عَادِيَّةٌ ضَخْمَةٌ وَهِيَ بِبِلَادِ ٱلْكُفَّارِ أَكْثَرُ مِنْهَا بِبِلَادِ ٱلْإِسْلَامِ. وَلَيْسَتْ بِمُتَمَلَّكَةٍ لِكَثْرَتِهَا. وَٱلْمَجْلُوبُ إِلَى بِلَادِنَا مِنْهَا هُوَ ٱلْعِيدَانُ. وَٱلَّذِي يُسَمِّيهِ أَهْلُ بِلَادِنَا نُوَّارَ ٱلْقَرَنْفُلِ هُوَ ٱلَّذِي يَسْقُطُ مِنْ زَهْرِهِ وَهُوَ شَبِيهٌ بِزَهْرِ ٱلنَّارَنْجِ. وَثَمَرُ ٱلْقَرَنْفُلِ هُوَ جَوْزُبُوَا ٱلْمَعْرُوفَةُ فِي بِلَادِنَا بِجَوْزَةِ ٱلطِّيبِ. وَٱلزَّهْرُ ٱلْمُتَكَوِّنُ فِيهَا هُوَ ٱلْبَسْبَاسَةُ. رَأَيْتُ ذٰلِكَ كُلَّهُ وَشَاهَدْتُهُ

٣٣٢ (أَلْكَافُورُ). شَجَرَةُ قَصَبٍ كَقَصَبِ بِلَادِنَا إِلَّا أَنَّ ٱلْأَنَابِيبَ مِنْهَا أَطْوَلُ وَأَغْلَظُ. وَيَكُونُ ٱلْكَافُورُ فِي دَاخِلِ ٱلْأَنَابِيبِ وَإِذَا كُسِرَتِ ٱلْقَصَبَةُ وُجِدَ فِي دَاخِلِ ٱلْأُنْبُوبِ مِثْلُ شَكْلِهِ مِنَ ٱلْكَافُورِ. قَالَ ٱلْقَزْوِينِيُّ: ٱلْكَافُورُ شَجَرَةٌ كَبِيرَةٌ هِنْدِيَّةٌ تُظِلُّ خَلْقًا كَثِيرًا تَأْلَفُهَا

ٱلنُّسُورُ . فَلَا يَصِلُ إِلَيْهَا ٱلنَّاسُ إِلَّا فِي ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ مِنَ ٱلسَّنَةِ . وَهِيَ سَفِحِيَّةٌ بَحْرِيَّةٌ . خَشَبُهَا خَشَبَةٌ بَيْضَاءُ هَشَّةٌ خَفِيفَةٌ . رُبَّمَا ٱحْتَبَسَ فِي خَلَلِهَا شَيْءٌ مِنَ ٱلْكَافُورِ فَيُنْقَبُ أَعْلَى ٱلشَّجَرَةِ فَيَسِيلُ مِنْهَا مَاءُ ٱلْكَافُورِ عِدَّةَ جِرَارٍ . ثُمَّ يُنْقَبُ أَسْفَلَ مِنْ ذٰلِكَ وَسَطَ ٱلشَّجَرَةِ فَيَنْسَابُ مِنْهَا قِطَعُ ٱلْكَافُورِ

٣٣٣ (ٱللُّبَانُ) . شَجَرَةُ ٱللُّبَانِ صَغِيرَةٌ تَكُونُ بِقَدْرِ قَامَةِ ٱلْإِنْسَانِ إِلَى مَا دُونَ ذٰلِكَ . وَأَغْصَانُهَا كَأَغْصَانِ ٱلْخُرْشُفِ . وَأَوْرَاقُهَا صِغَارٌ رِقَاقٌ . وَرُبَّمَا سَقَطَتْ فَبَقِيَتِ ٱلشَّجَرَةُ مِنْهَا دُونَ وَرَقَةٍ . وَٱللُّبَانُ صَمْغِيَّةٌ تَكُونُ فِي أَغْصَانِهَا . وَهِيَ فِي بِلَادِ ٱلْمُسْلِمِينَ أَكْثَرُ مِنْهَا فِي بِلَادِ غَيْرِهِمْ (لابن بطوطة)

قَالَ ٱلْقَزْوِينِيُّ : وَشَجَرَةُ ٱللُّبَانِ تُسَمَّى ٱلْكُنْدُرَ . وَهِيَ شَجَرَةٌ ذَاتُ شَوْكٍ لَا تَسْمُو أَكْثَرَ مِنْ ذِرَاعَيْنِ تَنْبُتُ فِي ٱلْجِبَالِ بِشِحْرِ عُمَانَ . وَوَرَقُهَا كَوَرَقِ ٱلْآسِ وَهُوَ رَقِيقٌ . وَإِذَا شُرِطَتِ ٱلْوَرَقَةُ مِنْهُ قَطَرَ مِنْهَا مَاءٌ شِبْهُ ٱللَّبَنِ ثُمَّ عَادَ صَمْغًا . وَذٰلِكَ ٱلصَّمْغُ هُوَ ٱللُّبَانُ

٣٣٤ (ٱلْمُصْطَكَى) . هُوَ مِنْ شَجَرَةٍ تَنْبُتُ بِجَزِيرَةِ مُصْطَكَى سُمِّيَتْ بِهِ . تُشْبِهُ شَجَرَ ٱلْفُسْتُقِ ٱلصِّغَارَ . وَفِي فَصْلِ ٱلرَّبِيعِ تُشْرَطُ تِلْكَ ٱلشَّجَرُ بِمَشَارِيطَ فَيَسِيلُ مِنْهَا ٱلْمُصْطَكَى ثُمَّ يَجْمُدُ عَلَى ٱلشَّجَرِ وَهُوَ ٱلْجَيِّدُ . وَٱلَّذِي يَقْطُرُ عَلَى ٱلْأَرْضِ يَكُونُ دُونَ ذٰلِكَ . وَجَزِيرَةُ مُصْطَكَى جَنُوبِيَّ قُسْطَنْطِينِيَّةَ بِٱلْقُرْبِ مِنْ فَمِ ٱلْخَلِيجِ ٱلْقُسْطَنْطِينِيِّ . (لابي الفداء)

٣٣٥ (اَلنَّارَجِيلُ). وَهُوَ جَوزُ اَلْهِنْدِ. مِنْ أَغْرَبِ اَلْأَشْجَارِ شَأْنًا وَأَعْجَبِهَا أَمْرًا. وَشَجَرُهُ شِبْهُ شَجَرِ اَلنَّخْلِ لَا فَرْقَ بَيْنَهُمَا إِلَّا أَنَّ هٰذِهِ تُثْمِرُ جَوزًا وَتِلْكَ تُثْمِرُ تَمْرًا. وَجَوزُهَا يُشْبِهُ رَأْسَ اِبْنِ آدَمَ لِأَنَّ فِيهَا شِبْهَ اَلْعَيْنَيْنِ وَالْفَمِ وَدَاخِلُهَا شِبْهُ اَلدِّمَاغِ إِذَا كَانَتْ خَضْرَاءَ. وَعَلَيْهَا لِيفٌ شِبْهُ اَلشَّعَرِ. وَهُمْ يَصْنَعُونَ مِنْهُ حِبَالًا يَخِيطُونَ بِهَا اَلْمَرَاكِبَ عِوَضًا عَنْ مَسَامِيرِ اَلْحَدِيدِ وَيَصْنَعُونَ مِنْهُ اَلْحِبَالَ لِلْمَرَاكِبِ. وَالْجَوزَةُ مِنْهَا وَخُصُوصًا اَلَّتِي بِجَزَائِرِ ذِيبَةِ اَلْمَهَلِ تَكُونُ بِمِقْدَارِ رَأْسِ اَلْآدَمِيِّ. وَمِنْ خَوَاصِّ هٰذَا اَلْجَوزِ تَقْوِيَةُ اَلْبَدَنِ وَإِسْرَاعُ اَلسِّمَنِ وَالزِّيَادَةُ فِي حُمْرَةِ اَلْوَجْهِ فَفِعْلُهُ فِيهَا عَجِيبٌ. وَمِنْ عَجَائِبِهِ أَنَّهُ يَكُونُ فِي اِبْتِدَاءِ أَمْرِهِ أَخْضَرَ فَمَنْ قَطَعَ بِالسِّكِّينِ قِطْعَةً مِنْ قِشْرِهِ وَفَتَحَ رَأْسَ اَلْجَوزَةِ شَرِبَ مِنْهَا مَاءً فِي اَلنِّهَايَةِ مِنَ اَلْحَلَاوَةِ وَالْبُرُودَةِ. وَمِزَاجُهُ حَارٌّ

٣٣٦ (أَلْمَهْوَا). مِنْ أَثْمَارِ بِلَادِ اَلْهِنْدِ اَلْمَهْوَا. وَأَشْجَارُهُ عَادِيَةٌ وَأَوْرَاقُهُ كَأَوْرَاقِ اَلْجَوزِ إِلَّا أَنَّ فِيهَا حُمْرَةً وَصُفْرَةً. وَثَمَرُهُ مِثْلُ اَلْإِجَّاصِ اَلصَّغِيرِ شَدِيدُ اَلْحَلَاوَةِ. وَفِي أَعْلَى كُلِّ حَبَّةٍ مِنْهُ حَبَّةٌ صَغِيرَةٌ بِمِقْدَارِ حَبَّةِ اَلْعِنَبِ مُجَوَّفَةٌ. وَطَعْمُهَا كَطَعْمِ اَلْعِنَبِ إِلَّا أَنَّ اَلْإِكْثَارَ مِنْ أَكْلِهَا يُحْدِثُ فِي اَلرَّأْسِ صُدَاعًا. وَمِنَ اَلْعَجَبِ أَنَّ هٰذِهِ اَلْحُبُوبَ إِذَا يَبِسَتْ فِي اَلشَّمْسِ كَانَ مَطْعَمُهَا كَمَطْعَمِ اَلتِّينِ. وَكُنْتُ آكُلُهَا عِوَضًا مِنَ اَلتِّينِ إِذْ لَا يُوجَدُ بِبِلَادِ اَلْهِنْدِ. وَهُمْ يُسَمُّونَ هٰذِهِ اَلْحَبَّةَ اَلْأَنْكُورَ. وَتَفْسِيرُهُ بِلِسَانِهِمِ اَلْعِنَبُ. وَالْعِنَبُ بِأَرْضِ اَلْهِنْدِ عَزِيزٌ

جِدًّا. وَلَا يَكُونُ بِهَا إِلَّا فِي مَوَاضِعَ بِمُحَاضَرَةِ دِهْلِي وَبِلَادٍ أُخَرَ. وَيُثْمِرُ مَرَّتَيْنِ فِي السَّنَةِ. وَنَوَى هٰذَا الثَّمَرِ يَصْنَعُونَ مِنْهُ الزَّيْتَ وَيَسْتَصْبِحُونَ بِهِ (لابن بطوطة)

الحيوان

٣٣٧ أَمَّا الْحَيَوَانُ فَفِي الْمَرْتَبَةِ الثَّالِثَةِ مِنَ الْكَائِنَاتِ وَأَبْعَدُ الْمُوَلَّدَاتِ عَنِ الْأُمَّهَاتِ. لِأَنَّ الْمَرْتَبَةَ الْأُولَى لِلْمَعَادِنِ. وَهِيَ بَاقِيَةٌ عَلَى الْجَمَادِيَّةِ لِقُرْبِهَا مِنَ الْبَسَائِطِ. وَالْمَرْتَبَةُ الثَّانِيَةُ لِلنَّبَاتِ. فَإِنَّهَا مُتَوَسِّطَةٌ بَيْنَ الْمَعَادِنِ وَالْحَيَوَانِ لِحُصُولِ النُّشُوءِ وَالنُّمُوِّ وَفَوَاتِ الْحِسِّ وَالْحَرَكَةِ. وَالْمَرْتَبَةُ الثَّالِثَةُ لِلْحَيَوَانِ. وَهُوَ قَدْ جَمَعَ بَيْنَ النُّشُوءِ وَالنُّمُوِّ وَالْحِسِّ وَالْحَرَكَةِ. وَهٰذِهِ قُوًى مَوْجُودَةٌ فِي جَمِيعِ أَفْرَادِ الْحَيَوَانِ حَتَّى فِي الذُّبَابِ وَالْبَعُوضِ وَالدِّيدَانِ (للقزويني)

نوع النَّعَم

٣٣٨ (أَلْإِبِلُ). قِيلَ: مَا خَلَقَ اللهُ شَيْئًا مِنَ الدَّوَابِّ خَيْرًا مِنَ الْإِبِلِ. إِنْ حُمِلَتْ أَثْقَلَتْ وَإِنْ سَارَتْ أَبْعَدَتْ وَإِنْ حُلِبَتْ أَرْوَتْ وَإِنْ نُحِرَتْ أَشْبَعَتْ. وَلَمَّا أَرَادَ اللهُ أَنْ تَكُونَ الْإِبِلُ سَفَائِنَ الْبَرِّ صَبَّرَهَا عَلَى احْتِمَالِ الْعَطَشِ. وَجَعَلَهَا تَرْعَى كُلَّ شَيْءٍ نَابِتٍ فِي الْبَرَارِي وَالْمَفَاوِزِ مِمَّا لَا يَرْعَاهُ سَائِرُ الْبَهَائِمِ. وَالْإِبِلُ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ الْعَجِيبَةِ وَإِنْ كَانَ عَجَبُهَا سَقَطَ مِنْ أَعْيُنِ النَّاسِ لِكَثْرَةِ رُؤْيَتِهِمْ لَهَا. وَذَاكَ أَنَّهُ حَيَوَانٌ عَظِيمُ الْجِسْمِ سَرِيعُ الِانْقِيَادِ. يَنْهَضُ بِالْحِمْلِ

ٱلثَّقِيلِ وَيَبْرُكُ بِهِ بِصَوْتٍ وَاحِدٍ . وَيَأْخُذُ زِمَامَهُ صَبِيٌّ فَيَذْهَبُ بِهِ حَيْثُ شَاءَ . وَيَتَّخِذُ عَلَى ظَهْرِهِ بَيْتٌ فَيَجْعَلُ فِيهِ ٱلْإِنْسَانُ مَأْكُولَهُ وَمَشْرُوبَهُ وَمَلْبُوسَهُ وَظُرُوفَهُ وَوَسَائِدَهُ كَمَا فِي بَيْتِهِ . وَيَتَّخِذُ لِلْبَيْتِ سَقْفًا وَهُوَ يَمْشِي بِكُلِّ ذٰلِكَ (للدميري)

٣٣٩ (أَلزَّرَافَةُ) . حَيَوَانٌ غَرِيبُ ٱلْخِلْقَةِ . رَأْسُهُ كَرَأْسِ ٱلْإِبِلِ . وَقَرْنُهُ كَقُرُونِ ٱلْبَقَرِ . وَجِلْدُهُ كَجِلْدِ ٱلنَّمِرِ . وَقَوَائِمُهُ وَأَظْلَافُهُ كَالْبَقَرِ . وَذَنَبُهُ كَذَنَبِ ٱلظَّبْيِ . وَلَمَّا كَانَ مَأْكُولُهَا وَرَقَ ٱلشَّجَرِ خَلَقَ ٱللهُ تَعَالَى يَدَيْهَا أَطْوَلَ مِنْ رِجْلَيْهَا وَهِيَ أَلْوَانٌ عَجِيبَةٌ . وَقَالَ ٱلْقَزْوِينِيُّ : ٱلزَّرَافَةُ طَوِيلَةُ ٱلْعُنُقِ . وَصُورَتُهَا بِٱلْبَعِيرِ أَقْرَبُ . وَجِلْدُهَا بِٱلنَّبْرِ أَشْبَهُ . وَهِيَ مِنَ ٱلْخَلْقِ ٱلْعَجِيبِ لَيْسَ عِنْدَهَا إِلَّا ظَرَافَةُ ٱلصُّورَةِ

نوع السباع

٣٤٠ (أَلثَّعْلَبُ) . وَهُوَ مَعْرُوفٌ . ذُو مَكْرٍ وَخَدِيعَةٍ . وَلَهُ حِيَلٌ فِي طَلَبِ ٱلرِّزْقِ . فَمِنْ ذٰلِكَ أَنَّهُ يَتَمَاوَتُ وَيَنْفُخُ بَطْنَهُ وَيَرْفَعُ قَوَائِمَهُ حَتَّى يُظَنَّ أَنَّهُ مَاتَ فَإِذَا قَرُبَ مِنْهُ حَيَوَانٌ وَثَبَ عَلَيْهِ وَصَادَهُ . وَحِيلَتُهُ هٰذِهِ لَا تَتِمُّ عَلَى كَلْبِ ٱلصَّيْدِ . وَمِنْ لَطِيفِ أَمْرِهِ أَنَّهُ إِذَا تَسَلَّطَتْ عَلَيْهِ ٱلْبَرَاغِيثُ حَمَلَهَا وَجَاءَ إِلَى ٱلْمَاءِ وَقَطَعَ قِطْعَةً مِنْ صُوفِهِ وَجَعَلَهَا فِي فِيهِ وَنَزَلَ فِي ٱلْمَاءِ . وَٱلْبَرَاغِيثُ تَطِيرُ قَلِيلًا حَتَّى تَجْتَمِعَ فِي تِلْكَ ٱلصُّوفَةِ فَيُلْقِيهَا فِي ٱلْمَاءِ وَيَخْرُجُ . وَفَرْوُهُ أَدْفَأُ ٱلْفِرَاءِ وَفِيهِ ٱلْأَبْيَضُ وَٱلرَّمَادِيُّ وَغَيْرُ ذٰلِكَ (للابشيهي)

٣٤١ (خَيْلُ ٱلْبَحْرِ). وَلَمَّا وَصَلْنَا خَلِيجَ ٱلنِّيلِ رَأَيْتُ عَلَى ضَفَّتِهِ سِتَّ عَشْرَةَ دَابَّةً ضَخْمَةَ ٱلْخِلْقَةِ. فَعَجِبْتُ مِنْهَا وَظَنَنْتُهَا فِيَلَةً لِكَثْرَتِهَا هُنَالِكَ. ثُمَّ إِنِّي رَأَيْتُهَا دَخَلَتْ فِي ٱلنَّهْرِ فَقُلْتُ لِأَبِي بَكْرِ بْنِ يَعْقُوبَ: مَا هٰذِهِ ٱلدَّوَابُّ. فَقَالَ: هِيَ خَيْلُ ٱلْبَحْرِ خَرَجَتْ تَرْعَى فِي ٱلْبَرِّ. وَهِيَ أَغْلَظُ مِنَ ٱلْخَيْلِ وَلَهَا أَعْرَافٌ وَأَذْنَابٌ وَرُؤُوسُهَا كَرُؤُوسِ ٱلْخَيْلِ وَأَرْجُلُهَا كَأَرْجُلِ ٱلْفِيَلَةِ. وَرَأَيْتُ هٰذِهِ ٱلْخَيْلَ مَرَّةً أُخْرَى لَمَّا رَكِبْنَا ٱلنِّيلَ مِنْ تَنْبُكْتُو إِلَى كُوكُو وَهِيَ تَعُومُ فِي ٱلْمَاءِ وَتَرْفَعُ رُؤُوسَهَا وَتَنْفُخُ. وَخَافَ مِنْهَا أَهْلُ ٱلْمَرْكَبِ فَقَرُبُوا مِنَ ٱلْبَرِّ لِئَلَّا تُغْرِقَهُمْ. وَلَهُمْ حِيلَةٌ فِي صَيْدِهَا حَسَنَةٌ وَذَلِكَ أَنَّ لَهُمْ رِمَاحًا مَثْقُوبَةً قَدْ جُعِلَ فِي ثُقْبِهَا شَرَائِطُ وَثِيقَةٌ فَيَضْرِبُونَ ٱلْفَرَسَ مِنْهَا. فَإِنْ صَادَفَتِ ٱلضَّرْبَةُ رِجْلَهُ أَوْ عُنُقَهُ أَنْفَذَتْهُ وَجَذَبُوهُ بِٱلْحَبْلِ حَتَّى يَصِلَ إِلَى ٱلسَّاحِلِ فَيَقْتُلُونَهُ وَيَأْكُلُونَ لَحْمَهُ. وَمِنْ عِظَامِهَا بِٱلسَّاحِلِ كَثِيرٌ (لابن بطوطة)

٣٤٢ (ٱلدُّبُّ). حَيَوَانٌ جَسِيمٌ يُحِبُّ ٱلْعُزْلَةَ. فَإِذَا جَاءَ ٱلشِّتَاءُ يَدْخُلُ وِجَارَهُ ٱلَّذِي ٱتَّخَذَهُ فِي ٱلْغِيرَانِ وَلَا يَخْرُجُ حَتَّى يَطِيبَ ٱلْهَوَاءُ. فَإِذَا جَاعَ يَمُصُّ يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ. فَيَدْفَعُ بِذَلِكَ جُوعَهُ وَيَخْرُجُ مِنْ وِجَارِهِ فَصْلَ ٱلرَّبِيعِ كَأَسْمَنِ مَا يَكُونُ. وَيُخَاصِمُهُ ٱلْبَقَرُ فَإِذَا نَطَحَهُ ٱلْبَقَرُ ٱسْتَلْقَى. وَيَأْخُذُ بِيَدَيْهِ قَرْنَيْهِ وَيَعَضُّهُ عَضًّا شَدِيدًا وَيَقْهَرُهُ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِذَا وَلَدَتْ أُنْثَاهُ جَرْوًا تَصْعَدُ بِهِ إِلَى أَعْلَى شَجَرَةٍ خَوْفًا عَلَيْهِ مِنَ ٱلنَّمْلِ لِأَنَّهَا تَضَعُهُ قِطْعَةَ لَحْمٍ. ثُمَّ لَا تَزَالُ تَلْحَسُهُ وَتَرْفَعُهُ فِي ٱلْهَوَاءِ

أَيَّامًا حَتَّى تَنْفَرِجَ أَعْضَاؤُهُ وَتَخْشُنَ وَيَصِيرَ لَهُ جِلْدٌ. وَقِيلَ إِنَّ الدُّبَّ يُقِيمُ أَوْلَادَهُ تَحْتَ شَجَرَةِ الْجَوْزِ ثُمَّ يَصْعَدُ فَيَرْمِي بِالْجَوْزِ إِلَيْهَا إِلَى أَنْ تَشْبَعَ. وَرُبَّمَا قَطَعَ مِنَ الشَّجَرَةِ الْغُصْنَ الْعُتُلَّ الضَّخْمَ الَّذِي لَا يُقْطَعُ إِلَّا بِالْفَأْسِ وَالْجَهْدِ ثُمَّ يَشُدُّ بِهِ عَلَى الْفَارِسِ فَلَا يَضْرِبُ أَحَدًا إِلَّا قَتَلَهُ. (الدميري والقزويني)

٣٤٣ (أَلْفِيلُ). حَيَوَانٌ يُوجَدُ بِأَرْضِ الْهِنْدِ. وَهُوَ أَضْخَمُ الْحَيَوَانِ وَأَعْظَمُهُ جِرْمًا. وَمَا ظَنُّكَ بِخَلْقٍ رُبَّمَا كَانَ نَابُهُ أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثِ مِائَةِ مَنٍّ. وَهُوَ مَعَ ذٰلِكَ أَمْلَحُ وَأَظْرَفُ مِنْ كُلِّ نَحِيفِ الْجِسْمِ رَشِيقٍ. وَأَهْلُ الْهِنْدِ يَزْعُمُونَ أَنَّ أَنْيَابَ الْفِيلِ قَرْنَاهُ يَخْرُجَانِ مُسْتَبْطَنَيْنِ حَتَّى يَخْرُقَانِ. وَخُرْطُومُ الْفِيلِ أَنْفُهُ وَيَدُهُ. وَبِهِ يَتَنَاوَلُ الطَّعَامَ إِلَى جَوْفِهِ وَبِهِ يُقَاتِلُ وَبِهِ يَصِيحُ. وَصِيَاحُهُ لَيْسَ فِي مِقْدَارِ جِرْمِهِ. وَلَهُ أُذُنَانِ كُلُّ وَاحِدَةٍ كَتُرْسٍ مُتَحَرِّكَتَانِ دَائِمًا يَدْفَعُ بِهِمَا الذُّبَابَ وَالْبَقَّ عَنْ فِيهِ. لِأَنَّ فَمَهُ مَفْتُوحٌ دَائِمًا فَلَوْ دَخَلَ مِنَ الذُّبَابِ أَوِ الْبَقِّ فِي فَمِهِ أَوْ أُذُنِهِ لَهَلَكَ. وَالْفِيلُ يُعَادِي الْحَيَّةَ إِذَا رَآهَا فَسَخَهَا تَحْتَ رِجْلَيْهِ. وَالْحَيَّةُ تَلْسَعُ وَلَدَهُ فَتُهْلِكُهُ. وَقِيلَ إِنَّ الْفِيلَ جَيِّدُ السِّبَاحَةِ. وَإِذَا سَبَحَ رَفَعَ خُرْطُومَهُ كَمَا يُغَيِّبُ الْجَامُوسُ جَمِيعَ بَدَنِهِ إِلَّا مَنْخَرَيْهِ. وَيَقُومُ خُرْطُومُهُ مَقَامَ عُنُقِهِ. وَالْخَرْقُ الَّذِي فِي خُرْطُومِهِ لَا يَنْفُذُ وَإِنَّمَا هُوَ وِعَاءٌ إِذَا مَلَأَهُ مِنْ طَعَامٍ أَوْ مَاءٍ أَوْلَجَهُ فِي فِيهِ لِأَنَّهُ قَصِيرُ الْعُنُقِ لَا يَنَالُ مَاءً وَلَا مَرْعًى. وَأَهْلُ الْهِنْدِ تَجْعَلُهُ فِي الْقِتَالِ. وَفِيهِ مِنَ الْفَهْمِ

مَا يَقْبَلُ بِهِ ٱلتَّأْدِيبَ وَيَفْعَلُ مَا يَأْمُرُهُ بِهِ سَائِسُهُ مِنَ ٱلسُّجُودِ لِلْمَلِكِ وَغَيْرِ ذٰلِكَ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَٱلشَّرِّ فِي حَالَتَيِ ٱلسِّلْمِ وَٱلْحَرْبِ. وَفِيهِ مِنَ ٱلْأَخْلَاقِ أَنَّهُ يُقَاتِلُ بَعْضُـهُ بَعْضًا وَٱلْمَقْهُورُ مِنْهُمَا يَخْضَعُ لِلْقَاهِرِ. وَرُبَّمَا مَرَّ بِٱلْإِنْسَانِ فَلَا يَشْعُرُ بِهِ لِحُسْنِ خَطْوِهِ وَٱسْتِقَامَتِهِ. وَذُكِرَ فِي كِتَابِ كَلِيلَةَ وَدِمْنَةَ أَنَّ ٱلْفِيلَ لَا يَأْكُلُ عَلَفَهُ إِلَّا أَنْ يُتَمَلَّقَ

(للابشيهي والدميري)

٣٤٤ (ٱلْقَاقُمُ وَٱلسَّمُّورُ). ٱلْقَاقُمُ هُوَ أَحْسَنُ أَنْوَاعِ ٱلْفِرَاءِ. وَتُسَاوِي ٱلْفَرْوَةُ مِنْهُ بِبِلَادِ ٱلْهِنْدِ أَلْفَ دِينَارٍ. وَهِيَ شَدِيدَةُ ٱلْبَيَاضِ مِنْ جِلْدِ حَيَوَانٍ صَغِيرٍ فِي طُولِ ٱلشِّبْرِ. وَذَنَبُهُ طَوِيلٌ يَتْرُكُونَهُ فِي ٱلْفَرْوَةِ عَلَى حَالِهِ. وَٱلسَّمُّورُ دُونَ ذٰلِكَ. تُسَاوِي ٱلْفَرْوَةُ مِنْهُ أَرْبَعَمِائَةِ دِينَارٍ فَمَا دُونَهَا. وَمِنْ خَاصِّيَّةِ هٰذِهِ ٱلْجُلُودِ أَنَّهُ لَا يَدْخُلُهَا ٱلْقَمْلُ. وَأُمَرَاءُ ٱلصِّينِ وَكِبَارُهَا يَجْعَلُونَ مِنْهُ ٱلْجِلْدَ ٱلْوَاحِدَ مُتَّصِلًا بِفِرَوَاتِهِمْ عِنْـدَ ٱلْعُنُقِ. وَكَذٰلِكَ تُجَّارُ فَارِسَ وَٱلْعِرَاقَيْنِ (لابن بطوطة)

٣٤٥ (ٱلْقِرْدُ). حَيَوَانٌ قَبِيحٌ مَلِيحٌ. يُضْحِكُ وَيُطْرِبُ وَيَفْهَمُ سَرِيعًا. وَيَتَعَلَّمُ ٱلصِّنَاعَاتِ ٱلدَّقِيقَةَ كَٱلنَّسْجِ. فَإِنَّ ٱلثِّيَابَ ٱلْعَرِيضَةَ لَا يَحُوكُهَا صَانِعٌ وَاحِدٌ فَيُعَلِّمُ ٱلصَّانِعُ قِرْدًا وَيَرْمِي ٱلْمَحُوكَ إِلَى جَانِبِ ٱلْقِرْدِ وَٱلْقِرْدُ يَرْمِي إِلَيْهِ. وَأَهْدَى مَلِكُ ٱلنُّوبَةِ إِلَى ٱلْمُتَوَكِّلِ قِرْدَيْنِ أَحَدُهُمَا خَيَّاطٌ وَٱلْآخَرُ صَائِغٌ. وَأَهْلُ ٱلْيَمَنِ يُعَلِّمُونَ ٱلْقُرُودَ قَضَاءَ حَوَائِجِهِمْ. حَتَّى ٱلْبَقَّالُ وَٱلْقَصَّابُ إِذَا غَابَ سَلَّمَ دُكَّانَهُ إِلَى ٱلْقِرْدِ

يحفظه أشد الحفظ حتى يرجع صاحبه (للابشيهي والقزويني)

٣٤٦ (الكركدن). في بلاد الهند البشان وهو الكركدن. له في جبهته قرن واحد. وهو أسود في وسطه صورة بيضاء. وهذا الكركدن دون الفيل في الخلقة إلى السواد ما هو يشبه الجاموس قوي ليس كقوته شيء من الحيوان. وليس له مفصل في ركبته ولا في يده. وهو من لدن رجله إلى إبطه قطعة واحدة. والفيل يهرب منه. وهو يجتر كما تجتر البقر والإبل. ولحمه حلال قد أكلناه. وهو في مملكة سرنديب كثير في غياضهم وهو في سائر بلاد الهند. غير أن قرون هذا أجود. فربما كان في القرن صورة رجل وصورة طاووس وصورة سمكة وسائر الصور. وأهل الصين يتخذون منها المناطق وتبلغ المنطقة ببلاد الصين ألفي دينار وثلاثة آلاف وأكثر على قدر حسن الصورة. وهذا كله يشترى من بلاد رهمي بالودع وهو عين البلاد (سلسلة التواريخ)

٣٤٧ (الكلب). حيوان كثير الرياضة شديد المجاهدة كثير الوفاء دائم الجوع والسهر. يخدم بأدنى مراعاة خدمة كثيرة من الملازمة والحراسة ودفع اللص. حكى أبو عبيدة قال: خرج رجل إلى الجبانة ومعه أخوه وجاره لينظروا إلى الناس. فتبعه كلب له فضربه ورماه بحجر فلم ينته ولم يرجع. فلما قعد ربض الكلب بين يديه. فجاء عدو له في طلبه فلما رآه خاف على نفسه. فإذا ببئر

هُنَاكَ قَرْيَةُ ٱلْقَعْرِ فَنَزَلَ فِيهَا وَأَمَرَ أَخَاهُ وَجَارَهُ أَنْ يَهِيلَا عَلَيْهِ ٱلتُّرَابَ. ثُمَّ ذَهَبَ أَخُوهُ وَجَارُهُ إِلَى سَبِيلِهِمَا وَصَارَ ٱلْكَلْبُ يَنْبَحُ حَوْلَهُ. فَلَمَّا ٱنْصَرَفَ ٱلْعَدُوُّ أَتَاهُ ٱلْكَلْبُ فَمَا زَالَ يَبْحَثُ فِي ٱلتُّرَابِ إِلَى أَنْ كَشَفَهُ عَنْ رَأْسِهِ فَتَنَفَّسَ ٱلرَّجُلُ وَمَرَّ بِهِ أُنَاسٌ فَتَنَاوَلُوهُ وَرَدُّوهُ إِلَى أَهْلِهِ. فَلَمَّا مَاتَ ذٰلِكَ ٱلْكَلْبُ عَمِلَ لَهُ قَبْرًا وَدَفَنَهُ فِيهِ. وَجَعَلَ عَلَيْهِ قُبَّةً وَسَمَّى ذٰلِكَ قَبْرَ ٱلْكَلْبِ وَفِي ذٰلِكَ قِيلَ:

تَفَرَّقَ عَنْهُ جَارُهُ وَشَقِيقُهُ   وَمَا حَادَ عَنْهُ كَلْبُهُ وَهُوَ ضَارِبُهْ

وَمِنْ ذٰلِكَ مَا حُكِيَ أَنَّ رَجُلًا قُتِلَ وَدُفِنَ. وَكَانَ مَعَهُ كَلْبٌ فَصَارَ يَأْتِي كُلَّ يَوْمٍ إِلَى ٱلْمَوْضِعِ ٱلَّذِي دُفِنَ فِيهِ وَيَنْبَحُ وَيَنْبُشُ وَيَتَعَلَّقُ بِرَجُلٍ هُنَاكَ. فَقَالَ ٱلنَّاسُ: إِنَّ لِهٰذَا ٱلْكَلْبِ شَأْنًا فَكَشَفُوا عَنْ ذٰلِكَ وَحَفَرُوا ذٰلِكَ ٱلْمَوْضِعَ فَوَجَدُوا قَتِيلًا. فَقَبَضُوا عَلَى ذٰلِكَ ٱلرَّجُلِ ٱلَّذِي يَنْبَحُ عَلَيْهِ ٱلْكَلْبُ وَضَرَبُوهُ فَأَقَرَّ بِقَتْلِهِ فَقُتِلَ

وَٱلْكَلْبُ مِنَ ٱلْحَيَوَانِ ٱلَّذِي يَعْرِفُ ٱلْحَسَنَةَ. وَيَعِيشُ ٱلْكَلْبُ فِي ٱلْغَالِبِ عَشْرَ سِنِينَ. وَرُبَّمَا بَلَغَ عِشْرِينَ سَنَةً. وَوُصِفَ لِلْمُتَوَكِّلِ كَلْبٌ بِأَرْمِينِيَةَ يَفْتَرِسُ ٱلْأَسَدَ. فَأَرْسَلَ مَنْ جَاءَ بِهِ إِلَيْهِ. فَجُوِّعَ أَسَدًا وَأَطْلَقَهُ عَلَيْهِ فَتَهَارَشَا وَتَوَاثَبَا حَتَّى وَقَعَا مَيِّتَيْنِ. وَقِيلَ: كَلْبُ ٱلصَّيَّادِ يُشَبَّهُ بِهِ ٱلْفَقِيرُ ٱلْمُجَاوِرُ لِلْغَنِيِّ. لِأَنَّهُ يَرَى مِنْ نِعْمَتِهِ وَبُؤْسِ نَفْسِهِ مَا يُفَتِّتُ كَبِدَهُ. وَٱلْكَلْبُ نَوْعَانِ أَهْلِيٌّ وَسَلُوقِيٌّ نِسْبَةً إِلَى سَلُوقَ مَدِينَةٍ بِٱلْيَمَنِ تُنْسَبُ إِلَيْهَا ٱلْكِلَابُ ٱلسَّلُوقِيَّةُ وَكِلَا ٱلنَّوْعَيْنِ فِي ٱلطَّبْعِ سَوَاءٌ

نوع الطيور

٣٤٨ (أَلْبَازُ). وَكُنْيَتُهُ أَبُو الْأَشْعَثِ. هُوَ مِنْ أَشَدِّ الْحَيَوَانِ تَكَبُّرًا وَأَضْيَقِهَا خُلُقًا. تَخْتَلِفُ أَلْوَانُهُ وَهُوَ أَصْنَافٌ. مِنْهَا الْبَازِي وَالْبَاشَقُ وَالشَّاهِينُ وَالْبَيْدَقُ وَالصَّقْرُ. وَالْبَازِي أَحَرُّهَا مِزَاجًا لِأَنَّهُ لَا يَصْبِرُ عَلَى الْعَطَشِ. فَلِذٰلِكَ لَا يُفَارِقُ الْمَاءَ وَالْأَشْجَارَ الْمُتَّسِعَةَ وَالظِّلَّ الظَّلِيلَ. وَهُوَ خَفِيفُ الْجَنَاحِ سَرِيعُ الطَّيَرَانِ تَكْثُرُ أَمْرَاضُهُ مِنْ كَثْرَةِ طَيَرَانِهِ. لِأَنَّهُ كُلَّمَا طَارَ انْحَطَّ لَحْمُهُ وَهَزِلَ. وَأَحْسَنُ أَنْوَاعِهِ مَا قَلَّ رِيشُهُ وَاحْمَرَّتْ عَيْنَاهُ مَعَ حِدَّةٍ وَدُونَهُ الْأَزْرَقُ الْأَحْمَرُ الْعَيْنَيْنِ. وَالْأَصْفَرُ دُونَهُمَا. وَمِنْ صِفَاتِهِ أَنَّهُ طَوِيلُ الْعُنُقِ عَرِيضُ الصَّدْرِ (للابشيهي)

٣٤٩ (أَلْحَمَامُ). هُوَ أَنْوَاعٌ كَثِيرَةٌ. وَالْكَلَامُ فِي الَّذِي أَلِفَ الْبُيُوتَ وَهُوَ قِسْمَانِ أَحَدُهُمَا بَرِّيٌّ. وَهُوَ الَّذِي يُوجَدُ فِي الْقُرَى وَالْآخَرُ أَهْلِيٌّ وَهُوَ أَنْوَاعٌ وَأَشْكَالٌ. فَمِنْهُ الرَّوَاعِبُ وَالْمَرَاعِيشُ وَالشَّدَّادُ وَالْغَلَّابُ وَالْمَنْسُوبُ. وَمِنْ طَبْعِهِ أَنَّهُ يَطْلُبُ وَكْرَهُ وَلَوْ كَانَ فِي مَسَافَةٍ بَعِيدَةٍ. وَلِأَجْلِ ذٰلِكَ يَحْمِلُ الْأَخْبَارَ. وَمِنْهُ مَنْ يَقْطَعُ عَشَرَةَ فَرَاسِخَ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ. وَرُبَّمَا صِيدَ وَغَابَ عَنْ وَطَنِهِ عَشْرَ سِنِينَ. وَهُوَ عَلَى ثَبَاتِ عَقْلِهِ وَقُوَّةِ حِفْظِهِ حَتَّى يَجِدَ فُرْصَةً فَيَطِيرُ وَيَعُودُ إِلَى وَطَنِهِ. وَسِبَاعُ الطَّيْرِ تَطْلُبُهُ أَشَدَّ الطَّلَبِ. وَخَوْفُهُ مِنَ الشَّاهِينِ أَشَدُّ مِنْ غَيْرِهِ. وَهُوَ أَطْيَرُ مِنْهُ لٰكِنْ إِذَا أَبْصَرَهُ يَعْتَرِيهِ مَا يَعْتَرِي الْحِمَارَ إِذَا رَأَى الْأَسَدَ. وَالشَّاةَ إِذَا رَأَتِ الذِّئْبَ. وَالْفَأْرَ إِذَا رَأَى الْهِرَّ

٣٥٠ (أَلْخُطَّافُ). أَنْوَاعٌ كَثِيرَةٌ. فَمِنْهُ نَوْعٌ دُونَ ٱلْعُصْفُورِ رَمَادِيُّ ٱللَّوْنِ يَسْكُنُ سَاحِلَ ٱلْبَحْرِ. وَمِنْهُ مَا لَوْنُهُ أَخْضَرُ وَتُسَمِّيهِ أَهْلُ مِصْرَ ٱلْخُطَّارَ. وَنَوْعٌ طَوِيلُ ٱلْأَجْنِحَةِ رَقِيقٌ يَأْلَفُ ٱلْجِبَالَ. وَنَوْعٌ أَصْغَرُ مِنْهُ يَأْلَفُ ٱلْمَسَاجِدَ يُسَمِّيهِ ٱلنَّاسُ ٱلسُّنُونُو لَا يُفَارِقُ ٱلْبُيُوتَ. وَهِيَ تَبْنِي بَيْتَهَا فِي أَعْلَى مَكَانٍ بِٱلْبَيْتِ. وَتُحْكِمُ بُنْيَانَهُ وَتُطَيِّنُهُ. فَإِنْ لَمْ تَجِدِ ٱلطِّينَ ذَهَبَتْ إِلَى ٱلْبَحْرِ فَتَمَرَّغَتْ بِٱلتُّرَابِ وَٱلْمَاءِ وَأَتَتْ فَطَيَّنَتْهُ. وَهِيَ لَا تَزْبِلُ دَاخِلَهُ بَلْ عَلَى حَافَتِهِ أَوْ خَارِجًا عَنْهُ. وَعِنْدَهُ وَرَعٌ كَثِيرٌ لِأَنَّهُ وَإِنْ أَلِفَ ٱلْبُيُوتَ لَا يُشَارِكُ أَهْلَهَا فِي أَقْوَاتِهِمْ وَلَا يَلْتَمِسُ مِنْهُمْ شَيْئًا. وَلَقَدْ أَحْسَنَ وَاصِفُهُ حَيْثُ يَقُولُ:

كُنْ زَاهِدًا فِيمَا حَوَتْهُ يَدُ ٱلْوَرَى ... تَبْقَى إِلَى كُلِّ ٱلْأَنَامِ حَبِيبَا
وَٱنْظُرْ إِلَى ٱلْخُطَّافِ حُرِّمَ زَادَهُمْ ... أَضْحَى مُقِيمًا فِي ٱلْبُيُوتِ رَبِيبَا

وَمِنْ شَأْنِهِ أَنَّهُ لَا يُفَرِّخُ فِي عُشٍّ عَتِيقٍ بَلْ يُجَدِّدُ لَهُ عُشًّا

٣٥١ (أَلْخُفَّاشُ). طَيْرٌ يُوجَدُ فِي ٱلْأَمَاكِنِ ٱلْمُظْلِمَةِ. وَذٰلِكَ بَعْدَ ٱلْغُرُوبِ وَقَبْلَ ٱلْعِشَاءِ. لِأَنَّهُ لَا يُبْصِرُ نَهَارًا وَلَا فِي ضَوْءِ ٱلْقَمَرِ. وَقُوتُهُ ٱلْبَعُوضُ وَهٰذَا ٱلْوَقْتُ هُوَ ٱلَّذِي يَخْرُجُ فِيهِ ٱلْبَعُوضُ أَيْضًا لِطَلَبِ رِزْقِهِ. فَيَأْكُلُهُ ٱلْخُفَّاشُ. فَيَتَسَلَّطُ طَالِبُ رِزْقٍ عَلَى طَالِبِ رِزْقٍ. وَهُوَ مِنَ ٱلْحَيَوَانِ ٱلشَّدِيدِ ٱلطَّيَرَانِ. قِيلَ إِنَّهُ يَطِيرُ ٱلْفَرْسَخَيْنِ فِي سَاعَةٍ. وَهُوَ يَعْمَرُ مِثْلَ ٱلنَّسْرِ وَتُعَادِيهِ ٱلطُّيُورُ فَتَقْتُلُهُ

٣٥٢ (أَلزُّنْبُورُ). حَيَوَانٌ فَوْقَ ٱلنَّحْلِ لَهُ أَلْوَانٌ. وَقَدْ أَوْدَعَهُ ٱللهُ

حِكْمَةٌ فِي بُنْيَانِهِ بَيْتَهُ . وَذٰلِكَ أَنَّهُ يَبْنِيهِ مُرَبَّعًا . لَهُ أَرْبَعَةُ أَبْوَابٍ كُلُّ بَابٍ مُسْتَقْبِلٌ جِهَةً مِنَ ٱلرِّيَاحِ ٱلْأَرْبَعِ . فَإِذَا جَاءَ ٱلشِّتَاءُ دَخَلَ تَحْتَ ٱلْأَرْضِ وَيَبْقَى إِلَى أَيَّامِ ٱلرَّبِيعِ . فَيَنْفُخُ ٱللّٰهُ تَعَالَى فِيهِ ٱلرُّوحَ فَيَخْرُجُ وَيَطِيرُ . وَفِي طَبْعِهِ ٱلتَّهَافُتُ عَلَى ٱلدَّمِ وَٱللَّحْمِ . وَمِنْ خَاصِيَّتِهِ أَنَّهُ إِذَا وُضِعَ فِي ٱلزَّيْتِ مَاتَ . وَفِي ٱلْخَلِّ عَاشَ . وَلَسْعَتُهُ تُزَالُ بِعُصَارَةِ ٱلْمُلُوخِيَّةِ (للابشيهي)

٣٥٣ (أَلْعَلَقُ ٱلطَّيَّارُ) . رَأَيْنَا فِي بِلَادِ ٱلْهِنْدِ ٱلْعَلَقَ ٱلطَّيَّارَ . وَيَكُونُ بِٱلْأَشْجَارِ وَٱلْحَشَائِشِ ٱلَّتِي تَقْرُبُ مِنَ ٱلْمَاءِ . فَإِذَا قَرُبَ ٱلْإِنْسَانُ مِنْهُ وَثَبَ عَلَيْهِ . فَحَيْثُمَا وَقَعَ فِي جَسَدِهِ خَرَجَ مِنْهُ ٱلدَّمُ ٱلْكَثِيرُ . وَٱلنَّاسُ يُعِدُّونَ لَهُ ٱللَّيْمُونَ يَعْصِرُونَهُ عَلَيْهِ . فَيَسْقُطُ عَنْهُمْ . وَيَجْرُدُونَ ٱلْمَوْضِعَ ٱلَّذِي يَقَعُ عَلَيْهِ بِسِكِّينِ خَشَبٍ مُعَدٍّ لِذٰلِكَ . وَيُذْكَرُ أَنَّ بَعْضَ ٱلزُّوَّارِ مَرَّ بِذٰلِكَ ٱلْمَوْضِعِ فَتَعَلَّقَتْ بِهِ ٱلْعَلَقُ . فَأَظْهَرَ ٱلْجَلَدَ وَلَمْ يَعْصِرْ عَلَيْهَا ٱللَّيْمُونَ . فَنُزِفَ دَمُهُ وَمَاتَ (لابن بطوطة)

٣٥٤ (أَلْكُرْكِيُّ) . طَيْرٌ مَحْبُوبٌ لِلْمُلُوكِ . وَلَهُ مَشْتًى وَمَصِيفٌ . فَمَشْتَاهُ بِأَرْضِ مِصْرَ وَمَصِيفُهُ بِأَرْضِ ٱلْعِرَاقِ . وَهُوَ مِنَ ٱلْحَيَوَانِ ٱلرَّئِيسِ . قِيلَ إِنَّهُ إِذَا نَزَلَ بِمَكَانٍ ٱجْتَمَعَ حَلْقَةً وَنَامَ وَقَامَ عَلَيْهِ وَاحِدٌ يَحْرُسُهُ . وَهُوَ يُصَوِّتُ تَصْوِيتًا لَطِيفًا حَتَّى يُفْهِمَ أَنَّهُ يَقْظَانُ . فَإِذَا تَمَّتْ نَوْبَتُهُ أَيْقَظَ غَيْرَهُ لِنَوْبَتِهِ . وَإِذَا مَشَى وَطِئَ ٱلْأَرْضَ بِإِحْدَى رِجْلَيْهِ وَبِٱلْأُخْرَى قَلِيلًا خَوْفًا مِنْ أَنْ يُحَسَّ بِهِ . وَإِذَا طَارَ سَارَ سَطْرًا

يَتَقَدَّمُهُ وَاحِدٌ كَهَيْئَةِ ٱلدَّلِيلِ. ثُمَّ تَتْبَعُهُ ٱلْبَقِيَّةُ (للقزويني)

غرائب مائيّة

٣٥٥ (أَلْجَوْهَرُ). أَصْلُ ٱلْجَوْهَرِ وَهُوَ ٱلدُّرُّ عَلَى مَا قِيلَ (*) أَنَّ حَيَوَانًا يَصْعَدُ مِنَ ٱلْبَحْرِ عَلَى سَاحِلِهِ وَقْتَ ٱلْمَطَرِ وَيَفْتَحُ أُذْنَهُ يَلْتَقِطُ بِهَا ٱلْمَطَرَ. وَيَضُمُّهَا وَيَرْجِعُ إِلَى ٱلْبَحْرِ فَيَنْزِلُ إِلَى قَرَارِهِ. وَلَا يَزَالُ مُطْبِقًا أُذْنَهُ عَلَى مَا فِيهَا خَوْفَ أَنْ يَخْتَلِطَ بِأَجْزَاءِ ٱلْبَحْرِ. حَتَّى يَنْضَجَ مَا فِيهَا وَيَصِيرَ دُرًّا (للابشيهي)

ذكر مغاص الجوهر

٣٥٦ رَأَيْنَا مَغَاصَ ٱلْجَوْهَرِ فِيمَا بَيْنَ سِيرَافَ وَٱلْبَحْرَيْنِ فِي خَوْرٍ رَاكِدٍ مِثْلِ ٱلْوَادِي ٱلْعَظِيمِ. فَإِذَا كَانَ شَهْرُ أَبْرِيلَ وَشَهْرُ مَايَهْ تَأْتِي إِلَيْهِ ٱلْقَوَارِبُ ٱلْكَثِيرَةُ فِيهَا ٱلْغَوَّاصُونَ وَتُجَّارُ فَارِسَ وَٱلْبَحْرَيْنِ وَٱلْقَطِيفِ. وَيَجْعَلُ ٱلْغَوَّاصُ عَلَى وَجْهِهِ مَهْمَا أَرَادَ أَنْ يَغُوصَ شَيْئًا يَكْسُوهُ مِنْ عَظْمِ ٱلْغَيْلَمِ وَهِيَ ٱلسُّلَحْفَاةُ. وَيَصْنَعُ مِنْ هٰذَا ٱلْعَظْمِ أَيْضًا شَكْلًا شِبْهَ ٱلْمِقْرَاضِ يَشُدُّهُ عَلَى أَنْفِهِ. ثُمَّ يَرْبِطُ حَبْلًا فِي وَسَطِهِ وَيَغُوصُ. وَيَتَفَاوَتُونَ فِي ٱلصَّبْرِ فِي ٱلْمَاءِ فَمِنْهُمْ مَنْ يَصْبِرُ ٱلسَّاعَةَ. فَإِذَا وَصَلَ إِلَى قَعْرِ ٱلْبَحْرِ يَجِدُ ٱلصَّدَفَ هُنَالِكَ فِيمَا بَيْنَ ٱلْأَحْجَارِ ٱلصِّغَارِ مُثْبَتًا فِي ٱلرَّمْلِ فَيَقْتَلِعُهُ بِيَدِهِ أَوْ يَقْطَعُهُ بِحَدِيدَةٍ عِنْدَهُ مُعَدَّةٍ لِذٰلِكَ

(*) هذا الراي لقدماء الطبيعيين كارسطاطاليس وغيره وهو اليوم متروك والصواب انَّ الدر يتركَّب كما الاصداف من الماء ومن بعض المواد الآليَّة مع كربونات الكلسيوم تفرزها حيوانات مائيَّة فاذا نضجت وجمدت صارت درًّا

وَيَجْعَلُهَا فِي مِخْلَاةِ جِلْدٍ مَنُوطَةٍ بِعُنُقِهِ . فَإِذَا ضَاقَ نَفَسُهُ حَرَّكَ ٱلْحَبْلَ فَيُحِسُّ بِهِ ٱلرَّجُلُ ٱلْمُمْسِكُ لِلْحَبْلِ عَلَى ٱلسَّاحِلِ فَيَرْفَعُهُ إِلَى ٱلْقَارِبِ فَتُؤْخَذُ مِنْهُ ٱلْمِخْلَاةُ . وَيُفْتَحُ ٱلصَّدَفُ فَيُوجَدُ فِي أَجْوَافِهَا قِطَعُ لَحْمٍ تُقْطَعُ بِحَدِيدَةٍ فَإِذَا بَاشَرَتِ ٱلْهَوَاءَ جَمَدَتْ فَصَارَتْ جَوَاهِرَ . فَيُجْمَعُ جَمِيعُهَا مِنْ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ فَيَأْخُذُ ٱلسُّلْطَانُ خُمْسَهُ وَٱلْبَاقِي يَشْتَرِيهِ ٱلتُّجَّارُ ٱلْحَاضِرُونَ بِتِلْكَ ٱلْقَوَارِبِ . وَأَكْثَرُهُمْ يَكُونُ لَهُ ٱلدَّيْنُ عَلَى ٱلْغَوَّاصِينَ فَيَأْخُذُ ٱلْجَوْهَرَ فِي دَيْنِهِ أَوْ مَا وَجَبَ لَهُ مِنْهُ (لابن بطوطة)

٣٥٧ . (أَلرَّعَّادُ) . إِنَّ فِي ٱلْبَحْرِ سَمَكًا يُسَمَّى ٱلرَّعَّادَ . إِذَا دَخَلَ فِي شَبَكَةٍ فَكُلُّ مَنْ جَرَّ تِلْكَ ٱلشَّبَكَةَ أَوْ وَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهَا أَوْ عَلَى حَبْلٍ مِنْ حِبَالِهَا تَأْخُذُهُ ٱلرِّعْدَةُ حَتَّى لَا يَمْلِكَ مِنْ نَفْسِهِ شَيْئًا كَمَا يُرْعَدُ صَاحِبُ ٱلْحُمَّى . فَإِذَا رَفَعَ يَدَهُ زَالَتْ عَنْهُ ٱلرِّعْدَةُ . فَإِنْ أَعَادَهَا عَادَتْ إِلَيْهِ ٱلرِّعْدَةُ . وَهٰذَا أَيْضًا مِنَ ٱلْعَجَائِبِ . فَسُبْحَانَ ٱللهِ جَلَّتْ قُدْرَتُهُ

٣٥٨ (أَلْمَرْجَانُ) . هُوَ وَاسِطَةٌ بَيْنَ ٱلنَّبَاتِ وَٱلْمَعْدِنِ . لِأَنَّهُ بِتَشَجُّرِهِ يُشْبِهُ ٱلنَّبَاتَ . وَبِتَحَجُّرِهِ يُشْبِهُ ٱلْمَعْدِنَ . وَلَا يَزَالُ لَيِّنًا فِي مَعْدِنِهِ . فَإِذَا فَارَقَهُ تَحَجَّرَ وَيَبِسَ . (خَوَاصُّهُ) ٱلنَّظَرُ فِيهِ يَشْرَحُ ٱلصَّدْرَ وَيَبْسُطُ ٱلنَّفْسَ وَيُفَرِّجُ ٱلْقَلْبَ . وَأَنْوَاعُهُ كَثِيرَةٌ أَحْمَرُ وَأَزْرَقُ وَأَبْيَضُ . وَأَصْلُهُ مِنَ ٱلْبَحْرِ قِيلَ إِنَّهُ شَجَرٌ نَبَاتٌ . وَقِيلَ إِنَّهُ مِنْ حَيَوَانِهِ

(للابشيهي)

أَلْبَابُ ٱلْحَادِي عَشَرَ

فِي أَوْصَافِ ٱلْبِلَادِ

آثار آسية

٣٥٩ (أَلْأُرْدُنُّ). أَلْأُرْدُنُّ نَاحِيَةٌ بِأَرْضِ ٱلشَّامِ فِي غَرْبِيِّ ٱلْغُوطَةِ وَشِمَالِيِّهَا. وَقَصَبَتُهَا طَبَرِيَّةُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ بَيْتِ ٱلْمَقْدِسِ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ. بِهَا ٱلْبُحَيْرَةُ ٱلْمُنْتِنَةُ ٱلَّتِي يُقَالُ لَهَا بُحَيْرَةُ لُوطٍ. وَدَوْرَةُ ٱلْبُحَيْرَةِ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ. وَٱلْجِبَالُ تَكْنُفُهَا. فَلَا يُنْتَفَعُ بِهٰذِهِ ٱلْبُحَيْرَةِ وَلَا يَتَوَلَّدُ فِيهَا حَيَوَانٌ. وَقَدْ تَهِيجُ فِي بَعْضِ ٱلْأَعْوَامِ فَيَهْلِكُ أَهْلُ ٱلْقُرَى ٱلَّذِينَ هُمْ حَوْلَهَا كُلُّهُمْ حَتَّى تَبْقَى خَالِيَةً مُدَّةً. ثُمَّ يَأْتِي يَسْكُنُهَا مَنْ لَا رَغْبَةَ لَهُ فِي ٱلْحَيَاةِ. وَإِنْ وَقَعَ فِي هٰذِهِ ٱلْبُحَيْرَةِ شَيْءٌ لَا يَبْقَى مُنْتَفَعًا بِهِ. حَتَّى ٱلْحَطَبُ إِذَا وَقَعَ فِيهَا لَا تَعْمَلُ ٱلنَّارُ فِيهِ ٱلْبَتَّةَ. وَذَكَرَ ٱبْنُ ٱلْفَقِيهِ أَنَّ ٱلْغَرِيقَ فِيهَا لَا يَغُوصُ بَلْ يَبْقَى طَافِيًا إِلَى أَنْ يَمُوتَ (للقزويني)

٣٦٠ (إِرْبِلُ). مَدِينَةٌ مُحْدَثَةٌ وَهِيَ قَاعِدَةُ بِلَادِ شَهْرَزُورَ فِي عِرَاقِ ٱلْعَجَمِ. وَقَالَ يَاقُوتُ فِي ٱلْمُشْتَرِكِ: وَإِرْبِلُ مَدِينَةٌ بَيْنَ ٱلزَّابَيْنِ. وَهُمَا نَهْرَانِ كَبِيرَانِ. وَمِنْهَا إِلَى ٱلْمَوْصِلِ يَوْمَانِ خَفِيفَانِ. وَإِرْبِلُ أَيْضًا ٱسْمُ لِمَدِينَةِ صَيْدَا مِنْ سَوَاحِلِ ٱلشَّامِ. وَعَنْ بَعْضِ أَهْلِهَا: إِرْبِلُ مَدِينَةٌ كَبِيرَةٌ وَقَدْ خَرِبَ غَالِبُهَا. وَلَهَا قَلْعَةٌ عَلَى تَلٍّ عَالٍ فِي دَاخِلِ ٱلسُّورِ مَعَ جَانِبِ ٱلْمَدِينَةِ. وَهِيَ فِي مُسْتَوٍ مِنَ ٱلْأَرْضِ. وَٱلْجِبَالُ مِنْهَا عَلَى

أَكْثَرَ مِنْ مَسِيرَةِ يَوْمٍ. وَلَهَا قُنِيٌّ كَثِيرَةٌ تَدْخُلُ مِنْهَا ٱثْنَتَانِ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لِلْجَامِعِ وَدَارِ ٱلسَّلْطَنَةِ. وَهِيَ فِيمَا بَيْنَ ٱلشَّرْقِ وَٱلْجَنُوبِ عَنِ ٱلْمَوْصِلِ

(لابي الفداء)

٣٦١ (أَصْبَهَانُ). مِنْ عِرَاقِ ٱلْعَجَمِ فِي نِهَايَةِ ٱلْجِبَالِ مِنْ جِهَةِ ٱلْجَنُوبِ. وَأَصْبَهَانُ مَدِينَتَانِ إِحْدَاهُمَا تُعْرَفُ بِٱلْيَهُودِيَّةِ. وَسُمِّيَتِ ٱلْيَهُودِيَّةَ لِأَنَّ بُخْتَ نَصَّرَ لَمَّا خَرَّبَ بَيْتَ ٱلْمَقْدِسِ نَقَلَ أَهْلَهَا إِلَى أَصْبَهَانَ فَبَنَوْا لَهُمْ بِهَا مَنَازِلَ. فَتَطَاوَلَتِ ٱلْمُدَّةُ فَخَرِبَتْ جَيٌّ مَدِينَةُ أَصْبَهَانَ وَعُمِرَتْ مَحَلَّةُ ٱلْيَهُودِ. ثُمَّ خَالَطَهُمُ ٱلْمُسْلِمُونَ فِيهَا فَوَسَّعُوهَا وَبَقِيَ ٱسْمُ ٱلْيَهُودِ عَلَيْهَا فَقِيلَ لَهَا ٱلْيَهُودِيَّةُ. وَأَصْبَهَانُ مِنْ أَخْصَبِ ٱلْبِلَادِ وَأَوْسَعِهَا خِطَّةً. وَبِأَصْبَهَانَ مَعْدِنُ ٱلْكُحْلِ مُصَاقِبٌ لِفَارِسَ. وَيَسِيرُ ٱلْإِنْسَانُ مِنْ أَصْبَهَانَ إِلَى ٱلرَّيِّ مُشَرِّقًا وَلَيْسَ بِٱلنُّصُبِ (عراقي العجم لابن حوقل)

٣٦٢ (أَقْصَرَا). فِي بِلَادِ ٱلرُّومِ. وَهِيَ ذَاتُ أَشْجَارٍ وَفَوَاكِهَ كَثِيرَةٍ. وَلَهَا نَهْرٌ كَبِيرٌ دَاخِلٌ فِي وَسَطِ ٱلْبَلَدِ. وَيَدْخُلُ ٱلْمَاءُ إِلَى بَعْضِ بُيُوتِهَا مِنْ نَهْرٍ آخَرَ. وَلَهَا قَلْعَةٌ كَبِيرَةٌ حَصِينَةٌ فِي وَسَطِ ٱلْبَلَدِ. قَالَ ٱبْنُ سَعِيدٍ: وَهِيَ ٱلَّتِي تُعْمَلُ فِيهَا ٱلْبُسُطُ ٱلْمِلَاحُ وَهِيَ فِي عَرْضِ أَقْشَارَ وَأَطْوَلُ مِنْهَا. وَهِيَ كَثِيرَةُ ٱلْفَوَاكِهِ تُحْمَلُ مِنْهَا إِلَى قُونِيَةَ عَلَى ٱلْعَجَلِ فِي بَسِيطٍ كُلُّهُ مَرَاعٍ وَأَوْدِيَةٌ. وَيَقُولُ أَهْلُ تِلْكَ ٱلْبِلَادِ إِنَّ مَسَافَةَ هٰذِهِ ٱلطَّرِيقِ ثَمَانِيَةٌ وَأَرْبَعُونَ فَرْسَخًا. وَكَذٰلِكَ مِنْ أَقْصَرَا إِلَى مَدِينَةِ قَيْسَارِيَةَ. وَبَيْنَ أَقْصَرَا وَقُونِيَةَ ثَلَاثُ مَرَاحِلَ

٣٦٣ (أَمَاسِيَا). قَالَ فِيهَا بَعْضُ مَنْ رَآهَا. هِيَ بَلْدَةٌ كَبِيرَةٌ مِنَ الرُّومِ بِسُورٍ وَقَلْعَةٍ. وَلَهَا بَسَاتِينُ وَنَهْرٌ كَبِيرٌ وَنَوَاعِيرُ يُسْقَى بِهَا. قَالَ ابْنُ سَعِيدٍ: وَفِي شَرْقِيِّ فُرْضَةِ سَنُوبَ بِمَيْلَةٍ إِلَى الْجَنُوبِ مَدِينَةُ أَمَاسِيَا. وَهِيَ مِنْ مُدُنِ الْحُكَمَاءِ. وَهِيَ مَشْهُورَةٌ بِالْحُسْنِ وَكَثْرَةِ الْمِيَاهِ وَكُرُومٍ وَبَسَاتِينَ. وَبَيْنَهَا وَبَيْنَ سَنُوبَ سِتَّةُ أَيَّامٍ. وَنَهْرُ أَمَاسِيَا يَمُرُّ عَلَى أَمَاسِيَا وَيَصُبُّ فِي بَحْرِ سَنُوبَ. وَعَنْ بَعْضِ مَنْ رَآهَا أَنَّ بِهَا مَعْدِنَ الْفِضَّةِ

٣٦٤ (أَنْطَاكِيَةُ). قَاعِدَةُ بِلَادِ الشَّامِ. وَهِيَ بَلْدَةٌ كَبِيرَةٌ ذَاتُ أَعْيُنٍ وَسُورٍ عَظِيمٍ. دَاخِلَهُ خَمْسَةُ أَجْبُلٍ وَقَلْعَةٌ وَيَمُرُّ بِظَاهِرِهَا نَهْرُ الْعَاصِي وَالنَّهْرُ الْأَسْوَدُ مَجْمُوعَيْنِ. قَالَ ابْنُ حَوْقَلٍ: أَنْطَاكِيَةُ أَنْزَهُ بَلَدِ الشَّامِ بَعْدَ دِمَشْقَ. عَلَيْهَا سُورٌ مِنْ صَخْرٍ يُحِيطُ بِهَا وَبِجَبَلٍ مُشْرِفٍ عَلَيْهَا. وَتَجْرِي الْمِيَاهُ فِي دُورِهِمْ وَسِكَكِهِمْ. وَمَسْجِدِ جَامِعِهِمْ. وَلَهَا ضِيَاعٌ وَقُرًى وَنَوَاحٍ خِصْبَةٌ جِدًّا. قَالَ فِي الْعَزِيزِيِّ: وَمِسَاحَةُ دَوْرِ السُّورِ اثْنَا عَشَرَ مِيلًا (لابي الفداء)

٣٦٥ (أَنْطَالِيَا). مَدِينَةٌ مِنْ بِلَادِ الرُّومِ مَشْهُورَةٌ. وَمِينَاهَا غَيْرُ مَأْمُونَةٍ فِي الْأَنْوَاءِ. وَبِهَا أَسْطُولُ صَاحِبِ الدُّرُوبِ. وَكَانَتْ بِهَا الرُّومُ فَاسْتَوْلَى عَلَيْهَا الْمُسْلِمُونَ فِي عَصْرِنَا. قَالَ مَنْ رَآهَا: هِيَ ذَاتُ أَشْجَارٍ وَبَسَاتِينَ وَمَخَاضَاتٍ كَثِيرَةٍ. وَلَهَا قَلْعَةٌ حَصِينَةٌ. قَالَ ابْنُ حَوْقَلٍ: وَأَنْطَالِيَا حِصْنٌ لِلرُّومِ عَلَى شَطِّ الْبَحْرِ مَنِيعٌ وَاسِعُ الرُّسْتَاقِ

كَثِيرُ ٱلْأَهْلِ . وَمِمَّا نَقَلْنَاهُ عَنْ ثَابِتِ بْنِ ٱلْحَمِيدِ ٱلْمُسْتَوْلِي عَلَى أَنطَالِيَا فِي زَمَانِنَا قَالَ: وَأَنطَالِيَا بَلْدَةٌ صَغِيرَةٌ وَهِيَ أَكْبَرُ مِنَ ٱلعَلَايَا وَهِيَ فِي غَايَةِ ٱلْحَصَانَةِ لِعُلُوِّ سُورِهَا. وَلَهَا بَابَانِ إِلَى ٱلْبَحْرِ وَإِلَى ٱلْبَرِّ. وَدَاخِلَ ٱلْبَلَدِ وَبِخَارِجِهِ ٱلْمِيَاهُ جَارِيَةٌ . وَلَهَا بَسَاتِينُ كَثِيرَةٌ مِنَ ٱلْمُحَمَّضَاتِ وَأَنْوَاعِ ٱلْفَوَاكِهِ. وَهِيَ فِي ٱلْغَرْبِ عَنْ قُونِيَةَ عَلَى مَسِيرَةِ عَشَرَةِ أَيَّامٍ

(لابن سعيد)

٣٦٦ (أَوَالُ): جَزِيرَةٌ بِٱلْقُرْبِ مِنَ ٱلْقَطِيفِ وَهِيَ فِي بَحْرِ فَارِسَ عَلَى مَسِيرَةِ يَوْمٍ لِلرِّيحِ ٱلطَّيِّبَةِ عَنِ ٱلْقَطِيفِ. وَبِهَا مَغَاصٌ مُفَضَّلٌ عَلَى غَيْرِهِ. وَقُطْرُ هٰذِهِ ٱلْجَزِيرَةِ مَسِيرَةُ يَوْمَيْنِ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ. وَبِهَا تَقْدِيرُ ثَلَاثِمِائَةِ ضَيْعَةٍ وَمَا يَزِيدُ . وَبِهَا كُرُومٌ كَثِيرَةٌ إِلَى ٱلْغَايَةِ وَنَخِيلٌ وَأُتْرُجٌّ . وَبِهَا صَحْرَاءُ وَمَرَاعٍ وَمُزْدَرَعُهَا عَلَى عُيُونٍ بِهَا وَهِيَ حَارَّةٌ جِدًّا

(لابي الفداء)

٣٦٧ (أَيَاسُلُوقُ) . إِنَّ مَدِينَةَ أَيَاسُلُوقَ هِيَ مَدِينَةٌ كَبِيرَةٌ قَدِيمَةٌ مُعَظَّمَةٌ عِنْدَ ٱلرُّومِ . وَفِيهَا كَنِيسَةٌ كَبِيرَةٌ مَبْنِيَّةٌ بِٱلْحِجَارَةِ ٱلضَّخْمَةِ. وَيَكُونُ طُولُ ٱلْحَجَرِ مِنْهَا عَشْرَ أَذْرُعٍ فَمَا دُونَهَا مَنْحُوتَةٍ أَبْدَعَ نَحْتٍ . وَٱلْمَسْجِدُ ٱلْجَامِعُ بِهٰذِهِ ٱلْمَدِينَةِ مِنْ أَبْدَعِ مَسَاجِدِ ٱلدُّنْيَا لَا نَظِيرَ لَهُ فِي ٱلْحُسْنِ . وَكَانَ كَنِيسَةً لِلرُّومِ مُعَظَّمَةً عِنْدَهُمْ يَقْصِدُونَهَا مِنَ ٱلْبِلَادِ . فَلَمَّا فُتِحَتْ هٰذِهِ ٱلْمَدِينَةُ جَعَلَهَا ٱلْمُسْلِمُونَ مَسْجِدًا جَامِعًا . وَحِيطَانُهُ مِنَ ٱلرُّخَامِ ٱلْمُلَوَّنِ وَفَرْشُهُ ٱلرُّخَامُ ٱلْأَبْيَضُ وَهُوَ مُسَقَّفٌ بِٱلرَّصَاصِ .

وَفِيهِ إِحْدَى عَشْرَةَ قُبَّةً مُنَوَّعَةً. فِي وَسَطِ كُلِّ قُبَّةٍ صِهْرِيجُ مَاءٍ وَالنَّهْرُ يَشُقُّهُ. وَعَنْ جَانِبَيِ النَّهْرِ الْأَشْجَارُ الْمُخْتَلِفَةُ الْأَجْنَاسِ. وَدَوَالِي الْعِنَبِ وَمُعَرَّشَاتُ الْيَاسَمِينِ. وَلَهُ خَمْسَةَ عَشَرَ بَابًا (لابن بطوطة)

٣٦٨ (إِيلَاقُ). قَالَ ٱبْنُ حَوْقَلٍ: وَإِيلَاقُ إِقْلِيمٌ يُقَارِبُ إِقْلِيمَ الشَّاشِ بِنَوَاحِي بُخَارَى فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ. وَقَصَبَتُهُ مَدِينَةٌ تُسَمَّى تُنْكَثَ. وَهِيَ مَدِينَةٌ عَلَيْهَا سُورٌ وَلَهَا عِدَّةُ أَبْوَابٍ. وَتَجْرِي فِي الْمَدِينَةِ الْمِيَاهُ. وَلَهَا بَسَاتِينُ كَثِيرَةٌ. وَلَهَا حَائِطٌ يَمْتَدُّ مِنْ جَبَلٍ ٱسْمُهُ سَابَلَغُ حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى وَادِي الشَّاشِ لِمَنْعِ التُّرْكِ مِنَ الدُّخُولِ إِلَى بِلَادِهَا. وَلِإِيلَاقَ نَهْرٌ يُعْرَفُ بِنَهْرِ إِيلَاقَ. وَإِقْلِيمُ إِيلَاقَ مُتَّصِلٌ بِإِقْلِيمِ الشَّاشِ لَا فَصْلَ بَيْنَهُمَا. وَهِيَ مِنْ أَنْزَهِ بِلَادِ ٱللهِ (لابي الفداء)

٣٦٩ (بَارِينُ). مِنْ أَعْمَالِ حَمَاةَ. وَهِيَ بَلْدَةٌ صَغِيرَةٌ ذَاتُ قَلْعَةٍ قَدْ دُثِرَتْ. وَلَهَا أَعْيُنٌ وَبَسَاتِينُ. وَهِيَ عَلَى مَرْحَلَةٍ مِنْ حَمَاةَ. وَهِيَ غَرْبِيَّ حَمَاةَ بِمَيْلَةٍ يَسِيرَةٍ إِلَى الْجَنُوبِ وَبِهَا آثَارُ عِمَارَةٍ قَدِيمَةٍ تُسَمَّى الرَّفَنِيَّةَ وَلَهَا ذِكْرٌ شَهِيرٌ فِي كُتُبِ التَّارِيخِ. وَحِصْنُ بَارِينَ هُوَ حِصْنٌ أَحْدَثَهُ الْفِرَنْجُ فِي سَنَةِ بِضْعٍ وَثَمَانِينَ وَأَرْبَعِ مِائَةٍ. ثُمَّ مَلَكَهُ الْمُسْلِمُونَ وَبَقِيَ مُدَّةً ثُمَّ أَخْرَبُوهُ.

٣٧٠ (بَانِيَاسُ). مِنْ أَعْمَالِ دِمَشْقَ بَانِيَاسُ. ٱسْمٌ لِبَلْدَةٍ صَغِيرَةٍ ذَاتِ أَشْجَارٍ وَمُخَمَّضَاتٍ وَغَيْرِهَا وَأَنْهَارٍ. وَهِيَ عَلَى مَرْحَلَةٍ وَنِصْفٍ مِنْ دِمَشْقَ مِنْ جِهَةِ الْغَرْبِ بِمَيْلَةٍ إِلَى الْجَنُوبِ. وَالصُّبَيْبَةُ ٱسْمٌ لِقَلْعَتِهَا وَهِيَ مِنْ

ٱلْحُصُونِ ٱلْمَنِيعَةِ . قَالَ فِي ٱلْعَزِيزِيِّ : وَمَدِينَةُ بَانِيَاس فِي لِحْفِ جَبَلِ ٱلثَّلْجِ . وَهُوَ مُطِلٌّ عَلَيْهَا وَٱلثَّلْجُ عَلَى رَأْسِهِ كَٱلْعِمَامَةِ لَا يُعْدَمُ مِنْهُ صَيْفًا وَلَا شِتَاءً

٣٧١ (بِدْلِيسُ). رُوِيَ عَنْ بَعْضِ أَهْلِ تِلْكَ ٱلْبِلَادِ: وَبِدْلِيسُ فِي أَرْمِينِيَةَ بَيْنَ مَيَّافَارِقِينَ وَبَيْنَ خِلَاطَ. وَهِيَ مَدِينَةٌ مُسَوَّرَةٌ وَقَدْ خَرِبَ نِصْفُ سُورِهَا. وَٱلْمِيَاهُ تَخْتَرِقُ ٱلْمَدِينَةَ مِنْ عُيُونٍ فِي ظَاهِرِهَا. وَلَهَا بَسَاتِينُ فِي وَادٍ. وَهِيَ دُونَ حَمَاةَ فِي ٱلْقَدْرِ. وَهِيَ بَيْنَ جِبَالٍ تَحُفُّ بِهَا. وَبَرْدُهَا وَشِتَاؤُهَا شَدِيدٌ وَثُلُوجُهَا كَثِيرَةٌ. قَالَ ٱبْنُ حَوْقَلٍ : وَهِيَ بَلَدٌ صَغِيرٌ عَامِرٌ كَثِيرُ ٱلْخَيْرِ خِصْبٌ. قَالَ فِي ٱلْعَزِيزِيِّ : وَبَيْنَهَا وَبَيْنَ خِلَاطَ سَبْعَةُ فَرَاسِخَ . (لابي الفداء)

٣٧٢ (بَرْذَعَةُ). قَاعِدَةُ مَمْلَكَةِ أَرَّانَ . وَهِيَ مَدِينَةٌ كَبِيرَةٌ مِنْ أَرَّانَ فِي أَقْصَى أَذْرَبِيجَانَ . كَثِيرَةُ ٱلْخِصْبِ نَزِهَةٌ . وَعَلَى أَقَلَّ مِنْ فَرْسَخٍ مِنْهَا مَوْضِعٌ يُسَمَّى ٱلْأَنْدَرَابَ. يَكُونُ مَسِيرَةَ يَوْمٍ فِي يَوْمٍ بَسَاتِينُ مُشْتَبِكَةٌ. وَجَمِيعُهَا فَوَاكِهُ وَمِنْهَا ٱلْبُنْدُقُ وَٱلشَّاهَبَلُّوطُ. وَعَلَى بَابِهَا سُوقٌ تُسَمَّى ٱلْكُرْكِيَّ يَجْتَمِعُ ٱلنَّاسُ فِيهِ كُلَّ يَوْمِ أَحَدٍ . وَهُوَ مَجْمَعٌ عَظِيمٌ . وَهِيَ فِي مُسْتَوٍ مِنَ ٱلْأَرْضِ وَلَهَا بَسَاتِينُ وَمِيَاهٌ كَثِيرَةٌ . وَهِيَ قَرِيبَةٌ مِنْ نَهْرِ ٱلْكُرِّ . (لابن حوقل)

٣٧٣ (بَعْلَبَكُّ). مِنْ أَعْمَالِ دِمَشْقَ فِي ٱلْجَبَلِ هِيَ بَلْدَةٌ قَدِيمَةٌ ذَاتُ أَسْوَارٍ . وَلَهَا قَلْعَةٌ حَصِينَةٌ عَظِيمَةُ ٱلْبِنَاءِ . وَهِيَ ذَاتُ أَشْجَارٍ وَأَنْهَارٍ

وَأَعْيُن . وَهِيَ كَثِيرَةُ ٱلْخَيْرِ . قَالَ ٱبْنُ بَطُوطَةَ : مَدِينَةُ بَعْلَبَكَّ هِيَ حَسَنَةٌ قَدِيمَةٌ مِنْ أَطْيَبِ مُدُنِ ٱلشَّامِ . تُحْدِقُ بِهَا ٱلْبَسَاتِينُ ٱلشَّرِيفَةُ . وَٱلْجَنَّاتُ ٱلْمُنِيفَةُ . وَتَخْتَرِقُ أَرْضَهَا ٱلْأَنْهَارُ ٱلْجَارِيَةُ . وَتُضَاهِي دِمَشْقَ فِي خَيْرَاتِهَا ٱلْمُتَنَاهِيَةِ . وَمِنْ بَعْلَبَكَّ إِلَى ٱلزَّبْدَانِي ثَمَانِيَةَ عَشَرَ مِيلًا . وَٱلزَّبْدَانِي مَدِينَةٌ لَيْسَ لَهَا أَسْوَارٌ . وَهِيَ عَلَى طَرَفِ وَادِي بَرَدَى . وَٱلْبَسَاتِينُ مُتَّصِلَةٌ مِنْ هُنَاكَ إِلَى دِمَشْقَ . وَهِيَ بَلَدٌ حَسَنٌ كَثِيرُ ٱلْمَنَازِهِ وَٱلْخِصْبِ . وَمِنْهُ إِلَى دِمَشْقَ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ مِيلًا

٣٧٤ (بَلْخ) مَدِينَةُ بَلْخَ فِي مُسْتَوٍ مِنَ ٱلْأَرْضِ وَبَيْنَهَا وَبَيْنَ أَقْرَبِ جَبَلٍ إِلَيْهَا أَرْبَعَةُ فَرَاسِخَ . وَٱلْمَدِينَةُ نَحْوُ نِصْفِ فَرْسَخٍ فِي مِثْلِهِ . وَلَهَا نَهْرٌ يُسَمَّى دَهَاس يَجْرِي فِي رَبَضِهَا . وَهُوَ نَهْرٌ يُدِيرُ عَشْرَ أَرْحِيَةٍ . وَٱلْبَسَاتِينُ فِي جَمِيعِ جِهَاتِ بَلْخَ تَحْتَفُّ بِهَا . وَبِبَلْخَ ٱلْأُتْرُجُّ وَقَصَبُ ٱلسُّكَّرِ وَيَقَعُ فِي نَوَاحِيهَا ٱلثُّلُوجُ . وَقَالَ فِي ٱللُّبَابِ : بَلْخُ مِنْ خُرَاسَانَ فَتَحَهَا ٱلْأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ ٱلتَّمِيمِيُّ زَمَنَ عُثْمَانَ . وَخَرَجَ مِنْ بَلْخَ عَالَمٌ لَا يُحْصَى مِنَ ٱلْأَئِمَّةِ وَٱلْعُلَمَاءِ وَٱلصُّلَحَاءِ (لابي الفداء)

٣٧٥ (بَيْتُ ٱلْمَقْدِسِ) . هِيَ ٱلْمَدِينَةُ ٱلْمَشْهُورَةُ ٱلَّتِي كَانَتْ مَحَلَّ ٱلْأَنْبِيَاءِ وَقِبْلَةَ ٱلشَّرَائِطِ وَمَهْبِطَ ٱلْوَحْيِ . بَنَاهَا دَاوُدُ وَفَرَغَ مِنْهَا سُلَيْمَانُ فَأَوْحَى ٱللّٰهُ تَعَالَى إِلَيْهِ أَنْ سَلْنِي حَاجَتَكَ . فَقَالَ : يَا رَبِّ أَسْأَلُكَ أَنْ تَغْفِرَ لِي ذَنْبِي . فَقَالَ : لَكَ ذٰلِكَ . قَالَ : وَأَسْأَلُكَ أَنْ تَغْفِرَ لِمَنْ جَاءَ هٰذَا ٱلْبَيْتَ يُرِيدُ ٱلصَّلَاةَ فِيهِ . فَقَالَ : لَكَ ذٰلِكَ . ثُمَّ ضَرَبَ

الدَّهْرُ ضَرَبَاتِهِ وَاسْتَوْلَتْ عَلَيْهَا الْأُمَمُ وَخَرَّبُوهَا . وَقَدْ عَمَّرَهَا أَحَدُ مُلُوكِ الْفُرْسِ . فَصَارَتْ أَعْمَرَ مِمَّا كَانَتْ وَأَكْثَرَ أَهْلًا . وَالَّتِي عَلَيْهَا الْآنَ أَرْضُهَا وَضِيَاعُهَا جِبَالٌ شَاهِقَةٌ . وَلَيْسَ بِقُرْبِهَا أَرْضٌ وَطِيئَةٌ . وَزُرُوعُهَا عَلَى أَطْرَافِ الْجِبَالِ . وَأَمَّا نَفْسُ الْمَدِينَةِ فَفِي فَضَاءٍ فِي وَسَطِ ذَلِكَ وَأَرْضُهَا كُلُّهَا حَجَرٌ . وَفِيهَا عِمَارَاتٌ كَثِيرَةٌ حَسَنَةٌ وَشُرْبُ أَهْلِهَا مِنْ مَاءِ الْمَطَرِ لَيْسَ فِيهَا دَارٌ إِلَّا وَفِيهَا صِهْرِيجٌ . مِيَاهُهَا تَجْتَمِعُ مِنَ الدُّرُوبِ . وَدُرُوبُهَا حَجَرِيَّةٌ لَيْسَتْ كَثِيرَةَ الدَّنَسِ . لَكِنَّ مِيَاهَهَا رَدِيئَةٌ . وَفِيهَا ثَلَاثُ بِرَكٍ بِرْكَةُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبِرْكَةُ سُلَيْمَانَ وَبِرْكَةُ عِيَاضٍ . قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الْبَشَّارِيُّ الْمَقْدِسِيُّ : إِنَّهَا مُتَوَسِّطَةُ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ وَقَلَّ مَا يَقَعُ فِيهَا ثَلْجٌ . وَلَا تَرَى أَحْسَنَ مِنْ بُنْيَانِهَا وَلَا أَنْظَفَ . وَلَا أَنْزَهَ مِنْ مَسَاجِدِهَا . وَقَدْ جَمَعَ اللّٰهُ فِيهَا فَوَاكِهَ الْغَوْرِ وَالسَّهْلِ وَالْجَبَلِ . وَالْأَشْيَاءَ الْمُتَضَادَّةَ كَالْأُتْرُجِّ وَاللَّوْزِ . وَالرُّطَبِ وَالْجَوْزِ . وَالتِّينِ وَالْمَوْزِ (للقزويني)

٣٧٦ (بَيْتَ لَحْمٍ) . سِرْتُ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ إِلَى مَدِينَةِ بَيْتَ لَحْمٍ فَوَجَدْتُ عَلَى طَرِيقِي عَيْنَ سِلْوَانَ . وَهِيَ الْعَيْنُ الَّتِي أَبْرَأَ فِيهَا السَّيِّدُ الْمَسِيحُ الضَّرِيرَ الْأَعْمَى وَلَمْ تَكُنْ لَهُ قَبْلَ ذَلِكَ عَيْنَانِ . وَبِقُرْبِهَا بُيُوتٌ كَثِيرَةٌ مَنْقُورَةٌ فِي الصَّخْرِ . وَفِيهَا رِجَالٌ قَدْ حَبَسُوا أَنْفُسَهُمْ فِيهَا عِبَادَةً . وَأَمَّا بَيْتَ لَحْمٍ وَهُوَ الْمَوْضِعُ الَّذِي وُلِدَ فِيهِ السَّيِّدُ الْمَسِيحُ فَبَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَقْدِسِ سِتَّةُ أَمْيَالٍ . وَفِي وَسَطِ الطَّرِيقِ قَبْرُ رَاحِيلَ أُمِّ

يُوسُفَ وَأُمّ ٱبْنِ يَامِينَ وَلَدَي يَعْقُوبَ. وَهُوَ قَبْرٌ عَلَيْهِ ٱثْنَا عَشَرَ حَجَرًا. وَفَوْقَهُ قُبَّةٌ مَعْقُودَةٌ بِٱلصَّخْرِ. وَبَيْتَ لَحْمُ هُنَاكَ وَفِيهَا كَنِيسَةٌ حَسَنَةُ ٱلْبِنَاءِ مُتْقَنَةُ ٱلْوَضْعِ فَسِيحَةٌ مُزَيَّنَةٌ إِلَى أَبْعَدِ غَايَةٍ. حَتَّى أَنَّهُ مَا أُبْصِرَ فِي جَمِيعِ ٱلْكَنَائِسِ مِثْلُهَا بِنَاءٌ. وَهِيَ فِي وَطَاءٍ مِنَ ٱلْأَرْضِ وَلَهَا بَابٌ مِنْ جِهَةِ ٱلْمَغْرِبِ وَبِهَا مِنْ أَعْمِدَةِ ٱلرُّخَامِ كُلُّ مَلِيحَةٍ. وَفِي رُكْنِ ٱلْهَيْكَلِ فِي جِهَةِ ٱلشَّمَالِ ٱلْمَغَارَةُ ٱلَّتِي وُلِدَ بِهَا ٱلسَّيِّدُ ٱلْمَسِيحُ وَهِيَ تَحْتَ ٱلْهَيْكَلِ. وَدَاخِلَ ٱلْمَغَارَةِ ٱلْمِذْوَدُ ٱلَّذِي وُجِدَ بِهِ. وَإِذَا خَرَجْتَ مِنْ بَيْتَ لَحْمَ نَظَرْتَ فِي ٱلشَّرْقِ مِنْهُ كَنِيسَةَ ٱلْمَلَائِكَةِ ٱلَّذِينَ بَشَّرُوا ٱلرُّعَاةَ بِمَوْلِدِ ٱلسَّيِّدِ ٱلْمَسِيحِ (للادريسي)

٣٧٧ (أَلْبِيرَةُ). مِنْ جُنْدِ قِنَّسْرِينَ فِي بِلَادِ ٱلشَّامِ قَلْعَةٌ حَصِينَةٌ مُرْتَفِعَةٌ عَلَى حَافَةِ ٱلْفُرَاتِ فِي ٱلْبَرِّ ٱلشَّرْقِيِّ ٱلشَّمَالِيِّ لَا تُرَامُ. وَلَهَا وَادٍ يُعْرَفُ بِوَادِي ٱلزَّيْتُونِ بِهِ أَشْجَارٌ وَأَعْيُنٌ. وَهِيَ بَلْدَةٌ ذَاتُ سُوقٍ وَعَمَلٍ. قَالَ ٱبْنُ سَعِيدٍ: وَقَلْعَتُهَا عَلَى صَخْرَةٍ وَهِيَ ٱلْآنَ ثَغْرُ ٱلْإِسْلَامِ فِي وُجُوهِ ٱلتَّتَرِ. وَهِيَ فُرْضَةٌ عَلَى ٱلْفُرَاتِ. وَهِيَ فِي ٱلشَّرْقِ عَنْ قَلْعَةِ ٱلرُّومِ عَلَى نَحْوِ مَرْحَلَةٍ. وَهِيَ فِي ٱلْغَرْبِ عَنْ قَلْعَةِ نَجْمٍ وَفِي ٱلْجَنُوبِ وَٱلْغَرْبِ عَنْ سَرُوجَ (لابي الفداء)

٣٧٨ (بَيْرُوتُ). مَدِينَةٌ عَلَى ضَفَّةِ ٱلْبَحْرِ عَلَيْهَا سُورُ حِجَارَةٍ كَبِيرَةٌ وَاسِعَةٌ. وَلَهَا بِمَقْرُبَةٍ مِنْهَا جَبَلٌ فِيهِ مَعْدِنُ حَدِيدٍ جَيِّدٍ. يُقْطَعُ وَيُسْتَخْرَجُ مِنْهُ ٱلْكَثِيرُ وَيُحْمَلُ إِلَى بِلَادِ ٱلشَّامِ. وَبِهَا غَيْضَةُ أَشْجَارِ

صَنَوْبَرٍ مِمَّا يَلِي جَنُوبَهَا تَتَّصِلُ إِلَى جَبَلِ لُبْنَانَ . وَتَكْسِيرُ هٰذِهِ ٱلْغَيْضَةِ أَثْنَا عَشَرَ مِيلًا فِي مِثْلِهَا . وَشُرْبُ أَهْلِهَا مِنَ ٱلْآبَارِ . وَمِنْهَا إِلَى دِمَشْقَ يَوْمَانِ . قَالَ ٱبْنُ بَطُوطَةَ : وَمَدِينَةُ بَيْرُوتَ حَسَنَةُ ٱلْأَسْوَاقِ . وَجَامِعُهَا بَدِيعُ ٱلْحُسْنِ . وَتُجْلَبُ مِنْهَا إِلَى دِيَارِ مِصْرَ ٱلْفَوَاكِهُ وَٱلْحَدِيدُ . قَالَ أَبُو ٱلْفِدَاءِ : وَهِيَ عَلَى سَاحِلِ ٱلْبَحْرِ وَهِيَ ذَاتُ بُرْجَيْنِ وَلَهَا بَسَاتِينُ وَنَهْرٌ وَهِيَ خَصْبَةٌ . وَكَانَ بِهَا مَقَامُ ٱلْأَوْزَاعِيِّ ٱلْفَقِيهِ . وَلَهَا مِينَاءٌ جَلِيلٌ . وَبَيْنَهَا وَبَيْنَ مَدِينَةِ جُبَيْلٍ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ مِيلًا (للادريسي)

٣٧٩ (تُبَّتُ) . بِلَادٌ مُتَاخِمَةٌ لِلصِّينِ مِنْ إِحْدَى جِهَاتِهِ وَلِلْهِنْدِ مِنْ أُخْرَى . مِقْدَارُ مَسَافَتِهَا مَسِيرَةُ شَهْرٍ . بِهَا مُدُنٌ وَعِمَارَاتٌ كَثِيرَةٌ وَلَهَا خَوَاصُّ عَجِيبَةٌ فِي هَوَائِهَا وَمَائِهَا وَأَرْضِهَا مِنْ سَهْلِهَا وَجَبَلِهَا . وَلَا تُحْصَى عَجَائِبُ أَنْهَارِهَا وَثِمَارِهَا وَآبَارِهَا . وَهِيَ بِلَادٌ تَقْوَى بِهَا طَبِيعَةُ ٱلدَّمِ فَلِهٰذَا ٱلْغَالِبُ عَلَى أَهْلِهَا ٱلْفَرَحُ وَٱلسُّرُورُ (للقزويني)

٣٨٠ (تَدْمُرُ) . بُلَيْدَةٌ بِبَادِيَةِ ٱلشَّامِ مِنْ أَعْمَالِ حِمْصَ وَهِيَ فِي شَرْقِيِّ حِمْصَ . وَأَرْضُ تَدْمُرَ غَالِبُهَا سِبَاخٌ وَبِهَا نَخِيلٌ وَزَيْتُونٌ . وَبِهَا آثَارٌ عَظِيمَةٌ أَوَّلِيَّةٌ مِنَ ٱلْأَعْمِدَةِ وَٱلصُّخُورِ . وَهِيَ عَنْ حِمْصَ عَلَى نَحْوِ ثَلَاثِ مَرَاحِلَ . وَبَيْنَهَا وَبَيْنَ دِمَشْقَ تِسْعَةٌ وَخَمْسُونَ مِيلًا

(لابي الفداء)

٣٨١ (تِفْلِيسُ) . مِنْ إِقْلِيمِ أَرَّانَ قَصَبَةُ كُرْجُسْتَانَ . عَلَيْهَا سُورَانِ وَلَهَا ثَلَاثَةُ أَبْوَابٍ . وَهِيَ خَصْبَةٌ جِدًّا كَثِيرَةُ ٱلْفَوَاكِهِ . وَبِهَا حَمَّامَاتٌ

مِثْلُ حَمَّامَاتِ طَبَرِيَّةَ مَاؤُهَا يَنْبُعُ سُخْنًا بِغَيْرِ نَارٍ. وَقَالَ فِي ٱللُّبَابِ: وَتَفْلِيسُ آخِرُ بَلْدَةٍ مِنْ أَذْرَبِيجَانَ مِمَّا يَلِي ٱلثَّغْرَ. قَالَ ٱبْنُ سَعِيدٍ: وَكَانَ ٱلْمُسْلِمُونَ قَدْ فَتَحُوهَا وَسَكَنُوهَا مُدَّةً طَوِيلَةً. وَخَرَجَ مِنْهَا عُلَمَاءُ. ثُمَّ ٱسْتَرْجَعَهَا ٱلْكُرْجُ وَهُمْ نَصَارَى (لابن حوقل)

٣٨٢ (أَلتِّيهُ). هُوَ ٱلْمَوْضِعُ ٱلَّذِي ضَلَّ فِيهِ مُوسَى مَعَ بَنِي إِسْرَائِيلَ بَيْنَ أَيْلَةَ وَمِصْرَ وَبَحْرِ ٱلْقُلْزُمِ وَجِبَالِ ٱلسَّرَاةِ أَرْبَعُونَ فَرْسَخًا فِي أَرْبَعِينَ فَرْسَخًا. لَمَّا ٱمْتَنَعُوا مِنْ دُخُولِ ٱلْأَرْضِ ٱلْمُقَدَّسَةِ حَبَسَهُمُ ٱللهُ تَعَالَى فِي هٰذَا ٱلتِّيهِ أَرْبَعِينَ سَنَةً. كَانُوا يَسِيرُونَ فِي طُولِ نَهَارِهِمْ فَإِذَا ٱنْتَهَى مَسِيرُهُمْ إِلَى آخِرِ ٱلتِّيهِ رَجَعُوا مِنْ حَيْثُ جَاؤُوا. وَكَانَ مَأْكُولُهُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَى. وَلَمَّا أَعْوَزَهُمُ ٱلْمَاءُ ضَرَبَ مُوسَى ٱلصَّخْرَةَ فَتَفَجَّرَ مِنْهَا ٱلْمَاءُ. وَكَانَ يَبْعَثُ ٱللهُ تَعَالَى سَحَابَةً تُظِلُّهُمْ بِٱلنَّهَارِ وَعَمُودًا مِنَ ٱلنُّورِ يَسْتَضِيئُونَ بِهِ بِٱللَّيْلِ. هٰذَا نِعْمَةُ ٱللهِ تَعَالَى عَلَيْهِمْ. وَهُمْ عُصَاةٌ مَسْخُوطُونَ. فَسُبْحَانَ مَنْ عَمَّتْ رَحْمَتُهُ ٱلْبَرَّ وَٱلْفَاجِرَ (للقزويني)

٣٨٣ (حَلَبُ). مِنْ عَوَاصِمِ ٱلشَّامِ بَلْدَةٌ عَظِيمَةٌ قَدِيمَةٌ ذَاتُ قَلْعَةٍ مُرْتَفِعَةٍ حَصِينَةٍ. وَلَهَا بَسَاتِينُ قَلَائِلُ وَيَمُرُّ بِهَا نَهْرُ قُوَيْقَ. وَهِيَ عَلَى مَدْرَجِ طَرِيقِ ٱلْعِرَاقِ إِلَى ٱلثُّغُورِ وَسَائِرِ ٱلشَّامَاتِ. قَالَ فِي ٱلْعَزِيزِيِّ: وَهِيَ مَدِينَةٌ جَلِيلَةٌ عَامِرَةٌ حَسَنَةُ ٱلْمَنَازِلِ عَلَيْهَا سُورٌ مِنْ حَجَرٍ وَفِي وَسَطِهَا قَلْعَةٌ عَلَى تَلٍّ لَا تُرَامُ

٣٨٤ (حُلْوَانُ). آخِرُ مُدُنِ ٱلْعِرَاقِ. وَمِنْهَا يُصْعَدُ إِلَى بِلَادِ ٱلْجِبَالِ.

وَأَكْثَرُ ثِمَارِهَا ٱلتِّينُ وَلَيسَ بِٱلعِرَاقِ مَدِينَةٌ بِٱلْقُرْبِ مِنَ ٱلْجَبَلِ غَيْرُهَا. وَيَسقُطُ عَلَى جَبَلِهَا ٱلثَّلجُ دَائِمًا. قَالَ ٱبْنُ حَوْقَلٍ: وَحُلْوَانُ مَدِينَةٌ فِي سَفْحِ جَبَلٍ مُطِلٍّ عَلَى ٱلعِرَاقِ. وَبِهَا ٱلنَّخِيلُ وَٱلتِّينُ ٱلْمَوْصُوفُ. وَٱلثَّلجُ مِنهَا عَلَى مَرْحَلَةٍ. وَقَالَ فِي ٱلْمُشْتَرِكِ: حُلْوَانُ آخِرُ حَدِّ ٱلعِرَاقِ مِنْ جِهَةِ ٱلْجِبَالِ وَبَينَهَا وَبَينَ بَغْدَادَ خَمْسُ مَرَاحِلَ

٣٨٥ (حَمَاةُ). مَدِينَةٌ أَوَّلِيَّةٌ وَبَلْدَةٌ قَدِيمَةٌ وَهِيَ مِنْ أَنْزَهِ ٱلبِلَادِ ٱلشَّامِيَّةِ. وَٱلْعَاصِي يَستَدِيرُ عَلَى غَالِبِهَا مِنْ شَرْقِيِّهَا وَشِمَالِيِّهَا. وَلَهَا قَلْعَةٌ حَسَنَةُ ٱلْبِنَاءِ مُرْتَفِعَةٌ. وَفِي دَاخِلِهَا ٱلْأَرْحِيَةُ عَلَى ٱلْمَاءِ. وَبِهَا نَوَاعِيرُ عَلَى ٱلْعَاصِي تَسْقِي أَكْبَرَ بَسَاتِينِهَا. وَيَدْخُلُ مِنْهَا ٱلْمَاءُ إِلَى كَثِيرٍ مِن دُورِهَا. وَنَهْرُ حَمَاةَ يُسَمَّى نَهْرَ ٱلْأُرُنْطِ وَٱلنَّهْرَ ٱلْمَقْلُوبَ لِجَرْيِهِ مِنَ ٱلْجَنُوبِ إِلَى ٱلشِّمَالِ. وَيُسَمَّى ٱلْعَاصِيَ لِأَنَّ غَالِبَ ٱلْأَنْهُرِ تَسْقِي ٱلْأَرَاضِي بِغَيْرِ دَوَالِيبَ وَلَا نَوَاعِيرَ بَلْ بِأَنْفُسِهَا تَرْكَبُ ٱلبِلَادَ وَنَهْرُ حَمَاةَ لَا يَسْقِي إِلَّا بِنَوَاعِيرَ تَنْزِعُ مِنْهُ ٱلْمَاءَ. وَهُوَ يَجْرِي بِكُلِّيَّتِهِ مِنَ ٱلْجَنُوبِ إِلَى ٱلشِّمَالِ وَأَوَّلُهُ نَهْرٌ صَغِيرٌ مِنْ ضَيْعَةٍ قَرِيبَةٍ مِنْ بَعْلَبَكَّ تُسَمَّى ٱلرَّاسَ فِي ٱلشِّمَالِ عَنْ بَعْلَبَكَّ عَلَى نَحْوِ مَرْحَلَةٍ عَنْهَا. وَيَسِيرُ مِنَ ٱلرَّاسِ شِمَالًا حَتَّى يَصِلَ إِلَى مَكَانٍ يُقَالُ لَهُ قَائِمُ ٱلْهِرْمِلِ بَيْنَ جُوسِيَةَ وَٱلرَّاسِ. وَيَمُرُّ فِي وَادٍ هُنَاكَ وَيَنْبُعُ مِنْ هُنَاكَ غَالِبُ ٱلنَّهْرِ ٱلْمَذْكُورِ مِنْ مَوْضِعٍ يُقَالُ لَهُ مَغَارَةُ ٱلرَّاهِبِ. وَيَستَدِيرُ ٱلنَّهْرُ ٱلْمَذْكُورُ وَيَرْجِعُ وَيَسِيرُ جَنُوبًا وَمَغْرِبًا وَيَمُرُّ عَلَى سُورِ أَنْطَاكِيَةَ حَتَّى

يَصُبُّ فِي بَحْرِ ٱلرُّومِ عِنْدَ ٱلسُّوَيْدِيَّةِ . (لأبي الفداء)

٣٨٦ (حِمص) . مَدِينَةٌ أَوَّلِيَّةٌ وَهِيَ إِحْدَى قَوَاعِدِ ٱلشَّامِ . وَهِيَ ذَاتُ بَسَاتِينَ شُرْبُهَا مِنْ نَهْرِ ٱلْعَاصِي وَهِيَ فِي مُسْتَوٍ مِنَ ٱلْأَرْضِ خَصْبَةٌ جِدًّا أَصَحُّ بُلْدَانِ ٱلشَّامِ تُرْبَةً . وَلَيْسَ بِهَا عَقَارِبُ وَلَا حَيَّاتٌ . وَأَكْثَرُ زُرُوعِ رَسَاتِيقِهَا عِذْيٌ . قَالَ ٱلْعَزِيزِيُّ : مَدِينَةُ حِمصٍ هِيَ قَصَبَةُ ٱلْجُنْدِ وَهِيَ مِنْ أَصَحِّ بُلْدَانِ ٱلشَّامِ هَوَاءً . وَبِظَاهِرِ حِمصٍ عَلَى بَعْضِ مِيلٍ يَجْرِي ٱلنَّهْرُ ٱلْمَقْلُوبُ وَهُوَ نَهْرُ ٱلْأُرُنْطِ . وَلَهُمْ عَلَيْهِ جِنَانٌ حَسَنَةٌ وَكُرُومٌ (لابن حوقل)

٣٨٧ (دِمَشْقُ) . مَدِينَةٌ مِنْ أَجَلِّ بِلَادِ ٱلشَّامِ وَأَحْسَنِهَا مَكَانًا وَأَعْدَلِهَا هَوَاءً وَأَطْيَبِهَا ثَرًى وَأَكْثَرِهَا مِيَاهًا وَأَغْزَرِهَا فَوَاكِهَ وَأَعَمِّهَا خِصْبًا وَأَوْفَرِهَا مَالًا وَأَكْثَرِهَا جُنْدًا وَأَشْمَخِهَا بِنَاءً . وَلَهَا جِبَالٌ وَمَزَارِعُ تُعْرَفُ بِٱلْغُوطَةِ وَطُولُ ٱلْغُوطَةِ مَرْحَلَتَانِ فِي عَرْضِ مَرْحَلَةٍ بِهَا ضِيَاعٌ كَٱلْمُدُنِ . وَمَدِينَةُ دِمَشْقَ جَامِعَةٌ لِصُنُوفٍ مِنْ مَحَاسِنَ وَضُرُوبٍ مِنَ ٱلصِّنَاعَاتِ وَأَنْوَاعٍ مِنَ ٱلثِّيَابِ ٱلْحَرِيرِ كَٱلْخَزِّ وَٱلدِّيبَاجِ ٱلنَّفِيسِ ٱلثَّمِينِ ٱلْعَجِيبِ ٱلصَّنْعَةِ وَٱلْقَدِيمِ ٱلْمِثَالِ ٱلَّذِي يُحْمَلُ مِنْهَا إِلَى كُلِّ بَلَدٍ وَيُتَّجَرُ بِهِ مِنْهَا إِلَى كُلِّ ٱلْآفَاقِ وَٱلْأَمْصَارِ ٱلْمُصَاقِبَةِ لَهَا وَٱلْمُتَبَاعِدَةِ عَنْهَا . وَلِدِمَشْقَ فِي دَاخِلِهَا عَلَى أَوْدِيَتِهَا أَرْحَاءٌ كَثِيرَةٌ . وَأَمَّا ٱلْحَلَاوَاتُ فَبِهَا مِنْهَا مَا لَا يُوجَدُ بِغَيْرِهَا وَلَا يُوصَفُ كَثْرَةً وَطِيبًا وَجَوْدَةً . وَصِنَاعَاتُهَا نَافِقَةٌ وَتِجَارَاتُهَا رَائِجَةٌ

وَهِيَ مِنْ أَغْنَى ٱلْبِلَادِ ٱلشَّامِيَّةِ . وَمِنْهَا إِلَى مَدِينَةِ بَعْلَبَكَّ فِي جِهَةِ ٱلشَّرْقِ مَرْحَلَتَانِ (للادريسي)

٣٨٨ (دِلِّي) . مَدِينَةٌ كَبِيرَةٌ فِي ٱلْهِنْدِ . وَسُورُهَا مِنْ آجُرٍّ وَهُوَ أَكْبَرُ مِنْ سُورِ حَمَاةَ . وَهِيَ فِي مُسْتَوٍ مِنَ ٱلْأَرْضِ وَتُرْبَتُهَا مُخْتَلِطَةٌ بِٱلْحَجَرِ وَٱلرَّمْلِ وَيَمُرُّ عَلَى فَرْسَخٍ مِنْهَا نَهْرٌ كَبِيرٌ دُونَ ٱلْفُرَاتِ . وَغَالِبُ أَهْلِهَا مُسْلِمُونَ وَسُلْطَانُهَا مُسْلِمٌ وَٱلسُّوقَةُ كَفَرَةٌ . وَلَهَا بَسَاتِينُ قَلِيلَةٌ وَلَيْسَ بِهَا عِنَبٌ وَتُمْطَرُ فِي ٱلصَّيْفِ وَهِيَ بَعِيدَةٌ عَنِ ٱلْبَحْرِ . وَبِجَامِعِهَا مَأْذَنَةٌ لَمْ يُعْمَلْ فِي ٱلدُّنْيَا مِثْلُهَا وَهِيَ مِنْ حَجَرٍ أَحْمَرَ وَدَرَجُهَا نَحْوُ ثَلَاثِ مِائَةٍ وَسِتِّينَ دَرَجَةً . وَلَيْسَتْ مُرَبَّعَةً بَلْ كَثِيرَةُ ٱلْأَضْلَاعِ عَظِيمَةُ ٱلِٱرْتِفَاعِ وَاسِعَةٌ مِنْ تَحْتِهَا وَٱرْتِفَاعُهَا يُقَارِبُ مَنَارَةَ إِسْكَنْدَرِيَّةَ

(لابي الفداء)

٣٨٩ (دَيْرُ بَاعَرْبَا) . هُوَ بَيْنَ ٱلْمَوْصِلِ وَٱلْحَدِيثَةِ عَلَى شَاطِئِ دِجْلَةَ . وَٱلْحَدِيثَةُ بَيْنَ تَكْرِيتَ وَٱلْمَوْصِلِ . وَٱلنَّصَارَى يُعَظِّمُونَهُ جِدًّا وَلَهُ حَائِطٌ مُرْتَفِعٌ نَحْوَ مِائَةِ ذِرَاعٍ فِي ٱلسَّمَاءِ . وَفِيهِ رُهْبَانٌ كَثِيرُونَ وَفَلَّاحُونَ وَلَهُ مَزَارِعُ . وَفِيهِ بَيْتُ ضِيَافَةٍ يَنْزِلُهُ ٱلْمُجْتَازُونَ فَيُضَافُونَ فِيهِ

٣٩٠ (دَيْرُ بَاعَنْتَلَ) . مِنْ جُوسِيَةَ عَلَى أَقَلَّ مِنْ مِيلٍ . وَجُوسِيَةُ مِنْ أَعْمَالِ حِمْصَ عَلَى مَرْحَلَةٍ مِنْهَا مِنْ طَرِيقِ دِمَشْقَ . وَهُوَ عَلَى يَسَارِ ٱلْقَاصِدِ دِمَشْقَ . وَفِيهِ عَجَائِبُ مِنْهَا صُوَرُ ٱلْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمِ ٱلسَّلَامُ

وقصصهم محفورة منقوشة . وبه هيكل مفروش بالمرمر لا تستقر عليه القدم . وصورة مريم في حائط منتصبة كلما ملت إلى ناحية كانت عينها إليك

٣٩١ (دير الروم). هو بيعة كبيرة حسنة البناء محكمة الصنعة للنسطورية خاصة وهي ببغداد في الجانب الشرقي منها. وللجاثليق قلاية إلى جانبها وبينه وبينها باب يخرج منه إليها في أوقات صلواتهم وقربانهم. وهي حسنة المنظر عجيبة البناء مقصودة لما فيها من عجائب الصور وحسن العمل . والأصل في هذا الاسم أن أسرى من الروم قدم بهم إلى المهدي فأسكنوا دارا في هذا الموضع فسميت بهم . وبنيت البيعة هناك وبقي الاسم عليها

(معجم البلدان لياقوت)

٣٩٢ (رأس العين) . إن رأس العين في مستو من الأرض في الجزيرة . ويخرج منها فوق ثلاثمائة عين كلها صافية ويصير من هذه الأعين نهر الخابور . قال في العزيزي : ورأس عين تسمى عين وردة وهي أول مدن ديار ربيعة من جهة ديار مضر . وهي رأس ماء الخابور (لابن حوقل)

٣٩٣ (الراوندان). من جند قنسرين في بلاد الشام قلعة حصينة عالية على جبل مرتفع أبيض . ولها أعين وبساتين وفواكه وواد حسن ويمر تحتها نهر عفرين بلدة صغيرة محفوفة بالرمان . وهي في

ٱلْغَرْبِ وَٱلشِّمَالِ عَنْ حَلَبَ. وَبَيْنَهُمَا نَحْوُ مَرْحَلَتَيْنِ. وَهِيَ فِي ٱلشِّمَالِ عَنْ حَارِمَ وَيَجْرِي نَهْرُ عِفْرِينَ مِنَ ٱلشِّمَالِ إِلَى ٱلْجَنُوبِ عَلَى ٱلرَّاوَنْدَانِ إِلَى عُمْقِ حَارِمَ فِي وَادٍ مُتَّسِعٍ بَيْنَ جِبَالٍ وَبِذٰلِكَ ٱلْوَادِي قُرَايَا وَزَيْتُونٌ كَثِيرٌ. وَهِيَ كُورَةٌ مِنْ بِلَادِ حَلَبَ

٣٩٤ (أَلرَّمْلَةُ). بَلْدَةٌ بِفِلَسْطِينَ ٱخْتَطَّهَا سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ ٱلْمَلِكِ ٱلْأُمَوِيُّ وَهِيَ مَشْهُورَةٌ. قَالَ ٱلْعَزِيزِيُّ: وَٱلرَّمْلَةُ قَصَبَةُ فِلَسْطِينَ وَهِيَ مُحْدَثَةٌ وَبَيْنَهَا وَبَيْنَ بَيْتِ ٱلْمَقْدِسِ مَسِيرَةُ يَوْمٍ. وَقَالَ: ٱلرَّمْلَةُ لَمْ تَكُنْ مَدِينَةً قَدِيمَةً وَإِنَّمَا كَانَتِ ٱلْمَدِينَةُ لُدًّ. فَأَخْرَبَهَا سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ ٱلْمَلِكِ وَبَنَى مَدِينَةَ ٱلرَّمْلَةِ. وَبَيْنَهُمَا نَحْوُ ثَلَاثَةِ فَرَاسِخَ. وَلُدٌّ فِي نَاحِيَةِ ٱلْمَشْرِقِ. وَكَانَ لِعَبْدِ ٱلْمَلِكِ دَارٌ بِٱلرَّمْلَةِ. وَجَرَّ إِلَى ٱلرَّمْلَةِ قَنَاةً ضَعِيفَةً لِلشُّرْبِ وَأَكْثَرُ شُرْبِهِمِ ٱلْآنَ مِنْ آبَارٍ عَذْبَةٍ وَمِنْ صَهَارِيجَ يَجْتَمِعُ فِيهَا مِيَاهُ ٱلْمَطَرِ. وَهِيَ فِي سَهْلٍ مِنَ ٱلْأَرْضِ

٣٩٥ (أَلرُّهَا). مِنْ دِيَارِ مُضَرَ فِي ٱلْجَزِيرَةِ. قَالَ فِي ٱلْعَزِيزِيِّ: وَٱلرُّهَا مَدِينَةٌ رُومِيَّةٌ عَظِيمَةٌ فِيهَا آثَارٌ عَجِيبَةٌ. وَهِيَ بِٱلْقُرْبِ مِنْ قَلْعَةِ ٱلرُّومِ مِنَ ٱلْجَانِبِ ٱلشَّرْقِيِّ ٱلشِّمَالِيِّ عَنِ ٱلْفُرَاتِ. وَكَانَتِ ٱلرُّهَا مَدِينَةً كَبِيرَةً وَبِهَا كَنِيسَةٌ عَظِيمَةٌ وَفِيهَا أَكْثَرُ مِنْ ثَلَاثِمِائَةِ دَيْرٍ لِلنَّصَارَى. وَهِيَ ٱلْيَوْمَ خَرَابٌ

٣٩٦ (رُودِسُ). جَزِيرَةٌ فِي بَحْرِ ٱلرُّومِ فَتَحَهَا ٱلْمُسْلِمُونَ فِي زَمَنِ مُعَاوِيَةَ. وَٱمْتِدَادُ هٰذِهِ ٱلْجَزِيرَةِ مِنَ ٱلشِّمَالِ إِلَى ٱلْجَنُوبِ بِٱنْحِرَافِ

نحو خمسين ميلًا وعرضها نصف ذلك . وبين هذه الجزيرة وذنب أقريطش مجرى واحد . وبعض رودس للفرنج وبعضها لصاحب إصطنبول . ورودس في الغرب عن قبرس بانحراف إلى الشمال . وهي بين جزيرة المصطكى وجزيرة أقريطش

٣٩٧ (زيتون) . فرضة الصين وهي مدينة مشهورة على ألسن التجار المسافرين إلى تلك البلاد وهي مدينة على خور من البحر . والمراكب تدخل إليها من بحر الصين في الخور المذكور وقدره نحو خمسة عشر ميلًا ولها نهر هي عند رأسه . وعن بعض من رآها أنها تمتد . وهي على نصف يوم من البحر . ولها خور حلو تدخل فيه المراكب من البحر إليها . وهي دون حماة في القدر . ولها سور خراب خربه التتر . وشرب أهلها من الخور المذكور ومن آبارها

٣٩٨ (سعرت) . من ديار ربيعة في الجزيرة على جبيل وهي أكبر من المعرة . ويحيط بها الوطأة وهي بالقرب من شط دجلة في شمالي دجلة وشرق . وهي عن ميافارقين على مسيرة يوم ونصف وميافارقين في الشمال عن سعرت وسعرت في الجنوب عنها . وشرب أهل سعرت من مياه نبع قريبة من وجه الأرض ويحيط بسعرت الجبال والشعرة . ولها الأشجار الكثيرة من التين والرمان والكروم جميع ذلك عذي لا يسقى . وسعرت عن الموصل على خمسة أيام

٣٩٩ (سِنْجَارُ). مِنَ ٱلْجَزِيرَةِ فِي جَنُوبِيّ نَصِيبِينَ. وَهِيَ مِنْ أَحْسَنِ ٱلْمُدُنِ وَجَبَلُهَا مِنْ أَخْصَبِ ٱلْجِبَالِ. وَمِنْ كِتَابِ ٱبْنِ حَوْقَلٍ: وَسِنْجَارُ مَدِينَةٌ فِي وَسَطِ بَرِّيَّةِ دِيَارِ رَبِيعَةَ بِٱلْقُرْبِ مِنَ ٱلْجِبَالِ. وَلَيْسَ بِٱلْجَزِيرَةِ بَلَدٌ فِيهِ نَخْلٌ غَيْرُ سِنْجَارَ. وَعَنْ بَعْضِ أَهْلِهَا: وَسِنْجَارُ عَنِ ٱلْمَوْصِلِ عَلَى ثَلَاثِ مَرَاحِلَ. سِنْجَارُ فِي جِهَةِ ٱلْغَرْبِ وَٱلْمَوْصِلُ فِي جِهَةِ ٱلشَّرْقِ. وَسِنْجَارُ مُسَوَّرَةٌ وَهِيَ فِي ذَيْلِ جَبَلٍ وَهِيَ قَدْرُ ٱلْمَعَرَّةِ. وَلَهَا قَلْعَةٌ وَلَهَا بَسَاتِينُ وَمِيَاهٌ كَثِيرَةٌ مِنَ ٱلْقُنِيِّ. وَٱلْجَبَلُ فِي شِمَالِيِّهَا (لابي الفداء)

٤٠٠ (أَلسِّنْدُ). نَاحِيَةٌ بَيْنَ ٱلْهِنْدِ وَكِرْمَانَ وَسِجِسْتَانَ. وَبِهَا بَيْتُ ٱلذَّهَبِ ٱلْمَشْهُورُ. وَهُوَ مَعْبَدٌ تُعَظِّمُهُ ٱلْهِنْدُ وَٱلْمَجُوسُ. حُكِيَ أَنَّ ٱلْإِسْكَنْدَرَ لَمَّا فَتَحَ تِلْكَ ٱلْبِلَادَ دَخَلَ هٰذَا ٱلْمَعْبَدَ فَأَعْجَبَهُ فَكَتَبَ إِلَى أَرِسْطَاطَالِيسَ وَأَطْنَبَ فِي وَصْفِ قُبَّةِ هٰذَا ٱلْبَيْتِ. فَأَجَابَهُ أَرِسْطُو إِنِّي رَأَيْتُكَ تَتَعَجَّبُ مِنْ قُبَّةٍ عَمِلَهَا ٱلْآدَمِيُّونَ وَتَدَعُ ٱلتَّعَجُّبَ مِنْ هٰذِهِ ٱلْقُبَّةِ ٱلْمَرْفُوعَةِ فَوْقَكَ وَمَا زُيِّنَتْ بِهِ مِنَ ٱلْكَوَاكِبِ وَأَنْوَارِ ٱللَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ

٤٠١ (سَيْلَانُ). جَزِيرَةٌ عَظِيمَةٌ بَيْنَ ٱلصِّينِ وَٱلْهِنْدِ دَوْرَتُهَا ثَمَانِ مِائَةِ فَرْسَخٍ وَسَرَنْدِيبُ دَاخِلٌ فِيهَا. وَبِهَا قُرًى وَمُدُنٌ كَثِيرَةٌ وَعِدَّةُ مُلُوكٍ لَا يَدِينُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ. وَيُجْلَبُ مِنْهَا ٱلْأَشْيَاءُ ٱلْعَجِيبَةُ. وَبِهَا ٱلصَّنْدَلُ وَٱلسُّنْبُلُ وَٱلدَّارَصِينِيُّ وَٱلْقَرَنْفُلُ وَٱلْبَقَّمُ وَسَائِرُ ٱلْعَقَاقِيرِ. وَقَدْ يُوجَدُ فِيهَا مِنَ ٱلْعَقَاقِيرِ مَا لَا يُوجَدُ فِي غَيْرِهَا. وَقِيلَ بِهَا مَعَادِنُ ٱلْجَوَاهِرِ وَإِنَّهَا جَزِيرَةٌ كَثِيرَةُ ٱلْخَيْرِ (للقزويني)

٤٠٢ (أَلشَّوبَكُ). مِنَ ٱلشَّرَاةِ فِي بِلَادِ ٱلشَّامِ بَلَدٌ صَغِيرٌ كَثِيرُ ٱلبَسَاتِينِ. وَغَالِبُ سَاكِنِيهِ ٱلنَّصَارَى. وَهُوَ شَرقِيَّ ٱلغَورِ وَهُوَ عَلَى طَرَفِ ٱلشَّامِ مِن جِهَةِ ٱلْحِجَازِ. وَيَنْبَعُ مِنْ ذَيلِ قَلْعَتِهَا عَينَانِ إِحدَاهُمَا عَنْ يَمِينِ ٱلقَلْعَةِ وَٱلْأُخرَى عَنْ يَسَارِهَا كَٱلعَيْنَيْنِ لِلوَجهِ. وَتَختَرِقَانِ بَلدَتَهَا وَمِنْهُمَا شُرْبُ بَسَاتِينِهَا. وَهِيَ فِي وَادٍ مِنْ غَربِيِّ ٱلبَلَدِ. وَفَوَاكِهُهَا مِنَ ٱلْمِشْمِشِ وَغَيرِهِ مُفَضَّلَةٌ وَتُنْقَلُ إِلَى دِيَارِ مِصرَ. وَقَلْعَتُهَا مَبنِيَّةٌ بِٱلْحَجَرِ ٱلأَبيَضِ وَهِيَ عَلَى تَلٍّ مُرتَفِعٍ أَبيَضَ مُطِلٍّ عَلَى ٱلغَورِ مِنْ شَرقِيِّهِ (لابي الفداء)

٤٠٣ (شِيرَازُ). مَدِينَةٌ فِي بِلَادِ فَارِسَ إِسلَامِيَّةٌ مُحدَثَةٌ بَنَاهَا مُحَمَّدُ ٱبنُ ٱلقَسَمِ بنِ أَبِي عَقِيلٍ وَهُوَ ٱبْنُ عَمِّ ٱلْحَجَّاجِ بنِ يُوسُفَ ٱلثَّقَفِيِّ. وَسُمِّيَتْ بِشِيرَازَ تَشبِيهًا بِجَوفِ ٱلأَسَدِ. وَذٰلِكَ أَنَّ عَامَّةَ ٱلْمِيرِ بِتِلْكَ ٱلنَّوَاحِي تُحمَلُ إِلَى شِيرَازَ وَلَا يُحمَلُ مِنهَا شَيءٌ إِلَى غَيرِهَا. وَبِهَا قَبرُ سِيبَوَيهِ. قَالَ فِي ٱلعَزِيزِيِّ: مَدِينَةُ شِيرَازَ جَلِيلَةٌ وَاسِعَةٌ بِهَا مَنَازِلُ وَاسِعَةٌ سَرِيَّةٌ كَثِيرَةُ ٱلمِيَاهِ. وَشُربُهُم مِنْ عُيُونٍ تَتَخَرَّقُ ٱلبَلَدَ وَتَجرِي مِنْ دُورِهِمْ. وَلَيسَ يَكَادُ يَخلُو دَارٌ بِشِيرَازَ مِنْ بُستَانٍ حَسَنٍ وَمِيَاهٍ تَجرِي. وَأَسوَاقُهَا عَامِرَةٌ جَلِيلَةٌ. وَمِنْهَا إِلَى أَصبَهَانَ ٱثنَانِ وَسَبعُونَ فَرسَخًا (لابن حوقل)

٤٠٤ (شِيلَا). بَلدَةٌ مِنْ أَوَاخِرِ بِلَادِ ٱلصِّينِ فِي غَايَةِ ٱلطِّيبِ لَا يُرَى بِهَا ذُو عَاهَةٍ مِنْ صِحَّةِ هَوَائِهَا وَعُذُوبَةِ مَائِهَا وَطِيبِ تُربَتِهَا. أَهلُهَا

أَحسَنُ ٱلنَّاسِ صُورَةً وَأَقَلُّهَا أَمرَاضًا. وَذُكِرَ أَنَّ ٱلمَاءَ إِذَا رُشَّ فِي بُيُوتِهَا تَفُوحُ مِنهُ رَائِحَةُ ٱلعَنبَرِ. وَهِيَ قَلِيلَةُ ٱلآفَاتِ وَٱلعِلَلِ. قَلِيلَةُ ٱلذُّبَابِ وَٱلهَوَامِّ. إِذَا ٱعتَلَّ أَحَدُ ٱلنَّاسِ فِي غَيرِهَا وَنُقِلَ إِلَيهَا زَالَت عِلَّتُهُ. قَالَ مُحَمَّدُ بنُ زَكَرِيَّاءَ ٱلرَّازِي: مَن دَخَلَهَا ٱستَوطَنَهَا وَلَا يَخرُجُ عَنهَا لِطِيبِهَا وَوُفُورِ خَيرَاتِهَا وَكَثرَةِ ذَهَبِهَا وَٱللّٰهُ ٱلمُوَفِّقُ (للقزويني)

٤٠٥ (صَنعَاءُ). مِن أَعظَمِ مُدُنِ ٱليَمَنِ تُشبِهُ دِمَشقَ لِكَثرَةِ مِيَاهِهَا وَأَشجَارِهَا. وَهِيَ شَرقِيَّ عَدَنَ بِشِمَالٍ فِي ٱلجِبَالِ وَهِيَ مُعتَدِلَةُ ٱلهَوَاءِ وَيَتَقَارَبُ فِيهَا سَاعَاتُ ٱلشِّتَاءِ وَٱلصَّيفِ. وَهِيَ كَانَت كُرسِيَّ مُلُوكِ ٱليَمَنِ فِي ٱلقَدِيمِ. وَبِهَا تَلٌّ عَظِيمٌ يُعرَفُ بِغُمدَانَ كَانَ قَصرَ مُلُوكِ ٱليَمَنِ. وَبَينَهَا وَبَينَ عَدَنَ مَدِينَةُ جِبلَةَ. قَالَ فِي ٱلعَزِيزِي: مَدِينَةُ صَنعَاءَ مَدِينَةٌ جَلِيلَةٌ وَهِيَ قَصَبَةُ ٱليَمَنِ وَبِهَا أَسوَاقٌ جَلِيلَةٌ وَمَتَاجِرُ كَثِيرَةٌ

٤٠٦ (صِهيُونُ). مَدِينَةٌ مِن جُندِ قِنَّسرِينَ بَلدَةٌ ذَاتُ قَلعَةٍ حَصِينَةٍ لَا تُرَامُ مِن مَشَاهِيرِ مَعَاقِلِ ٱلشَّامِ. وَبِقَلعَتِهَا ٱلمِيَاهُ كَثِيرَةٌ مُتَيَسِّرَةٌ مِنَ ٱلأَمطَارِ. وَهِيَ عَلَى صَخرٍ أَصَمَّ. وَبِٱلقُربِ مِنهَا وَادٍ بِهِ مِنَ ٱلمُحَمَّضَاتِ مَا لَا يُوجَدُ مِثلُهُ فِي تِلكَ ٱلبِلَادِ. وَهِيَ فِي ذَيلِ ٱلجَبَلِ مِن غَربِيِّهِ. وَتَظهَرُ مِن عِندِ ٱللَّاذِقِيَّةِ وَبَينَهُمَا نَحوُ مَرحَلَةٍ وَهِيَ فِي ٱلشَّرقِ بِمَيلَةٍ إِلَى ٱلجَنُوبِ عَنِ ٱللَّاذِقِيَّةِ (لابي الفداء)

٤٠٧ (صُورُ). مَدِينَةُ صُورَ هِيَ ٱلَّتِي يُضرَبُ بِهَا ٱلمَثَلُ فِي ٱلحَصَانَةِ

ٱلشَّرْقِ وَلَيْسَ وَرَاءَهُ غَيْرُ ٱلْبَحْرِ ٱلْمُحِيطِ . وَمَدِينَتُهُ ٱلْعُظْمَى يُقَالُ لَهَا ٱلسِّيلَا وَأَخْبَارُهَا مُنْقَطِعَةٌ عَنَّا

٤١٠ (طَبَرِيَّةُ). كَانَتْ فِيمَا مَضَى مَدِينَةً كَبِيرَةً ضَخْمَةً وَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا رُسُومٌ تُنْبِئُ عَلَى ضَخَامَتِهَا وَعِظَمِ شَأْنِهَا. وَهِيَ فِي ٱلْغَوْرِ عَلَى ضِفَّةِ بُحَيْرَةٍ لَهَا طُولُهَا ٱثْنَا عَشَرَ مِيلًا وَعَرْضُهَا سِتَّةُ أَمْيَالٍ . وَٱلْجِبَالُ مِنْ غَرْبِيِّ ٱلْمَدِينَةِ وَٱلْبُحَيْرَةُ مِنْ شَرْقِيِّهَا وَٱلْجِبَالُ تَدُورُ بِهَا. وَكَانَتْ طَبَرِيَّةُ قَدِيمًا قَاعِدَةَ ٱلْأُرْدُنِّ . وَهِيَ مَدِينَةٌ خَرَابٌ فَتَحَهَا صَلَاحُ ٱلدِّينِ مِنَ ٱلْفِرَنْجِ وَخَرِبَتْ. وَقَدِ ٱشْتُقَّ ٱسْمُهَا مِنِ ٱسْمِ طِبَرِيُوسَ أَحَدِ مُلُوكِ ٱلرُّومِ ٱلْأَوَائِلِ . وَبِطَبَرِيَّةَ عُيُونُ مَاءٍ فِي غَايَةِ ٱلْحَرَارَةِ وَعَلَيْهَا حَمَّامٌ يَغْتَسِلُ ٱلنَّاسُ فِيهَا

٤١١ (عَسْقَلَانُ). بَلْدَةٌ بِهَا آثَارٌ قَدِيمَةٌ عَلَى جَانِبِ ٱلْبَحْرِ. بَيْنَهَا وَبَيْنَ غَزَّةَ نَحْوُ ثَلَاثَةِ فَرَاسِخَ . وَهِيَ مِنْ جُمْلَةِ ثُغُورِ ٱلْإِسْلَامِ ٱلشَّامِيَّةِ . وَمَدِينَةُ عَسْقَلَانَ هِيَ عَلَى ضِفَّةِ ٱلْبَحْرِ عَلَى تَلْعَةٍ. وَهِيَ مِنْ أَجَلِّ مُدُنِ ٱلسَّاحِلِ وَلَيْسَ لَهَا مِينَاءٌ. وَشُرْبُ أَهْلِهَا مِنْ آبَارٍ حُلْوَةٍ. وَبَيْنَهَا وَبَيْنَ غَزَّةَ ٱثْنَا عَشَرَ مِيلًا وَبَيْنَهَا وَبَيْنَ ٱلرَّمْلَةِ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ مِيلًا . وَهِيَ فِي زَمَانِنَا خَرَابٌ لَيْسَ بِهَا سَاكِنٌ . قَالَ ٱلْقَزْوِينِيُّ : عَسْقَلَانُ مَدِينَةٌ عَلَى سَاحِلِ بَحْرِ ٱلرُّومِ كَانَ يُقَالُ لَهَا عَرُوسُ ٱلشَّامِ. ٱفْتُتِحَتْ فِي أَيَّامِ عُمَرَ ٱبْنِ ٱلْخَطَّابِ عَلَى يَدِ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ. وَلَمْ تَزَلْ فِي يَدِ ٱلْمُسْلِمِينَ إِلَى أَنِ ٱسْتَوْلَى ٱلْفِرَنْجُ عَلَيْهَا سَنَةَ ثَمَانٍ وَأَرْبَعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ . حَكَى

بَعضُ ٱلتُّجَّارِ أَنَّ ٱلفَرَنجَ ٱتَّخَذُوا مَرْكَبًا عُلُوُّهُ قَدْرُ سُورِ عَسْقَلَانَ. وَأَشحَنُوهُ رِجَالًا وَسِلَاحًا وَأَجرَوْهُ حَتَّى لَصِقَ بِسُورِ عَسْقَلَانَ. وَوَثَبُوا عَلَى ٱلسُّورِ وَمَلَكُوهَا قَهرًا. وَبَقِيَتْ فِي يَدِهِم خَمسًا وَثَلَاثِينَ سَنَةً إِلَى أَنِ ٱستَنقَذَهَا صَلَاحُ ٱلدِّينِ. ثُمَّ عَادَ ٱلفَرَنجُ وَفَتَحُوا عَكَّةَ وَسَارُوا نَحوَ عَسْقَلَانَ. فَخَشِيَ أَنْ يَتِمَّ عَلَيهَا مَا تَمَّ عَلَى عَكَّةَ فَخَرَّبَهَا فِي سَنَةِ سَبعٍ وَثَمَانِينَ وَخَمسِمِائَةٍ (لابي الفداء)

٤١٢ (عُمَانُ). فِي بِلَادِ ٱلعَرَبِ مَدِينَةٌ كَبِيرَةٌ عَلَى سَاحِلِ ٱلبَحرِ مَرسَاهَا فَرسَخٌ فِي فَرسَخٍ. وَبِلَادُ عُمَانَ ثَلَاثُونَ فَرسَخًا وَمَا وَلِيَ ٱلبَحرَ سُهُولٌ وَرِمَالٌ وَمَا تَبَاعَدَ عَنهُ حُزُونٌ وَجِبَالٌ. وَهِيَ مُدُنٌ مِنهَا مَدِينَةُ عُمَانَ وَهِيَ حَصِينَةٌ عَلَى ٱلسَّاحِلِ. وَمِنَ ٱلجَانِبِ ٱلآخَرِ مِيَاهٌ تَجرِي إِلَى ٱلمَدِينَةِ. وَفِيهَا دَكَاكِينُ ٱلتُّجَّارِ مَفرُوشَةٌ بِٱلنُّحَاسِ مَكَانَ ٱلآجُرِّ. وَهِيَ كَثِيرَةُ ٱلنَّخلِ وَٱلبَسَاتِينِ وَضُرُوبِ ٱلفَوَاكِهِ وَٱلحِنطَةِ وَٱلشَّعِيرِ وَٱلأَرُزِّ وَقَصَبِ ٱلسُّكَّرِ. وَفِي ٱلأَمثَالِ مَن تَعَذَّرَ عَلَيهِ ٱلرِّزقُ فَعَلَيهِ بِعُمَانَ. وَفِي أَحوَازِهَا مَغَاصُ ٱللُّؤلُؤِ. وَعُمَانُ مِن أَحوَازِ ٱليَمَنِ سُمِّيَت بِعُمَانَ بنِ سَبَإٍ (للشريشي)

٤١٣ (غَزَّةُ). أَوَّلُ بِلَادِ ٱلشَّامِ مِمَّا يَلِي مِصرَ مُتَّسِعَةُ ٱلأَقطَارِ كَثِيرَةُ ٱلعِمَارَةِ حَسَنَةُ ٱلأَسوَاقِ بِهَا ٱلمَسَاجِدُ ٱلعَدِيدَةُ وَلَا سُورَ عَلَيهَا. وَكَانَ بِهَا مَسجِدٌ جَامِعٌ حَسَنٌ أَنِيقُ ٱلبِنَاءِ مُحكَمُ ٱلصَّنعَةِ وَمِنبَرُهُ مِنَ ٱلرُّخَامِ ٱلأَبيَضِ. قَالَ أَبُو ٱلفِدَاءِ: غَزَّةُ مُتَوَسِّطَةٌ فِي ٱلعِظَمِ ذَاتُ بَسَاتِينَ

عَلَى سَاحِلِ ٱلْبَحْرِ وَبِهَا قَلِيلُ نَخِيلٍ وَكُرُومٌ خَصْبَةٌ . وَبَيْنَهَا وَبَيْنَ ٱلْبَحْرِ أَكْوَامُ رِمَالٍ تَلِي بَسَاتِينَهَا وَلَهَا قَلْعَةٌ صَغِيرَةٌ (لابن بطوطة)

٤١٤ (قُبْرُسُ) . جَزِيرَةٌ بِقُرْبِ طَرَسُوسَ دَوْرُهَا مَسِيرَةُ سِتَّةَ عَشَرَ يَوْمًا . قَالَ ٱبْنُ عُمَرَ ٱلْعُذْرِيُّ : يُجْلَبُ مِنْهَا ٱللَّاذَنُ ٱلْجَيِّدُ وَلَا يُجْمَعُ فِي غَيْرِهَا . وَٱلَّذِي يُجْمَعُ مِنَ ٱلشَّجَرِ يُحْمَلُ إِلَى ٱلْقُسْطَنْطِينِيَّةِ لِأَنَّهُ يُعَادِلُ عُودَ ٱلطِّيبِ . وَسَائِرُ مَا يُجْمَعُ هُوَ ٱلَّذِي يَسْتَعْمِلُهُ ٱلنَّاسُ عَلَى وَجْهِ ٱلْأَرْضِ . وَٱلزَّاجُ ٱلْقُبْرُسِيُّ مَشْهُورٌ كَثِيرُ ٱلْمَنَافِعِ جِدًّا عَزِيزُ ٱلْوُجُودِ أَفْضَلُ ٱلزَّاجَاتِ كُلِّهَا . وَعَنِ ٱبْنِ سَعِيدٍ : طُولُ جَزِيرَةِ قُبْرُسَ مِائَتَا مِيلٍ مِنَ ٱلْغَرْبِ إِلَى ٱلشَّرْقِ . وَلَهَا ذَنَبٌ دَقِيقٌ فِي شَرْقِيِّهَا وَيَقْرُبُ إِلَى سَاحِلِ ٱلشَّامِ . وَقَالَ ٱلشَّرِيفُ ٱلْإِدْرِيسِيُّ : دَوْرُ جَزِيرَةِ قُبْرُسَ مِائَتَانِ وَخَمْسُونَ مِيلًا

٤١٥ (قَزْوِينُ) . مَدِينَةٌ بِٱلْقُرْبِ مِنْ أَرْمِينِيَّةَ وَهِيَ فِي فَضَاءٍ مِنَ ٱلْأَرْضِ . وَهِيَ طَيِّبَةُ ٱلْهَوَاءِ كَثِيرَةُ ٱلْبَسَاتِينِ وَهِيَ مَدِينَتَانِ إِحْدَاهُمَا فِي وَسَطِ ٱلْأُخْرَى . وَهٰذِهِ ٱلْمَدِينَةُ أَنْشَأَهَا سَابُورُ ذُو ٱلْأَكْتَافِ وَجَدَّدَ بِهَا هَارُونُ ٱلرَّشِيدُ سُورًا مَانِعًا وَجَامِعًا كَبِيرًا وَذٰلِكَ فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ وَمِائَةٍ . وَمِنَ ٱلْعَجَائِبِ أَنَّ مَقْصُورَةَ هٰذَا ٱلْجَامِعِ فِي غَايَةِ ٱلِٱرْتِفَاعِ . وَهِيَ عَلَى شَكْلِ بِطِّيخَةٍ لَيْسَ لَهَا مِثَالٌ فِي ٱلدُّنْيَا . وَمِنَ ٱلْعَجَائِبِ أَنَّ بَسَاتِينَ هٰذِهِ ٱلْمَدِينَةِ لَا تُسْقَى فِي ٱلسَّنَةِ إِلَّا مَرَّةً وَاحِدَةً . وَإِلَيْهَا يُنْسَبُ ٱلشَّيْخُ زَكَرِيَّاءُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مَحْمُودٍ ٱلْقَزْوِينِيُّ

صَاحِبُ كِتَابِ عَجَائِبِ ٱلْمَخْلُوقَاتِ وَغَيْرُهُ مِنَ ٱلْعُلَمَاءِ. قَالَ ابْنُ حَوْقَلٍ: وَقَزْوِينُ مَدِينَةٌ لَهَا حِصْنٌ وَمَاؤُهَا مِنَ ٱلسَّمَاءِ وَٱلْآبَارِ. وَلَهَا قَنَاةٌ صَغِيرَةٌ لِلشُّرْبِ وَلَا تَفْضُلُ عَنْ ذٰلِكَ. وَهِيَ مَدِينَةٌ خَصْبَةٌ وَهِيَ ثَغْرُ ٱلدَّيْلَمِ (عجائب الأقطار لمحمد بن اياس)

٤١٦ (أَلْكَرَكُ). بَلَدٌ مَشْهُورٌ مِنَ ٱلْبَلْقَاءِ. وَلَهُ حِصْنٌ عَالِي ٱلْمَكَانِ وَهُوَ أَحَدُ ٱلْمَعَاقِلِ بِٱلشَّامِ ٱلَّتِي لَا تُرَامُ. وَعَلَى بَعْضِ مَرْحَلَةٍ مِنْهُ مُوتَةُ. وَتَحْتَ ٱلْكَرَكِ وَادٍ فِيهِ حَمَّامٌ وَبَسَاتِينُ كَثِيرَةٌ وَفَوَاكِهُهَا مُفَضَّلَةٌ مِنَ ٱلْمِشْمِشِ وَٱلرُّمَّانِ وَٱلْكُمَّثْرَى وَغَيْرِ ذٰلِكَ. وَهُوَ عَلَى أَطْرَافِ ٱلشَّامِ مِنْ جِهَةِ ٱلْحِجَازِ وَبَيْنَ ٱلْكَرَكِ وَٱلشَّوْبَكِ نَحْوُ ثَلَاثِ مَرَاحِلَ (لابي الفداء)

٤١٧ (أَللَّاذِقِيَّةُ). مَدِينَةٌ مِنْ سَوَاحِلِ بَحْرِ ٱلشَّامِ عَتِيقَةٌ سُمِّيَتْ بِٱسْمِ بَانِيهَا (وَهِيَ لَفْظَةٌ رُومِيَّةٌ). وَفِيهَا أَبْنِيَةٌ قَدِيمَةٌ وَلَهَا مَرْفَأٌ جَيِّدٌ وَقَلْعَتَانِ مُتَّصِلَتَانِ عَلَى تَلٍّ مُشْرِفٍ عَلَى رَبَضِهَا. مَلَكَهَا ٱلْفِرَنْجُ فِيمَا مَلَكُوهُ مِنْ بِلَادِ ٱلسَّاحِلِ فِي صُدُورِ سَنَةِ خَمْسِمِائَةٍ. وَلِلْمُسْلِمِينَ بِهَا جَامِعٌ وَقَاضٍ وَخَطِيبٌ. قَالَ بَعْضُهُمْ: ٱللَّاذِقِيَّةُ أَجَلُّ مَدِينَةٍ بِٱلسَّاحِلِ مَنَعَةً وَعِمَارَةً وَلَهَا مِينَاءٌ حَسَنَةٌ مُفَضَّلَةٌ عَلَى غَيْرِهَا. وَهِيَ بَلْدَةٌ ذَاتُ صَهَارِيجَ. وَبِهَا دَيْرٌ مَسْكُونٌ يُعْرَفُ بِٱلْفَارُوسِ حَسَنُ ٱلْبِنَاءِ. وَمِنْهَا إِلَى أَنْطَاكِيَةَ ثَمَانِيَةٌ وَأَرْبَعُونَ مِيلًا (للقزويني)

٤١٨ (مَلَطْيَةُ). بَلْدَةٌ مِنْ بِلَادِ ٱلرُّومِ ذَاتُ أَشْجَارٍ وَفَوَاكِهَ

وَأَنْهَارٍ وَيَحْتَفُّ بِهَا جِبَالٌ كَثِيرَةُ ٱلْجَوْزِ. وَجَمِيعُ ٱلثِّمَارِ مُبَاحَةٌ لَا مَالِكَ بِهَا. وَهِيَ قَاعِدَةُ ٱلثُّغُورِ وَهِيَ شِمَالِيَّ ٱلْجَبَلِ ٱلدَّائِرِ ٱلَّذِي سِيسُ فِي غَرْبِيِّهِ. وَهِيَ بَلْدَةٌ مُسَوَّرَةٌ فِي بَسِيطٍ وَٱلْجِبَالُ تَحُفُّ بِهَا مِنْ بُعْدٍ. وَلَهَا نَهْرٌ صَغِيرٌ عَلَيْهِ بَسَاتِينُ كَثِيرَةٌ يَسْقِيهَا وَيَمُرُّ بِسُورِ ٱلْبَلَدِ. وَهِيَ شَدِيدَةُ ٱلْبَرْدِ وَهِيَ فِي ٱلْجُنُوبِ عَنْ سِيوَاسَ. وَلِلطِّبَةِ أَيْضًا قَنِيٌّ تَدْخُلُ ٱلْبَلَدَ وَتَجْرِي فِي دُورِهِ وَسِكَكِهِ. وَٱلْجِبَالُ مُحِيطَةٌ بِهَا عَلَى بُعْدٍ مِنْهَا (لابن سعيد)

٤١٩ (مَلِيبَارُ). نَاحِيَةٌ وَاسِعَةٌ بِأَرْضِ ٱلْهِنْدِ تَشْتَمِلُ عَلَى مُدُنٍ كَثِيرَةٍ بِهَا شَجَرَةُ ٱلْفُلْفُلِ وَهِيَ شَجَرَةٌ عَالِيَةٌ لَا يَزُولُ ٱلْمَاءُ مِنْ تَحْتِهَا وَثَمَرَتُهَا عَنَاقِيدُ إِذَا ٱرْتَفَعَتِ ٱلشَّمْسُ وَٱشْتَدَّ حَرُّهَا تَنْضَمُّ عَلَى عَنَاقِيدِهَا أَوْرَاقُهَا وَإِلَّا أَحْرَقَتْهَا ٱلشَّمْسُ قَبْلَ إِدْرَاكِهَا. وَشَجَرُ ٱلْفُلْفُلِ مُبَاحٌ إِذَا هَبَّتِ ٱلرِّيحُ سَقَطَتْ عَنَاقِيدُهَا عَلَى وَجْهِ ٱلْمَاءِ فَيَجْمَعُهَا ٱلنَّاسُ. وَيُحْمَلُ ٱلْفُلْفُلُ مِنْ أَقْصَى ٱلْمَشْرِقِ إِلَى أَقْصَى ٱلْمَغْرِبِ وَأَكْثَرُ ٱلنَّاسِ ٱنْتِفَاعًا بِهِ ٱلْفِرِنْجُ يَحْمِلُونَهُ فِي بَحْرِ ٱلشَّامِ إِلَى أَقْصَى ٱلْمَغْرِبِ (للقزويني)

٤٢٠ (ٱلْمَوْصِلُ). قَاعِدَةُ دِيَارِ ٱلْجَزِيرَةِ وَهِيَ عَلَى دِجْلَةَ فِي جَانِبِهَا ٱلْغَرْبِيِّ. وَقُبَالَةَ ٱلْمَوْصِلِ مِنَ ٱلْبَرِّ ٱلْآخَرِ ٱلشَّرْقِيِّ مَدِينَةُ نِينَوَى ٱلْخَرَابُ. وَفِي جَنُوبِيِّ ٱلْمَوْصِلِ يَصُبُّ ٱلزَّابُ ٱلْأَصْغَرُ إِلَى دِجْلَةَ عِنْدَ مَدِينَةِ أَثُورَ ٱلْخَرَابِ. وَعَنْ بَعْضِ أَهْلِهَا ٱلْمَوْصِلُ فِي مُسْتَوٍ مِنَ ٱلْأَرْضِ وَلَهَا سُورَانِ قَدْ خَرِبَ بَعْضُهُمَا وَمُسَوَّرُهَا أَكْبَرُ مِنْ مُسَوَّرِ دِمَشْقَ.

وَٱلْعَامِرُ فِي زَمَانِنَا نَحْوُ ثُلُثَيْهَا وَلَهَا قَلْعَةٌ مِنْ جُمْلَةِ ٱلْخَرَابِ. وَٱلطَّرِيقُ مِنَ ٱلْمَوْصِلِ إِلَى مَيَّا فَارِقِينَ عَلَى حِصْنِ كِيفَا سِتَّةُ أَيَّامٍ. وَعَلَى مَارِدِينَ ثَمَانِيَةُ أَيَّامٍ وَمَدِينَةُ نِينَوَى هٰذِهِ هِيَ ٱلْبَلْدَةُ ٱلَّتِي أُرْسِلَ إِلَيْهَا يُونُسُ ٱلنَّبِيُّ

٤٢١ (نَصِيبِينُ). قَاعِدَةُ دِيَارِ رَبِيعَةَ قَالَ ٱبْنُ سَعِيدٍ: وَهِيَ مَخْصُوصَةٌ بِٱلْوَرْدِ ٱلْأَبْيَضِ وَلَا يُوجَدُ فِيهَا وَرْدَةٌ حَمْرَاءُ. قَالَ: وَفِي شِمَالِيِّهَا جَبَلٌ كَبِيرٌ مِنْهُ يَنْزِلُ نَهْرُهَا ٱلْمَعْرُوفُ بِنَهْرِ ٱلْهِرْمَاسِ وَيَمُرُّ عَلَى سُورِ نَصِيبِينَ وَٱلْبَسَاتِينُ عَلَيْهِ وَنَصِيبِينُ شِمَالِيَّ سِنْجَارَ. وَجَبَلُ نَصِيبِينَ هُوَ ٱلْجُودِيُّ. قَالَ فِي ٱلْعَزِيزِيِّ: وَنَصِيبِينُ قَصَبَةُ دِيَارِ رَبِيعَةَ وَنَهْرُهَا نَهْرُ ٱلْهِرْمَاسِ. وَبِهَا عَقَارِبُ قَاتِلَةٌ يُضْرَبُ بِهَا ٱلْمَثَلُ. قَالَ ٱلْقَزْوِينِيُّ: وَنَصِيبِينُ مَدِينَةٌ عَامِرَةٌ مِنْ بِلَادِ ٱلْجَزِيرَةِ. وَظَاهِرُهَا فِي غَايَةِ ٱلنَّزَاهَةِ وَبَاطِنُهَا يُضَادُّ ظَاهِرَهَا. وَهِيَ وَخِمَةٌ لِكَثْرَةِ مِيَاهِهَا وَأَشْجَارُهَا مُضِرَّةٌ سِيَّمَا بِٱلْغُرَبَاءِ. وَحُكِيَ أَنَّ بَعْضَ ٱلتُّجَّارِ أَرَادَ دُخُولَ نَصِيبِينَ وَكَانَ بِهِ عَقَابِيلُ ٱلْمَرَضِ وَصُفْرَةُ ٱللَّوْنِ. فَتَمَسَّكَ بِكُمِّهِ بَعْضُ ظُرَفَاءِ نَصِيبِينَ وَقَالَ: مَا أُخَلِّيكَ تَدْخُلُ حَتَّى تُشْهِدَ عَلَى نَفْسِكَ شَاهِدَيْنِ عَدْلَيْنِ أَنَّكَ مَا دَخَلْتَ نَصِيبِينَ إِلَّا عَلَى هٰذِهِ ٱلصِّفَةِ كَيْلَا يُقَالَ أَمْرَضَتْهُ نَصِيبِينُ

(لابي الفداء)

٤٢٢ (هَرَاةُ). مِنْ خُرَاسَانَ وَلَهَا أَعْمَالٌ وَدَاخِلَ هَرَاةَ مِيَاهٌ جَارِيَةٌ. وَٱلْجَبَلُ مِنْهَا عَلَى نَحْوِ فَرْسَخَيْنِ وَلَيْسَ بِجَبَلِهَا مُحْتَطَبٌ وَلَا مَرْعًى. وَمِنْهُ

حِجَارَةُ ٱلْأَرْحِيَةِ وَغَيْرِهَا. وَعَلَى رَأْسِ هٰذَا ٱلْجَبَلِ بَيْتُ نَارٍ يُسَمَّى سَرْشُكَ وَخَارِجَ هَرَاةَ ٱلْمِيَاهُ وَٱلْبَسَاتِينُ. وَقَالَ فِي ٱلْمُشْتَرِكِ: هَرَاةُ كَانَتْ مَدِينَةً عَظِيمَةً مَشْهُورَةً بِخُرَاسَانَ خَرَّبَهَا ٱلتَّتَرُ. وَهَرَاةُ فُتِحَتْ فِي زَمَانِ عُثْمَانَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ وَٱلنِّسْبَةُ إِلَيْهَا هَرَوِيٌّ (لابن حوقل)

٤٢٣ (هَمَذَانُ). مَدِينَةٌ كَبِيرَةٌ وَلَهَا أَرْبَعَةُ أَبْوَابٍ وَلَهَا مِيَاهٌ وَبَسَاتِينُ وَزُرُوعٌ كَثِيرَةٌ وَهِيَ مِنْ بِلَادِ ٱلْجَبَلِ عَلَى طَرِيقٍ. وَقَالَ فِي ٱلْأَنْسَابِ: هَمَذَانُ مَدِينَةٌ مِنَ ٱلْجِبَالِ عَلَى طَرِيقِ ٱلْحَاجِّ وَٱلْقَوَافِلِ. وَقَدْ قَالَ بَعْضُ فُضَلَاءِ هَمَذَانَ:

هَمَذَانُ لِي بَلَدٌ أَقُولُ بِفَضْلِهِ   لٰكِنَّهُ مِنْ أَقْبَحِ ٱلْبُلْدَانِ
صِبْيَانُهُ فِي ٱلْقُبْحِ مِثْلُ شُيُوخِهِ   وَشُيُوخُهُ فِي ٱلْعَقْلِ كَٱلصِّبْيَانِ

٤٢٤ (يَافَا). بَلْدَةٌ صَغِيرَةٌ فِي فِلَسْطِينَ. كَثِيرَةُ ٱلرَّخَاءِ سَاحِلِيَّةٌ مِنَ ٱلْفُرَضِ ٱلْمَشْهُورَةِ. وَمَدِينَةُ يَافَا كَانَتْ حِصْنًا كَبِيرًا فِيهِ أَسْوَاقٌ عَامِرَةٌ وَوُكَلَاءُ ٱلتُّجَّارِ وَمِينَاءٌ كَبِيرٌ فِيهِ مَرْسَى ٱلْمَرَاكِبِ ٱلْوَارِدَةِ إِلَى فِلَسْطِينَ وَٱلْمُقْلِعَةِ مِنْهَا إِلَى كُلِّ بَلَدٍ. وَبَيْنَهَا وَبَيْنَ ٱلرَّمْلَةِ سِتَّةُ أَمْيَالٍ وَهِيَ فِي ٱلْغَرْبِ عَنْ رَمْلَةَ

٤٢٥ (يَزْمِير). مَدِينَةٌ كَبِيرَةٌ عَلَى سَاحِلِ ٱلْبَحْرِ مُعْظَمُهَا خَرَابٌ وَلَهَا قَلْعَةٌ مُتَّصِلَةٌ بِأَعْلَاهَا. وَأَمِيرُ هٰذِهِ ٱلْمَدِينَةِ عُمَرُ ٱبْنُ ٱلسُّلْطَانِ مُحَمَّدِ بْنِ آيْدِينَ. وَكَانَ هٰذَا ٱلْأَمِيرُ كَرِيمًا صَالِحًا كَثِيرَ ٱلْجِهَادِ لَهُ أَجْفَانٌ غَزْوِيَّةٌ يَضْرِبُ بِهَا عَلَى نَوَاحِي ٱلْقُسْطَنْطِينِيَّةِ ٱلْعُظْمَى فَيَسْبِي

وَيغنم ويفني ذلك كرمًا وجودًا. ثم يعود إلى الجهاد إلى أن اشتدت على الروم وطأته. فرفعوا أمرهم إلى البابا فأمر نصارى جنوة وإفرنسة بغزوه فغزوه. وجهز جيشًا من رومة وطرقوا مدينته ليلًا في عددٍ كثيرٍ من الأجفان وملكوا المرسى والمدينة. ونزل إليهم الأمير عمر من القلعة فقاتلهم فاستشهد هو وجماعة من ناسه. واستقر النصارى بالبلد ولم يقدروا على القلعة لمنعتها (للادريسي)

ذكر الشام

(من كتاب زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك لخليل بن شاهين الظاهري)

٤٢٦ قسم الأوائل الشام خمسة أقسام. الأول فلسطين وأول حدودها من طريق مصر رفح وهي العريش. ثم يليها غزة. ثم رملة وفلسطين. فمن مدنها إيلياء وهي بيت المقدس. وعسقلان ورملة ونابلس ومدينة حبرون المعروفة بالخليل. ومسيرة فلسطين طولًا أربعة أيام من رفح إلى اللجون. وعرضها من يافا إلى أريحا. والثاني حوران ومدينتها العظمى طبرية. ومن مدنها الغور واليرموك وبيسان. والثالث الغوطة ومدينتها العظمى دمشق وطرابلس. وقيل إنها من الأرض المقدسة. وصفد وبعلبك وما تشتمل عليه تلك الأماكن من المدن. والرابع حمص ومن أعمالها مدينة سلمية. وفيها مزار علي بن أبي طالب. والخامس قنسرين ومدينتها العظمى حلب وحماة وسرمين وأنطاكية

وَأَمَّا ٱلْمَمْلَكَةُ ٱلْغَزَّاوِيَّةُ فَفِيهَا مَدِينَةُ غَزَّةَ وَهِيَ مَدِينَةٌ حَسَنَةٌ بِأَرْضٍ مُسْتَوِيَةٍ وَهِيَ كَثِيرَةُ ٱلْفَوَاكِهِ. وَفِيهَا مِنَ ٱلْجَوَامِعِ وَٱلْمَدَارِسِ وَٱلْعِمَارَاتِ ٱلْحَسَنَةِ مَا يُورِثُ ٱلْعَجَبَ. وَتُسَمَّى دِهْلِيزَ ٱلْمُلْكِ. وَبِهَا مُعَامَلَاتٌ وَقُرًى وَهِيَ مَمْلَكَةٌ مُتَّسِعَةٌ. وَأَمَّا مَدِينَةُ ٱلرَّمْلَةِ فَلَيْسَتْ هِيَ مَمْلَكَةً. وَإِنَّمَا هِيَ إِقْلِيمٌ يَشْتَمِلُ عَلَى قُرًى عَدِيدَةٍ. وَهِيَ مَدِينَةٌ حَسَنَةٌ بِهَا جَوَامِعُ وَمَدَارِسُ وَمَزَارَاتٌ. مِنْ جُمْلَتِهَا ٱلْجَامِعُ ٱلْأَبْيَضُ عَجَبٌ مِنَ ٱلْعَجَائِبِ

وَأَمَّا ٱلْمَمْلَكَةُ ٱلْكَرَكِيَّةُ فَلَيْسَتْ هِيَ مِنَ ٱلشَّامِ. وَهِيَ مَمْلَكَةٌ بِمُفْرَدِهَا وَتُسَمَّى مَآبَ. وَهِيَ مَدِينَةٌ حَصِينَةٌ مَعْقِلٌ مِنْ مَعَاقِلِ ٱلْإِسْلَامِ. بِهَا قَلْعَةٌ لَيْسَ لَهَا نَظِيرٌ فِي ٱلْإِسْلَامِ وَلَا فِي ٱلْفَرَنْجِ تُسَمَّى حِصْنَ ٱلْغُرَابِ لَمْ تَكُنْ فُتِحَتْ عَنْوَةً قَطُّ. وَإِنَّمَا فَتَحَهَا صَلَاحُ ٱلدِّينِ يُوسُفُ بْنُ أَيُّوبَ بَعْدَ فَتْحِ ٱلْقُدْسِ فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَثَمَانِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ. وَكَانَتْ بِيَدِ ٱلْبِرِنْسِ أَرْنَاطَ. وَكَانَ يَتَعَرَّضُ لِلْحُجَّاجِ وَٱلْحِكَايَةُ فِي ذٰلِكَ تَطُولُ. وَمُلَخَّصُهَا أَنَّهُ نَزَلَ بِعَسْكَرِهِ نَجْدَةً إِلَى ٱلْفَرَنْجِ عَلَى وَقْعَةِ حِطِّينَ. وَأَمْكَنَ ٱللّٰهُ صَلَاحَ ٱلدِّينِ مِنْ جَمِيعِ مُلُوكِ ٱلْفَرَنْجِ وَكَانَ مِنْ جُمْلَتِهِمِ ٱلْبِرِنْسُ أَرْنَاطُ صَاحِبُ ٱلْكَرَكِ. فَحَصَلَ ٱلْفُتُوحُ بِوَاسِطَةِ ذٰلِكَ وَٱسْتَمَرَّتِ ٱلشَّوْبَكُ مُدَّةً بِيَدِ ٱلْفَرَنْجِ إِلَى أَنْ قَدَّرَ ٱللّٰهُ فَتْحَهَا بِسَبَبٍ عَجِيبٍ. وَذٰلِكَ أَنَّ وَالِدَةَ أَرْنَاطَ تَسَبَّبَتْ فِي فَتْحِ ذٰلِكَ لِخَلَاصِ وَلَدِهَا وَفَتْحِ ٱلْحِصْنَانِ وَقُتِلَ أَرْنَاطُ. وَٱلشَّوْبَكُ مُضَافَةٌ إِلَى ٱلْكَرَكِ

وَهِيَ حَصِينَةٌ أَيضًا . وَمَسِيرَةُ مُعَامَلَةِ ٱلْكَرَكِ مِنَ ٱلْعُلَى إِلَى زِيزَاءَ مِقْدَارُ عِشْرِينَ يَوْمًا بِسَيْرِ ٱلْإِبِلِ . وَهِيَ بَلَدٌ عَذِيَةٌ بِهَا قُرًى كَثِيرَةٌ وَمُعَامَلَاتٌ وَٱلْمَسْلَكُ إِلَيْهَا صَعْبٌ فِي مُنْقَطَعَاتٍ قَلِيلَةِ ٱلْمَاءِ حَتَّى إِنَّهُ إِذَا أُوقِفَ أَحَدٌ عَلَى دَرْبٍ مِنْ دُرُوبِهَا يَمْنَعُ ٱلْفَارِسَ عَنِ ٱلْمَسِيرِ . وَأَوْصَافُهَا كَثِيرَةٌ ٱخْتَصَرْتُهَا خَوْفَ ٱلْإِطَالَةِ

وَأَمَّا ٱلْمَمْلَكَةُ ٱلصَّفَدِيَّةُ فَإِنَّهَا مَمْلَكَةٌ مُتَّسِعَةٌ قِيلَ إِنَّهَا تَشْتَمِلُ عَلَى أَلْفٍ وَمِائَتَيْ قَرْيَةٍ وَلَهَا عِدَّةُ مُعَامَلَاتٍ . وَأَعْظَمُ مُدُنِهَا صَفَدُ وَهِيَ مَدِينَةٌ مُتَفَرِّقَةٌ ثَلَاثَ قِطَعٍ وَهِيَ عَذِيَةٌ . وَبِهَا جَوَامِعُ وَمَدَارِسُ وَمَزَارَاتٌ وَأَمَاكِنُ حَسَنَةٌ وَحَمَّامَاتٌ وَأَسْوَاقٌ . وَبِهَا قَلْعَةٌ حَصِينَةٌ يُقَالُ إِنَّهَا لَا يُوجَدُ نَظِيرُهَا عَشْرُ قِلَاعٍ قَدْ فُتِحَتْ مِنْ قَرِيبٍ . وَمَدِينَةُ عَكَّةَ كَانَتْ حَصِينَةً جِدًّا فَلَمَّا فَتَحَهَا ٱلْمَلِكُ صَلَاحُ ٱلدِّينِ أَيُّوبُ هَدَمَ أَسْوَارَهَا . وَهِيَ ٱلْآنَ مِينَاءُ ٱلْمَمْلَكَةِ ٱلصَّفَدِيَّةِ . وَلَمَّا هَدَمَهَا جَهَّزَ قِفْلَهَا بِمِفْتَاحِهِ وَهُوَ حِمْلُ فَرَسٍ إِلَى سِجْنِ قَلْعَةِ ٱلْكَرَكِ . وَهُوَ بِهَا ٱلْآنَ عَجِيبٌ مِنْ عَجَائِبِ ٱلدُّنْيَا . وَمَدِينَةُ صُورَ وَهِيَ ٱلْآنَ خَرَابٌ . وَبِٱلْمَمْلَكَةِ ٱلصَّفَدِيَّةِ قُرًى كِبَارٌ نَظِيرَةُ ٱلْمُدُنِ كَٱلْمِينَةِ وَٱلنَّاصِرَةِ وَٱلْمَعْرَكِ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ . وَقِيلَ إِنَّ بِٱلْمَمْلَكَةِ ٱلصَّفَدِيَّةِ ٱلشَّقِيفَ وَكَابُولَ وَغَيْرَهَا سَبْعَ قِلَاعٍ غَالِبُهَا خَرَابٌ ٱلْآنَ . وَبِهَا ٱلْمَزَارَاتُ وَٱلْأَمَاكِنُ ٱلْمُبَارَكَةُ

وَأَمَّا ٱلْمَمْلَكَةُ ٱلشَّامِيَّةُ فَإِنَّهَا مَمْلَكَةٌ مُتَّسِعَةٌ جِدًّا وَهِيَ عِدَّةُ أَقَالِيمَ وَمُدُنٍ وَقِلَاعٍ . وَقَدْ تَقَدَّمَ أَنَّ مَدِينَتَهَا ٱلْعُظْمَى دِمَشْقُ وَهِيَ مَدِينَةٌ

حَسَنَةٌ إِلَى ٱلْغَايَةِ بِهَا تَخْتُ ٱلْمَمْلَكَةِ وَهُوَ مُغَطًّى وَلَا يُكْشَفُ غِطَاؤُهُ
إِلَّا إِذَا جَلَسَ ٱلسُّلْطَانُ عَلَيْهِ. وَفَضَائِلُ ٱلشَّامِ كَثِيرَةٌ وَبِهَا جَوَامِعُ حَسَنَةٌ
وَمَدَارِسُ وَأَمَاكِنُ مُبَارَكَةٌ وَشَوَارِعُ وَأَسْوَاقٌ وَحَمَّامَاتٌ وَبَسَاتِينُ وَأَنْهُرٌ
وَعَمَائِرُ يَتَحَيَّرُ ٱلْوَاصِفُ فِيهَا. وَبِهَا بِيمَارِسْتَانٌ لَمْ يُرَ مِثْلُهُ فِي ٱلدُّنْيَا قَطُّ.
وَقِيلَ إِنَّ ٱلْبِيمَارِسْتَانَ ٱلْمَذْكُورَ مُنْذُ عُمِرَ لَمْ تَنْطَفِئْ فِيهِ ٱلنَّارُ. وَأَمَّا جَامِعُ
بَنِي أُمَيَّةَ فَهُوَ إِحْدَى ٱلْعَجَائِبِ ٱلثَّلَاثِ. وَلَقَدْ رَأَيْتُ فِي بَعْضِ ٱلتَّوَارِيخِ
أَنَّ عَجَائِبَ ٱلدُّنْيَا ثَلَاثٌ. مَنَارَةُ ٱلْإِسْكَنْدَرِيَّةِ وَجَامِعُ بَنِي أُمَيَّةَ وَحَمَّامُ
طَبَرِيَّةَ. وَأَمَّا ٱلْمَيْدَانُ ٱلْأَخْضَرُ وَمَا بِهِ مِنَ ٱلْقُصُورِ ٱلْحَسَنَةِ فَعَجِيبٌ مِنَ
ٱلْعَجَائِبِ. وَأَمَّا غَرَائِبُ دِمَشْقَ فَيَعْجِزُ ٱلْوَاصِفُ عَنْ حَصْرِهَا. مِنْ
جُمْلَتِهَا ٱلْجَبْهَةُ وَٱلرَّبْوَةُ وَٱلصَّالِحِيَّةُ وَٱلسَّبْعَةُ وَٱلْعَنَّابَةُ. وَبِهَا قَبْرُ نُورِ ٱلدِّينِ
مَحْمُودِ بْنِ زَنْكِي وَقَبْرُ صَلَاحِ ٱلدِّينِ يُوسُفَ بْنِ أَيُّوبَ. وَبِدِمَشْقَ
ٱلْمَحْرُوسَةِ سَبْعَةُ أَنْهُرٍ إِذَا ٱجْتَمَعَتْ صَارَتْ مِثْلَ ٱلنِّيلِ. وَأَمَّا مَا بِهَا مِنَ
ٱلْفَوَاكِهِ ٱلرَّطْبَةِ وَٱلرَّيَاحِينِ وَٱلْأَقْمِشَةِ فَمِمَّا يَطُولُ شَرْحُهُ. وَبِهَا ٱلثَّلْجُ
لَا يَزَالُ عَلَى ٱلْجِبَالِ صَيْفًا وَشِتَاءً وَجَمِيعُ أَهْلِهَا يَشْرَبُونَ مِنْهُ وَيُنْقَلُ
مِنْهُ إِلَى ٱلسُّلْطَانِ وَأَرْكَانِ ٱلدَّوْلَةِ ٱلشَّرِيفَةِ. وَأَمَّا مَدِينَةُ حُسْبَانَ فَبِهَا
قَلْعَةٌ خَرِبَةٌ وَإِقْلِيمُهَا ٱلْبَلْقَاءُ تَشْتَمِلُ عَلَى نَيِّفٍ وَثَلَاثِمِائَةِ قَرْيَةٍ
بِأَرْضٍ مُسْتَوِيَةٍ وَهِيَ أَيْضًا مِنْ مُعَامَلَةِ دِمَشْقَ. وَأَمَّا صَرْخَدُ فَإِنَّهَا مَدِينَةٌ
عَجِيبَةٌ لِصُعُوبَتِهَا وَلَهَا قَلْعَةٌ حَصِينَةٌ. وَأَمَّا بَانِيَاسُ فَهِيَ مَدِينَةٌ لَطِيفَةٌ
يُزْرَعُ بِهَا ٱلْأَرُزُّ يُجْلَبُ مِنْهَا إِلَى دِمَشْقَ وَغَيْرِهَا. وَلَهَا إِقْلِيمٌ بَعْضُهُ

يُعرَفُ بِالْحُولَةِ. تَشْتَمِلُ عَلَى مِائَتَيْ قَرْيَةٍ وَهِيَ أَيْضًا مِنْ مُعَامَلاتِ دِمَشْقَ. وَأَمَّا حَوْرَانُ فَقِيلَ إِنَّ بِهِ عِدَّةَ أَقَالِيمَ وَالْمُسْتَفِيضُ بَيْنَ النَّاسِ أَنَّهُ يَنِيفُ عَنْ أَلْفِ قَرْيَةٍ. بِهَا مَدِينَةُ اللَّجَاةِ وَمُدُنٌ صِغَارٌ مُتَفَرِّقَةٌ. وَهِيَ أَيْضًا مِنْ مُعَامَلَةِ دِمَشْقَ. وَأَمَّا إِقْلِيمُ الْغُوطَةِ فَقِيلَ إِنَّهُ يَنِيفُ عَنْ ثَلاثِمائَةِ قَرْيَةٍ وَبِهِ مُدُنٌ صِغَارٌ وَبُلْدَانٌ تُشَابِهُ الْمُدُنَ. وَهِيَ أَيْضًا مِنْ مُعَامَلَةِ دِمَشْقَ. وَأَمَّا إِقْلِيمُ نَجْرَانَ فَهُوَ عَجِيبٌ لِكَثْرَةِ أَوْعَارِهِ. وَبِهِ عِدَّةُ بُلْدَانٍ قِيلَ إِنَّهَا تَنِيفُ عَنْ مِائَةٍ وَسِتِّينَ قَرْيَةً. وَهِيَ أَيْضًا مِنْ مُعَامَلَةِ دِمَشْقَ. وَأَمَّا الزَّبْدَانِي فَهُوَ مُقَارِبٌ مَدِينَةً. وَلَهُ إِقْلِيمٌ نَيِّفٌ وَخَمْسُونَ قَرْيَةً وَبِهِ أَنْهُرٌ كَثِيرَةٌ وَهُوَ أَيْضًا مِنْ مُعَامَلَةِ دِمَشْقَ. وَأَمَّا السُّوَيْدِيَّةُ فَأَصْلُهَا مَدِينَةٌ كَبِيرَةٌ وَهِيَ الْآنَ غَالِبُهَا خَرَابٌ. وَلَهَا إِقْلِيمٌ يَشْتَمِلُ عَلَى مَا يُنِيفُ عَنْ مِائَتَيْ قَرْيَةٍ وَهِيَ أَيْضًا مِنْ مُعَامَلَةِ دِمَشْقَ. وَأَمَّا مَدِينَةُ بَعْلَبَكَّ فَإِنَّهَا مَدِينَةٌ حَسَنَةٌ لَهَا قَلْعَةٌ حَصِينَةٌ بِهَا عُمُدٌ قِيلَ إِنَّ سُلَيْمَانَ أَمَرَ بِعِمَارَتِهَا. وَبِبَعْلَبَكَّ جَوَامِعُ وَمَدَارِسُ وَأَمَاكِنُ مُبَارَكَةٌ وَأَسْوَاقٌ وَحَمَّامَاتٌ وَبَسَاتِينُ وَأَنْهُرٌ مَا يَطُولُ شَرْحُهُ. وَلَهَا إِقْلِيمٌ حَسَنٌ يَشْتَمِلُ عَلَى ثَلاثِمائَةٍ وَسِتِّينَ قَرْيَةً. وَهِيَ أَيْضًا مِنْ مُعَامَلَةِ دِمَشْقَ. وَأَمَّا حِمْصُ فَإِنَّهَا مَدِينَةٌ حَسَنَةٌ وَهِيَ تَشْتَمِلُ عَلَى سُورٍ وَقَلْعَةٍ. وَقِيلَ إِنَّهَا مَدِينَةٌ فَوْقَ مَدِينَةٍ. وَهِيَ عَجِيبَةٌ مِنَ الْعَجَائِبِ. وَبِهَا قَبْرُ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ. وَبِهَا جَوَامِعُ وَمَدَارِسُ وَأَسْوَاقٌ وَحَمَّامَاتٌ. وَأَمَّا مَدِينَةُ صَيْدَا فَهِيَ مِينَاءُ دِمَشْقَ وَهِيَ مَدِينَةٌ لَطِيفَةٌ عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ الْمُحِيطِ تَرِدُ

إِلَيهَا ٱلْمَرَاكِبُ . وَلَهَا إِقْلِيمٌ بِهِ مَا يُنِيفُ عَنْ مِائَتَيْ قَرْيَةٍ . وَهِيَ أَيْضًا مِنْ مُعَامَلَةِ دِمَشْقَ . وَأَمَّا مَدِينَةُ بَيْرُوتَ فَهِيَ مِينَاءٌ أَيْضًا وَلَهَا إِقْلِيمٌ بِهِ عِدَّةُ قُرًى . وَهِيَ أَيْضًا مِنْ مُعَامَلَةِ دِمَشْقَ

وَأَمَّا ٱلْمَمْلَكَةُ ٱلطَّرَابُلُسِيَّةُ فَإِنَّهَا مَمْلَكَةٌ جَيِّدَةٌ أَعْظَمُ مُدُنِهَا طَرَابُلُسُ وَهِيَ حَسَنَةٌ بِهَا جَوَامِعُ وَمَدَارِسُ وَعَمَائِرُ وَهِيَ عَلَى شَاطِئِ ٱلْبَحْرِ ٱلْمُحِيطِ . وَأَمَّا ٱللَّاذِقِيَّةُ فَإِنَّهَا مَدِينَةٌ مُتَّسِعَةٌ وَغَالِبُهَا خَرَابٌ . وَهِيَ قَرِيبَةٌ مِنَ ٱلْبَحْرِ ٱلْمُحِيطِ وَلَهَا مُعَامَلَةٌ بِهَا قُرًى كَثِيرَةٌ . وَهِيَ أَيْضًا مِنْ مُعَامَلَةِ طَرَابُلُسَ

وَأَمَّا ٱلْمَمْلَكَةُ ٱلْحَمَوِيَّةُ فَإِنَّهَا مَمْلَكَةٌ مُتَّسِعَةٌ تَشْتَمِلُ عَلَى مُدُنٍ وَقِلَاعٍ وَأَقَالِيمَ وَقُرًى وَأَعْظَمُ مُدُنِهَا حَمَاةُ . وَهِيَ مَدِينَةٌ حَسَنَةٌ إِلَى ٱلْغَايَةِ تَشْتَمِلُ عَلَى سُورٍ مُحْكَمٍ وَأَبْرَاجٍ عَدِيدَةٍ . وَلَهَا قَلْعَةٌ أَخْرَبَهَا تِيمُورَلَنْكُ وَبِهَا نَهْرُ ٱلْعَاصِي مُحِيطٌ وَبِهِ نَوَاعِيرُ كَثِيرَةٌ . وَبِهَا مُنْتَزَهَاتٌ كَثِيرَةٌ وَبِهَا جَوَامِعُ وَمَدَارِسُ وَمَسَاجِدُ وَأَمَاكِنُ وَمَزَارَاتٌ مِمَّا يَطُولُ شَرْحُهُ

وَأَمَّا ٱلْمَمْلَكَةُ ٱلْحَلَبِيَّةُ فَإِنَّهَا مَمْلَكَةٌ مُتَّسِعَةٌ إِلَى ٱلْغَايَةِ تَشْتَمِلُ عَلَى مُدُنٍ وَقِلَاعٍ وَمُعَامَلَاتٍ وَقُرًى عَدِيدَةٍ . وَأَعْظَمُ مُدُنِهَا حَلَبُ . وَهِيَ عَذِيَةٌ تَشْتَمِلُ عَلَى سُورٍ مُحْكَمٍ وَقَلْعَةٍ مُحْكَمَةٍ . وَبِهَا جَوَامِعُ وَمَدَارِسُ وَمَسَاجِدُ وَمَزَارَاتٌ وَعَمَائِرُ حَسَنَةٌ وَأَسْوَاقٌ وَحَمَّامَاتٌ يَطُولُ وَصْفُهَا وَهِيَ بَابُ ٱلْمُلْكِ . وَأَمَّا مَدِينَةُ أَنْطَاكِيَةَ فَمُتَّسِعَةٌ جِدًّا بِهَا قَبْرُ حَبِيبٍ ٱلنَّجَّارِ . وَلَهَا إِقْلِيمٌ بِهِ عِدَّةُ قُرًى . وَهِيَ مِنْ مُعَامَلَةِ حَلَبَ . وَمِنْ تَوَابِعِ حَلَبَ أَيْضًا مَدِينَةُ جَعْبَرَ وَمَدِينَةُ ٱلرَّحْبَةِ وَسَنْجَرَ

وسرمين وإقليم الباب وإقليم كلس وعزاز وسيس بالقرب من البحر المحيط والرمضانية ومدينة قلعة المسلمين وهي لطيفة بها قلعة حصينة إلى الغاية. وهي على شط الفرات. وأما مدينة عين تاب فهي مدينة حسنة. قال فيها أبو الفداء: عين تاب قاعدة ناحيتها. ولها أسواق جليلة وهي مقصودة للتجار والمسافرين. وهي عن حلب في جهة الشمال على ثلاث مراحل وبالقرب من عين تاب دلوك وهو حصن خراب له ذكر في فتوح صلاح الدين ونور الدين. وأما مدينة البيرة فهي مدينة حسنة. ولها قلعة محكمة لطيفة وهي أيضا على شط الفرات. وهنالك جسر موضوع على مراكب تجوز به الركبان على نهر الفرات. ولها قرى عديدة وهي أيضا من توابع حلب. وأما مدينة الرها فهي مدينة كبيرة تشتمل على سور وغالبها الآن خراب وبها قلعة حصينة وأهلها من ديار بكر. وبها عدة قرى وهي الآن خراب

وأما مملكة ملطية فإنها مدينة حسنة كثيرة المياه والفواكه في أرض مستوية. تشتمل على سور محكم وسبع قلاع وتشتمل على سبعة أقاليم وعلى قرى كثيرة وأهلها من الروم. كانت تحت السلطان علاء الدين حتى فتحها الناصر محمد بن قلاوون وجعلها مملكة بمفردها. وكثير من الناس يظن أنها من المملكة الحلبية. ولو أردنا وصف جميع ما يتعلق بملك الشام من المدن لطال المقال وحصل الملال.

آثار أوروبا

٤٢٧ (إِفْرَنْجَةُ) . أَرْضٌ وَاسِعَةٌ فِي آخِرِ غَرْبِيِّ الْإِقْلِيمِ السَّادِسِ . ذَكَرَ الْمَسْعُودِيُّ أَنَّ بِهَا نَحْوَ مِائَةٍ وَخَمْسِينَ مَدِينَةً قَاعِدَتُهَا بَرِيزَةُ وَأَنَّ طُولَهَا مَسِيرَةُ شَهْرٍ وَعَرْضَهَا أَكْثَرُ . وَأَنَّ أَهْلَهَا الْإِفْرَنْجُ وَهُمْ نَصَارَى أَهْلُ حَرْبٍ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ . وَلَهُمْ صَبْرٌ وَشِدَّةٌ فِي حُرُوبِهِمْ لَا يَرَوْنَ الْفِرَارَ أَصْلًا لِأَنَّ الْقَتْلَ عِنْدَهُمْ أَسْهَلُ مِنَ الْهَزِيمَةِ . وَمَعَاشُهُمْ عَلَى التِّجَارَاتِ وَالصِّنَاعَاتِ (للقزويني)

٤٢٨ (بِرِطَانِيَةُ) . أَوَّلُ مَا يَلْقَاكَ إِذَا ابْتَدَأْتَ مِنَ الْغَرْبِ مِنَ الْعَمَائِرِ الَّتِي خَلْفَ الْإِقْلِيمِ السَّابِعِ إِلَى جِهَةِ الشَّمَالِ جَزِيرَةُ بِرِطَانِيَةَ . وَهِيَ فِي الْبَحْرِ الْمُحِيطِ . وَيُقَالُ لِلْبَحْرِ الْخَارِجِ مِنَ الْبَحْرِ الْمُحِيطِ بَحْرُ بِرِطَانِيَةَ وَبَحْرُ بَرْدِيلَ . وَهُوَ مُحْدِقٌ بِهٰذِهِ الْجَزِيرَةِ مِنْ سَائِرِ جِهَاتِهَا . وَيَبْقَى لَهَا مَدْخَلٌ إِلَى الْأَنْدَلُسِ مِنَ الْجِهَةِ الشَّرْقِيَّةِ الْجَنُوبِيَّةِ . وَمَسَافَةُ هٰذِهِ الْجَزِيرَةِ فِي الطُّولِ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ يَوْمًا مِنَ الْجَانِبِ الْجَنُوبِيِّ . وَاتِّسَاعُهَا نَحْوُ أَحَدَ عَشَرَ يَوْمًا فِي الْوَسَطِ . وَلَهَا مَلِكٌ مُنْفَرِدٌ (لابن سعيد)

٤٢٩ (بَلَنْسِيَةُ) . عَلَى بُحَيْرَةٍ يَصُبُّ فِيهَا نَهْرٌ يَمُرُّ عَلَى شِمَالِيِّ بَلَنْسِيَةَ وَهِيَ مِنْ شَرْقِ الْأَنْدَلُسِ . وَبَلَنْسِيَةُ فِي أَحْسَنِ مَكَانٍ وَقَدْ حُفَّتْ بِالْأَنْهَارِ الْجِنَانُ فَلَا تَرَى إِلَّا مِيَاهًا تَتَفَرَّعُ وَلَا تَسْمَعُ إِلَّا أَطْيَارًا تَسْجَعُ . وَلَهَا بُحَيْرَةٌ حَسَنَةٌ وَهِيَ عَلَى الْقُرْبِ مِنْ بَحْرِ الزُّقَاقِ . وَحَيْثُ خَرَجْتَ مِنْهَا لَا تَلْقَى إِلَّا الْمَنَازِهَ . وَهِيَ شَرْقِيُّ مُرْسِيَةَ وَغَرْبِيُّ طَرْطُوشَةَ . وَمِنْ

مَشَاهِيرِ مَنَازِهِهَا ٱلرُّصَافَةُ وَمُنْيَةُ ٱبْنِ عَامِرٍ. وَمِنْ أَعْمَالِهَا مَدِينَةُ شَاطِبَةَ وَهِيَ حَصِينَةٌ. قَالَ ٱبْنُ سَعِيدٍ: وَيُقَالُ إِنَّ ضَوْءَ مَدِينَةِ بَلَنْسِيَةَ يَزِيدُ عَلَى ضَوْءِ بِلَادِ ٱلْأَنْدَلُسِ. وَجَوُّهَا صَقِيلٌ أَبَدًا لَا يُرَى فِيهِ مَا يُكَدِّرُهُ أَبَدًا (لأبي الفداء)

٤٣٠ (جَنَوَةُ). وَهِيَ عَلَى غَرْبِيِّ خَوْرٍ عَظِيمٍ مِنَ ٱلْبَحْرِ أَعْنِي بَحْرَ ٱلرُّومِ. وَٱلْبَحْرُ فِيمَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ ٱلْأَنْدَلُسِ يَدْخُلُ فِي ٱلشَّمَالِ. وَبِٱلْقُرْبِ مِنْ جَنَوَةَ جَبَلُ ٱلْأَنْبَرْدِيَةِ. وَبِلَادُ جَنَوَةَ غَرْبِيَّ بِلَادِ ٱلْبِيَازِيَةِ. قَالَ ٱلشَّرِيفُ ٱلْإِدْرِيسِيُّ: وَجَنَوَةُ لَهَا جَنَّاتٌ وَأَوْدِيَةٌ وَبِهَا مَرْسًى جَيِّدٌ مَأْمُونٌ وَمَدْخَلُهُ مِنَ ٱلْغَرْبِ. وَعَنْ بَعْضِ أَهْلِهَا أَنَّ جَنَوَةَ فِي ذَيْلِ جَبَلٍ عَظِيمٍ وَهِيَ عَلَى حَافَةِ ٱلْبَحْرِ وَلَهَا مِينَاءٌ عَلَيْهِ سُورٌ. وَهِيَ مَدِينَةٌ كَبِيرَةٌ إِلَى ٱلْغَايَةِ. وَلَهَا بَسَاتِينُ فِيهَا أَنْوَاعُ ٱلْفَوَاكِهِ. وَدُورُ أَهْلِهَا عَظِيمَةٌ كُلُّ دَارٍ بِمَنْزِلَةِ قَلْعَةٍ. وَلِذٰلِكَ ٱغْتَنَوْا عَنْ عَمَلِ سُورٍ عَلَى جَنَوَةَ. وَلَهَا عُيُونُ مَاءٍ مِنْهَا شُرْبُهُمْ وَشُرْبُ بَسَاتِينِهِمْ (لابن سعيد)

٤٣١ (جَيَّانُ). فِي ٱلْأَنْدَلُسِ فِي نِهَايَةٍ مِنَ ٱلْمَنَعَةِ وَٱلْحَصَانَةِ. وَهِيَ عَنْ قُرْطُبَةَ فِي ٱلشَّرْقِ وَبَيْنَهُمَا خَمْسَةُ أَيَّامٍ وَبِلَادُ جَيَّانَ جَمَعَتْ كَثْرَةَ ٱلْعُيُونِ وَٱلثِّمَارِ مَعَ طِيبَةِ ٱلْأَرْضِ وَبِهَا ٱلْحَرِيرُ ٱلْكَثِيرُ. وَجَيَّانُ مِنْ أَعْظَمِ مُدُنِ ٱلْأَنْدَلُسِ وَأَكْثَرِهَا خِصْبًا وَحَصَانَةً. وَلَمْ يَقْدِرِ ٱلنَّصَارَى عَلَيْهَا إِلَّا بَعْدَ حِصَارٍ طَوِيلٍ. فَسَلَّمَهَا إِلَيْهِمِ ٱبْنُ ٱلْأَحْمَرِ صَاحِبُ غَرْنَاطَةَ. وَكَانَ مِنْ أَعْمَالِ جَيَّانَ مَدِينَةُ قَيْجَاطَةَ. وَهِيَ مَدِينَةٌ نَزِهَةٌ

كَثِيرَةُ ٱلْخِصْبِ اخذهَا ٱلنَّصَارَى بِٱلسَّيْفِ (لابي الفداء)

٤٣٢ (رُومَةُ). هِيَ عَلَى جَانِبَيْ نَهْرِ ٱلصَّفْرِ (اي التيبر) وَهِيَ مَدِينَةٌ مَشْهُورَةٌ وَمَقَرُّ خَلِيفَةِ ٱلنَّصَارَى ٱلْمُسَمَّى بِٱلْبَابَا وَهِيَ عَلَى جَنُوبِيِّ خَوْرِ ٱلْبَنَادِقَةِ. وَبِلَادُ رُومَةَ غَرْبِيَّ قَلْفَرِيَةَ. دَوْرُ سُورِهَا أَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ مِيلًا وَهُوَ مَبْنِيٌّ بِٱلْآجُرِّ وَلَهَا وَادٍ يَشُقُّ وَسَطَ ٱلْمَدِينَةِ وَعَلَيْهِ قَنَاطِرُ يُجَازُ عَلَيْهَا مِنَ ٱلْجِهَةِ ٱلشَّرْقِيَّةِ إِلَى ٱلْغَرْبِيَّةِ. وَٱمْتِدَادُ كَنِيسَةِ رُومَةَ سِتُّمِائَةِ ذِرَاعٍ فِي مِثْلِهِ وَهِيَ مُسَقَّفَةٌ بِٱلرَّصَاصِ وَمَفْرُوشَةٌ بِٱلرُّخَامِ وَفِيهَا أَعْمِدَةٌ كَثِيرَةٌ عَظِيمَةٌ وَعَلَى يَمِينِ ٱلدَّاخِلِ مِنْ آخِرِ أَبْوَابِهَا حَوْضُ رُخَامٍ عَظِيمٌ لِلْمَعْمُودِيَّةِ وَفِيهِ مَاءٌ جَارٍ أَبَدًا. وَفِي صَدْرِ ٱلْكَنِيسَةِ كُرْسِيٌّ مِنْ ذَهَبٍ يَجْلِسُ عَلَيْهِ ٱلْبَابَا. وَتَحْتَهُ بَابٌ مُصَفَّحٌ بِٱلْفِضَّةِ يُدْخَلُ مِنْهُ إِلَى أَرْبَعَةِ أَبْوَابٍ وَاحِدٍ بَعْدَ آخَرَ يُفْضِي إِلَى سِرْدَابٍ فِيهِ مَدْفُونٌ بُطْرُسُ حَوَارِيُّ عِيسَى. وَلِهٰذِهِ ٱلْمَدِينَةِ كَنِيسَةٌ أُخْرَى مَدْفُونٌ فِيهَا بُولُسُ. وَبِحِذَاءِ قَبْرِ بُطْرُسَ حَوْضُ رُخَامٍ مَنْقُوشٌ عَظِيمٌ فِيهِ فَرْشُ ٱلْكَنِيسَةِ وَسُتُورُهَا ٱلَّتِي تُزَيَّنُ بِهَا فِي أَعْيَادِهِمْ (للادريسي)

٤٣٣ (صِقِلِّيَةُ). جَزِيرَةٌ بَيْنَ جَزِيرَةِ جَرْبَةَ وَتُونِسَ. وَمِنْ مُدُنِهَا مَدِينَةُ مَسِينَةَ. وَمَسِينَةُ فِي ٱلزَّاوِيَةِ ٱلشَّمَالِيَّةِ مِنْ جَزِيرَةِ صِقِلِّيَةَ. وَهِيَ مَدِينَةٌ مَشْهُورَةٌ بِكَثْرَةِ ٱلْعِنَبِ وَٱلْخَمْرِ. وَهِيَ فِي جَانِبِ ٱلْجَزِيرَةِ ٱلْمُقَابِلِ لِقَلْفَرِيَةَ. وَجَزِيرَةُ صِقِلِّيَةَ كَثِيرَةُ ٱلزَّلَازِلِ بِحَيْثُ يَكْثُرُ تَهَدُّمُ أَبْنِيَتِهَا مِنْهَا. وَبِٱلْجَزِيرَةِ أَكْثَرُ مِنْ مِائَةِ حِصْنٍ. وَدَوْرُ جَزِيرَةِ صِقِلِّيَةَ

سَبعَةَ عَشَرَ يَومًا وَطولهَا عَلَى الاِسْتِقَامَةِ خَمْسَةُ أَيَّامٍ . وَأَكْبَرُ مُدُنِهَا وَقَاعِدَتُهَا مَدِينَةُ بَلَرْم . وَلَهَا مُدُنٌ كَثِيرَةٌ لَكِنْ أَشْهَرُهَا هَاتَانِ الْمَدِينَتَانِ أَعْنِي بَلَرْمَ وَمَسِّينَةَ . وَكَانَتْ لِلْمُسْلِمِينَ فَخَرَجَتْ عَنْهُمْ وَهِيَ الْيَومَ لِلنَّصَارَى . قَالَ الشَّرِيفُ الإِدْرِيسِيُّ : وَدَوْرُ صِقِلِّيَةَ خَمْسُ مِائَةِ مِيلٍ . (لابي الفداء)

٤٣٤ (طَلَّوْزَةُ) . فِي شَرْقِيِّ بَرْدَالَ مَدِينَةُ طَلَّوْزَةُ مِنْ أَعْمَالِ إِفْرَنْجَةَ . يُقَالُ إِنَّ لِصَاحِبِهَا الْفَرَنْجِيِّ فِي الْجِبَالِ الَّتِي فِي شَمَالِهِ وَشَرْقِهِ نَيِّفًا عَلَى أَلْفِ حِصْنٍ . وَهُوَ قَرِيبٌ مِنْ صَاحِبِ فَرَنْسَةَ . وَالنَّهْرُ فِي جَنُوبِيِّهَا تَصْعَدُ مِنْهُ مَرَاكِبُ الْبَحْرِ الْمُحِيطِ إِلَيْهَا بِالْقَصْدِيرِ وَالنُّحَاسِ اللَّذَيْنِ يُجْلَبَانِ مِنْ جَزِيرَةِ أَنْكِلْطِرَّةَ وَجَزِيرَةِ إِرْلَنْدَةَ . وَتُحْمَلُ عَلَى الظَّهْرِ إِلَى نَرْبُونَةَ . وَمِنْهَا تُحْمَلُ فِي مَرَاكِبِ الْفَرَنْجِ إِلَى الإِسْكَنْدَرِيَّةِ . (لابن سعيد)

٤٣٥ (طُلَيْطِلَةُ) . قَاعِدَةُ الأَنْدَلُسِ . وَهِيَ فِي شَرْقِيِّ مَدِينَةِ وَلِيدَ عَلَى جَبَلٍ عَالٍ . وَهِيَ مِنْ أَمْنَعِ الْبِلَادِ وَأَحْصَنِهَا . وَلَهَا نَهْرٌ يَمُرُّ بِأَكْثَرِهَا وَهِيَ مَدِينَةٌ أَوَّلِيَّةٌ وَمَعْنَى اسْمِهَا أَنْتَ فَارِحٌ . وَمِنْهَا إِلَى نِهَايَةِ الأَنْدَلُسِ الشَّرْقِيَّةِ عِنْدَ الْحَاجِزِ نَحْوُ نِصْفِ شَهْرٍ . وَكَذَلِكَ إِلَى الْبَحْرِ الْمُحِيطِ بِجِهَةِ شِلْبَ . وَهُوَ نِهَايَةُ الأَنْدَلُسِ الْغَرْبِيَّةِ وَتُحْدِقُ الأَشْجَارُ بِطُلَيْطِلَةَ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ وَيَصِيرُ بِهَا الْجُلَّنَارُ فِي قَدْرِ الرُّمَّانَةِ مِنْ غَيْرِهَا . وَيَكُونُ بِهَا الشَّجَرَةُ فِيهَا أَنْوَاعٌ مِنَ الثَّمَرِ . وَنَهْرُ طُلَيْطِلَةَ يَنْحَدِرُ إِلَيْهَا مِنْ عِنْدِ

حِصْنٍ هُنَاكَ يُقَالُ لَهُ بَاجَةُ. وَيُعْرَفُ نَهْرُ طُلَيْطِلَةَ بِهِ فَيُقَالُ نَهْرُ بَاجَةَ

٤٣٦ (قُسْطَنْطِينِيَّةُ). قَالَ فِي الْعَزِيزِيِّ: وَارْتِفَاعُ سُورِ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ أَحَدٌ وَعِشْرُونَ ذِرَاعًا. وَلَهَا أَرْبَعَ عَشْرَةَ مُعَامَلَةً. وَحَكَى لِي بَعْضُ مَنْ سَافَرَ إِلَيْهَا قَالَ: سُورُهَا كَبِيرٌ وَكَنِيسَتُهَا مُسْتَطِيلَةٌ وَدَارُ الْمَلِكِ تُسَمَّى بَلَاطَ الْمَلِكِ وَلَيْسَتْ قَرِيبَةً مِنَ الْكَنِيسَةِ وَدَاخِلَ سُورِهَا مُزْدَرَعٌ وَبَسَاتِينُ. وَبِالْمَدِينَةِ خَرَابٌ كَثِيرٌ وَأَكْثَرُ عِمَارَتِهَا بِالْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ الشَّمَالِيِّ. وَإِلَى جَانِبِ الْكَنِيسَةِ عَمُودٌ عَالٍ دَوْرُهُ أَكْثَرُ مِنْ ثَلَاثِ بَاعَاتٍ وَعَلَى رَأْسِهِ فَارِسٌ وَفَرَسٌ مِنْ نُحَاسٍ وَفِي إِحْدَى يَدَيِ الْفَارِسِ كُرَةٌ وَقَدْ فَتَحَ أَصَابِعَ يَدِهِ الْأُخْرَى وَهُوَ يُشِيرُ بِهَا. قِيلَ إِنَّ ذَلِكَ صُورَةُ قُسْطَنْطِينَ بَانِي هَذِهِ الْمَدِينَةِ. قَالَ ابْنُ سَعِيدٍ: وَقُسْطَنْطِينِيَّةُ بَنَاهَا قُسْطَنْطِينُ رَافِعُ دِينِ النَّصْرَانِيَّةِ. وَبَيْنَ قُسْطَنْطِينِيَّةَ وَسِنُوبَ نَحْوُ سِتَّةِ أَيَّامٍ فِي الْبَرِّ

٤٣٧ (لَارِدَةُ). مِنْ أَعْمَالِ الْأَنْدَلُسِ عَلَى شَرْقِيِّ نَهْرٍ يَصُبُّ فِي نَهْرِ سَرَقُسْطَةَ. وَفِي شَرْقِيِّ لَارِدَةَ جَبَلُ الْبُرْتِ الْفَاصِلُ بَيْنَ الْأَنْدَلُسِ وَالْأَرْضِ الْكَبِيرَةِ. وَهِيَ مَدِينَةٌ أَوَّلِيَّةٌ وَكَانَتْ مِنْ قَوَاعِدِ شَرْقِ الْأَنْدَلُسِ. وَلَهَا مَاءٌ مَجْلُوبٌ فِي قُنِيٍّ قَدْ أَعْجَزَتْ صَنْعَتُهُ جَمِيعَ الْعَالَمِ. قَالَ ابْنُ سَعِيدٍ: وَمَدِينَةُ لَارِدَةَ مِنَ الْمُدُنِ الْجَلِيلَةِ بِالْجِهَةِ الْمَشْهُورَةِ بِالثَّغْرِ مِنْ شَرْقِ الْأَنْدَلُسِ

٤٣٨ (مُرْسِيَةُ). مَدِينَةٌ مُحْدَثَةٌ إِسْلَامِيَّةٌ بُنِيَتْ فِي أَيَّامِ الْأُمَوِيِّينَ

ٱلأَندَلُسيِّينَ. وَمُرْسِيَةُ فِي شَرْقِ ٱلأَندَلُسِ تُشْبِهُ إِشْبِيلِيَةَ ٱلَّتِي فِي غَرْبِ ٱلأَندَلُسِ بِكَثْرَةِ ٱلْمَنَازِهِ وَٱلْبَسَاتِينِ. وَهِيَ عَلَى ٱلذِّرَاعِ ٱلشَّرْقِيِّ ٱلْخَارِجِ مِنْ عَيْنِ نَهْرِ إِشْبِيلِيَةَ. وَمُرْسِيَةُ مِنْ قَوَاعِدِ شَرْقِ ٱلأَندَلُسِ وَلَهَا عِدَّةُ مُتَنَزَّهَاتٍ مِنْهَا ٱلرَّشَاقَةُ وَجَبَلُ إِيلٍ وَهُوَ جَبَلٌ تَحْتَهُ ٱلْبَسَاتِينُ وَبَسِيطٌ تَسْرَحُ فِيهِ ٱلْعُيُونُ (لابي الفداء)

آثار افريقية

٤٣٩ (أَجْدَابِيَةُ). مَدِينَةٌ فِي ٱلْمَغْرِبِ وَهِيَ مَدِينَةٌ كَبِيرَةٌ فِي صَحْرَاءَ. أَرْضُهَا صَفًا وَآبَارُهَا مَنْقُورَةٌ فِي ٱلصَّفَا طَيِّبَةُ ٱلْمَاءِ وَبِهَا عَيْنُ مَاءٍ عَذْبَةٌ. وَلَهَا بَسَاتِينُ لِطَافٌ وَنَخْلٌ يَسِيرٌ وَلَيْسَ بِهَا مِنَ ٱلأَشْجَارِ إِلَّا ٱلأَرَاكُ. وَبِهَا جَامِعٌ حَسَنُ ٱلْبِنَاءِ بَنَاهُ أَبُو ٱلْقَاسِمِ بْنُ عُبَيْدِ ٱللهِ لَهُ صَوْمَعَةٌ مُثَمَّنَةٌ بَدِيعَةُ ٱلْعَمَلِ وَحَمَّامَاتٌ وَفَنَادِقُ كَثِيرَةٌ وَأَسْوَاقٌ حَافِلَةٌ مَقْصُودَةٌ. وَأَهْلُهَا ذَوُو يَسَارٍ أَكْثَرُهُمْ أَقْبَاطٌ. وَلَهَا مَرْسًى عَلَى ٱلْبَحْرِ يُعْرَفُ بِٱلْمَاحُورِ لَهَا ثَلَاثَةُ قُصُورٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا ثَمَانِيَةَ عَشَرَ مِيلًا. وَلَيْسَ لِمَبَانِي مَدِينَةِ أَجْدَابِيَةَ سُقُوفُ خَشَبٍ. إِنَّمَا هِيَ أَقْبَاءُ طُوبٍ لِكَثْرَةِ رِيَاحِهَا وَدَوَامِ هُبُوبِهَا. وَهِيَ رَاخِيَةُ ٱلأَسْعَارِ كَثِيرَةُ ٱلتَّمْرِ يَأْتِيهَا مِنْ مَدِينَةِ أَوْجَلَةَ أَصْنَافُ ٱلتَّمْرِ (للبكري)

٤٤٠ (أَغْمَاتُ). فِي مَكَانٍ أَفْيَحَ طَيِّبِ ٱلتُّرَابِ كَثِيرِ ٱلنَّبَاتِ وَٱلأَعْشَابِ. وَٱلْمِيَاهُ تَخْتَرِقُهُ يَمِينًا وَشِمَالًا وَحَوْلَهَا جَنَّاتٌ مُحْدِقَةٌ

وَبسَاتِينُ وَأَشْجَارٌ مُلْتَفَّةٌ . وَهِيَ طَيِّبَةُ ٱلْمُقَامِ صَحِيحَةُ ٱلْهَوَاءِ . وَبِهَا نَهْرٌ لَيسَ بِٱلْكَبِيرِ يَشُقُّ ٱلْمَدِينَةَ وَيَأْتِيهَا مِنْ جَنُوبِيِّهَا وَيَخْرُجُ مِنْ شِمَالِيِّهَا وَرُبَّمَا جَمَدَ بِهَا ٱلنَّهْرُ فِي ٱلشِّتَاءِ حَتَّى يَجْتَازَ ٱلْأَطْفَالُ عَلَيْهِ . قَالَ : وَهٰذَا شَيْءٌ عَايَنَّاهُ بِهَا غَيْرَ مَرَّةٍ . وَتُسَمَّى هٰذِهِ أَغْمَاتُ وَرِيكَةَ . قَالَ ٱبْنُ سَعِيدٍ : وَمَدِينَةُ أَغْمَاتَ فِي شِمَالِيِّ جَبَلِ دَرَنٍ وَهِيَ كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبِلَادِ قَبْلَ بُنْيَانِ مَرَّاكِشَ . وَهِيَ ذَاتُ مِيَاهٍ وَفَوَاكِهَ كَثِيرَةٍ . وَهِيَ فِي ٱلْجَنُوبِ بِمَيْلَةٍ إِلَى ٱلشَّرْقِ عَنْ مَرَّاكِشَ . وَهِيَ مِنْ أَقْصَى ٱلْمَغْرِبِ . قَالَ ٱبْنُ سَعِيدٍ أَيْضًا : كَانَتْ كُرْسِيَّ مُلْكِ أَمِيرِ ٱلْمُسْلِمِينَ يُوسُفَ بْنِ تَاشُفِينَ قَبْلَ أَنْ يَخْتَطَّ مَدِينَةَ مَرَّاكِشَ وَيَبْنِيَهَا وَهِيَ مَدِينَةٌ قَدِيمَةٌ

(للادريسي)

٤٤١ (أَلْإِسْكَنْدَرِيَّةُ) . عَلَى شَطِّ بَحْرِ ٱلرُّومِ وَبِهَا ٱلْمَنَارَةُ ٱلْمَشْهُورَةُ . وَبِهَا عَمُودُ ٱلسَّوَارِي وَطُولُهُ نَحْوُ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِينَ ذِرَاعًا . وَٱلْمَنَارَةُ فِي وَسَطِ ٱلْمَاءِ وَٱلْبَحْرُ مُحِيطٌ بِهَا وَهِيَ مِنْ بِنَاءِ ٱلْإِسْكَنْدَرِ وَلِذٰلِكَ نُسِبَتْ إِلَيْهِ وَهِيَ مَوْضُوعَةٌ عَلَى رُقْعَةِ ٱلشِّطْرَنْجِ . وَهِيَ مِنْ أَجَلِّ ٱلْمُدُنِ وَأَزِقَّتُهَا كَٱلصُّلْبَانِ لَا يَضِيعُ فِيهَا ٱلْغَرِيبُ . وَلَهَا جَزِيرَةٌ فِيهَا بَسَاتِينُ وَمَنَازِهُ . وَٱلْحِنْطَةُ تُجْلَبُ إِلَى ٱلْإِسْكَنْدَرِيَّةِ وَلِذٰلِكَ لَا تَكُونُ مُرْخَصَةً لِأَنَّ أَرْضَهَا سَبَخَةٌ . وَلَهَا سُورٌ مِنَ ٱلْحَجَرِ . وَلَهَا أَرْبَعَةُ أَبْوَابٍ . بَابُ رَشِيدٍ وَبَابُ سِدْرَةَ وَبَابُ ٱلْبَحْرِ وَبَابٌ رَابِعٌ لَا يُفْتَحُ إِلَّا يَوْمَ ٱلْجُمُعَةِ

(لابي الفداء)

٤٤٢ (بُونَةُ). فِي سَاحِلِ أَفْرِيقِيَّةَ عَلَى آخِرِ سَلْطَنَةِ بِجَايَةَ وَأَوَّلِ سَلْطَنَةِ أَفْرِيقِيَّةَ. وَلَهَا نَهْرٌ مُتَوَسِّطٌ يَصُبُّ فِي ٱلْبَحْرِ مِنْ جِهَةِ ٱلْغَرْبِ عَنْهَا. قَالَ فِي ٱلْعَزِيزِيِّ: وَمَدِينَةُ بُونَةَ هٰذِهِ مَدِينَةٌ جَلِيلَةٌ عَامِرَةٌ عَلَى ٱلْبَحْرِ خِصْبَةُ ٱلزَّرْعِ كَثِيرَةُ ٱلْفَوَاكِهِ رَخِيَّةٌ. وَبِظَاهِرِهَا مَعَادِنُ ٱلْحَدِيدِ وَيُزْرَعُ بِهَا كَتَّانٌ كَثِيرٌ. وَحَدَثَ بِهَا عَنْ قَرِيبٍ مَغَاصٌ عَلَى ٱلْمَرْجَانِ لَيْسَ كَمَرْجَانِ مَرْسَى ٱلْخَرَزِ. قَالَ ٱلْإِدْرِيسِيُّ: وَبُونَةُ وُسْطَةٌ لَيْسَتْ بِٱلْكَبِيرَةِ وَلَا بِٱلصَّغِيرَةِ. وَهِيَ عَلَى نَحْرِ ٱلْبَحْرِ. وَكَانَتْ لَهَا أَسْوَاقٌ حَسَنَةٌ وَبَسَاتِينُ قَلِيلَةٌ وَأَكْثَرُ فَوَاكِهِهَا مِنْ بَادِيَتِهَا (لابن سعيد)

٤٤٣ (تَهُوذَا). مِنَ ٱلْمَغْرِبِ ٱلْأَقْصَى مَدِينَةٌ آهِلَةٌ كَثِيرَةُ ٱلثِّمَارِ وَٱلنَّخِيلِ وَٱلزَّرْعِ. وَهِيَ مَدِينَةٌ أَوَّلِيَّةٌ بُنْيَانُهَا بِٱلْحَجَرِ. وَلَهَا أَمْوَالٌ كَثِيرَةٌ وَحَوْلَهَا رَبَضٌ قَدْ خُنْدِقَ عَلَى جَمِيعِهِ وَٱسْتَدَارَ بِٱلْمَدِينَةِ. وَبِهَا جَامِعٌ جَلِيلٌ وَمَسَاجِدُ كَثِيرَةٌ وَأَسْوَاقٌ وَفَنَادِقُ وَنَهْرٌ يَنْصَبُّ فِي جَوْفِهَا مِنْ جَبَلِ أَوْرَاسَ. سُكَّانُهَا ٱلْعَرَبُ وَقَوْمٌ مِنْ قُرَيْشٍ. وَإِنْ كَانَتْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَنْ يُجَاوِرُهُمْ حَرْبٌ أَرْسَلُوا مَاءَ ٱلنَّهْرِ فِي ٱلْخَنْدَقِ ٱلْمُحِيطِ بِمَدِينَتِهِمْ فَشَرِبُوا مِنْهُ وَٱمْتَنَعُوا مِنْ عَدُوِّهِمْ بِهِ. وَفِي ٱلْمَدِينَةِ بِئْرٌ لَا تُنْزَحُ أَوَّلِيَّةٌ وَآبَارٌ كَثِيرَةٌ طَيِّبَةٌ. وَأَعْدَاؤُهُمْ هَوَّارَةُ وَمِكْنَاسَةُ. وَأَهْلُ تَهُوذَا عَلَى مَذَاهِبِ أَهْلِ ٱلْعِرَاقِ. وَحَوْلَهَا بَسَاتِينُ كَثِيرَةٌ مِنْ أَصْنَافِ ٱلثِّمَارِ وَضُرُوبِ ٱلْبَزْرِ يَجُودُ بِهَا ٱلْبُزُورُ وَحَوَالَيْهَا أَزْيَدُ مِنْ عِشْرِينَ قَرْيَةً (للبكري)

٤٤٤ (تُونِسُ). قَاعِدَةُ أَفْرِيقِيَّةَ وَهِيَ عَلَى بُحَيْرَةٍ مَالِحَةٍ خَارِجَةٍ مِنَ الْبَحْرِ. وَبَيْنَ سَاحِلِ الْبُحَيْرَةِ عِنْدَ تُونِسَ وَبَيْنَ فَمِهَا عِنْدَ الْبَحْرِ عَشَرَةُ أَمْيَالٍ. وَهُوَ مَسَافَةُ الْبَحْرِ عَنْ تُونِسَ. وَدَوْرُ هٰذِهِ الْبُحَيْرَةِ نَحْوُ أَرْبَعَةٍ وَعِشْرِينَ مِيلًا. قَالَ فِي الْعَزِيزِيِّ: وَمَدِينَةُ تُونِسَ مَدِينَةٌ جَلِيلَةٌ قَدِيمَةُ الْبِنَاءِ. وَلَهَا مِيَاهٌ ضَعِيفَةٌ جَارِيَةٌ يُزْرَعُ عَلَيْهَا. وَهِيَ كَثِيرَةُ الْغَلَّاتِ خَصْبَةٌ. وَجَبَلُ زَغْوَانَ بِالْقُرْبِ مِنْهَا. وَهُوَ عَنْهَا فِي جِهَةِ الْغَرْبِ بِمَيْلَةٍ إِلَى الْجَنُوبِ عَلَى مَسِيرَةِ يَوْمَيْنِ (لابي الفداء)

٤٤٥ (تِيهَرْتُ). مَدِينَةٌ مُسَوَّرَةٌ مِنَ الْغَرْبِ الْأَوْسَطِ لَهَا ثَلَاثَةُ أَبْوَابٍ. وَهِيَ فِي سَفْحِ جَبَلٍ يُقَالُ لَهُ جَزُولُ. وَلَهَا قَصَبَةٌ مُشْرِفَةٌ عَلَى السُّوقِ تُسَمَّى الْمَعْصُومَةَ. وَهِيَ عَلَى نَهْرٍ يَأْتِيهَا مِنْ جِهَةِ الْقِبْلَةِ يُسَمَّى مِينَةَ. وَهُوَ فِي قِبْلِيِّهَا. وَنَهْرٌ آخَرُ يَجْرِي مِنْ عُيُونٍ تَجْتَمِعُ تُسَمَّى تَاتَشَ وَمِنْ تَاتَشَ شُرْبُ أَهْلِهَا وَبَسَاتِينِهَا وَهُوَ فِي شَرْقِيِّهَا وَفِيهَا جَمِيعُ الثِّمَارِ وَسَفَرْجَلُهَا يَفُوقُ سَفَرْجَلَ الْآفَاقِ حُسْنًا وَطَعْمًا وَمَشَمًّا. وَسَفَرْجَلُهَا يُسَمَّى بِالْفَارِسِ. وَهِيَ شَدِيدَةُ الْبَرْدِ كَثِيرَةُ الْغُيُومِ وَالثَّلْجِ

٤٤٦ (دِمْيَاطُ). مَدِينَةٌ فَسِيحَةُ الْأَقْطَارِ. مُتَنَوِّعَةُ الثِّمَارِ عَجِيبَةُ التَّرْتِيبِ أَخَذَتْ مِنْ كُلِّ حُسْنٍ بِنَصِيبٍ. وَهِيَ عَلَى شَاطِئِ النِّيلِ. وَأَهْلُ الدُّورِ الْمُوَالِيَةِ لَهُ يَسْتَقُونَ مِنْهُ الْمَاءَ بِالدِّلَاءِ. وَكَثِيرٌ مِنْ دُورِهَا بِهَا دَرَكَاتٌ يُنْزَلُ فِيهَا إِلَى النِّيلِ. وَشَجَرُ الْمَوْزِ بِهَا كَثِيرٌ يُحْمَلُ إِلَى مِصْرَ فِي الْمَرْكَبِ وَغَنَمُهَا سَائِمَةٌ هَمَلًا بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ. وَلِهٰذَا يُقَالُ فِي دِمْيَاطَ

سُورُهَا حَلْوَاءُ وَكِلَابُهَا غَنَمٌ . وَإِذَا دَخَلَهَا أَحَدٌ لَمْ يَكُنْ لَهُ سَبِيلٌ إِلَى الْخُرُوجِ عَنْهَا إِلَّا بِطَابِعِ الْوَالِي . فَمَنْ كَانَ مِنَ النَّاسِ مُعْتَبَرًا طُبِعَ لَهُ فِي قِطْعَةِ كَاغِدٍ يَسْتَظْهِرُ بِهِ لِحُرَّاسِ بَابِهَا . وَغَيْرُهُمْ يُطْبَعُ عَلَى ذِرَاعِهِ فَيَسْتَظْهِرُ بِهِ (لابن بطوطة)

قَالَ أَبُو الْفِدَاءِ : وَخَرِبَتْ دِمْيَاطُ فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَأَرْبَعِينَ وَسِتِّمِائَةٍ . وَكَانَتْ أَسْوَارُهَا مِنْ عِمَارَةِ الْمُتَوَكِّلِ الْخَلِيفَةِ الْعَبَّاسِيِّ . وَكَانَ سَبَبُ تَخْرِيبِهَا مَا قَاسَاهُ الْمُسْلِمُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشِّدَّةِ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى بِسَبَبِ قَصْدِ الْفِرَنْجِ إِيَّاهَا بِجُمُوعِهِمْ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى

٤٤٧ (مَرَّاكُشُ) . مِنَ الْمَغْرِبِ الْأَقْصَى مُحْدَثَةٌ بَنَاهَا يُوسُفُ بْنُ تَاشَفِينَ فِي أَرْضٍ صَحْرَاوِيَّةٍ . وَجَلَبَ إِلَيْهَا الْمِيَاهَ وَأَكْثَرَ النَّاسُ فِيهَا الْبَسَاتِينَ فَكَثُرَ وَخَمُهَا . وَلَا يَكَادُ الْغَرِيبُ يَسْلَمُ فِيهَا مِنَ الْحُمَّى . وَجَنُوبِيَّ مَمْلَكَةِ مَرَّاكُشَ جَبَلُ دَرَنٍ وَشِمَالِيَّهَا مَمْلَكَةُ سَلَا وَغَرْبِيَّهَا الْبَحْرُ الْمُحِيطُ . وَشَرْقِيَّهَا الْجِهَاتُ الَّتِي بَيْنَ سِجِلْمَاسَةَ وَفَاسَ . وَدَوْرُ مَرَّاكُشَ سَبْعَةُ أَمْيَالٍ وَلَهَا سَبْعَةَ عَشَرَ بَابًا . وَحَرُّهَا شَدِيدٌ وَهِيَ فِي شِمَالِيِّ أَغْمَاتَ بِمَيْلَةٍ يَسِيرَةٍ إِلَى الْغَرْبِ وَبَيْنَهُمَا نَحْوُ خَمْسَةَ عَشَرَ مِيلًا

(لابن سعيد)

ٱلبَابُ ٱلثَّانِي عَشَرَ

فِي ٱلتَّارِيخِ (*)

خلق العالم والابوين الاولين وسقوطهما

٤٤٨ آدَمُ أَبُو ٱلْبَشَرِ خُلِقَ بَعْدَ أَنْ خَلَقَ ٱللهُ تَعَالَى ٱلسَّمَاءَ ٱلْعُلْيَا أَيِ ٱلْفَلَكَ ٱلتَّاسِعَ ٱلْمُتَحَرِّكَ بِٱلْحَرَكَةِ ٱلْأُولَى مِنَ ٱلْمَشْرِقِ إِلَى ٱلْمَغْرِبِ. وَٱلْأَرْضَ وَتِسْعَ مَرَاتِبِ ٱلْمَلَائِكَةِ وَٱلنُّورَ وَٱلْأَرْكَانَ ٱلْأَرْبَعَةَ. وَخَلَقَ تَعَالَى فِي ٱلْيَوْمِ ٱلثَّانِي ٱلرَّقِيعَ وَهُوَ سَمَاءُ ٱلدُّنْيَا أَيِ ٱلْفَلَكُ ٱلثَّامِنُ وَمَا فِي ضِمْنِهِ مِنَ ٱلْأَرْقِعَةِ ٱلسَّبْعِ (١) وَفِي ٱلْيَوْمِ ٱلثَّالِثِ أَمَرَ ٱللهُ تَعَالَى ٱلْمَاءَ فَٱجْتَمَعَ إِلَى مَكَانٍ وَاحِدٍ صَائِرًا بَحْرًا. وَأَظْهَرَتِ ٱلْأَرْضُ مُنْبِتَةً عُشْبًا وَأَشْجَارًا مُثْمِرَةً وَغَيْرَ مُثْمِرَةٍ. وَفِي ٱلْيَوْمِ ٱلرَّابِعِ قَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: لِتَكُنْ مَصَابِيحُ أَيْ كَوَاكِبُ فِي عُلُوِّ ٱلرَّقِيعِ لِلْفَصْلِ بَيْنَ ٱلنَّهَارِ وَٱللَّيْلِ وَلِدَلَالَاتِ ٱلْأَوْقَاتِ وَٱلْأَيَّامِ وَٱلْأَعْوَامِ. فَرُصِعَتِ ٱلثَّوَابِتُ بِٱلْفَلَكِ ٱلثَّامِنِ وَٱلنَّيِّرَانِ وَٱلْخَمْسَةُ ٱلْمُتَحَيِّرَةُ كُلٌّ بِفَلَكِهِ. وَٱسْتَوْلَتِ ٱلشَّمْسُ عَلَى سُلْطَانِ ٱلنَّهَارِ. وَٱسْتَوْلَى ٱلْقَمَرُ عَلَى سُلْطَانِ ٱللَّيْلِ. وَبَقِيَ ٱلْفَلَكُ ٱلتَّاسِعُ وَحْدَهُ مُتَطَلِّسًا. وَفِي ٱلْيَوْمِ ٱلْخَامِسِ خَلَقَ ٱللهُ تَعَالَى ٱلتَّنَانِينَ

(*) قد اقتصرنا من التاريخ في هذا الجزء على ما يتعلّق بخلق العالم وذكر من اشتهر في اوائل الدهر من اولياء الله واخبار بني اسرائيل. وسنورد في الاجزاء التالية تاريخ الامم القديمة من نحو الكلدان واليونان والرومان ثم تاريخ أمّة الاسلام وحروبها

(١) ان ما ذكرهُ ابو الفرج من احوال الافلاك وحركاتها مرفوض عند الفلكيين المتأخرين

ٱلْعِظَامَ وَكُلَّ نَفْسٍ مُتَحَرِّكَةٍ فِي ٱلْمَاءِ وَكُلَّ طَائِرٍ ذِي جَنَاحٍ . وَفِي ٱلْيَوْمِ ٱلسَّادِسِ خَلَقَ ٱللهُ تَعَالَى ٱلْأَرْضَ فَأَخْرَجَتْ أَنْفُسًا حَيَوَانِيَّةً بَهَائِمَ وَسِبَاعًا وَحَشَرَاتٍ . قَالَ ٱلْكِتَابُ ٱلْمُقَدَّسُ : إِنَّ ٱلرَّبَّ ٱلْإِلٰهَ جَبَلَ ٱلْإِنْسَانَ تُرَابًا مِنَ ٱلْأَرْضِ وَنَفَخَ فِي أَنْفِهِ نَسَمَةَ حَيَاةٍ فَصَارَ ٱلْإِنْسَانُ نَفْسًا حَيَّةً . وَأَوْقَعَ ٱلرَّبُّ ٱلْإِلٰهُ سُبَاتًا عَلَى آدَمَ فَنَامَ فَٱسْتَلَّ إِحْدَى أَضْلَاعِهِ وَسَدَّ مَكَانَهَا بِلَحْمٍ . وَبَنَى ٱلرَّبُّ ٱلْإِلٰهُ ٱلضِّلَعَ ٱلَّتِي أَخَذَهَا مِنْ آدَمَ ٱمْرَأَةً فَأَتَى بِهَا آدَمَ . وَأَسْكَنَهُمَا فِرْدَوْسَ عَدْنٍ وَهُوَ ٱلْجَنَّةُ . وَمُسْتَقَرُّهَا نَحْوَ ٱلْمَشْرِقِ . وَأَبَاحَهُمَا ٱلْأَكْلَ مِنْ جَمِيعِ ثِمَارِ ٱلْجَنَّةِ خَلَا شَجَرَةَ مَعْرِفَةِ ٱلْخَيْرِ وَٱلشَّرِّ . وَأَرْدَفَ ذٰلِكَ يَوْمُ ٱلسَّبْتِ فَلَمْ يَخْلُقْ فِيهِ شَيْئًا . . . ثُمَّ دَخَلَ ٱلشَّيْطَانُ فِي ٱلْحَيَّةِ وَخَدَعَتْ حَوَّاءَ فَأَكَلَتْ مِنَ ٱلثَّمَرَةِ ٱلَّتِي نَهَاهُمَا ٱللهُ تَعَالَى عَنِ ٱلْأَكْلِ مِنْهَا . وَأَعْطَتْ أَيْضًا آدَمَ بَعْلَهَا فَأَكَلَ . فَٱنْفَتَحَتْ أَعْيُنُ قَلْبَيْهِمَا . وَأُهْبِطَ بِهِمَا مِنْ جَنَّةِ عَدْنٍ إِلَى ٱلْأَرْضِ . وَقَدِ ٱخْتَلَفَتْ عُلَمَاؤُنَا فِي أَمْرِ ٱلثَّمَرَةِ ٱلْمَنْهِيِّ عَنْهَا فَقَالَ قَوْمٌ إِنَّهَا ٱلْبُرُّ . وَقَالَ آخَرُ إِنَّهَا ٱلْعِنَبُ . وَقَالَ ٱلْأَكْثَرُونَ إِنَّهَا ٱلتِّينُ

ابناء آدم

٤٤٩ ثُمَّ بَعْدَ سِتِّينَ سَنَةً لِلِٱنْتِفَاءِ مِنَ ٱلْجَنَّةِ وَلَدَتْ حَوَّاءُ قَايِينَ ثُمَّ هَابِيلَ . وَقَرَّبَ قَايِينُ قُرْبَانًا مِنْ ثِمَارِ أَرْضِهِ لِكَوْنِهِ فَلَّاحًا . فَلَمْ يُقْبَلْ لِفَسَادِ طَرِيقَتِهِ . وَرَفَعَ هَابِيلُ قُرْبَانًا مِنْ أَبْكَارِ غَنَمِهِ لِكَوْنِهِ رَاعِيًا فَقُبِلَ لِحُسْنِ سِيرَتِهِ . فَأَسَرَّ قَايِينُ عَدَاوَةَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ غِيلَةً

وَمِنْ بَنِي آدَمَ شِيتُ يُقَالُ إِنَّهُ أَوَّلُ مَنِ ٱبْتَدَعَ ٱلْكِتَابَةَ وَشَوَّقَ وُلْدَهُ إِلَى ٱلْحَيَاةِ ٱلسَّعِيدَةِ ٱلَّتِي كَانَتْ لِأَبَوَيْهِ فِي ٱلْجَنَّةِ . فَٱنْقَطَعُوا إِلَى جَبَلِ حَرْمُونَ مُنْعَكِفِينَ عَلَى ٱلْعِبَادَةِ وَٱلنُّسْكِ وَٱلْعِفَّةِ . فَسُمُّوا لِذٰلِكَ بَنِي أَلُوهِيمَ أَيِ ٱلْإِلٰهِ . وَوَلَدَ شِيتُ أَنُوشَ وَيُقَالُ إِنَّهُ أَوَّلُ مَنْ دَعَا ٱسْمَ ٱلرَّبِّ . وَمَنَحَهُ ٱللّٰهُ تَعَالَى مَعْرِفَةَ ٱلْأَكْوَانِ وَمَسِيرِ ٱلْكَوَاكِبِ . وَوُلِدَ لِأَنُوشَ قِينَانُ وَلِقِينَانَ مَهْلَلْئِيلُ وَلِمَهْلَلْئِيلَ يَارِدُ وَلِيَارِدَ أَخْنُوخُ . وَتَمَسَّكَ أَخْنُوخُ هٰذَا بِوَصَايَا ٱللّٰهِ ٱلطَّاهِرَةِ وَعَمِلَ بِهَا . وَتَتَبَّعَ ٱلْخَيْرَ وَصَدَفَ عَنِ ٱلشَّرِّ مُوَاظِبًا عَلَى ٱلْعِبَادَةِ ثَلَاثَمِائَةِ سَنَةٍ . فَنَقَلَهُ ٱللّٰهُ إِلَى حَيْثُ شَاءَ حَيًّا وَقِيلَ إِلَى ٱلْفِرْدَوْسِ . وَأَخْنُوخُ وُلِدَ لَهُ لَامَكُ وَلَامَكُ وُلِدَ لَهُ نُوحُ (لابي الفرج الملطيّ باختصار)

ذكر الطوفان

٤٥٠ ذَكَرَ أَهْلُ ٱلْأَخْبَارِ أَنَّ نُوحًا أَوَّلُ نَبِيٍّ بُعِثَ وَأَنَّ قَوْمَهُ كَانُوا أَهْلَ أَوْثَانٍ يَعْبُدُونَهَا مِنْ دُونِ ٱللّٰهِ . فَبُعِثَ لَهُمْ نُوحُ فَدَعَاهُمْ إِلَى ٱللّٰهِ فَكَانُوا يَبْطُشُونَ بِهِ وَيَسْتَخِفُّونَ بِهِ . وَهُوَ يَقُولُ : اَللّٰهُمَّ ٱغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ . فَلَمَّا كَثُرَ ٱسْتِخْفَافُهُمْ بِهِ . أَوْحَى ٱللّٰهُ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ فَإِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ . فَأَقْبَلَ عَلَى قَطْعِ ٱلْخَشَبِ وَضَرْبِ ٱلْحَدِيدِ وَتَهْيِئَةِ ٱلْعُودِ بِٱلْقَارِبِ وَغَيْرِهِ . فَصَنَعَهُ مِنْ خَشَبِ ٱلسَّاجِ وَجَعَلَ طُولَهُ ثَلَاثَ مِائَةِ ذِرَاعٍ . وَعَرْضَهُ خَمْسِينَ ذِرَاعًا . وَطُولَهُ فِي ٱلسَّمَاءِ ثَلَاثِينَ ذِرَاعًا . وَكَانَ قَوْمُهُ فِي خِلَالِ صَنْعِهِ ٱلسَّفِينَةَ يَأْتُونَهُ أَفْوَاجًا يَسْتَخِفُّونَ

عقلَهُ . ويعدُّون فعلَهُ من جنونهِ ويقولون لهُ : عملتَ سفينةً في البرّ . فيقول لهم : سوف تعلمون . فلمّا اطمأنّوا في الفلكِ فُتحت أبوابُ السماء بماءٍ منهمرٍ وتفجّرت الأرضُ عيونًا . فكان بين إرسال الماء وارتفاعهِ أربعون يومًا . فلمّا بلغ الماء إليهم أَوَوا إلى الجبال فكانت الجبالُ تستقبلهم بالحجارةِ وتغرقهم في الماء فماتوا غرقى . وارتفع الفلكُ وجعل يجري في موجٍ كالجبالِ ودار الأرضَ ولم يبقَ شيءٌ من الخلائقِ ولا من الشجرِ إلّا هلك إلّا نوحٌ ومن معهُ . وانتهت الفلكُ أخيرًا إلى جبلٍ عالٍ فنزلت عليهِ (للشربشي باختصار)

ابناء نوح

٤٥١ وقسمَ نوحٌ المسكونةَ بين بنيهِ عرضًا من الجنوبِ إلى الشمال . فأعطى بلادَ السودانِ حامًا وبلادَ السمرِ سامًا وبلادَ الشقرِ يافتَ . ثمَّ ماتَ ولهُ تسعمائةٍ وخمسون سنةً . فمن خلقِ العالمِ إلى ورودِ الطوفانِ على الرأيِ السبعينيِّ ألفانِ ومائتانِ واثنتانِ وأربعون سنةً . وسامُ بنُ نوحٍ وُلِدَ لهُ أرفخشادُ . وقيلَ إنَّ نوحًا أوصى إلى سامٍ ابنهِ وقال لهُ : إني إذا متُّ فأخرجْ تابوتَ أبينا آدمَ من الفلكِ وخذْ معكَ من أولادكَ ملكيصاداقَ (*) وسيرا معًا بالتابوتِ إلى حيثُ يهديكما ملاكُ الربِّ . فعملا بهذهِ الوصيّةِ

(*) لم تذكر التوراة ان ملكيصادق من ابناء سام وانما هو رأيٌ . واما دفن عظام آدم في جبل المقدس فقد ذكرهُ قدماء المؤرخين

وَهَدَاهُمَا ٱلْمَلَاكُ إِلَى جَبَلِ بَيْتِ ٱلْمَقْدِسِ وَوَضَعَا ٱلتَّابُوتَ عَلَى قُنَّةٍ هُنَاكَ فَغَاصَ فِيهَا . فَعَادَ سَامٌ إِلَى أَهْلِهِ وَلَمْ يَعُدْ مَلْكِيصَادَقُ لٰكِنَّهُ بَنَى ثَمَّ مَدِينَةً ٱسْمُهَا أُورَشَلِيمُ أَيْ قَرْيَةُ ٱلسَّلَامِ . وَسَكَنَهَا بَاقِيَ أَيَّامِهِ لَهِجًا بِٱلْعِبَادَةِ وَمَا أَرَاقَ دَمًا . وَكَانَ قُرْبَانُهُ خُبْزًا وَخَمْرًا فَقَطْ . . . وَقَدْ ضُرِبَ مَثَلًا لِلْمَسِيحِ فِي نُبُوءَةِ دَاوُدَ حَيْثُ قَالَ : أَنْتَ ٱلْكَاهِنُ إِلَى ٱلْأَبَدِ بِهَيْئَةِ مَلْكِيصَادَقَ . وَعَلَى تِلْكَ ٱلْقُلَّةِ ٱلَّتِي فِيهَا قَبْرُ آدَمَ صُلِبَ ٱلسَّيِّدُ ٱلْمَسِيحُ

برج بابل وتبلبل الالسنة

٤٥٢ ثُمَّ بَعْدَ ذٰلِكَ قَالَ ٱلنَّاسُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ هَلُمُّوا نَضْرِبْ لَبِنًا وَنَحْرُقْ آجُرًّا وَنَبْنِ صَرْحًا شَامِخًا فِي عُلُوِّ ٱلسَّمَاءِ يَكُونُ لَنَا ذِكْرًا كَيْلَا نَتَبَدَّدَ عَلَى وَجْهِ ٱلْأَرْضِ . فَلَمَّا جَدُّوا بِذٰلِكَ فِي أَرْضِ شِنْعَارَ وَنِمْرُودُ بْنُ كُوشٍ قَاتَ رَاصِفِي ٱلصَّرْحِ بِصَيْدِهِ . وَهُوَ أَوَّلُ مَلِكٍ قَامَ بِأَرْضِ بَابِلَ . قَالَ ٱللّٰهُ : هٰذَا ٱبْتِدَاءُ عَمَلِهِمْ وَلَا يَعْجِزُونَ عَنْ شَيْءٍ يَهْتَمُّونَ بِهِ . سَوْفَ أُفَرِّقُ لُغَاتِهِمْ لِئَلَّا يَعْرِفَ أَحَدُهُمْ مَا يَقُولُ ٱلْآخَرُ . فَبَدَّدَ ٱللّٰهُ شَمْلَهُمْ عَلَى وَجْهِ ٱلْأَرْضِ . وَأَرْسَلَ رِيَاحًا عَاصِفَةً فَهَدَمَ ٱلصَّرْحَ وَمَاتَ فِيهِ نِمْرُودُ ٱلْجَبَّارُ . وَتَبَلْبَلَتْ لُغَاتُ ٱلْآدَمِيِّينَ فَدُعِيَ ٱسْمُ ٱلْمَوْضِعِ بَابِلَ

ذكر ابرهيم

٤٥٣ تَارَحُ بْنُ نَاحُورَ وَلَدَ إِبْرٰهِيمَ . وَبَنَى مُورْفُوسُ مَلِكُ فِلَسْطِينَ مَدِينَةَ دِمَشْقَ قَبْلَ مِيلَادِ إِبْرٰهِيمَ بِعِشْرِينَ سَنَةً . وَلَمَّا بَلَغَ عُمْرُهُ سِتِّينَ

سَنَةَ أَحرَقَ إِبرٰهِيمُ هَيكَلَ ٱلأَصنَامِ بِقَريَةِ ٱلكَلدَانِيِّينَ وَدَخَلَ هَارَانُ أَخُوهُ لِيُطفِيَ ٱلنَّارَ فَٱحتَرَقَ وَلِذٰلِكَ فَرَّ إِبرٰهِيمُ وَعُمرُهُ سِتُّونَ سَنَةً مَعَ أَبِيهِ تَارَحَ وَنَاحُورَ أَخِيهِ وَلُوطِ بنِ هَارَانَ أَخِيهِ ٱلمُحتَرِقِ إِلَى مَدِينَةِ حَرَّانَ وَسَكَنَهَا أَربَعَ عَشرَةَ سَنَةً. ثُمَّ خَاطَبَهُ ٱللهُ قَائِلًا: ٱنتَقِل عَن هٰذِهِ ٱلأَرضِ ٱلَّتِي هِيَ دِيَارُ آبَائِكَ إِلَى حَيثُ آمُرُكَ. فَأَخَذَ سَارَا ٱمرَأَتَهُ وَلُوطَ ٱبنَ أَخِيهِ وَصَعِدَ إِلَى أَرضِ كَنعَانَ. وَحَارَبَ مُلُوكَ كَدُرلَاعُومَرَ وَقَهَرَهُم. وَفِي سَنَةِ خَمسٍ وَثَمَانِينَ مِن عُمرِهِ وَعَدَهُ ٱللهُ أَن يَجعَلَ نَسلَهُ كَعَدَدِ ٱلكَوَاكِبِ ٱلَّتِي فِي ٱلسَّمَاءِ وَذُرِّيَّتَهُ كَرَملِ ٱلبِحَارِ. فَوَثِقَ إِبرٰهِيمُ بِٱللهِ حَقَّ ٱلثِّقَةِ. وَبَعدَ مِائَةِ سَنَةٍ مَضَت مِن عُمرِ إِبرٰهِيمَ وُلِدَ لَهُ إِسحَاقُ مِن سَارَا. وَلَمَّا حَصَلَ لِإِسحَاقَ تِسعَ عَشرَةَ سَنَةً أَصعَدَهُ إِبرٰهِيمُ لِجَبَلِ نَابُو (والصحيح جبل موريا) لِيُضَحِّيَ بِهِ ضَحِيَّةً لِلّٰهِ تَعَالَى. فَفَدَاهُ ٱللهُ بِحَمَلٍ مَأخُوذٍ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ وَأَنقَذَهُ. وَلَمَّا بَلَغَ إِسحَاقُ أَربَعِينَ سَنَةً نَزَلَ إِيلِيعَازَرُ وَلِيدُ بَيتِ إِبرٰهِيمَ إِلَى حَرَّانَ وَجَاءَ بِرِفقَا زَوجَةِ إِسحَاقَ. وَلَمَّا تُوُفِّيَ إِبرٰهِيمُ دُفِنَ إِلَى جَانِبِ سَارَا زَوجَتِهِ فِي ٱلمَغَارَةِ ٱلمُضَاعَفَةِ ٱلَّتِي ٱبتَاعَهَا مِن عِفرُونَ ٱلحِثِّيِّ.

ذكر إسحاق وولديه

٤٥٤ وَإِسحَاقُ بنُ إِبرٰهِيمَ وُلِدَ لَهُ تَوأَمَانِ يَعقُوبُ وَعِيسُو. وَكَانَ يَعقُوبُ ٱلأَصغَرَ. وَفِي سَبعٍ وَسَبعِينَ سَنَةً مِن عُمرِهِ أَخَذَ مِن عِيسُو

أَخِيهِ ٱلْبُكُورَةَ وَمِنْ إِسْحَاقَ أَبِيهِ تَبْرِيكَ ٱلْبُكُورَةِ بِٱلْحِيلَةِ ٱلْمَذْكُورَةِ فِي ٱلتَّوْرَاةِ . وَهِيَ أَنَّ إِسْحَاقَ لَمَّا طَعَنَ فِي ٱلسِّنِّ ذَهَبَ بَصَرُهُ . وَكَانَ عِيسُو أَزَبَّ وَيَعْقُوبُ أَجْرَدَ . فَأَلْبَسَتْهُ أُمُّهُ مَسْكَ جَدْيٍ وَقَدَّمَتْهُ إِلَى إِسْحَاقَ . فَقَالَ يَعْقُوبُ : هٰذَا عِيسُو ٱبْنُكَ أَعْطِهِ بَرَكَةَ بُكُورَتِهِ فَجَسَّهُ إِسْحَاقُ وَقَالَ : مَجَسَّةُ عِيسُو وَشَمَائِلُ يَعْقُوبَ . وَمَعَ ٱرْتِيَابِهِ فِيهِ لَمْ يَأْبَ تَبْرِيكَهُ . وَلَمَّا حَنِقَ عَلَيْهِ عِيسُو أَخُوهُ هَرَبَ مِنْ قُدَّامِهِ إِلَى حَرَّانَ . وَرَأَى يَعْقُوبُ فِي أَوَّلِ لَيْلَةٍ خَرَجَ مِنْ بَيْتِ أَبِيهِ فَارًّا مِنْ أَخِيهِ فِي مَنَامِهِ سُلَّمًا مَنْصُوبًا فِي ٱلْأَرْضِ رَأْسُهُ إِلَى ٱلسَّمَاءِ وَٱلْمَلَائِكَةَ يَصْعَدُونَ وَيَنْزِلُونَ عَلَيْهِ وَعَظَمَةُ ٱللهِ ظَاهِرَةٌ فِي أَعْلَاهُ . فَٱنْتَبَهَ يَعْقُوبُ وَقَالَ : لَا رَيْبَ أَنَّ هٰذَا بَيْتُ ٱللهِ . فَأَخَذَ ٱلْحَجَرَ ٱلَّذِي كَانَ تَحْتَ رَأْسِهِ وَنَصَبَهُ مَذْبَحًا . وَسَكَبَ عَلَيْهِ دُهْنًا رَمْزًا إِلَى دُهْنِ ٱلْمَيْرُونِ ٱلَّذِي بِهِ تَتَقَدَّسُ هَيَاكِلُ ٱللهِ عِنْدَنَا . وَوَصَلَ يَعْقُوبُ إِلَى بَيْتِ لَابَانَ وَٱخْتَطَبَ رَاحِيلَ وَلِيَّا ٱبْنَتَيْهِ . وَوَلَدَتْ لَهُ لِيَّا رُوبِيلَ أَيِ ٱلْعَظِيمَ لِلّٰهِ ثُمَّ شِمْعُونَ أَيِ ٱلطَّائِعَ ثُمَّ لَاوِيَ أَيِ ٱلتَّامَّ ثُمَّ يَهُوذَا أَيِ ٱلشَّاكِرَ . وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ ظَهَرَ ٱلْمَلِكُ ٱلْمَسِيحُ ٱلْمَدْعُوُّ ٱبْنَ دَاوُدَ بِٱلْجَسَدِ . ثُمَّ إِيسَاخَرَ أَيْ حَاضِرَ ٱلرَّجَاءِ ثُمَّ زَبُولُونَ أَيِ ٱلنَّجَاةَ مِنْ هَوْلِ ٱللَّيْلِ . وَوَلَدَتْ بِلْهَةُ أَمَةُ رَاحِيلَ دَانًا أَيِ ٱلْحَكَمَ وَنَفْتَالِيَ أَيِ ٱلْمُتَضَرِّعَ . وَوَلَدَتْ رَاحِيلُ ٱبْنَيْنِ يُوسُفَ أَيِ ٱلزِّيَادَةَ ثُمَّ بِنْيَامِينَ . وَوَلَدَتْ زِلْفَا أَمَةُ لِيَّا جَادَ أَيِ ٱلْحَظَّ ثُمَّ أَشِيرَ أَيِ ٱلْمَجْدَ . وَجُمْلَةُ بَنِي يَعْقُوبَ ٱثْنَا عَشَرَ وَهُمُ ٱلْأَسْبَاطُ

أي قَبَائِلُ بَنِي إِسْرَائِيلَ . وَبَعْدَ مِيلَادِ لَاوِيَ بِثَلَاثِ سِنِينَ وَلَدَتْ رَاحِيلُ يُوسُفَ وَبِيعَ ٱبْنَ سَبْعَ عَشْرَةَ سَنَةً (لابي الفرج الملطي باختصار)

ذكر اسر يوسف

٤٥٥ لَمَّا كَانَ يُوسُفُ مِنَ ٱلْحُسْنِ وَمِنْ حُبِّ أَبِيهِ عَلَى مَا ٱشْتَهَرَ حَسَدَتْهُ إِخْوَتُهُ وَأَلْقَوْهُ فِي ٱلْجُبِّ . وَأَقَامَ يُوسُفُ فِي ٱلْجُبِّ حَتَّى مَرَّتْ بِإِخْوَتِهِ ٱلسَّيَّارَةُ . فَأَخْرَجُوا يُوسُفَ مِنَ ٱلْجُبِّ وَبَاعُوهُ لِلْعَرَبِ بِثَمَنٍ بَخْسٍ . قِيلَ عِشْرُونَ دِرْهَمًا . وَذَهَبُوا بِهِ إِلَى مِصْرَ فَبَاعَهُ أُسْتَاذُهُ فَٱشْتَرَاهُ ٱلَّذِي عَلَى خَزَائِنِ مِصْرَ . قَالَ ٱبْنُ إِسْحَاقَ : ٱشْتَرَاهُ عَزِيزُ مِصْرَ وَهُوَ وَزِيرُهَا أَوْ صَاحِبُ شُرْطَتِهَا وَٱسْمُهُ إِطْفِيرُ وَقِيلَ فُوطِيفَارُ . وَكَانَ فِرْعَوْنُ مِصْرَ حِينَئِذٍ ٱلرَّيَّانَ بْنَ ٱلْوَلِيدِ رَجُلًا مِنَ ٱلْعَمَالِيقِ (*) . وَلَمَّا ٱشْتَرَى ٱلْعَزِيزُ يُوسُفَ رَاوَدَتْهُ ٱمْرَأَتُهُ عَنْ نَفْسِهَا فَأَبَى وَهَرَبَ مِنْهَا . وَوَصَلَ أَمْرُهَا إِلَى زَوْجِهَا . وَمَا زَالَتْ تَشْكُو إِلَيْهِ مِنْ يُوسُفَ حَتَّى حَبَسَهُ وَدَامَ فِي ٱلسِّجْنِ . ثُمَّ عَبَّرَ ٱلرُّؤْيَا لِلْمَحْبُوسَيْنِ مِنْ أَصْحَابِ ٱلْمَلِكِ وَٱلرُّؤْيَا ٱلَّتِي أُرِيهَا فِرْعَوْنُ . ثُمَّ ٱسْتَعْمَلَهُ مَلِكُ مِصْرَ عِنْدَمَا خَشِيَ ٱلسَّنَةَ وَٱلْغَلَاءَ عَلَى خَزَائِنِ ٱلزَّرْعِ فِي سَائِرِ مَمْلَكَتِهِ بِقَدْرِ جَمْعِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلْأَرْزَاقِ مِنْهَا وَأَطْلَقَ يَدَهُ بِذٰلِكَ فِي جَمِيعِ أَعْمَالِهِ وَأَلْبَسَهُ خَاتَمَهُ وَحَمَلَهُ عَلَى مَرْكَبَتِهِ . وَيُوسُفُ لِذٰلِكَ ٱلْعَهْدِ ٱبْنُ ثَلَاثِينَ سَنَةً . وَكَانَ ذٰلِكَ سَبَبًا لِٱنْتِظَامِ شَمْلِهِ بِأَبِيهِ وَإِخْوَتِهِ لَمَّا أَصَابَتْهُمُ ٱلسَّنَةُ بِأَرْضِ كَنْعَانَ . وَجَاءَ

(*) لم يقع الينا تاريخ يذكر اسم الريان بن الوليد بين الفراعنة

بَعْضُهُمْ لِلْمِيرَةِ وَكَالَ لَهُمْ يُوسُفُ وَرَدَّ عَلَيْهِمْ بِضَاعَتَهُمْ وَطَالَبَهُمْ بِحُضُورِ أَخِيهِمْ. فَكَانَ ذٰلِكَ كُلُّهُ سَبَبًا لِاجْتِمَاعِهِ بِأَبِيهِ يَعْقُوبَ بَعْدَ أَنْ كَبِرَ وَعَمِيَ. وَلَمَّا وَصَلَ يَعْقُوبُ إِلَى بِلْبِيسَ قَرِيبًا مِنْ مِصْرَ خَرَجَ يُوسُفُ لِلِقَائِهِ. وَأَطْلَقَ لَهُمْ فِرْعَوْنُ أَرْضَ بِلْبِيسَ يَسْكُنُونَ بِهَا وَيَنْتَفِعُونَ. وَعَاشَ يَعْقُوبُ مُجْتَمِعًا بِبَنِيهِ سَبْعَ سِنِينَ وَأَوْصَى يُوسُفَ قَبْلَ وَفَاتِهِ أَنْ يَدْفِنَهُ مَعَ أَبِيهِ إِسْحَاقَ. فَفَعَلَ يُوسُفُ ذٰلِكَ. فَسَارَ بِهِ إِلَى أَرْضِ فِلَسْطِينَ وَخَرَجَ مَعَهُ أَكَابِرُ مِصْرَ وَشُيُوخُهَا بِإِذْنٍ مِنْ فِرْعَوْنَ. وَانْتَهَوْا إِلَى مَدْفِنِ إِبْرٰهِيمَ وَإِسْحَاقَ فَدَفَنُوهُ فِي الْمَغَارَةِ عِنْدَهُمَا. وَانْتَقَلُوا إِلَى مِصْرَ إِلَى أَنْ أَدْرَكَتْهُ الْوَفَاةُ فَقُبِضَ لِمِائَةٍ وَعِشْرِينَ مِنْ عُمْرِهِ. وَأُدْرِجَ فِي تَابُوتٍ وَخُتِمَ عَلَيْهِ وَدُفِنَ. وَكَانَ أَوْصَى أَنْ يُحْمَلَ عِنْدَ خُرُوجِ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَى أَرْضِ فِلَسْطِينَ فَيُدْفَنَ هُنَالِكَ. وَلَمْ تَزَلْ وَصِيَّتُهُ مَحْفُوظَةً إِلَى أَنْ حَمَلَهُ مُوسَى عِنْدَ خُرُوجِهِ بِبَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ مِصْرَ

(لابي الفداء وابن الاثير وغيرهما)

ولادة موسى

٤٥٦ وَبَعْدَ وَفَاةِ يُوسُفَ أَقَامَ الْأَسْبَاطُ بِمِصْرَ وَتَنَاسَلُوا وَكَثُرُوا حَتَّى ارْتَابَ الْقِبْطُ بِكَثْرَتِهِمْ وَاسْتَعْبَدُوهُمْ. وَفِي التَّوْرَاةِ أَنَّ مَلِكًا مِنَ الْفَرَاعِنَةِ جَاءَ بَعْدَ يُوسُفَ لَمْ يَعْرِفْ شَأْنَهُ وَلَا مَقَامَهُ فِي دَوْلَةِ آبَائِهِ. فَاسْتَرَقَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَاسْتَعْبَدَهُمْ. فَعَمَدَ الْفَرَاعِنَةُ إِلَى قَطْعِ نَسْلِهِمْ بِذَبْحِ الذُّكُورِ مِنْ ذُرِّيَّتِهِمْ. فَلَمْ يَزَالُوا عَلَى ذٰلِكَ مُدَّةً مِنَ الزَّمَانِ

حَتَّى وُلِدَ مُوسَى وَهُوَ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ بْنِ لَاوِي مِنَ ٱلْقَادِمِينَ إِلَى مِصْرَ مَعَ يَعْقُوبَ. وَوُلِدَ عِمْرَانُ بِمِصْرَ وَوَلَدَ هَارُونَ لِثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِنْ عُمْرِهِ وَمُوسَى لِثَمَانِينَ فَجَعَلَتْهُ أُمُّهُ فِي تَابُوتٍ. وَأَلْقَتْهُ فِي ضَحْضَاحِ ٱلْيَمِّ وَأَرْصَدَتْ أُخْتَهُ عَلَى بُعْدٍ لِتَنْظُرَ مَنْ يَلْتَقِطُهُ فَتَعْرِفَهُ. فَجَاءَتِ ٱبْنَةُ فِرْعَوْنَ إِلَى ٱلْبَحْرِ مَعَ جَوَارِيهَا فَرَأَتْهُ وَٱسْتَخْرَجَتْهُ مِنَ ٱلتَّابُوتِ. فَرَحِمَتْهُ وَقَالَتْ: هٰذَا مِنَ ٱلْعِبْرَانِيِّينَ فَمَنْ لَنَا بِظِئْرٍ تُرْضِعُهُ. فَقَالَتْ لَهَا أُخْتُهُ: أَنَا آتِيكُمْ بِهَا. وَجَاءَتْ بِأُمِّهِ فَٱسْتَرْضَعَتْهَا لَهُ ٱبْنَةُ فِرْعَوْنَ إِلَى أَنْ فُصِلَ. فَأَتَتْ بِهِ إِلَى ٱبْنَةِ فِرْعَوْنَ وَسَمَّتْهُ مُوسَى وَسَلَّمَتْهُ لَهَا. فَنَشَأَ عِنْدَهَا ثُمَّ شَبَّ وَخَرَجَ يَوْمًا يَمْشِي فِي ٱلنَّاسِ وَلَهُ صَوْلَةٌ بِمَا كَانَ لَهُ فِي بَيْتِ فِرْعَوْنَ مِنَ ٱلْمُرَبَّى وَٱلرِّضَاعِ فَهُمْ لِذٰلِكَ أَخْوَالُهُ. فَرَأَى عِبْرَانِيًّا يَضْرِبُهُ مِصْرِيٌّ فَقَتَلَ ٱلْمِصْرِيَّ ٱلَّذِي ضَرَبَهُ وَدَفَنَهُ. وَخَرَجَ يَوْمًا آخَرَ فَإِذَا هُوَ بِرَجُلَيْنِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَقَدْ سَطَا أَحَدُهُمَا عَلَى ٱلْآخَرِ فَزَجَرَهُ فَقَالَ لَهُ: وَمَنْ جَعَلَ لَكَ هٰذَا أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ ٱلْآخَرَ بِٱلْأَمْسِ. وَنَمَى ٱلْخَبَرُ إِلَى فِرْعَوْنَ فَطَلَبَهُ وَهَرَبَ مُوسَى إِلَى أَرْضِ مَدْيَنَ عِنْدَ عَقَبَةِ إِيلَةَ. وَبَنُو مَدْيَنَ أُمَّةٌ عَظِيمَةٌ مِنْ بَنِي إِبْرٰهِيمَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كَانُوا سَاكِنِينَ هُنَالِكَ. وَكَانَ ذٰلِكَ لِأَرْبَعِينَ سَنَةً مِنْ عُمْرِهِ . (لابن خلدون)

بعثة موسى

٤٥٧ وَلَمَّا بَلَغَ مُوسَى ثَمَانِينَ سَنَةً وَكَانَ يَرْعَى غَنَمَ يَثْرُونَ حَمِيهِ

تَرَاءَى لَهُ مَلَاكُ ٱلرَّبِّ فِي جَبَلِ حُورِيبَ وَهُوَ طُورُ سِينَا بِلَهِيبِ ٱلنَّارِ فِي ٱلْعَوْسَجِ وَٱلْعَوْسَجُ لَا يَحْتَرِقُ فَدَعَاهُ ٱللهُ مِنَ ٱلْعَوْسَجِ قَائِلًا: يَا مُوسَى. فَقَالَ: هَا أَنَا. فَقَالَ لَهُ: حُلَّ نَعْلَيْكَ مِنْ قَدَمَيْكَ لِأَنَّ ٱلْمَكَانَ ٱلَّذِي أَنْتَ قَائِمٌ عَلَيْهِ مُقَدَّسٌ. ثُمَّ قَالَ لَهُ ٱلرَّبُّ: قَدْ سَمِعْتُ ٱسْتِغَاثَةَ شَعْبِي مِنَ ٱلْمِصْرِيِّينَ وَنَزَلْتُ لِخَلَاصِهِمْ عَلَى يَدِكَ. فَقَالَ مُوسَى: مَنْ أَنَا حَتَّى أَمْضِيَ إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا. فَقَالَ لَهُ ٱللهُ: أَنَا أَكُونُ مَعَكَ. قَالَ مُوسَى: فَإِنْ قَالُوا لِي مَا ٱسْمُ رَبِّكَ فَمَاذَا أَقُولُ لَهُمْ. قَالَ: قُلِ ٱلْأَزَلِيُّ ٱلَّذِي لَا يَزَالُ. فَقَالَ مُوسَى: إِنَّ لِسَانِي أَلْثَغُ ثَقِيلُ ٱلنُّطْقِ كَيْفَ يَقْبَلُ مِنِّي فِرْعَوْنُ. قَالَ ٱللهُ لَهُ: إِنِّي قَدْ جَعَلْتُكَ إِلٰهًا لِفِرْعَوْنَ وَهَارُونَ أَخَاكَ نَبِيًّا بَيْنَ يَدَيْكَ يَقُولُ لِفِرْعَوْنَ مَا تَقُصُّ عَلَيْهِ فَيُرْسِلُ ٱبْنِي بِكْرِي إِسْرَائِيلَ. وَأَنَا أُقَسِّي قَلْبَ فِرْعَوْنَ فَلَا يُطِيعُكُمَا فَأُظْهِرُ آيَاتِي بِأَرْضِ مِصْرَ. فَلَمَّا مَضَى مُوسَى وَهَارُونُ إِلَى فِرْعَوْنَ بِٱلرِّسَالَةِ. قَالَ لَهُمَا: ٱصْنَعَا لِي آيَةً. فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تِنِّينٌ. فَدَعَا فِرْعَوْنُ ٱلسَّحَرَةَ فَفَعَلُوا كَذٰلِكَ. فَٱبْتَلَعَتْ عَصَا مُوسَى عِصِيَّهُمْ. وَمَعَ هٰذَا أَبَى فِرْعَوْنُ أَنْ يُرْسِلَهُمْ. فَصَنَعَ ٱلرَّبُّ بِمِصْرَ مِنَ ٱلْآيَاتِ مَا قَدْ شُرِحَ فِي ٱلتَّوْرَاةِ (لابي الفرج ٱلْمَلَطي)

خروج آل اسرائيل من مصر

٥٨ ثُمَّ تَمَادَى فِرْعَوْنُ فِي تَكْذِيبِ مُوسَى وَمُنَاصَبَتِهِ. وَٱشْتَدَّ جَوْرُهُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ وَٱسْتِعْبَادُهُمْ وَٱتِّخَاذُهُمْ سِخْرِيًّا فِي مِهْنَةِ ٱلْأَعْمَالِ

فَأَصَابَتْ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ ٱلْجَوَائِحُ ٱلْعَشَرَةُ وَاحِدَةً بَعْدَ أُخْرَى . يُسَائِلُهُمْ عِنْدَ وُقُوعِهَا وَيَتَضَرَّعُ إِلَى مُوسَى فِي ٱلدُّعَاءِ بِٱنْجِلَائِهَا إِلَى أَنْ أَوْحَى ٱللهُ إِلَى مُوسَى بِخُرُوجِ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ مِصْرَ . فَفِي ٱلتَّوْرَاةِ أَنَّهُمْ أُمِرُوا عِنْدَ خُرُوجِهِمْ أَنْ يَذْبَحَ أَهْلُ كُلِّ بَيْتٍ حَمَلًا مِنَ ٱلْغَنَمِ إِنْ كَانَ كِفَايَتَهُمْ أَوْ يَشْتَرِكُوا مَعَ جِيرَانِهِمْ إِنْ كَانَ أَكْثَرَ . وَإِنْ يَنْضَحُوا دَمَهُ عَلَى أَبْوَابِهِمْ لِتَكُونَ عَلَامَةً . وَأَنْ يَأْكُلُوهُ سَوَاءً بِرَأْسِهِ وَأَطْرَافِهِ . وَمَعْنَاهُ لَا يَكْسِرُونَ مِنْهُ عَظْمًا وَلَا يَدَعُونَ شَيْئًا خَارِجَ ٱلْبُيُوتِ . وَلْيَكُنْ خُبْزُهُمْ فَطِيرًا ذٰلِكَ ٱلْيَوْمَ وَسَبْعَةَ أَيَّامٍ بَعْدَهُ . وَذٰلِكَ فِي ٱلْيَوْمِ ٱلرَّابِعَ عَشَرَ مِنْ فَصْلِ ٱلرَّبِيعِ وَلْيَأْكُلُوا بِسُرْعَةٍ وَأَوْسَاطُهُمْ مَشْدُودَةٌ وَخِفَافُهُمْ فِي أَرْجُلِهِمْ وَعِصِيُّهُمْ فِي أَيْدِيهِمْ وَيَخْرُجُوا لَيْلًا . وَمَا فَضَلَ مِنْ عَشَائِهِمْ ذٰلِكَ يُحْرِقُوهُ بِٱلنَّارِ . وَشَرَعَ هٰذَا عِيدًا لَهُمْ وَلِأَعْقَابِهِمْ وَيُسَمَّى عِيدَ ٱلْفِصْحِ . وَفِي ٱلتَّوْرَاةِ أَيْضًا أَنَّهُ قَتَلَ فِي تِلْكَ ٱللَّيْلَةِ أَبْكَارَ ٱلنِّسَاءِ مِنَ ٱلْقِبْطِ وَدَوَابِّهِمْ وَمَوَاشِيهِمْ . لِيَكُونَ لَهُمْ بِذٰلِكَ شُغْلٌ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ . وَأَنَّهُمْ أُمِرُوا أَنْ يَسْتَعِيرُوا مِنْهُمْ حُلِيًّا كَثِيرًا يَخْرُجُونَ بِهِ فَٱسْتَعَارُوهُ . وَخَرَجُوا فِي تِلْكَ ٱللَّيْلَةِ بِمَا مَعَهُمْ مِنَ ٱلدَّوَابِّ وَٱلْأَنْعَامِ وَكَانُوا سِتَّمِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ . وَشُغِلَ ٱلْقِبْطُ عَنْهُمْ بِٱلْمَآتِمِ ٱلَّتِي كَانُوا فِيهَا عَلَى مَوْتَاهُمْ . وَأَخْرَجُوا مَعَهُمْ تَابُوتَ يُوسُفَ ٱسْتَخْرَجَهُ مُوسَى مِنَ ٱلْمَدْفِنِ ٱلَّذِي كَانَ بِهِ بِإِلْهَامٍ مِنَ ٱللهِ تَعَالَى . وَسَارُوا لِوَجْهِهِمْ حَتَّى ٱنْتَهَوْا إِلَى سَاحِلِ ٱلْبَحْرِ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ .

وَأَدْرَكَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ وَأُمِرَ مُوسَى بِأَنْ يَضْرِبَ ٱلْبَحْرَ بِعَصَاهُ وَيَقْتَحِمَهُ. فَضَرَبَهُ فَٱنْفَلَقَ وَسَارَ فِيهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَفِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ فِي أَتْبَاعِهِ فَهَلَكُوا. وَنَزَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ وَسَبَّحُوا مَعَ مُوسَى بِٱلتَّسْبِيحِ ٱلْمَنْقُولِ عِنْدَهُمْ. وَهُوَ نُسَبِّحُ ٱلرَّبَّ ٱلْبَهِيَّ ٱلَّذِي قَهَرَ ٱلْجُنُودَ وَنَبَذَ فُرْسَانَهَا فِي ٱلْبَحْرِ ٱلْمَنِيعِ ٱلْمَحْمُودَ إِلَى آخِرِهِ. قَالُوا وَكَانَتْ مَرْيَمُ أُخْتُ مُوسَى وَهَارُونَ تَأْخُذُ ٱلدُّفَّ بِيَدِهَا وَنِسَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي أَثَرِهَا بِٱلدُّفُوفِ وَٱلطُّبُولِ وَهِيَ تُرَتِّلُ لَهُنَّ ٱلتَّسْبِيحَ: سُبْحَانَ ٱلرَّبِّ ٱلْقَهَّارِ ٱلَّذِي قَهَرَ ٱلْخُيُولَ وَرُكْبَانَهَا أَلْقَاهَا فِي ٱلْبَحْرِ وَهُوَ مَعْنَى ٱلْأَوَّلِ (*)

(*) هذه التسبحة بالحرف: أُسبح الرب فانهُ قد تعظم بالمجد. الفرس وراكبهُ قد طرحهما في البحر. الرب عِزّي وتسبيحي لقد كان لي خلاصاً. هذا الهي فايّاهُ أُمجّد اله ابي فايّاهُ أُعظم. الرب صاحب الحروب الرب اسمهُ. مراكب فرعون وجنودهُ طرحهما في البحر ونُخبة قوّادهِ غرقوا في بحر القلزم. غطّتهم اللُّجج فهبطوا في الاعماق كالحجارة. يمينك يا رب عزيزة القوّة يمينك يا رب تحطّم العدوّ. وبعظمة اقتدارك تهدم مقاوميك. تبعث سُخطك فيأكلهم كالعصافة وبريح غضبك تراكمت المياه انتصبت كالطوادِ مائعة وجمدت اللُّجج في قلب البحر. قال العدوّ أرهق أُدرِك أُقسّم غنيمةً تشتفي منهم نفسي أخترط سيفي تفرضهم يدي. بعثتَ ريحك فغشيهم اليمّ وغرقوا كالرَّصاص في غمر المياه. مَن مثلك في الآلهة يا رب مَن مثلك جليل القدس مهيب التسابيح صانع المعجزات. مددت يمينك فابتلعتهم الارض. هديت برحمتك الشعب الذين فديتهم ارشدتهم بعزّتك الى مأوى قدسك. سمعت الامم فارتعدت واخذ الرعب قاطني فلسطين. حينئذٍ دهِش زعماء ادوم اقوياء موآب اخذتهم الرعدة ماج كل سكان كنعان. تقع عليهم الرعدة والهلع بعظمة ذراعك يبكمون كالحجارة حتّى يجوز شعبك يا رب حتّى يجوز الشعب الذي ملكتهُ. تأتي بهم تغرسهم في جبل ميراثك في الموضع الذي اقمتهُ يا رب لسكناك المقدس الذي هيّأتهُ يداك يا رب. الرب يملك الى الدهر والأبد

السير في البرية

٤٥٩ ثُمَّ ٱرْتَحَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ مِنْ بَحْرِ ٱلْقُلْزُمِ إِلَى بَرِّيَّةِ شُورَ ثُمَّ إِلَى بَرِّيَّةِ سِينَ. وَشَكَوُا ٱلْجُوعَ فَبَعَثَ ٱللهُ لَهُمُ ٱلْمَنَّ حَبَّاتٍ بِيضًا مُنْتَشِرَةً عَلَى ٱلْأَرْضِ مِثْلَ ذَرِيرِ ٱلْكُزْبَرَةِ. فَكَانُوا يَطْحَنُونَهُ وَيَتَّخِذُونَ مِنْهُ ٱلْخُبْزَ لِأَكْلِهِمْ. ثُمَّ قَرِمُوا إِلَى ٱللَّحْمِ فَبَعَثَ لَهُمُ ٱلسَّلْوَى طَيْرًا يَخْرُجُ مِنَ ٱلْبَحْرِ وَهُوَ طَيْرُ ٱلسُّمَانَى فَيَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَدَّخِرُونَ. ثُمَّ طَلَبُوا ٱلْمَاءَ فَأُمِرَ أَنْ يَضْرِبَ بِعَصَاهُ ٱلْحَجَرَ فَٱنْفَجَرَتْ مِنْهُ ٱلْمِيَاهُ (لابن خلدون)

اعطاء الوصايا

٤٦٠ ثُمَّ قَالَ ٱللهُ لِمُوسَى: ٱصْعَدْ إِلَيَّ أَنْتَ وَهَارُونُ وَنَادَابُ وَأَبِيهُو وَإِلْدَاهُ وَسَبْعُونَ شَيْخًا. فَفَعَلُوا ذٰلِكَ وَدَنَا مُوسَى وَحْدَهُ وَٱلْبَاقُونَ وَقَفُوا أَسْفَلَ ٱلْجَبَلِ. وَعَرَّفَهُمْ مُوسَى وَصَايَا ٱللهِ. ثُمَّ نَزَلُوا وَأَقَامَ مُوسَى بِٱلْجَبَلِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا صَائِمًا. وَتَقَدَّمَ ٱللهُ إِلَيْهِ بِٱلْفَرَائِضِ مَكْتُوبَةً فِي لَوْحَيْنِ مِنْ حَجَرٍ. وَلَمَّا ٱسْتَبْطَأَ بَنُو إِسْرَائِيلَ مَجِيءَ مُوسَى قَالُوا لِهَارُونَ: قُمِ ٱعْمَلْ لَنَا إِلٰهًا يَمْضِي أَمَامَنَا لِأَنَّ أَخَاكَ مَا نَعْلَمُ مَا كَانَ مِنْهُ. وَأَحْضَرُوهُ حُلِيَّ ٱلذَّهَبِ ٱلَّتِي لِنِسَائِهِمْ وَأَوْلَادِهِمْ وَأَحْدَثُوا ٱلْعِجْلَ. وَلَمَّا عَادَ مُوسَى وَعَرَفَ فِعْلَهُمْ غَضِبَ غَضَبًا شَدِيدًا وَضَرَبَ بِٱللَّوْحَيْنِ سَفْحَ ٱلْجَبَلِ وَكَسَرَهُمَا. وَأَلْقَى عَلَى ٱلْعِجْلِ ٱلْمَبَارِدَ وَطَرَحَ سُحَالَتَهُ فِي ٱلنَّارِ وَرَمَى رَمَادَهُ فِي ٱلْمَاءِ وَأَمَرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَشْرَبُوا مِنْهُ جَمِيعُهُمْ. وَقَالَ لِبَنِي لَاوِي:

ٱلرَّبُّ يَأْمُرُكُمْ أَنْ يَقْتُلَ ٱلرَّجُلُ مِنْكُمْ أَخَاهُ وَنَسِيبَهُ فَقُتِلَ مِنْهُمْ ثَلَاثَةُ آلَافِ رَجُلٍ

٤٦١ ثُمَّ رَقِيَ مُوسَى إِلَى ٱلْجَبَلِ وَمَعَهُ لَوْحَانِ مِنْ حَجَرٍ. وَأَقَامَ فِيهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا صَائِمًا طَاوِيًا لَيَالِيَهَا وَعَادَ نَازِلًا وَبِيَدِهِ ٱللَّوْحَانِ مَكْتُوبَةٌ فِيهِمَا ٱلْعَشْرُ وَصَايَا وَهِيَ: أَلرَّبُّ إِلٰهُكَ وَاحِدٌ. فِي يَمِينِكَ. إِحْفَظْ يَوْمَ ٱلسَّبْتِ. أَكْرِمْ وَالِدَيْكَ. لَا تَقْتُلْ. لَا تَزْنِ. لَا تَسْرِقْ. لَا تَشْهَدْ بِٱلزُّورِ. لَا تَتَمَنَّ مَنْزِلَ أَخِيكَ. لَا تَتَمَنَّ قُنْيَةَ رَفِيقِكَ. وَقَالَ ٱللهُ: مَلْعُونٌ مَنْ يَشْتُمُ وَالِدَيْهِ. مَلْعُونٌ مَنْ يَظْلِمُ جَارَهُ. مَلْعُونٌ مَنْ يُضِلُّ ٱلْأَعْمَى عَنِ ٱلسَّبِيلِ. مَلْعُونٌ مَنْ يَحِيفُ فِي ٱلْقَضَاءِ عَلَى ٱلْيَتِيمِ وَٱلْمِسْكِينِ وَمَنْ يَضْرِبُ صَاحِبَهُ غِيلَةً وَمَنْ يَرْشُو فِي قَتْلِ نَفْسٍ. مَلْعُونٌ مَنْ لَا يَثْبُتُ عَلَى هٰذِهِ ٱلسُّنَنِ. فَإِنْ أَنْتُمْ خَالَفْتُمُوهَا تَزْرَعُونَ وَيَأْكُلُ زَرْعَكُمْ أَعْدَاؤُكُمْ. وَتَنْهَزِمُونَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَطْرُدَكُمْ أَحَدٌ. وَأُرْسِلُ عَلَيْكُمُ ٱلْوُحُوشَ فَتُفْنِيكُمْ. وَلَا تَشْبَعُونَ طَعَامًا وَلَا تَرْوَوْنَ مَاءً. وَلَا تُقْبَلُ لَكُمْ صَلَاةٌ وَأُخَرِّبُ أَرْضَكُمْ وَأُبَدِّدُكُمْ بَيْنَ ٱلْأُمَمِ ٱلْمُبْغِضَةِ لَكُمْ وَأُخَسِّسُ قَدْرَكُمْ (لابي الفرج)

التيه

٤٦٢ وَلَمَّا دَخَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ ٱلْبَرِّيَّةَ بَعَثُوا مِنْهُمُ ٱثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا مِنْ جَمِيعِ ٱلْأَسْبَاطِ فَأَتَوْهُمْ بِٱلْخَبَرِ عَنِ ٱلْجَبَّارِينَ. فَٱسْتَطَابُوا ٱلْبِلَادَ وَٱسْتَعْظَمُوا ٱلْعَدُوَّ مِنَ ٱلْكَنْعَانِيِّينَ وَٱلْعَمَالِقَةِ. وَرَجَعُوا إِلَى قَوْمِهِمْ

يُخبِرُونَهُمُ ٱلْخَبَرَ وَخَذَلُوهُمْ إِلَّا يُوشَعَ وَكَالِبَ. فَقَالَا لَهُمْ مَا قَالَا. وَهُمَا ٱلرَّجُلَانِ ٱللَّذَانِ أَنْعَمَ ٱللهُ عَلَيْهِمَا. وَخَامَ بَنُو إِسْرَائِيلَ عَنِ ٱللِّقَاءِ وَأَبَوْا مِنَ ٱلسَّيْرِ إِلَى عَدُوِّهِمْ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي مَلَّكَهُمُ ٱللهُ إِلَى أَنْ يُهْلِكَ ٱللهُ عَدُوَّهُمْ عَلَى غَيْرِ أَيْدِيهِمْ. فَسَخِطَ ٱللهُ ذٰلِكَ مِنْهُمْ. وَعَاقَبَهُمْ بِأَنْ لَا يَدْخُلَ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ أَحَدٌ مِنْ ذٰلِكَ ٱلْجِيلِ إِلَّا كَالِبَ وَيُوشَعَ. وَإِنَّمَا يَدْخُلُهَا أَبْنَاؤُهُمْ وَٱلْجِيلُ ٱلَّذِي بَعْدَهُمْ

٤٦٣ وَأَقَامُوا عَلَى ذٰلِكَ ثُمَّ ٱرْتَابَ وَاحِدٌ مِنْهُمُ ٱسْمُهُ قُورَحُ بْنُ يَصْهَارَ ٱبْنِ قَهَاتَ وَهُوَ ٱبْنُ عَمِّ مُوسَى فَٱرْتَابَ هُوَ وَجَمَاعَةٌ مِنْهُمْ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِشَأْنِ مُوسَى. وَٱعْتَمَدُوا مُنَاصَبَتَهُ فَأَصَابَتْهُمْ قَارِعَةٌ وَخُسِفَتْ بِهِمْ وَبِهِ ٱلْأَرْضُ. وَأَصْبَحُوا عِبْرَةً لِلْمُعْتَبِرِينَ. وَٱعْتَزَمَ بَنُو إِسْرَائِيلَ عَلَى ٱلِٱسْتِقَالَةِ مِمَّا فَعَلُوهُ وَٱلزَّحْفِ إِلَى ٱلْعَدُوِّ. وَنَهَاهُمْ مُوسَى عَنْ ذٰلِكَ فَلَمْ يَنْتَهُوا وَصَعِدُوا جَبَلَ ٱلْعَمَالِقَةِ فَحَارَبَهُمْ أَهْلُ ذٰلِكَ ٱلْجَبَلِ فَهَزَمُوهُمْ وَقَتَلُوهُمْ فِي كُلِّ وَجْهٍ. فَأَمْسَكُوا وَأَقَامَ مُوسَى عَلَى ٱلِٱسْتِغْفَارِ لَهُمْ. فَأَرْسَلَ إِلَى مَلِكِ أَدُومَ يَطْلُبُ ٱلْجَوَازَ عَلَيْهِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْمُقَدَّسَةِ فَمَنَعَهُمْ وَحَالَ دُونَ ذٰلِكَ

٤٦٤ ثُمَّ قُبِضَ هَارُونُ لِمِائَةٍ وَثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً مِنْ عُمْرِهِ وَلِأَرْبَعِينَ سَنَةً مِنْ يَوْمِ خُرُوجِهِمْ مِنْ مِصْرَ. وَحَزِنَ لَهُ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِأَنَّهُ كَانَ شَدِيدَ ٱلشَّفَقَةِ عَلَيْهِمْ. وَقَامَ بِأَمْرِهِ ٱلَّذِي كَانَ يَقُومُ بِهِ ٱبْنُهُ أَلِعَازَارُ. ثُمَّ زَحَفَ بَنُو إِسْرَائِيلَ إِلَى بَعْضِ مُلُوكِ كَنْعَانَ فَهَزَمُوهُمْ

وَقَتَلُوهُمْ وَغَنِمُوا مَا أَصَابُوا مَعَهُمْ. وَبَعَثُوا إِلَى سِيحُونَ مَلِكِ الْأَمُورِ بَيْنَ مِنْ كَنْعَانَ فِي الْجَوَازِ فِي أَرْضِهِ إِلَى الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ فَمَنَعَهُمْ. وَجَمَعَ قَوْمَهُ وَغَزَا بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْبَرِّيَّةِ فَحَارَبُوهُ وَهَزَمُوهُ وَمَلَكُوا بِلَادَهُ إِلَى حَدِّ بَنِي عَمُّونَ. وَنَزَلُوا مَدِينَتَهُ وَكَانَتْ لِبَنِي مُوآبَ وَتَغَلَّبَ عَلَيْهَا سِيحُونُ. ثُمَّ قَاتَلُوا عُوجًا وَقَوْمَهُ مِنْ كَنْعَانَ وَهُوَ الْمَشْهُورُ بِعُوجِ بْنِ عَنَقٍ وَكَانَ شَدِيدَ الْبَأْسِ فَهَزَمُوهُ وَقَاتَلُوهُ وَبَنِيهِ وَأَثْخَنُوا فِي أَرْضِهِ وَوَرِثُوا أَرْضَهُمْ إِلَى الْأُرْدُنِّ بِنَاحِيَةِ أَرِيحَا. وَخَشِيَ مَلِكُ بَنِي مُوآبَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَاسْتَجَاشَ بِمَنْ يُجَاوِرُهُ مِنْ بَنِي مَدْيَنَ وَجَمَعَهُمْ. ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى بَلْعَامَ بْنِ بَعُورَ وَكَانَ يَنْزِلُ فِي التُّخُمِ بَيْنَ بِلَادِ بَنِي عَمُّونَ وَبَنِي مُوآبَ وَكَانَ مُجَابَ الدَّعْوَةِ مُعَبِّرًا لِلْأَحْلَامِ. وَاسْتَدْعَاهُ لِيَسْتَعِينَ بِدُعَائِهِ فَأَتَاهُ الْوَحْيُ بِالنَّهْيِ عَنِ الدُّعَاءِ. وَأَلَحَّ عَلَيْهِ ذَلِكَ الْمَلِكُ وَأَصْعَدَهُ إِلَى الْأَمَاكِنِ الشَّاهِقَةِ وَأَرَاهُ مُعَسْكَرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْهَا فَدَعَا لَهُمْ وَأَنْطَقَهُ اللَّهُ بِظُهُورِهِمْ وَأَنَّهُمْ يَمْلِكُونَ إِلَى الْمَوْصِلِ. فَغَضِبَ الْمَلِكُ وَانْصَرَفَ بَلْعَامُ إِلَى بَلَدِهِ. وَفَشَا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ الْفَسَادُ فَهَلَكَ مِنْهُمْ أَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفًا. ثُمَّ أَقَامُوا كَذَلِكَ أَرْبَعِينَ سَنَةً فِي بَرِّيَّةِ سِينَا وَفَارَانَ يَتَرَدَّدُونَ حَوَالَيْ جِبَالِ الشَّرَاةِ وَأَرْضِ سَاعِيرَ وَأَرْضِ بِلَادِ الْكَرَكِ وَالشَّوْبَكِ وَمُوسَى بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِمْ يَسْأَلُ اللَّهَ لُطْفَهُ بِهِمْ وَمَغْفِرَتَهُ وَيَدْفَعُ عَنْهُمْ مَهَالِكَ سُخْطِهِ. حَتَّى ارْتَحَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَنَزَلُوا شَاطِئَ الْأُرْدُنِّ. وَقَالَ اللَّهُ: قَدْ مَلَّكْتُكُمْ مَا بَيْنَ الْأُرْدُنِّ

وَٱلْفُرَاتِ كَمَا وَعَدْتُ آبَاءَكُمْ. وَأَكْمَلَ ٱللهُ ٱلشَّرِيعَةَ وَٱلْأَحْكَامَ وَٱلْوَصَايَا لِمُوسَى وَقَبَضَهُ إِلَيْهِ لِمِائَةٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً مِنْ عُمْرِهِ بَعْدَ أَنْ عَهِدَ إِلَى فَتَاهُ يَشُوعَ أَنْ يَدْخُلَ بِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْمُقَدَّسَةِ لِيَسْكُنُوهَا. وَيَعْمَلُوا بِٱلشَّرِيعَةِ ٱلَّتِي فُرِضَتْ عَلَيْهِمْ فِيهَا. وَدُفِنَ بِٱلْوَادِي فِي أَرْضِ مُوآبَ وَلَمْ يُعْرَفْ قَبْرُهُ لِهٰذَا ٱلْعَهْدِ (*) (لابن خلدون)

قضاة اسرائيل

يشوع بن نون

٤٦٥ وَلَمَّا مَاتَ مُوسَى قَامَ بِتَدْبِيرِ بَنِي إِسْرَائِيلَ يَشُوعُ بْنُ نُونٍ وَأَقَامَ بِهِمْ فِي ٱلتِّيهِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ. ثُمَّ ٱرْتَحَلَ بِهِمْ إِلَى ٱلشَّرِيعَةِ بِٱلْغَوْرِ وَٱسْمُهُ ٱلْأُرْدُنُّ. فَلَمْ يَجِدْ سَبِيلًا لِلْعُبُورِ فَأَمَرَ يَشُوعُ حَامِلِي صُنْدُوقِ ٱلشَّهَادَةِ ٱلَّذِي فِيهِ ٱلْأَلْوَاحُ بِأَنْ يَنْزِلُوا إِلَى حَافَةِ ٱلشَّرِيعَةِ. فَوَقَفَتْ حَتَّى ٱنْكَشَفَتْ أَرْضُهَا وَعَبَرَ بَنُو إِسْرَائِيلَ ثُمَّ عَادَتِ ٱلشَّرِيعَةُ كَمَا كَانَتْ. وَنَزَلَ يَشُوعُ بِهِمْ عَلَى أَرِيحَا مُحَاصِرًا لَهَا ثُمَّ أَمَرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَطُوفُوا حَوْلَ أَرِيحَا سَبْعَ مَرَّاتٍ وَأَنْ يُصَوِّتُوا بِٱلْقُرُونِ. فَعِنْدَمَا فَعَلُوا هَبَطَتِ ٱلْأَسْوَارُ وَرَسَخَتْ وَتَسَاوَتِ ٱلْخَنَادِقُ بِهَا. وَدَخَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ أَرِيحَا بِٱلسَّيْفِ وَقَتَلُوا أَهْلَهَا. وَبَعْدَهَا سَارَ إِلَى نَابُلُسَ إِلَى ٱلْمَكَانِ ٱلَّذِي بِيعَ فِيهِ يُوسُفُ فَدَفَنَ عِظَامَ يُوسُفَ هُنَاكَ. وَكَانَ

(*) اعلم أنَّا قد تصرفنا في ما نقلنا عن ابن خلدون بالتقديم والتأخير كما يستلزمهُ النظام الصحيح الذي يشير اليهِ الكتاب الكريم

موسى قد استخرج يوسف من مصر واستصحبه إلى التيه. وبقي معهم أربعين سنة. وتسلمه يشوع إلى أن دفنه بعد فراغه من أريحا. وملك يشوع الشام وفرق فيه عماله ودبر بني إسرائيل نحو ثمان وعشرين سنة. ثم توفي يشوع ودفن في كفر حارس (تتمة سارح

(لابن الوردي)

دبورة وبارق

٤٦٦ وبعد وفاة يشوع تغلب يابين ملك حاصور على أمة إسرائيل عشرين سنة. وكان لقائد جيشه رجل اسمه سيسرا تسع مائة مركبة من حديد يجر كل واحدة منها أربعة أفراس تحمل نفرا من الرجال المقاتلين. وكانت الأمة معه في ضنك شديد فاستغاثوا إلى الله فأنشأ لهم امرأة نبية اسمها دبورة فأنقذتهم منه. ولما تولت دبورة النبية وهي من سبط أفرائيم أمر بني إسرائيل أشركت معها في التدبير رجلا اسمه بارق من سبط نفتلي. ووليا الأمر أربعين سنة وجيش بارق من بني إسرائيل عشرة آلاف رجل مقاتل. والتقى عساكر سيسرا الجمة فانكسر الكنعانيون. ونزل سيسرا عن فرسه ملتجئا إلى امرأة من بني إسرائيل اسمها ياعيل. فعرفته وآوته في منزلها وسقته عوض الماء الذي طلبه لبنا ودثرته فنام وحيث ثقل في نومه أخذت سكة من حديد وسمرتها في صماخه حتى مات. ثم خرجت إلى باب منزلها فرأت بارق مجدا في طلب سيسرا فقالت له:

هَلُمَّ أُرِيكَ مَنْ تُرِيدُ. فَدَخَلَ وَرَأَى سِيسَرَا مُلْقىً مَيْتاً وَالسِّكَّةُ فِي أُذُنِهِ. وَمَا زَالَ بَارَقُ فِي طَلَبِ يَابِينَ مَلِكِ حَاصُورَ حَتَّى ظَفِرَ بِهِ فَقَتَلَهُ

المديانيون وجدعون

٤٦٧ وَبَعْدَ مَوْتِ دَبُورَةَ وَبَارَقَ تَوَثَّنَ بَنُو إِسْرَائِيلَ كَعَادَتِهِمْ وَأُسْلِمُوا فِي يَدَيْ بَنِي مَدْيَنَ فَاسْتَعْبَدُوهُمْ سَبْعَ سِنِينَ. وَهَرَبَ بَنُو إِسْرَائِيلَ مِنْ شِدَّةِ مَا قَاسَوْا مِنَ الْمَدْيَانِيِّينَ وَاتَّخَذُوا لَهُمْ بُيُوتاً فِي الْكُهُوفِ وَالْمَغَارَاتِ وَسَكَنُوهَا. وَصَارَ كُلَّمَا زَرَعُوا زَرْعاً صَعِدَتِ الْعَمَالِقَةُ وَالْمَدْيَانِيُّونَ وَرَعَوْهُ وَقَرَضُوهُ وَأَقْلَحُوا وَجْهَ الْأَرْضِ مِنْ كُلِّ نَبَاتٍ بِكَثْرَةِ أَنْعَامِهِمْ وَمَاشِيَتِهِمْ وَأَغْنَامِهِمْ. وَلَمَّا رَأَى اللهُ ذُلَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ رَحِمَهُمْ وَأَرْسَلَ مَلَاكاً إِلَى رَجُلٍ اسْمُهُ جِدْعُونُ بْنُ يُوآشَ. وَأَمَرَهُ أَنْ يَتَوَلَّى خَلَاصَ الْإِسْرَائِيلِيِّينَ. فَوَلِيَ تَدْبِيرَهُمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً. وَقَتَلَ مُلُوكَ الْأَعْرَابِ مُضْطَهِدِيهِمْ

يفتاح

٤٦٨ ثُمَّ وَلِيَ تَدْبِيرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَبِيمَالِكُ بْنُ جِدْعُونَ ثُمَّ تُولَعُ ثُمَّ يَائِيرُ الْجِلْعَادِيُّ ثُمَّ يَفْتَاحُ. وَفِي زَمَانِهِ طَغَا بَنُو إِسْرَائِيلَ فِي عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ فَأَسْلَمَهُمُ اللهُ فِي أَيْدِي بَنِي عَمُّونَ فَنَكَّدَ بِهِمْ عَيْشَ الْأُمَّةِ ثَمَانِيَ عَشْرَةَ سَنَةً. وَيَفْتَاحُ هٰذَا قَتَلَ مَلِكَ بَنِي عَمُّونَ وَهُمْ بَنُو لُوطٍ وَكَانَ قَدْ نَذَرَ عَلَى نَفْسِهِ أَنَّهُ إِنْ ظَفِرَ بِالْعَدُوِّ وَكَرَّ مُنْتَصِراً أَوَّلُ مَنْ لَمَحَ مِنْ ذَوِي قَرَابَتِهِ قَرَّبَهُ لِلّٰهِ تَعَالَى قُرْبَاناً. فَلَمَّا انْتَصَرَ وَعَادَ دَانِياً مِنْ مَنْزِلِهِ

أَقْبَلَتْ عَلَيْهِ ٱبْنَتُهُ ٱلْعَذْرَاءُ تُهَنِّئُهُ بِٱلنَّصْرِ فَقَالَ لَهَا: كَبَتِ لِوَجْهِي كَبْتًا يَا ٱبْنَتِي وَأَنَا ٱلْيَوْمَ أَكْبَيْتُ عَلَى وَجْهِي بِكِ. فَعَلِمَتْ مَا بِهِ وَٱسْتَمْهَلَتْهُ شَهْرَيْنِ أَنْ تَنُوحَ عَلَى بَكَارَتِهَا مَعَ أَتْرَابِهَا دَائِرَةً فِي ٱلصَّحَارِي. فَأَذِنَ لَهَا فِي ذٰلِكَ وَعِنْدَ تَمَامِ ٱلْمُدَّةِ ضَحَّى بِهَا ضَحِيَّةً بِمُوجَبِ نَذْرِهِ ٱلْمَكْرُوهِ. وَكَانَ مُدَّةُ وِلَايَتِهِ سِتَّ سِنِينَ (لابي الفرج) -

شمشون

٤٦٩ ثُمَّ بَعْدَ ذٰلِكَ عَبَدَ بَنُو إِسْرَائِيلَ ٱلْأَصْنَامَ وَسَلَّطَ ٱللهُ عَلَيْهِمْ بَنِي فِلَسْطِينَ فَقَهَرُوهُمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً. ثُمَّ خَلَّصَهُمْ مِنْ أَيْدِيهِمْ شِمْشُونُ ٱبْنُ مَانُوحَ مِنْ سِبْطِ دَانٍ وَيُعْرَفُ بِشِمْشُونَ ٱلْقَوِيِّ لِفَضْلِ قُوَّةٍ كَانَتْ فِي يَدِهِ وَيُعْرَفُ أَيْضًا بِٱلْجَبَّارِ. وَكَانَ عَظِيمَ سِبْطِهِ وَدَبَّرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَشْرَ سِنِينَ بَلْ عِشْرِينَ سَنَةً. وَكَثُرَتْ حُرُوبُهُ مَعَ بَنِي فِلَسْطِينَ وَأَثْخَنَ فِيهِمْ وَأُتِيحَ لَهُمْ عَلَيْهِ فِي بَعْضِ ٱلْأَيَّامِ فَأَسَرُوهُ ثُمَّ حَمَلُوهُ وَحَبَسُوهُ. وَٱسْتَدْعَاهُ مَلِكُهُمْ يَوْمًا إِلَى بَيْتِ آلِهَتِهِمْ. فَأَمْسَكَ عَمُودَ ٱلْبَيْتِ وَهَزَّهُ بِيَدِهِ فَسَقَطَ ٱلْبَيْتُ عَلَى مَنْ فِيهِ وَمَاتُوا جَمِيعًا

عالي الكاهن

٤٧٠ وَلَمَّا هَلَكَ شِمْشُونُ وَقَعَتِ ٱلْفِتْنَةُ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَفَنِيَ فِيهَا سِبْطُ بِنْيَامِينَ عَنْ آخِرِهِمْ. ثُمَّ سَكَنَتِ ٱلْفِتْنَةُ وَكَانَ ٱلْكَاهِنُ فِيهِمْ لِذٰلِكَ ٱلْعَهْدِ عَالِيَ. فَلَمَّا سَكَنَتِ ٱلْفِتْنَةُ كَانُوا يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ فِي أَحْكَامِهِمْ وَحُرُوبِهِمْ. وَكَانَ لَهُ ٱبْنَانِ عَاصِيَانِ لَمْ يُحْسِنْ تَرْبِيَتَهُمَا. وَكَثُرَ

لِعَهْدِهِ قِتَالُ بَنِي فِلَسْطِينَ . وَفَشَا ٱلْمُنْكَرُ مِنْ وَلَدَيْهِ وَأُمِرَ بِدَفْعِهِمَا عَنْ ذٰلِكَ فَلَمْ يَزْدَادَا إِلَّا عُتُوًّا وَطُغْيَانًا . وَأَنْذَرَهُ ٱلْأَنْبِيَاءُ بِذَهَابِ ٱلْأَمْرِ عَنْهُ وَعَنْ وُلْدِهِ . ثُمَّ هَزَمَهُمْ بَنُو فِلَسْطِينَ فِي بَعْضِ أَيَّامِهِمْ وَأَصَابُوا مِنْهُمْ . فَتَذَامَرَ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَٱحْتَشَدُوا وَحَمَلُوا مَعَهُمْ تَابُوتَ ٱلْعَهْدِ وَلَقِيَهُمْ بَنُو فِلَسْطِينَ فَٱنْهَزَمَ بَنُو إِسْرَائِيلَ أَمَامَهُمْ وَقَتَلُوا ٱبْنَيْ عَالِي ٱلْكَاهِنِ كَمَا أَنْذَرَ بِهِ أَبُوهُمَا وَصَمُوئِيلُ . وَبَلَغَ أَبَاهُمَا ٱلْكَاهِنَ خَبَرُ مَقْتَلِهِمَا فَمَاتَ أَسَفًا لِعِشْرِينَ سَنَةً مِنْ دَوْلَتِهِ . وَغَنِمَ بَنُو فِلَسْطِينَ ٱلتَّابُوتَ فِيمَا غَنِمُوهُ وَٱحْتَمَلُوهُ إِلَى بِلَادِهِمْ بِعَسْقَلَانَ وَغَزَّةَ وَضَرَبُوا ٱلْجِزْيَةَ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ . وَلَمَّا مَضَى ٱلْقَوْمُ بِٱلتَّابُوتِ وَضَعُوهُ عِنْدَ آلِهَتِهِمْ فَقَلَاهَا مِرَارًا . فَأَخْرَجُوهُ إِلَى نَاحِيَةٍ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ فَأُصِيبُوا . فَتَبَادَرُوا بِإِخْرَاجِهِ وَحَمَلُوهُ عَلَى بَقَرَتَيْنِ لَهُمَا تَبِيعَانِ فَوَضَعَتَاهُ عِنْدَ أَرْضِ بَنِي إِسْرَائِيلَ . وَأَقْبَلَ إِلَيْهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ فَكَانَ لَا يَدْنُو مِنْهُ أَحَدٌ إِلَّا مَاتَ . حَتَّى أَذِنَ صَمُوئِيلُ لِرَجُلَيْنِ مِنْهُمْ حَمَلَاهُ إِلَى بَيْتِهِمَا فَكَانَ هُنَالِكَ حَتَّى مَلَكَ طَالُوتُ (لابن العميد النصراني بتصرف)

صموئيل

٤٧١ وَكَانَ عَالِي ٱلْكَاهِنُ قَدْ كَفَلَ صَمُوئِيلَ . وَكَانَتْ أُمُّ صَمُوئِيلَ نَذَرَتْ أَنْ تَجْعَلَهُ خَادِمًا فِي ٱلْمَسْجِدِ . وَأَلْقَتْهُ هُنَالِكَ فَكَفَلَهُ عَالِي . وَأَوْصَى لَهُ بِٱلْكُهُونِيَّةِ . ثُمَّ أَكْرَمَهُ ٱللهُ بِٱلنُّبُوءَةِ . وَوَلَّاهُ بَنُو إِسْرَائِيلَ أَحْكَامَهُمْ فَدَبَّرَهُمْ عَشْرَ سِنِينَ . وَقَالَ جِرْجِيسُ بْنُ ٱلْعَمِيدِ: عِشْرِينَ

سَنَةً. وَنَهَاهُم عَنْ عِبَادَةِ ٱلْأَوْثَانِ فَٱنْتَهَوا. وَحَارَبُوا أَهْلَ فِلَسْطِينَ وَٱسْتَرَدُّوا مَا كَانُوا أَخَذُوا لَهُمْ مِنَ ٱلْقُرَى وَٱلْبِلَادِ وَٱسْتَقَامَ أَمْرُهُمْ. ثُمَّ دَفَعَ ٱلْأَمْرَ إِلَى ٱبْنَيْهِ يُوآلَ وَأَبِيَا وَكَانَتْ سِيرَتُهُمَا سَيِّئَةً. فَٱجْتَمَعَ بَنُو إِسْرَائِيلَ إِلَى صَمُوئِيلَ وَطَلَبُوهُ أَنْ يَسْأَلَ ٱللهَ فِي وِلَايَةِ مَلِكٍ عَلَيْهِمْ. فَجَاءَ ٱلْوَحْيُ بِوِلَايَةِ طَالُوتَ فَوَلَّاهُ. وَصَارَ أَمْرُ بَنِي إِسْرَائِيلَ مُلْكًا بَعْدَ أَنْ كَانَ مَشْيَخَةً وَٱللهُ مُعَقِّبُ ٱلْأَمْرِ بِحِكْمَتِهِ لَا رَبَّ غَيْرُهُ

(لابن خلدون)

ملوك اسرائيل

تملك شاول

٤٧٢ كَانَ شَاوُلُ مِنْ سِبْطِ بَنْيَامِينَ وَتُسَمِّيهِ ٱلْعَرَبُ طَالُوتَ. كَانَ شَابًّا لَمْ يَكُنْ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ أَتَمَّ مِنْهُ خِلْقَةً. فَخَرَجَ يَوْمًا مَعَ غُلَامٍ لَهُ طَائِفَيْنِ عَلَى أُتُنٍ ضَلَّتْ لَهُمَا. وَٱنْتَهَيَا إِلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِي فِيهَا صَمُوئِيلُ ٱلنَّبِيُّ. وَقَالَ ٱلْغُلَامُ لِشَاوُلَ: هٰهُنَا رَجُلٌ عَظِيمٌ نَذْهَبُ إِلَيْهِ لَعَلَّهُ يَدُلُّنَا عَلَى ٱلْأُتُنِ. وَعِنْدَ مَا هَمَّا بِذٰلِكَ خَرَجَ إِلَيْهِمَا صَمُوئِيلُ. فَقَالَا لَهُ: دُلَّنَا عَلَى بَيْتِ ٱلنَّظَّارِ. لِأَنَّ فِي ذٰلِكَ ٱلزَّمَانِ كَانَتْ تُسَمَّى ٱلْأَنْبِيَاءُ نَظَّارَةً. فَقَالَ لَهُمَا: أَنَا ٱلنَّظَّارُ ٱدْخُلَا مَنْزِلِي وَكُلَا مَعِي طَعَامًا فَأُنَبِّئَكُمَا عَنْ بُغْيَتِكُمَا. فَلَمَّا دَخَلَا مَعَهُ ٱلْبَيْتَ. قَالَ لَهُمَا: لَا تَهْتَمَّا بِأَمْرِ ٱلْأُتُنِ فَقَدْ وُجِدَتْ. وَلَمْ تَكُنْ لَذَّةُ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا لَكَ يَا شَاوُلُ وَلِآلِ أَبِيكَ. فَقَالَ لَهُ شَاوُلُ مُسْتَعْفِيًا: قَبِيلَتِي أَقَلُّ سِبْطِ بَنْيَامِينَ.

وَأَخَذَ صَمُوئِيلُ قَرْنَ ٱلدُّهْنِ وَأَفَاضَهُ عَلَى رَأْسِ شَاوُلَ قَائِلًا: إِنَّ ٱللّٰهَ ٱصْطَفَاكَ لِتَكُونَ مَلِكًا لِمِيرَاثِهِ (لابي الفرج)

٤٧٣ وَكَانَ لِطَالُوتَ مِنَ ٱلْوَلَدِ يُونَاثَانُ وَمَلْكِيشُوعُ وَإِشْبُوشَتُ وَأَبِينَادَابُ. وَقَامَ طَالُوتُ بِمُلْكِ بَنِي إِسْرَائِيلَ. وَحَارَبَ أَعْدَاءَهُمْ مِنْ بَنِي فِلَسْطِينَ وَعَمُّونَ وَمُوآبَ وَٱلْعَمَالِقَةِ وَمَدْيَنَ. فَغَلَبَ جَمِيعَهُمْ وَنُصِرَ بَنُو إِسْرَائِيلَ نَصْرًا لَا كِفَاءَ لَهُ. وَأَوَّلُ مَنْ زَحَفَ إِلَيْهِمْ مَلِكُ بَنِي عَمُّونَ وَنَازَلَ قَرْيَةَ بِلْقَاءَ. فَهَجَمَ عَلَيْهِمْ طَالُوتُ وَهُوَ فِي ثَلَاثِمِائَةِ أَلْفٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَهَزَمَهُمْ وَٱسْتَلْحَمَهُمْ. ثُمَّ أَغْزَى ٱبْنَهُ فِي عَسَاكِرِ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَى فِلَسْطِينَ فَنَالَ مِنْهُمْ. وَٱجْتَمَعُوا لِحَرْبِ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَزَحَفَ إِلَيْهِمْ طَالُوتُ وَصَمُوئِيلُ فَٱنْهَزَمُوا وَٱسْتَلْحَمَهُمْ بَنُو إِسْرَائِيلَ. وَأَمَرَ شَاوُلُ أَنْ يَسِيرَ إِلَى ٱلْعَمَالِقَةِ وَأَنْ يَقْتُلَهُمْ وَدَوَابَّهُمْ فَفَعَلَ وَٱسْتَبْقَى مَلِكَهُمْ أَجَاجَ مَعَ بَعْضِ ٱلْأَنْعَامِ. فَجَاءَ ٱلْوَحْيُ إِلَى صَمُوئِيلَ بِأَنَّ ٱللّٰهَ قَدْ سَخِطَهُ وَسَلَبَهُ ٱلْمُلْكَ فَخَبَّرَهُ بِذٰلِكَ. وَهَجَرَهُ صَمُوئِيلُ فَلَمْ يَرَهُ بَعْدُ. وَأَمَرَ صَمُوئِيلُ أَنْ يُقَدِّسَ دَاوُدَ (لابن خلدون)

مسح داود

٤٧٤ فَأَوْحَى ٱللّٰهُ إِلَى صَمُوئِيلَ: قُمْ وَٱنْطَلِقْ إِلَى شَخْصٍ ٱسْمُهُ يَسَّى مِنْ قَرْيَةِ بَيْتَ لَحْمَ فَقَدِ ٱرْتَضَيْتُ مِنْ بَنِيهِ مَلِكًا. فَمَضَى إِلَيْهِ صَمُوئِيلُ وَقَالَ: أُرِيدُ أَنْ أَمْسَحَ أَحَدَ أَوْلَادِكَ مَلِكًا. فَقَالَ لَهُ يَسَّى: أَنَّى لِي بِذٰلِكَ. وَأَحْضَرَ ٱبْنَهُ ٱلْكَبِيرَ فَأَعْجَبَهُ حُسْنُهُ فَأَوْحَى ٱللّٰهُ إِلَيْهِ أَنْ:

نَظَرِي لَيْسَ كَنَظَرِ ٱلْبَشَرِ. فَأَعْرَضَ عَنْهُ وَوَقَفَ صَمُوئِيلُ حَتَّى عَرَضَ عَلَيْهِ سَبْعَةً مِنْ بَنِيهِ. فَلَمْ يُفِضِ ٱلْقَرْنَ عَلَى أَحَدِهِمْ. فَقَالَ لِيَسَّى: هَلْ بَقِيَ مِنْ بَنِيكَ أَحَدٌ. قَالَ لَهُ: بَقِيَ غُلَامٌ وَهُوَ أَصْغَرُهُمْ سِنًّا يَرْعَى ٱلْغَنَمَ. فَقَالَ: ٱئْتِنِي بِهِ. فَأَحْضَرَهُ يَسَّى وَأَفَاضَ عَلَيْهِ ٱلْقَرْنَ وَمَسَحَهُ مَلِكًا وَمَضَى إِلَى مَنْزِلِهِ

جليات وداود

٤٧٥ وَفِي تِلْكَ ٱلْأَيَّامِ ظَهَرَ عِلْجٌ مِنَ ٱلْفِلَسْطِينِيِّينَ ٱسْمُهُ جُلْيَاتُ وَٱلْعَرَبُ تُسَمِّيهِ جَالُوتَ. وَكَانَ يَسُبُّ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَيَسْتَهِينُ بِهِمْ. فَدَنَا مِنْهُ دَاوُدُ قَائِلًا: أَنْتَ أَتَيْتَنِي بِٱلسَّيْفِ وَٱلدَّرَقَةِ وَأَنَا أَتَيْتُكَ بِٱسْمِ ٱلرَّبِّ ٱلَّذِي عَيَّرْتَ صُفُوفَهُ. وَتَنَاوَلَ دَاوُدُ حَجَرًا مِنْ خَرِيطَتِهِ فَوَضَعَهُ فِي مِقْلَاعِهِ. ثُمَّ رَمَاهُ فَغَيَّبَهُ فِي جَبْهَةِ ٱلْعِلْجِ فَوَقَعَ عَلَى وَجْهِهِ. فَسَلَّ دَاوُدُ سَيْفَهُ وَقَطَعَ بِهِ رَأْسَهُ

٤٧٦ وَكَانَ شَاوُلُ قَدْ أَصَابَهُ رِيحُ سُوءٍ فَقِيلَ لَهُ: لِيَكُنْ عِنْدَكَ إِنْسَانٌ جَيِّدُ ٱلضَّرْبِ بِٱلصَّنْجِ ذِي ٱلْأَوْتَارِ لِيُلْهِيَكَ عَمَّا بِكَ. وَوُصِفَ لَهُ دَاوُدُ أَنَّهُ مَاهِرٌ فِي ذٰلِكَ. فَطَلَبَهُ مِنْ أَبِيهِ وَكَانَ يُلْهِيهِ. وَكَانَتْ بَنَاتُ إِسْرَائِيلَ بَعْدَ قَتْلِ دَاوُدَ جُلْيَاتَ يُغَنِّينَ وَيَصْرُخْنَ وَيَقُلْنَ: قَتَلَ شَاوُلُ أُلُوفًا وَدَاوُدُ عَشَرَاتِ أُلُوفٍ. فَحَسَدَ شَاوُلُ دَاوُدَ وَزَجَّ يَوْمًا بِرُمْحٍ لَطِيفٍ كَانَ عِنْدَهُ بِيَدِهِ نَحْوَهُ. فَٱرْتَاعَ لِذٰلِكَ دَاوُدُ. فَخَافَهُ شَاوُلُ وَرَأَّسَهُ عَلَى أَلْفِ رَجُلٍ وَقَالَ يَوْمًا: مَنْ أَتَانِي بِرَأْسِ مِائَتَيْ فِلَسْطِينِيِّ

زَوَّجتهُ ٱبنَتي مِيكالَ. فخرجَ داوُدُ وقتلَ مِنهُم مائتي رجلٍ وأتاهُ بِرُؤوسِهِم فزوَّجهُ إياها فأحبتْ داوُدَ حبًّا شديدًا. وكذلِكَ أخوها يُوناثانُ وجميعُ بني إسرائيلَ. وحذَّرَ يُوناثانُ داوُدَ مِنْ أبيهِ وهرَّبهُ إلى بعضِ ٱلجبالِ. وخرجَ شاوُلُ في طلبِهِ حتَّى أتى معَ أصحابِهِ إلى مغارةٍ في ذلِكَ ٱلجبلِ وباتُوا فيها. فسارَ داوُدُ ليلًا وأتى إلى ٱلمغارةِ وصادفَ شاوُلَ نائمًا فقطعَ قطعةً مِنْ ردائِهِ ورجعَ إلى أصحابِهِ. ولمَّا أصبحَ ٱلنَّهارُ وخرجَ شاوُلُ مِنَ ٱلمغارةِ ناداهُ داوُدُ وقبَّلَ ٱلأرضَ بينَ يديهِ وقالَ لهُ: لا تسمعْ في سيِّدي قولَ واشٍ فقدْ أسلمَكَ ٱللهُ في يدي ٱليومَ ولمْ يُدرِكْكَ منِّي سوءٌ وهذا طرفُ ردائِكَ معي. قالَ لهُ شاوُلُ: جزاكَ ٱللهُ خيرًا إنَّكَ ستملِكُ. فٱحلفْ لي أنَّكَ لا تُهلِكُ ذُرِّيَّتي. فحلفَ لهُ ومضى شاوُلُ إلى منزلِهِ. وماتَ صموئيلُ ٱلنَّبيُّ. وخرجَ شاوُلُ في طلبِ داوُدَ مرَّةً ثانيةً ونامَ في بعضِ ٱلطَّريقِ ليلًا معَ أصحابِهِ. فأتاهُ داوُدُ وهوَ نائمٌ ورامَ أصحابُ داوُدَ قتلَهُ. فمنعهُم قائلًا: لا يحِلُّ لأحدٍ أنْ يمُدَّ يدَهُ إلى مسيحِ ٱلرَّبِّ ٱترُكُوهُ ليومِهِ. ثُمَّ أخذَ رُمحَهُ وكُوزَ ٱلماءِ وٱنطلقَ فعلِمَ شاوُلُ وقالَ: خطِئتُ في طلبِكَ يا داوُدُ ولستُ بعائدٍ

موت شاول

٤٧٧ وقاتلَ بعدَ ذلِكَ ٱلفلسطينيُّونَ بني إسرائيلَ وقُتِلَ يُوناثانُ وإخوتُهُ. وهربَ شاوُلُ وخافَ أنْ يُدرِكُوهُ فتحاملَ على سيفِهِ حتَّى

خَرَجَ مِنْ ظَهْرِهِ. وَأَدْرَكَهُ ٱلْقَوْمُ فَقَطَعُوا رَأْسَهُ وَأَنْفَذُوهُ إِلَى بُيُوتِ أَصْنَامِهِمْ وَصَلَبُوا جَسَدَهُ عَلَى سُورِ مَدِينَتِهِمْ. وَجَاءَ شَخْصٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَٱدَّعَى أَنَّهُ قَتَلَ شَاوُلَ. فَقَالَ لَهُ دَاوُدُ: كَيْفَ طَاوَعَتْكَ نَفْسُكَ أَنْ تَقْتُلَ مَسِيحَ ٱللهِ. فَقَتَلَهُ وَنَاحَ دَاوُدُ وَأَصْحَابُهُ عَلَى شَاوُلَ وَيُونَاثَانَ ٱبْنِهِ. وَرَثَاهُمَا قَائِلًا: إِنَّ جُحْفَةَ شَاوُلَ مَصْبُوغَةٌ بِدَمِ ٱلْقَتْلَى وَقَوْسَ يُونَاثَانَ لَمْ تَكُنْ تَنْكُصُ إِلَى وَرَائِهَا وَحَرْبَةَ شَاوُلَ لَمْ تَكُنْ تَنْثَنِي. لَقَدْ كَانَ أَخَفَّ مِنَ ٱلنُّسُورِ سَيْرًا وَأَشْجَعَ مِنَ ٱلْأُسُدِ بَطْشًا. يَا بَنَاتِ إِسْرَائِيلَ ٱبْكِينَانِ شَاوُلَ ٱلَّذِي كَانَ يَكْسُوكُنَّ ٱلْأُرْجُوَانَ وَٱلْبِهْرَمَانَ. وَكَانَ مُدَّةُ مُلْكِهِ عَلَى رَأْيِ أُوسَابِيُوسَ أَرْبَعِينَ سَنَةً

ملك داود بن يسّى

٤٧٨ لَمَّا قُتِلَ شَاوُلُ ٱسْتَقَامَ دَاوُدُ فِي مُلْكِهِ وَقَالَ لِنَاثَانَ ٱلنَّبِيِّ يَوْمَئِذٍ: أَنَا سَاكِنٌ فِي بُيُوتِ ٱلْأَرْزِ وَسَكِينَةُ ٱلرَّبِّ يَعْنِي مَسْكِنَ ٱلزَّمَانِ فِي ٱلْخِيَمِ أَفَلَا أَبْنِي لَهُ بَيْتًا. فَأَوْحَى ٱللهُ إِلَى نَاثَانَ ٱلنَّبِيِّ وَقَالَ لَهُ: قُلْ لِعَبْدِي دَاوُدَ لَا تَبْنِي لِي بَيْتًا لِأَنَّ ٱبْنَكَ ٱلَّذِي أُقِيمُهُ مَكَانَكَ هُوَ يَبْنِي بَيْتًا عَلَى ٱسْمِي. ثُمَّ تَقَدَّمَ دَاوُدُ إِلَى يُوآبَ قَائِدِ جَيْشِهِ لِيُحْصِيَ عَدَدَ مُقَاتِلَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ. فَغَابَ يُوآبُ عَنْهُ فِي مُدُنِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَقُرَاهُمْ تِسْعَةَ أَشْهُرٍ وَعِشْرِينَ يَوْمًا. ثُمَّ أَتَاهُ وَقَالَ لَهُ: وَجَدْتُ عِدَّةَ مُقَاتِلَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ ثَمَانِمِائَةِ أَلْفِ رَجُلٍ وَبَنِي يَهُوذَا خَمْسَمِائَةِ أَلْفِ نَفْسٍ. فَأَوْحَى ٱللهُ إِلَى جَادٍ ٱلنَّبِيِّ قَائِلًا: قُلْ لِدَاوُدَ قَدْ رَأَيْتُ ٱلْغَلَبَةَ بِكَثْرَةِ

أَبِيهِ دَاوُدَ فَبَكَى عَلَيْهِ وَحَزِنَ طَوِيلًا. وَاسْتَأْلَفَ الْأَسْبَاطَ وَرَضِيَ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ. ثُمَّ عَهِدَ عِنْدَ تَمَامِ أَرْبَعِينَ سَنَةً مِنْ دَوْلَتِهِ لِابْنِهِ سُلَيْمَانَ. وَمَسَحَهُ نَاثَانُ النَّبِيُّ وَصَادُوقُ الْحَبْرُ مِسْحَةَ التَّقْدِيسِ (لابن خلدون)

ملك سليمان بن داود

٤٨٠ وَلِيَ الْمُلْكَ سُلَيْمَانُ وَهُوَ ابْنُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً. وَعِنْدَ ذٰلِكَ أَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ فِي الْمَنَامِ وَقَالَ لَهُ: سَلْنِي مَا أَحْبَبْتَ حَتَّى أُعْطِيَكَهُ. فَقَالَ سُلَيْمَانُ: يَا رَبِّي قُوَّتِي تَعْجِزُ عَنِ التَّدْبِيرِ وَلَا عِلْمَ لِي بِالْقَضَاءِ بَيْنَ شَعْبِكَ فَامْنَحْنِي قَلْبًا فَهِمًا وَعَقْلًا رَزِينًا. فَقَالَ لَهُ: سَأُعْطِيكَ مَا لَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ مِنَ الْمُلُوكِ. وَإِنْ سَلَكْتَ سَبِيلِي أَطَلْتُ عُمْرَكَ وَلَا أُزِيلُ الْمُلْكَ عَنْ بَنِيكَ. فَأَصْبَحَ سُلَيْمَانُ مَسْرُورًا وَجَلَسَ عَلَى كُرْسِيِّ الْمُلْكِ. فَأَتَتْهُ امْرَأَتَانِ تَخْتَصِمَانِ إِلَيْهِ فِي صَبِيٍّ تَدَّعِي كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا أَنَّهُ وَلَدُهَا. فَقَالَ سُلَيْمَانُ لِسَيَّافِهِ: اقْطَعِ الصَّبِيَّ بِنِصْفَيْنِ وَأَعْطِ لِكُلِّ وَاحِدَةٍ نِصْفَهُ. فَقَالَتِ الْوَاحِدَةُ: نَعَمْ حَتَّى لَا يَكُونَ لِي وَلَا لَهَا. وَقَالَتِ الْأُخْرَى: ادْفَعْهُ إِلَيْهَا أَيُّهَا الْمَلِكُ وَلَا تَقْتُلْهُ. فَعَلِمَ سُلَيْمَانُ أَنَّهُ ابْنُهَا فَدَفَعَهُ إِلَيْهَا. فَرَأَى بَنُو إِسْرَائِيلَ ذٰلِكَ وَتَحَقَّقُوا أَنَّ اللهَ قَدْ آتَى سُلَيْمَانَ حِكْمَةً وَعِلْمًا. وَخَضَعَ الْمُلُوكُ لَهُ وَهَادَنُوهُ... وَفِي رَابِعِ سَنَةٍ لِمُلْكِهِ شَرَعَ فِي بُنْيَانِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَهُوَ الْمَعْرُوفُ بِالْمَسْجِدِ الْأَقْصَى فِي جَبَلِ الْأَمُورِيِّينَ فِي أَنْدَرِ أَرَانَ الْيَبُوسِيِّ وَطُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا وَعَرْضُهُ عِشْرُونَ ذِرَاعًا وَعُلُوُّهُ ثَلَاثُونَ ذِرَاعًا. وَتَمَّمَهُ فِي سَبْعِ

سِنِينَ . وَبَنَى سَبْعَ مُدُنٍ مِنْ جُمْلَتِهَا تَدْمُرُ . وَلَمَّا شَيَّدَ سُلَيْمَانُ بَيْتَ ٱلرَّبِّ شَكَرَ ٱللهَ وَدَعَا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ بِٱلْبَرَكَةِ . وَجَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ وَبَسَطَ يَدَيْهِ إِلَى ٱلسَّمَاءِ وَقَالَ: أَللّٰهُمَّ إِلٰهَ إِسْرَائِيلَ لَيْسَ مِثْلَكَ فِي ٱلسَّمَاوَاتِ ٱلْعُلَى وَلَا فِي ٱلْأَرَضِينَ ٱلسُّفْلَى . وَقَدْ وَفَيْتَ لِعَبْدِكَ دَاوُدَ بِٱلْوَعْدِ ٱلَّذِي وَعَدْتَهُ . فَأَسْأَلُكَ أَنَّهُ إِنْ أَثِمَ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَٱنْهَزَمُوا مِنْ أَعْدَائِهِمْ وَدَعَوْكَ فِي هٰذَا ٱلْبَيْتِ فَٱسْتَجِبْ لَهُمْ وَٱغْفِرْ خَطَايَاهُمْ وَٱنْصُرْهُمْ عَلَى أَعْدَائِهِمْ . وَإِذَا أَثِمُوا فَٱحْتَبَسَ عَنْهُمُ ٱلْمَطَرُ فَأَتَوْا هٰذَا ٱلْبَيْتَ فَأَهْطِلْ لَهُمْ مَطَرًا وَأَرْوِ أَرْضَهُمْ بِغَيْثِكَ وَإِذَا كَانَ فِي ٱلْأَرْضِ جُوعٌ أَوْ جَرَادٌ أَوْ مَوْتٌ أَوْ مَرَضٌ فَٱسْتَغَاثُوا إِلَيْكَ فَٱسْتَجِبْ لَهُمْ . وَإِذَا أَتَى أَحَدٌ مِنَ ٱلْأُمَمِ ٱلْغَرِيبَةِ إِلَى هٰذَا ٱلْبَيْتِ وَدَعَاكَ فَٱسْتَجِبْ لَهُ لِتَعْلَمَ شُعُوبُ ٱلْأَرْضِ أَنَّكَ أَنْتَ ٱللهُ وَحْدَكَ فَيَخَافُوكَ . ثُمَّ قَرَّبَ قُرْبَانًا كَثِيرَةً مِنَ ٱلذَّبَائِحِ وَجَعَلَ ذٰلِكَ عِيدًا لِلّٰهِ سَبْعَةَ أَيَّامٍ . فَكَانَ ٱلْمُلُوكُ يَقْصِدُونَهُ لِيَسْمَعُوا حِكْمَتَهُ وَيَأْتُونَهُ بِٱلْهَدَايَا ٱلنَّفِيسَةِ . وَأَتَتْهُ مَلِكَةُ ٱلتَّيْمَنِ وَقَدَّمَتْ لَهُ مِائَةً وَعِشْرِينَ قِنْطَارًا مِنَ ٱلذَّهَبِ وَطِيبًا وَجَوَاهِرَ ثَمِينَةً وَقَالَتْ لَهُ: يَا سُلَيْمَانُ لَقَدْ زَادَ خُبْرُكَ عَلَى خَبَرِكَ طُوبَى عَبِيدِكَ ٱلسَّامِعِينَ حِكْمَتَكَ يَكُونُ ٱلرَّبُّ إِلٰهُكَ مُبَارَكًا . وَأَعْطَاهَا سُلَيْمَانُ مِنْ جَمِيعِ ٱلْأَلْطَافِ أَحْسَنَهَا وَعَادَتْ إِلَى بَلَدِهَا . وَلِسُلَيْمَانَ كِتَابُ ٱلْأَمْثَالِ فِي ٱلْحِكْمَةِ ٱلْعَمَلِيَّةِ نَاهِيكَ مِنْ كِتَابٍ . وَكَانَ مُدَّةُ مُلْكِهِ أَرْبَعِينَ سَنَةً وَمَاتَ وَدُفِنَ فِي تُرْبَةِ أَبِيهِ دَاوُدَ . وَكَانَ ٱرْتِفَاعُ مَمْلَكَتِهِ

ٱلَّتِي هِيَ أَرْبَعُونَ فَرْسَخًا فِي مِثْلِهَا فِي ٱلْعَامِ سِتَّمِائَةِ أَلْفٍ وَسِتَّمِائَةٍ وَسِتِّينَ قِنْطَارًا ذَهَبًا سِوَى ٱلْهَدَايَا وَأَرْبَاحِ ٱلْمَتَاجِرِ. وَكَانَ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ سُلَيْمَانُ لِمَائِدَتِهِ فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنَ ٱلدَّقِيقِ مِائَةَ كُرٍّ وَمِنَ ٱلثِّيرَانِ ثَلٰثِينَ رَأْسًا وَمِنَ ٱلْغَنَمِ مِائَةَ رَأْسٍ سِوَى ٱلظِّبَاءِ وَٱلْأَيَائِلِ وَأَنْوَاعِ ٱلطُّيُورِ (لابي الفرج بتصرُّف)

رحبعام وافتراق العشرة الاسباط

٤٨١ وَمَلَكَ بَعْدَ سُلَيْمَانَ ٱبْنُهُ رَحَبْعَامُ. وَكَانَ رَدِيءَ ٱلشَّكْلِ شَنِيعَ ٱلْمَنْظَرِ فَأَظْهَرَ ٱلصَّلَابَةَ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ وَقَالَ لَهُمْ: أَنَا خِنْصِرِي أَغْلَظُ مِنْ ظَهْرِ أَبِي. وَمَهْمَا كُنْتُمْ تَخْشَوْنَ مِنْ أَبِي فَإِنِّي أُعَاقِبُكُمْ بِأَشَدَّ مِنْهُ. فَخَرَجَ عَنْ طَاعَتِهِ عَشَرَةُ أَسْبَاطٍ لَمْ يَبْقَ مَعَهُ غَيْرُ سِبْطَيْ يَهُوذَا وَبِنْيَامِينَ. وَتَمَلَّكَ عَلَى ٱلْعَشَرَةِ ٱلْأَسْبَاطِ يَارُبْعَامُ عَبْدُ سُلَيْمَانَ وَكَانَ جَاحِدًا وَأَظْهَرَ ٱلْكُفْرَ وَعِبَادَةَ ٱلْأَوْثَانِ. وَٱسْتَقَرَّ لِوُلْدِ دَاوُدَ ٱلْمُلْكُ عَلَى ٱلسِّبْطَيْنِ فَقَطْ. وَصَارَ لِلْأَسْبَاطِ ٱلْعَشَرَةِ مُلُوكٌ بَعْدَ يَارُبْعَامَ تُعْرَفُ بِمُلُوكِ ٱلْأَسْبَاطِ نَحْوَ مِائَتَيْنِ وَإِحْدَى وَسِتِّينَ سَنَةً. (ونحن نكتفي بذكر بني داود)

٤٨٢ رَحَبْعَامُ ٱسْتَمَرَّ مَلِكًا لِلسِّبْطَيْنِ (بِبَيْتِ ٱلْمَقْدِسِ وَعَسْقَلَانَ وَغَزَّةَ وَدِمَشْقَ وَحَلَبَ وَحِمْصَ وَحَمَاةَ وَمَا وَلِيَ ذٰلِكَ إِلَى أَرْضِ ٱلْحِجَازِ) إِلَى دُخُولِ ٱلسَّنَةِ ٱلْخَامِسَةِ مِنْ مُلْكِهِ. فَغَزَاهُ فِرْعَوْنُ مِصْرَ وَٱسْمُهُ شِيشَاقُ. وَنَهَبَ ٱلْمَالَ ٱلْمُخَلَّفَ عَنْ سُلَيْمَانَ. وَزَادَ رَحَبْعَامُ فِي عِمَارَةِ

بَيْتَ لَحْمَ وَغَزَّةَ وَصُورَ وَغَيْرِهَا . وَمَلَكَ سَبْعَ عَشْرَةَ سَنَةً

(لابن الوردي)

ملك يوشافاط ويورام

٤٨٣ ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَهُ أَبِيَامُ ثُمَّ آسَا . ثُمَّ مَلَكَ يُوشَافَاطُ وَكَانَ رَجُلًا صَالِحًا كَثِيرَ ٱلْعِنَايَةِ بِعُلَمَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ . وَخَرَجَ عَلَيْهِ عَدُوٌّ مِنْ وَلَدِ ٱلْعِيسِ وَجَاؤُوا فِي جَمْعٍ عَظِيمٍ . وَخَرَجَ يُوشَافَاطُ لِقِتَالِهِمْ فَأَلْقَى ٱللهُ بَيْنَ أَعْدَائِهِ ٱلْفِتْنَةَ . وَٱقْتَتَلُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ حَتَّى أُثْخِنُوا وَوَلَّوْا مُنْهَزِمِينَ . فَجَمَعَ يُوشَافَاطُ مِنْهُمْ غَنَائِمَ كَثِيرَةً وَعَادَ بِهَا إِلَى ٱلْقُدْسِ مُؤَيَّدًا مَنْصُورًا وَٱسْتَمَرَّ فِي مُلْكِهِ خَمْسًا وَعِشْرِينَ سَنَةً . ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَهُ ٱبْنُهُ يُورَامُ ثَمَانِيَ سِنِينَ . وَتَزَوَّجَ ٱبْنَةَ أَحَابَ مَلِكِ ٱلْعَشَرَةِ ٱلْأَسْبَاطِ وَقَتَلَ إِخْوَتَهُ كُلَّهُمْ . فَنَزَلَتْ عَلَيْهِ ٱلْبَلْوَى وَمَاتَ مَبْطُونًا . وَمَلَكَ بَعْدَهُ ٱبْنُهُ أَحَزْيَا سَنَةً وَاحِدَةً .

عتليا ويواش

٤٨٤ عَتَلْيَا أُمُّ أَحَزْيَا مَلَكَتْ سَبْعَ سِنِينَ . وَأَبَاحَتْ لِلرِّجَالِ ٱلسُّجُودَ لِلْأَصْنَامِ فِي مَدِينَةِ ٱلْقُدْسِ . وَأَبَادَتْ ذُرِّيَّةَ ٱلْمَمْلَكَةِ لِتَسْتَبِدَّ وَحْدَهَا بِهَا وَلَا يَبْقَى مَنْ يُنَافِسُهَا عَلَيْهَا . وَلَمْ يَنْجُ سِوَى يُوآشَ حَافِدِهَا أَيِ ٱبْنِ أَحَزْيَا ٱبْنِهَا ٱلَّذِي سَرَقَتْهُ عَمَّتُهُ يُوشَابَعُ ٱمْرَأَةُ يُويَادَاعَ رَئِيسِ ٱلْكَهَنَةِ وَرَبَّتْهُ سِرًّا . ثُمَّ مَلَكَ يُوآشُ بْنُ أَحَزْيَا أَرْبَعِينَ سَنَةً . وَلِيَ ٱلْمُلْكَ وَلَهُ يَوْمَئِذٍ سَبْعُ سِنِينَ . وَذَلِكَ لِأَنَّ يُويَادَاعَ رَئِيسَ ٱلْكَهَنَةِ قَتَلَ عَتَلْيَا ٱلْبَاغِيَةَ

جَدَّتَهُ وَقَلَّدَهُ ٱلْمُلْكَ . وَلَمْ يَعْتَرِفْ لَهُ بِجَمِيلِهِ لٰكِنَّهُ بَعْدَ وَفَاةِ يُويَادَاعَ قَتَلَ جَمِيعَ أَوْلَادِهِ ثُمَّ ٱغْتَالَهُ مَمَالِيكُهُ (لابي الفرج)

امصيا وعزّيا

٤٨٥ ثُمَّ وَلَّوْا مَكَانَهُ ٱبْنَهُ أَمَصْيَا . فَسَارَ إِلَى أَدُومَ وَظَفِرَ بِهِمْ وَقَتَلَ مِنْهُمْ نَحْوًا مِنْ عِشْرِينَ أَلْفًا . ثُمَّ زَحَفَ إِلَيْهِ مَلِكُ ٱلْأَسْبَاطِ بِٱلسَّامِرَةِ . وَلَقِيَهُ فَهَزَمَهُ وَحَصَلَ أَمَصْيَا فِي أَسْرِهِ ... وَكَانَ لِعَهْدِهِ مِنَ ٱلْأَنْبِيَاءِ يُونَانُ وَنَاحُومُ وَتَنَبَّأَ لِعَصْرِهِ عَامُوصُ . وَلَمَّا قُتِلَ أَمَصْيَا وَلَّوْا ٱبْنَهُ عَزِّيَا وَطَالَتْ مُدَّتُهُ ثَلَاثًا وَخَمْسِينَ سَنَةً . وَلِعَهْدِهِ كَانَ مِنَ ٱلْأَنْبِيَاءِ يُوشَعُ وَعُزَيَّا وَأَشَعْيَا وَيُونُسُ . وَٱنْتَهَتْ عَسَاكِرُ عَزِّيَا إِلَى ثَلَاثِمِائَةِ أَلْفٍ . وَأَصَابَهُ ٱلْبَرَصُ بِدُعَاءِ ٱلْكَاهِنِ لَمَّا أَرَادَ أَنْ يُخَالِفَ ٱلتَّوْرَاةَ فِي ٱسْتِعْمَالِ ٱلْبَخُورِ وَهُوَ مُحَرَّمٌ إِلَّا عَلَى سِبْطِ لَاوِي . فَبَرِصَ وَلَزِمَ بَيْتَهُ سَنَةً . وَصَارَ ٱبْنُهُ يُوتَامُ يَنْظُرُ فِي أَمْرِ ٱلْمُلْكِ إِلَى أَنْ خَلَفَ أَبَاهُ وَكَانَ صَالِحًا تَقِيًّا (لابن العميد باختصار)

آحاز وانتهاء ملك اسرائيل

٤٨٦ وَهَلَكَ يُوتَامُ لِسِتَّ عَشْرَةَ مِنْ مُلْكِهِ . وَمَلَكَ ٱبْنُهُ آحَازُ فَخَالَفَ سُنَّةَ آبَائِهِ وَعَبَدَ بَنُو إِسْرَائِيلَ ٱلْأَوْثَانَ فِي زَمَانِهِ . وَحَارَبَهُ فَقَحْيَا مَلِكُ ٱلسَّامِرَةِ مُسْتَنْجِدًا بِرَصِينَ مَلِكِ ٱلشَّامِ . وَأَهْلَكَ مِنْ آلِ يَهُوذَا مِائَةً وَعِشْرِينَ أَلْفًا . وَفِي سَنَةِ ثَمَانٍ لِمُلْكِ آحَازَ غَزَاهُ شَلْمَنَاسَرُ مَلِكُ بَابِلَ وَكَتَبَ آحَازُ نَفْسَهُ عَبْدًا لَهُ وَأَخَذَ جَمِيعَ مَا وَجَدَ فِي بَيْتِ ٱلرَّبِّ وَٱلْمَلِكِ

مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْآنِيَةِ. وَحَاصَرَ مَدِينَةَ شِمْرِينَ (وهي السامرة) ثَلَاثَ سِنِينَ وَفَتَحَهَا. وَقَتَلَ هُوشَعَ وَسَبَى ٱلْعَشَرَةَ ٱلْأَسْبَاطَ وَفَرَّقَهُمْ فِي جِبَالِ أَشُورَ وَأَرَاضِي بَابِلَ وَبِلَادِ ٱلْفُرْسِ. وَمَنْ أَفْلَتَ مِنْ هٰذَا ٱلسَّبْيِ ٱنْضَافَ إِلَى مَلِكِ ٱلسِّبْطَيْنِ يَهُوذَا وَبَنْيَامِينَ. وَبَطَلَ بِذٰلِكَ مُلْكُ ٱلْعَشَرَةِ ٱلْأَسْبَاطِ

ملك حزقيا

٤٨٧ حِزْقِيَّا بْنُ آحَازَ مَلَكَ تِسْعًا وَعِشْرِينَ سَنَةً. وَأَطَاعَ ٱللّٰهَ وَأَزَالَ ٱلْأَصْنَامَ فَظَفَّرَهُ ٱللّٰهُ بِأَعْدَائِهِ تَظْفِيرًا. وَفِي ٱلسَّنَةِ ٱلرَّابِعَةِ مِنْ مُلْكِهِ صَعِدَ شَلْمَنْآسَرُ مَلِكُ بَابِلَ إِلَى أَرْضِ ٱلسَّامِرَةِ مَرَّةً ثَانِيَةً وَسَبَى جَمِيعَ مَنْ تَبَقَّى مِنَ ٱلْعَشَرَةِ ٱلْأَسْبَاطِ. وَفِي ٱلسَّنَةِ ٱلْعَاشِرَةِ مِنْ مُلْكِ حِزْقِيَّا غَزَا سَنْحَارِيبُ مَلِكُ أَشُورَ دِيَارَ ٱلْقُدْسِ وَبِصَلَاةِ حِزْقِيَّا خَلَصَتْ أُورَشَلِيمُ. وَمَرِضَ حِزْقِيَّا لِيَمُوتَ فَبَكَى بُكَاءً شَدِيدًا وَنَاحَ قَائِلًا: إِنَّ ٱلْبَرَكَةَ ٱلَّتِي جَعَلَهَا ٱللّٰهُ فِي ذُرِّيَّةِ دَاوُدَ ٱنْقَطَعَتْ مِنِّي وَعِنْدِي تَنْقَضِي سُلَالَةُ مُلْكِ ٱبْنِ يَسَّى. فَزَادَ ٱللّٰهُ فِي حَيَاتِهِ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً وَوُلِدَ لَهُ ٱبْنٌ فَسَمَّاهُ مَنَسَّى

هلاك جيش سنحاريب

٤٨٨ وَنَزَلَ سَنْحَارِيبُ عَلَى أُورَشَلِيمَ وَأَرْسَلَ إِلَى حِزْقِيَّا يَقُولُ لَهُ: لَا تَغْتَرَّ بِرَبِّكَ فَسَأُهْلِكُكَ. فَذُعِرَ مِنْهُ حِزْقِيَّا وَأَنْفَذَ إِلَى أَشْعِيَا ٱلنَّبِيِّ يَقُولُ لَهُ: هٰذَا يَوْمُ بَلَاءٍ فَٱدْعُ إِلَى رَبِّكَ. فَأَوْحَى ٱللّٰهُ إِلَى أَشْعِيَا

قائلًا: قل لحزقيا لا تخف من سنحاريب فإني راده في الطريق الذي جاء فيه. وبعث الله ملاكًا فقتل في معسكر سنحاريب مائة ألف وخمسة وثمانين ألفًا من الجند. فعاد منهزمًا إلى أشور وهنالك قتله ابناه وهو ساجد في بيت صنمه. وفي زمان حزقيا كان طوبيا الصديق من جالية بني إسرائيل قاطنًا بنينوى. وقصة مناواة ملاك الرب إياه مرارة داوى بها عينيه وبرئه من عماه مذكورة في كتابه

ملك منسّى واسره وتوبته

٤٨٩ ثم ملك بعده ابنه منسّى واجتمع له ملك الأسباط الاثني عشر. وارتكب كل محظور ومحرم. وعمل صنمًا ذا أربعة أوجه وأمر بالسجود له. ونشر أشعيا النبي ناهيه عن المنكر. فرذل الله منسّى وأسلمه إلى الأشوريين فأسروه وأخذوه مسلسلًا إلى أشور وسجنوه في برج النحاس بمدينة نينوى. وعند ذلك تاب إلى الله ودعا ودعاؤه مشهور. فتاب الله عليه ورده إلى ملكه. وحال وصوله إلى أورشليم أخرج الصنم ذا الوجوه الأربعة من الهيكل وطهره وبنى سور أورشليم الجنوبي

ملك آمون ويوشيا

٤٩٠ ثم ملك ابنه آمون سنتين واغتاله عبيده وقتلوه. وأقيم يوشيا مكانه. ولما ملك أحسن السيرة وهدم الأوثان. وكان صالح

اَلطَّرِيقَةِ مُسْتَقِيمَ ٱلدِّينِ وَقَتَلَ كَهَنَةَ ٱلْأَصْنَامِ وَهَدَمَ ٱلْبُيُوتَ وَٱلْمَذَابِحَ ٱلَّتِي بَنَاهَا يَارُبْعَامُ وَتَنَبَّأَ لِعَهْدِهِ إِرْمِيَا وَأَخْبَرَهُمْ بِٱلْجَلَاءِ سَبْعِينَ سَنَةً . ثُمَّ خَرَجَ يُوشِيَا لِحَرْبِ ٱلْمَلِكِ فِرْعَوْنَ وَٱنْهَزَمَ يُوشِيَا . وَهَلَكَ بِسَهْمٍ أَصَابَهُ لِسَنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ مِنْ مُلْكِهِ (لابن خلدون)

ملك يوآحاز ويوياقيم ابني يوشيا

٤٩١ مَلَكَ يُوآحَازُ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ وَكَانَ فَاسِدَ ٱلطَّرِيقَةِ . فَسَبَاهُ فِرْعَوْنُ ٱلْأَعْرَجُ وَأَوْثَقَهُ بِٱلْحَدِيدِ وَأَنْفَذَهُ إِلَى مِصْرَ وَمَاتَ هُنَاكَ وَنَصَبَ يُويَاقِيمَ أَخَاهُ مَكَانَهُ . وَمَلَكَ بَعْدَهُ يُويَاقِيمُ إِحْدَى عَشْرَةَ سَنَةً وَكَانَ قَبِيحَ ٱلْمَذْهَبِ مَذْمُومَ ٱلطَّرِيقَةِ وَقَبِلَ عَلَيْهِ ٱلْجِزْيَةَ لِمَلِكِ مِصْرَ كُلَّ سَنَةٍ مِائَةَ قِنْطَارٍ ذَهَبًا . وَفِي ٱلسَّنَةِ ٱلثَّالِثَةِ لِمُلْكِهِ صَعِدَ بُخْتَ نَصَّرُ مَلِكُ بَابِلَ إِلَى بَيْتِ ٱلْمَقْدِسِ وَسَبَاهَا وَجَلَا أَكْثَرَ أَهْلِهَا إِلَى بَابِلَ وَمَعَهُمْ دَانِيَالُ ٱلنَّبِيُّ وَوَضَعَ ٱلْجِزْيَةَ عَلَى يُويَاقِيمَ وَرَجَعَ عَنْهُ . وَفِي ٱلسَّنَةِ ٱلثَّامِنَةِ مِنْ مُلْكِ يُويَاقِيمَ نَزَلَ بُخْتَ نَصَّرُ نُزُولًا عَلَى أُورَشَلِيمَ وَأَخَذَ مَالًا مِنْ يُويَاقِيمَ وَعَادَ وَبَعْدَ ثَلَاثِ سِنِينَ مَاتَ يُويَاقِيمُ

ملك يوياكين وجلاء بابل

٤٩٢ ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَهُ ٱبْنُهُ يُويَاكِينُ وَيُسَمَّى يَكُنْيَا . وَلَمَّا مَضَتْ عَلَيْهِ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ مِنْ مُلْكِهِ قَصَدَهُ مَلِكُ بَابِلَ وَحَاصَرَ بَيْتَ ٱلْمَقْدِسِ . فَخَرَجَ يَكُنْيَا إِلَيْهِ مُسْتَأْمِنًا مَعَ أُمِّهِ وَحَشَمِهِ وَعَبِيدِهِ فَجَلَاهُمْ كُلَّهُمْ إِلَى بَابِلَ وَلَمْ يَتْرُكْ فِي أُورَشَلِيمَ إِلَّا شَيْخًا مُسِنًّا وَعَجُوزًا ضَعِيفَةً .

وَوَلَّى عَلَى مَنْ تَخَلَّفَ بِأُورَشَلِيمَ صِدْقِيَّا بْنَ يُوشِيَّا عَمَّ يَكُنْيَا وَبَقِيَ يَكُنْيَا مُعْتَقَلاً فِي بَابِلَ سَبْعاً وَثَلَاثِينَ سَنَةً

ملك صدقيا بن يوشيا

٤٩٣ كَانَ ٱسْمُهُ مَتَّنْيَا وَبُخْتَ نَصَّرُ سَمَّاهُ صِدْقِيَّا مَلَكَ إِحْدَى عَشْرَةَ سَنَةً. ثُمَّ عَصَى وَمَنَعَ ٱلْجِزْيَةَ ٱلَّتِي كَانَ يُؤَدِّيهَا إِلَى بُخْتَ نَصَّرَ فَعَادَ إِلَيْهِ وَأَسَرَهُ وَذَبَحَ أَوْلَادَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَسَمَلَ عَيْنَيْهِ وَسَارَ بِهِ إِلَى أَشُورَ وَجَعَلَهُ يُدِيرُ ٱلرَّحَى مِثْلَ ٱلْحِمَارِ وَكَانَ عُمْرُهُ ٱثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ سَنَةً. وَلَمَّا مَاتَ رُمِيَتْ جُثَّتُهُ وَرَاءَ ٱلسُّورِ فَأَكَلَتْهُ ٱلْكِلَابُ. وَفِي هٰذِهِ ٱلْمَرَّةِ دَخَلَ بُخْتَ نَصَّرُ إِلَى مِصْرَ وَجَزَائِرِ ٱلْبَحْرِ وَهَدَمَ مُدُناً كَثِيرَةً وَأَحْرَقَ مَدِينَةَ صُورَ وَقَتَلَ حِيرَامَ مَلِكَهَا. وَبَعَثَ بُخْتَ نَصَّرُ نَبُوزَرَدَنَ إِلَى أُورَشَلِيمَ فَدَعْثَرَ سُورَهَا وَأَحْرَقَ ٱلْهَيْكَلَ. وَكَانَ لِإِرْمِيَا عِنْدَ هٰذَا ٱلْقَائِدِ مَنْزِلَةٌ فَسَأَلَهُ فِي أَمْرِ كُتُبِ ٱلْوَحْيِ فَلَمْ يَحْرِقْهَا فَجَمَعَهَا وَوَضَعَهَا مَعَ لَوْحَيِ ٱلنَّامُوسِ وَعَصَا مُوسَى وَمِجْمَرَةِ ٱلْبَخُورِ وَبَاقِي آلَاتِ ٱلْقُدْسِ فِي تَابُوتِ ٱلْعَهْدِ وَرَمَى بِهَا فِي بَعْضِ ٱلْآبَارِ وَلَمْ يُعْرَفْ مَكَانُهَا إِلَى ٱلْآنَ. وَجَلَسَ إِرْمِيَا ٱلنَّبِيُّ يَنُوحُ عَلَى أُورَشَلِيمَ عِشْرِينَ سَنَةً ثُمَّ ٱنْتَقَلَ إِلَى مِصْرَ فَقَبَضَ عَلَيْهِ قَوْمٌ مِنَ ٱلْيَهُودِ وَحَبَسُوهُ فِي جُبٍّ ثُمَّ أَخْرَجُوهُ وَرَجَمُوهُ فَمَاتَ وَدُفِنَ فِي مِصْرَ. ثُمَّ فِي زَمَانِ ٱلْإِسْكَنْدَرِ نُقِلَ تَابُوتُهُ إِلَى ٱلْإِسْكَنْدَرِيَّةِ فَدُفِنَ هُنَاكَ. وَكَانَ حِزْقِيَالُ ٱلنَّبِيُّ فِي جُمْلَةِ مَنْ سُبِيَ إِلَى بَابِلَ فَقَتَلَهُ ٱلْيَهُودُ لِأَجْلِ تَوْبِيخِهِ لَهُمْ. فَمِنَ ٱلسَّنَةِ ٱلرَّابِعَةِ مِنْ مُلْكِ

سُلَيْمَانَ ٱلَّتِي كَانَ فِيهَا ٱلشُّرُوعُ فِي بُنْيَانِ هَيْكَلِ ٱلرَّبِّ إِلَى خَرَابِهِ ٱلْكُلِّيِّ وَحَرِيقِهِ أَرْبَعِمَائَةٍ وَٱثْنَتَانِ وَأَرْبَعُونَ سَنَةً . وَعَلَى رَأْيِ مَنْ جَعَلَ مُدَّةَ مُلْكِ صِدْقِيَّا تِسْعًا وَسِتِّينَ سَنَةً تَكُونُ مُدَّةُ ٱلْهَيْكَلِ عَامِرًا خَمْسَمِائَةِ سَنَةٍ (لابي الفرج)

رؤيا بخت نصر

٤٩٤ رَأَى بُخْتَ نَصَّرُ صَنَمًا رَأْسُهُ مِنْ ذَهَبٍ وَصَدْرُهُ وَذِرَاعَاهُ مِنْ فِضَّةٍ وَبَطْنُهُ وَفَخِذَاهُ مِنْ نُحَاسٍ وَسَاقَاهُ مِنْ حَدِيدٍ وَقَدَمَاهُ بَعْضُهُمَا حَدِيدٌ وَبَعْضُهُمَا خَزَفٌ . وَأَنَّ حَجَرًا ٱنْقَطَعَ مِنَ ٱلْجَبَلِ مِنْ غَيْرِ يَدٍ قَاطِعَةٍ لَهُ وَصَكَّ ٱلصَّنَمَ فَٱنْدَقَّ ٱلْحَدِيدُ وَٱلنُّحَاسُ وَغَيْرُهُ وَصَارَ جَمِيعُ ذٰلِكَ مِثْلَ ٱلْغُبَارِ وَأَلْوَتْ بِهِ رِيحٌ عَاصِفَةٌ ثُمَّ صَارَ ٱلْحَجَرُ ٱلَّذِي صَكَّ ٱلصَّنَمَ جَبَلًا عَظِيمًا ٱمْتَلَأَتْ مِنْهُ ٱلْأَرْضُ كُلُّهَا . فَقَالَ بُخْتَ نَصَّرُ : لَا أُصَدِّقُ تَعْبِيرَ مَا رَأَيْتُهُ إِلَّا مِمَّنْ يُخْبِرُ بِمَا رَأَيْتُ . وَكَتَمَ بُخْتَ نَصَّرُ ذٰلِكَ وَسَأَلَ ٱلْعُلَمَاءَ وَٱلسَّحَرَةَ وَٱلْكَهَنَةَ عَنْ ذٰلِكَ فَلَمْ يُطِقْ أَحَدٌ أَنْ يُنَبِّئَهُ بِذٰلِكَ حَتَّى سَأَلَ دَانِيَالَ . فَخَبَّرَهُ دَانِيَالُ بِصُورَةِ رُؤْيَاهُ كَمَا رَآهَا بُخْتَ نَصَّرُ وَلَمْ يُخِلَّ مِنْهَا بِشَيْءٍ . ثُمَّ عَبَّرَهَا لَهُ دَانِيَالُ فَقَالَ : ٱلرَّأْسُ مُلْكُكَ وَأَنْتَ بَيْنَ ٱلْمُلُوكِ بِمَنْزِلَةِ رَأْسِ ٱلصَّنَمِ ٱلذَّهَبِ . وَٱلَّذِي يَقُومُ بَعْدَكَ دُونَكَ بِمَنْزِلَةِ ٱلْفِضَّةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ . ثُمَّ يَكُونُ كُلُّ مُتَأَخِّرٍ أَقَلَّ مِمَّنْ قَبْلَهُ مِثْلَمَا ٱلنُّحَاسُ دُونَ ٱلْفِضَّةِ وَٱلْحَدِيدُ دُونَ ٱلنُّحَاسِ . وَأَمَّا ٱلْقَدَمَانِ وَٱلْأَصَابِعُ ٱلَّتِي بَعْضُهَا حَدِيدٌ وَبَعْضُهَا خَزَفٌ فَإِنَّ ٱلْمَمْلَكَةَ

تَصِيرُ آخِرَ ٱلْوَقْتِ مُخْتَلِطَةً مُخْتَلِفَةً بَعْضُهَا قَوِيٌّ وَبَعْضُهَا ضَعِيفٌ . ثُمَّ إِنَّ ٱللّٰهَ تَعَالَى يُقِيمُ بَعْدَ ذٰلِكَ مَمْلَكَةً لَا تَبِيدُ إِلَى آخِرِ ٱلدَّهْرِ . هٰـذَا تَعْبِيرُ رُؤْيَاكَ . فَخَرَّ بُخْتَ نَصَّرُ سَاجِـدًا لِدَانِيَالَ وَأَمَرَ لَهُ بِٱلْخِلَعِ وَأَنْ يُقَرِّبَ لَهُ ٱلْقَرَابِينُ (لابي الفداء)

الفتيان الثلاثة في اتون النار

٤٩٥ وَرَأَّسَ بُخْتَ نَصَّرُ دَانِيَالَ عَلَى جَمِيعِ حُكَمَاءِ بَابِلَ وَوَلَّى أَعْمَامَهُ حَنَنْيَا وَعَزَرْيَا وَمِيشَائِيلَ أَمْرَ مَدِينَةِ بَابِلَ . وَسَمَّاهُمْ بِأَسْمَاءٍ نَبَطِيَّةٍ شَدْرَكَ وَمِيشَكَ وَعَبْدَنَجُو . ثُمَّ ٱتَّخَـذَ بُخْتَ نَصَّرُ صَنَمًا مِنْ ذَهَبٍ طُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا فِي عَرْضِ سِتَّةِ أَذْرُعٍ . وَتَقَدَّمَ إِلَى جَمِيعِ عُظَمَاءِ دَوْلَتِهِ أَنْ يُوَافُوا عِيـدَ ٱلصَّنَمِ وَأَنَّهُمْ إِذَا سَمِعُوا صَوْتَ ٱلْقَرْنِ وَبَاقِي أَنْوَاعِ ٱلزَّمْرِ يَخِرُّونَ سُجَّدًا لِلصَّنَمِ . فَٱمْتَثَلَ ٱلْجَمِيعُ أَمْرَهُ مَا عَدَا حَنَنْيَـا وَعَزَرْيَا وَمِيشَائِيلَ فَسَعَى بِهِمْ قَوْمٌ إِلَى بُخْتَ نَصَّرَ أَنَّهُمْ لَا يَعْتَـدُّونَ بِأَمْرِهِ . فَٱسْتَشَاطَ مِنْ ذٰلِكَ غَضَبًا وَأَمَرَ أَنْ يُسْجَرَ ٱلْأَتُونُ فَوْقَ مَا كَانَ يُسْجَرُ سَبْعَةَ أَضْعَافِ ٱلْوَقُودِ وَأَنْ يُزَجُّوا بِسَرَاوِيلِهِمْ وَقَلَانِسِهِمْ وَبَاقِي ثِيَابِهِمْ فِي أَتُونِ ٱلنَّارِ . فَلَمَّا فُعِلَ بِهِمْ ذٰلِكَ أَحْرَقَتِ ٱلنَّارُ ٱلَّذِينَ سَعَوْا بِهِمْ وَأَمَّا هُمْ فَمَكَثُوا فِي ٱلنَّارِ مُمَجِّدِينَ لِلّٰهِ . وَمَلَاكُ ٱلطَّلِّ نَزَلَ عَلَيْهِمْ وَأَمَالَ عَنْهُمْ لَهِيبَ ٱلنَّارِ فَلَمْ تَنَلْ فِيهِمْ وَلَا فِي ثِيَابِهِمْ وَلَا فِي لِبَاسِهِمْ . فَلَمَّا شَاهَدَ ٱلْمَلِكُ ذٰلِكَ بُهِتَ تَعَجُّبًا وَقَالَ : أَرَى ٱلرَّابِعَ مِنْهُمْ شَبِيهَ ٱلْمَنْظَرِ بِبَنِي ٱلْآلِهَةِ يَعْنِي ٱلْمَلَاكَ . وَنَادَاهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَائِلًا :

يَا عِبَادَ ٱللهِ ٱلْعَلِيِّ ٱخْرُجُوا. فَخَرَجُوا مِنَ ٱلنَّارِ وَلَمْ يَشِطْ شَيْءٌ مِنْ ثِيَابِهِمْ وَلَا شُعُورِهِمْ. فَرَفَعَ بُخْتَ نَصَّرُ دَرَجَاتِهِمْ

وليمة بلشصّر بن بخت نصر

٤٩٦ وَمَلَكَ بَعْدَ بُخْتَ نَصَّرَ ٱبْنُهُ بَلْشَصَّرُ وَعَمِلَ هٰذَا وَلِيمَةً عَظِيمَةً لِأَلْفِ رَجُلٍ مِنْ أَكَابِرِ دَوْلَتِهِ. وَكَانَ يَشْرَبُ ٱلْخَمْرَ بِإِزَائِهِمْ. وَأَمَرَ وَهُوَ يَشْرَبُ أَنْ يُؤْتَى بِآنِيَةِ هَيْكَلِ ٱلرَّبِّ ٱلَّتِي سَبَاهَا أَبُوهُ مِنْ أُورَشَلِيمَ. وَشَرِبَ فِيهَا مَعَ عُظَمَائِهِ فَظَهَرَتْ قُبَالَتَهُ كَفُّ يَدٍ كَاتِبَةٍ عِقَابَهُ فِي ضَوْءِ ٱلْمِصْبَاحِ عَلَى ٱلْحَائِطِ. فَرَأَتْهُ ٱلْكِتَابَةُ وَأَحْضَرَ حُكَمَاءَ بَابِلَ لِيَتَرْجِمُوا ٱلْكِتَابَةَ فَعَجَزُوا عَنْ حَلِّهَا. فَٱمْتَعَضَ لِذٰلِكَ ٱمْتِعَاضًا شَدِيدًا. فَأَخْبَرَتْهُ أُمُّهُ عَنْ دَانِيَالَ ٱلنَّبِيِّ أَنَّهُ دَرَّاكُ غَيْبٍ وَحَلَّالُ عُقَدٍ. فَٱسْتَدْعَاهُ وَضَمِنَ لَهُ أَنْ يُلْبِسَهُ ٱلْأُرْجُوَانَ وَأَنْ يُوَلِّيَهُ ثُلْثَ ٱلْمُلْكِ إِنْ أَوَّلَ ٱلْكِتَابَةَ. فَقَالَ دَانِيَالُ: لِتَكُنْ مَوَاهِبُكَ لَكَ وَٱجْعَلْ ذَخَائِرَ بَيْتِكَ لِغَيْرِي. أَمَّا ٱلْكِتَابَةُ فَقِرَاءَتُهَا: أُحْصِيَ إِحْصَاءً وُزِنَ وَأُعْرِيَ. وَتَأْوِيلُهَا أَنَّ ٱللهَ أَحْصَى مُلْكَكَ وَسَلَبَهُ وَوَزَنَكَ زِنَةً فَوَجَدَكَ شَائِلًا فَلِذَا أَعْرَاكَ مِنْ مُلْكِكَ فَأَنْتَ عَارٍ عَرِيَّةٌ. وَفِي تِلْكَ ٱللَّيْلَةِ ٱغْتَالَهُ دَارِيُوسُ ٱلْمَادِيُّ وَقَتَلَهُ

دانيال في جبّ الاسد

٤٩٧ دَارِيُوسُ ٱلْمَادِيُّ ٱسْتَوْلَى عَلَى ٱلْمُلْكِ وَهُوَ مِنْ أَبْنَاءِ ٱثْنَتَيْنِ وَسِتِّينَ سَنَةً. وَحَسُنَتْ مَنْزِلَةُ دَانِيَالَ ٱلنَّبِيِّ عِنْدَهُ. وَأَقَامَ فِي وِلَايَتِهِ مِائَةً

وَعِشْرِينَ قَائِدًا . وَرَأَسَ عَلَيْهِمْ ثَلَاثَةَ رِجَالٍ أَحَدُهُمْ دَانِيَالُ وَكَانَ يَرْجِعُ فِي سَرَائِرِهِ إِلَيْهِ. فَسَاءَ ذَلِكَ أَرْبَابَ الدَّوْلَةِ وَجَعَلُوا يَطْلُبُونَ عَلَيْهِ حُجَّةً يُوقِعُونَهُ بِهَا عَنْ مَرْتَبَتِهِ. فَلَمْ يَظْفَرُوا مِنْهُ بِهَفْوَةٍ غَيْرَ أَنَّهُ يَدِينُ بِغَيْرِ دِينِ الْمَلِكِ. فَسَارُوا إِلَى الْمَلِكِ وَقَالُوا : إِنَّ دَانِيَالَ يَعْبُدُ إِلٰهًا غَرِيبًا. وَفِي سُنَّتِنَا أَنَّ مَنْ دَانَ فِي أَرْضِنَا بِدِينٍ غَيْرِ دِينِنَا وَتَعَدَّى سُنَّةَ أَهْلِ مَادَايَ وَفَارِسَ قُذِفَ بِهِ فِي جُبِّ الْأُسْدِ . فَلَمَّا لَمْ يَقْدِرِ الْمَلِكُ عَلَى إِبْطَالِ شَرِيعَةِ قَوْمِهِ تَقَدَّمَ بِقَذْفِ دَانِيَالَ فِي جُبِّ الْأُسْدِ وَقَالَ لَهُ : إِلٰهُكَ يُنَجِّيكَ. وَانْصَرَفَ إِلَى مَنْزِلِهِ وَبَاتَ طَاوِيًا وَطَارَ عَنْهُ نَوْمُهُ إِشْفَاقًا عَلَى دَانِيَالَ . وَجَاءَ الْمَلِكُ دَارِيُوسُ فِي صَبَاحِ الْيَوْمِ الثَّانِي لِيَبْكِيَ عَلَى دَانِيَالَ لِكَثْرَةِ اغْتِمَامِهِ لَهُ . فَلَمَّا دَنَا مِنَ الْجُبِّ نَادَاهُ : يَا دَانِيَالُ هَلْ قَدَرَ مَعْبُودُكَ أَنْ يُنَجِّيَكَ مِنَ السِّبَاعِ . أَجَابَهُ دَانِيَالُ قَائِلًا : أَيُّهَا الْمَلِكُ عِشْ خَالِدًا إِنَّ إِلٰهِي بَعَثَ لِي مَلَاكَهُ وَسَدَّ أَفْوَاهَ الْأُسْدِ فَلَمْ تُهْلِكْنِي . فَحَسُنَ مَوْقِعُ ذَلِكَ مِنَ الْمَلِكِ جِدًّا وَأَخْرَجَ دَانِيَالَ مِنَ الْجُبِّ وَأَلْقَى وُشَاتَهُ فِيهِ مَعَ نِسَائِهِمْ وَبَنِيهِمْ وَذُرِّيَّتِهِمْ . فَمَا اسْتَقَرُّوا فِي قَرَارِ الْجُبِّ إِلَّا وَمَزَّقَتْهُمُ الْأُسْدُ وَرَضَّتْ عِظَامَهُمْ رَضًّا

انتهاء جلاء بابل

٤٩٨ ثُمَّ وَلِيَ دَارِيُوسَ كُورَشُ الْفَارِسِيُّ وَأَذِنَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ فِي عِمَارَةِ أُورَشَلِيمَ . فَجَمَعَهُمْ كُورَشُ الْمَلِكُ وَخَيَّرَهُمْ قَائِلًا : مَنِ اخْتَارَ الصُّعُودَ فَلْيَصْعَدْ وَمَنْ أَبَاهُ فَلْيُقِمْ . فَكَانَ عَدَدُ مُؤْثِرِي الصُّعُودِ خَمْسِينَ

أَلفًا مِنَ ٱلرِّجَالِ غَيْرَ ٱلنِّسَاءِ وَٱلْأَوْلَادِ فَحَصَلَ زَرُبَّابَلُ مَلِكَهُمْ وَيَشُوعُ كَاهِنَهُمْ. وَعَنْهُمَا قَالَ مَلَاكُ ٱلرَّبِّ لِزَكَرِيَّاءَ ٱلنَّبِيِّ إِنَّ هٰذَيْنِ ٱبْنَا ٱلدَّلَالِ وَهُمَا يَقُومَانِ بَيْنَ يَدَيْ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ. فَصَعِدَتْ هٰذِهِ ٱلشِّرْذِمَةُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي ٱلسَّنَةِ ٱلْأُولَى مِنْ مُلْكِ كُورَشَ إِلَى أُورَشَلِيمَ وَهَمُّوا بِعِمَارَتِهَا. وَلِأَنَّ ٱلْفِلَسْطِينِيِّينَ مُجَاوِرِيهِمْ أَعْنَتُوهُمْ كَانَ تَشْيِيدُهُمُ ٱلْهَيْكَلَ عَلَى ٱلتَّرَاخِي فِي سِتٍّ وَأَرْبَعِينَ سَنَةً. وَعَظَّمَ كُورَشُ أَيْضًا شَأْنَ دَانِيَالَ وَفَوَّضَ إِلَيْهِ سِيَاسَةَ مُلْكِهِ. فَغَارَ لِلّٰهِ غَيْرَةً وَكَسَرَ ٱلصَّنَمَ ٱلْمُسَمَّى بِيلًا وَقَتَلَ ٱلتِّنِّينَ مَعْبُودَ ٱلْبَابِلِيِّينَ. فَمُقِتَ وَرُمِيَ فِي جُبٍّ فِيهِ سَبْعَةُ أُسْدٍ. وَكَانَ حَبَقُّوقُ ٱلنَّبِيُّ فِي ٱلشَّامِ قَدْ طَبَخَ طَبِيخًا وَمَضَى يُطْعِمُ ٱلْحَوَاصِيدَ. فَأَخَذَهُ مَلَاكُ ٱلرَّبِّ بِشَعَرِ رَأْسِهِ وَوَضَعَهُ فِي بَابِلَ عَلَى فَمِ ٱلْجُبِّ فَقَالَ: دَانِيَالُ دَانِيَالُ قُمْ خُذِ ٱلطَّعَامَ ٱلَّذِي أَنْفَذَ لَكَ رَبُّكَ. فَقَالَ دَانِيَالُ: ذَكَرَنِي ٱللّٰهُ وَلَمْ يُهْمِلْنِي. وَأَخَذَ ٱلْمَلَاكُ بِحَبَقُّوقَ وَوَضَعَهُ فِي مَوْضِعِهِ. وَنَجَا دَانِيَالُ مِنَ ٱلْجُبِّ بَعْدَ سَبْعَةِ أَيَّامٍ وَهَلَكَ مُبْغِضُوهُ. ثُمَّ رَأَى ٱلرُّؤْيَا عَلَى نَهْرِ ٱلْفُرَاتِ وَعَرَّفَهُ مَلَاكُ ٱلرَّبِّ مُدَّةَ ٱلسِّنِينَ ٱلَّتِي بَقِينَ مِنَ ٱلسَّبْيِ وَمِنْ ظُهُورِ ٱلسَّيِّدِ ٱلْمَسِيحِ وَآلَامِهِ وَمَوْتِهِ. وَمَاتَ دَانِيَالُ وَدُفِنَ فِي قَصْرِ شُوشَنَ أَعْنِي مَدِينَةَ تُسْتَرَ

احشوروش واستير

٤٩٩ وَجَرَى مُلُوكُ ٱلْفُرْسِ عَلَى سُنَّةِ كُورَشَ فِي تَكْرِيمِ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا قَلِيلًا فِي أَيَّامِ أَحْشُورُوشَ مِنْهُمْ. كَانَ وَزِيرُهُ هَامَانَ وَكَانَ مِنْ

ٱلعَمَالِقَةِ . . . فَكَانَ هَامَانُ يُعَادِيهِمْ لِذَلِكَ وَعَظُمَتْ سِعَايَتُهُ فِيهِمْ وَحَمَلَ أَحْشُورُوشَ عَلَى قَتْلِهِمْ . وَكَانَ مُرْدَخَايُ مِنْ رُؤَسَائِهِمْ قَدْ زَوَّجَ أُخْتَهُ مِنَ ٱلرِّضَاعِ (وكانت ابنة عمه) لِأَحْشُورُوشَ . فَدَسَّ إِلَيْهَا مُرْدَخَايُ أَنْ تَشْفَعَ إِلَى ٱلْمَلِكِ فِي قَوْمِهَا . فَقَبِلَهَا وَعَطَفَ عَلَيْهِمْ وَأَعَادَهُمْ إِلَى أَنِ ٱنْقَرَضَتْ دَوْلَةُ ٱلْفُرْسِ بِهَلَاكِ دَارَا

ملك ارتحشتا

٥٠٠ أَرْتَحْشَشْتَا ٱلطَّوِيلُ ٱلْيَدَيْنِ مَلَكَ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ سَنَةً . وَفِي سَنَةِ سَبْعٍ مِنْ مُلْكِهِ أَمَرَ عَزْرَا ٱلْحَبْرَ وَهُوَ ٱلَّذِي تُسَمِّيهِ ٱلْعَرَبُ ٱلْعُزَيْرَ أَنْ يَصْعَدَ إِلَى أُورَشَلِيمَ وَيَجْتَهِدَ فِي عِمَارَتِهَا . وَفِي سَنَةِ عِشْرِينَ مِنْ مُلْكِهِ أَرْسَلَ نَحَمْيَا ٱلسَّاقِيَ ٱلْخَصِيَّ أَيْضًا لِيَجِدَّ فِي تَرْمِيمِهَا . وَفِي هٰذَا ٱلزَّمَانِ لَمْ يَكُنْ لِلْيَهُودِ نَارُ قُدْسٍ لِأَنَّهُمْ رَمَوْهَا فِي بِئْرٍ وَقْتَ جَلَائِهِمْ . فَأَتَوْا بِحَمْأَةٍ مِنْهَا وَوَضَعُوهَا عَلَى حَطَبِ ٱلْقُرْبَانِ فَٱشْتَعَلَتْ بِأَمْرِ ٱللهِ بَعْدَ أَنْ طَفِئَتْ مِائَةَ سَنَةٍ وَأَرْبَعِينَ سَنَةً بِٱلتَّقْرِيبِ (لابي الفرج)

يهوديت واليفانا

٥٠١ قَمْبَاسُوسُ بْنُ كُورَشَ مَلَكَ ثَمَانِيَ سِنِينَ . وَفِي أَيَّامِهِ (*) كَانَتْ يَهُودِيتُ ٱلْمَرْأَةُ ٱلْعِبْرَانِيَّةُ ٱلَّتِي ٱحْتَالَتْ عَلَى أَلِيفَانَا ٱلْمَاجُوجِيِّ صَاحِبِ جَيْشِ قَمْبَاسُوسَ . وَقَطَعَتْ رَأْسَهُ وَأَمِنَتِ ٱلْيَهُودُ بَأْسَهُ

(*) ان زمان هذا الحادث مجهول

الاسكندر في بيت المقدس

٥٠٢ وَٱسْتَوْلَى بَنُو يُونَانَ بِمَهْلِكِ دَارَا عَلَى مُلْكِ فَارِسَ وَمَلَكَ ٱلْإِسْكَنْدَرُ بْنُ فِيلِبْسَ وَدَوَّخَ ٱلْأَرْضَ وَفَتَحَ سَوَاحِلَ ٱلشَّامِ وَسَارَ إِلَى بَيْتِ ٱلْمَقْدِسِ لِأَنَّهَا مِنْ طَاعَةِ دَارَا. وَخَافَ ٱلْكَهَنَةُ مِنْ وُصُولِهِ إِلَيْهِمْ. وَرَأَى فِي بَعْضِ تِمْثَالِ رَجُلًا فَقَالَ: أَنَا رَجُلٌ أُرْسِلْتُ لِمَعُونَتِكَ وَنَهَاهُ عَنْ أَذِيَّةِ ٱلْمَقْدِسِ وَأَوْصَاهُمْ بِٱمْتِثَالِ إِشَارَتِهِمْ. فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى ٱلْبَيْتِ لَقِيَهُ ٱلْكَاهِنُ فَبَالَغَ فِي تَعْظِيمِهِ وَدَخَلَ مَعَهُ إِلَى ٱلْهَيْكَلِ وَبَارَكَ عَلَيْهِ. وَرَغِبَ إِلَيْهِ ٱلْإِسْكَنْدَرُ أَنْ يَضَعَ هُنَالِكَ تِمْثَالَهُ مِنَ ٱلذَّهَبِ لِيُذْكَرَ بِهِ. فَقَالَ: هٰذَا حَرَامٌ لٰكِنْ تَصْرِفُ هِمَّتَكَ فِي مَصَالِحِ ٱلْكَهَنَةِ وَٱلْمُصَلِّينَ وَيُجْعَلُ لَكَ مِنَ ٱلذِّكْرِ دُعَاؤُهُمْ لَكَ وَأَنْ يُسَمَّى كُلُّ مَوْلُودٍ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ فِي هٰذِهِ ٱلسَّنَةِ بِٱلْإِسْكَنْدَرِ. فَرَضِيَ ٱلْإِسْكَنْدَرُ وَحَمَلَ لَهُمُ ٱلْمَالَ وَأَجْزَلَ عَطِيَّةَ ٱلْكَاهِنِ. وَسَأَلَهُ أَنْ يَسْتَخْبِرَ ٱللّٰهَ فِي حَرْبِ دَارَا. فَقَالَ لَهُ: ٱمْضِ وَٱللّٰهُ مُظَفِّرُكَ. وَقَرَأَ لَهُ سِفْرَ دَانِيَالَ. وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْإِسْكَنْدَرُ رُؤْيَا رَآهَا فَأَوَّلَهَا لَهُ بِأَنَّهُ يَظْفَرُ بِدَارَا ثُمَّ ٱنْصَرَفَ ٱلْإِسْكَنْدَرُ

(لابن خلدون)

ذكر نقل التوراة

٥٠٣ لَمَّا مَلَكَ ٱلْإِسْكَنْدَرُ وَعَظُمَ مُلْكُ ٱلْيُونَانِ وَقَهَرُوا ٱلْفُرْسَ أَطَاعَهُمْ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَغَيْرُهُمْ. وَتَوَلَّتْ مُلُوكُ ٱلْيُونَانِ بَعْدَ ٱلْإِسْكَنْدَرِ

وَكَانَ يُقَالُ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنهُمْ بَطْلِيمُوسُ. وَذٰلِكَ أَنَّ ٱلإِسْكَنْدَرَ مَاتَ فَمَلَكَ بَعْدَهُ بَطْلِيمُوسُ بْنُ لَاغُوسَ عِشْرِينَ سَنَةً. ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَهُ بَطْلِيمُوسُ مُحِبُّ أَخِيهِ فَوَجَدَ نَحْوَ ثَلَاثِينَ أَلْفَ أَسِيرٍ مِنَ ٱلْيَهُودِ فَأَعْتَقَهُمْ وَأَمَرَهُمْ بِٱلْعَوْدِ إِلَى بِلَادِهِمْ. فَفَرِحَ بَنُو إِسْرَائِيلَ بِذٰلِكَ. وَأَرْسَلَ رَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ ٱلْمُقِيمِينَ بِٱلْقُدْسِ وَطَلَبَ مِنْهُمْ أَنْ يُرْسِلُوا إِلَيْهِ عِدَّةً مِنْ عُلَمَائِهِمْ لِنَقْلِ ٱلتَّوْرَاةِ وَغَيْرِهَا إِلَى ٱللُّغَةِ ٱلْيُونَانِيَّةِ. فَسَارَعُوا إِلَى أَمْرِهِ وَٱزْدَحَمُوا عَلَى ٱلرَّوَاحِ إِلَيْهِ. ثُمَّ ٱتَّفَقُوا أَنْ يَبْعَثُوا مِنْ كُلِّ سِبْطٍ مِنْ أَسْبَاطِهِمْ سِتَّةَ نَفَرٍ فَبَلَغُوا ٱثْنَيْنِ وَسَبْعِينَ رَجُلًا. فَلَمَّا وَصَلُوا إِلَى بَطْلِيمُوسَ أَحْسَنَ قِرَاهُمْ وَصَيَّرَهُمْ سِتًّا وَثَلَاثِينَ فِرْقَةً وَخَالَفَ بَيْنَ أَسْبَاطِهِمْ وَأَمَرَهُمْ فَتَرْجَمُوا لَهُ سِتًّا وَثَلَاثِينَ نُسْخَةً مِنَ ٱلتَّوْرَاةِ وَقَابَلَ بَطْلِيمُوسُ بَعْضَهَا بِبَعْضٍ فَوَجَدَهَا مُسْتَوِيَةً لَمْ تَخْتَلِفِ ٱخْتِلَافًا يُعْتَدُّ بِهِ. وَفَرَّقَ ٱلنُّسَخَ ٱلْمَذْكُورَةَ فِي بِلَادِهِ. وَبَعْدَ فَرَاغِهِمْ مِنَ ٱلتَّرْجَمَةِ وَصَلَهُمْ وَجَهَّزَهُمْ إِلَى بَلَدِهِمْ. وَسَأَلَهُ ٱلْمَذْكُورُونَ نُسْخَةً مِنْ تِلْكَ ٱلنُّسَخِ فَأَسْعَفَهُمْ بِنُسْخَةٍ. وَعَادُوا إِلَى بَيْتِ ٱلْمَقْدِسِ. فَنُسْخَةُ ٱلتَّوْرَاةِ ٱلْمَنْقُولَةُ لِبَطْلِيمُوسَ حِينَئِذٍ أَصَحُّ ٱلتَّوْرَاةِ وَأَثْبَتُهَا (لابن الوردي)

اضطهاد انطيوخوس الشهير

٥٠٤ وَلَمَّا مَلَكَ أَنْطِيُوخُوسُ ٱلصَّغِيرُ ٱلْمُلَقَّبُ بِأَبِيفَانِسَ أَيِ ٱلشَّهِيرِ وَرَدَ ٱلْبَيْتَ ٱلْمُقَدَّسَ وَنَجَّسَ ٱلْهَيْكَلَ بِنَصْبِهِ صَنَمَ زَاوُسَ وَهُوَ ٱلْمُشْتَرِي فِيهِ. وَأَلْزَمَ أَلِيعَازَرَ ٱلْكَاهِنَ أَنْ يُضَحِّيَ لِلصَّنَمِ ٱلْأَضْحِيَةَ وَلِأَنَّهُ أَبَى

أَمَاتَهُ بِٱلْعِقَابِ . ثُمَّ سُعِيَ إِلَيْهِ بِٱمْرَأَةٍ ٱسْمُهَا إِشْمُونِي مَعَ سَبْعَةِ بَنِيهَا أَنَّهُمْ يَسُبُّونَ ٱلْأَصْنَامَ . فَأَحْضَرَهُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَمَرَ بِقَطْعِ لِسَانِ ٱلْأَوَّلِ وَأَطْرَافِ جَمِيعِ أَعْضَائِهِ وَإِلْقَائِهِ فِي ٱلطَّاجِنِ . وَسَلَخَ جِلْدَةَ رَأْسِ ٱلثَّانِي . وَكَذٰلِكَ أَمَاتَ ٱلْبَاقِينَ وَبَعْدَهُمْ أُمَّهُمْ بِأَنْوَاعِ ٱلْعَذَابِ وَدُفِنُوا فِي أُورَشَلِيمَ . ثُمَّ بَعْدَ مَجِيءِ ٱلْمُخَلِّصِ نَقَلَ مُؤْمِنُو ٱلنَّصَارَى أَجْسَادَهُمْ إِلَى مَدِينَةِ أَنْطَاكِيَةَ وَبَنَوْا عَلَيْهَا كَنِيسَةً (لابي الفرج)

اخبار متتيا ويهوذا ابنه المكابي

٥٠٥ ثُمَّ فَرَّ ٱلْيَهُودُ إِلَى ٱلْجِبَالِ وَٱلْبَرَارِيِّ وَكَانَ فِي مَنْ هَرَبَ مِنْهُمْ مَتَّتْيَا ٱبْنُ يُوحَنَّا بْنِ شِمْعُونَ ٱلْكَاهِنُ ٱلْأَعْظَمُ وَيُعْرَفُ بِحَشْمُنَايَ مِنْ نَسْلِ هَارُونَ . وَكَانَ رَجُلًا صَالِحًا خَيِّرًا شُجَاعًا وَأَقَامَ بِٱلْبَرِّيَّةِ . وَحَزِنَ لِمَا نَزَلَ بِقَوْمِهِ . فَلَمَّا أَبْعَدَ أَنْطِيُوخُوسُ ٱلرِّحْلَةَ عَنِ ٱلْقُدْسِ بَعَثَ مَتَّتْيَا إِلَى ٱلْيَهُودِ يُعَرِّفُهُمْ بِمَكَانِهِ وَيَتَمَعَّضُ لَهُمْ وَيُحَرِّضُهُمْ عَلَى ٱلثَّوْرَةِ عَلَى ٱلْيُونَانِيِّينَ . فَأَجَابُوهُ وَتَرَاسَلُوا فِي ذٰلِكَ وَبَلَغَ ٱلْخَبَرُ أَفْلُنْيُوسَ قَائِدَ أَنْطِيُوخُوسَ فَسَارَ فِي عَسْكَرِهِ إِلَى ٱلْبَرِّيَّةِ طَالِبًا مَتَّتْيَا وَأَصْحَابَهُ . فَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهِمْ حَارَبَهُمْ فَغَلَبُوهُ وَٱنْهَزَمَ فِي عَسَاكِرِهِ . وَقَوِيَ ٱلْيَهُودُ عَلَى ٱلْخِلَافِ . وَهَلَكَ مَتَّتْيَا خِلَالَ ذٰلِكَ وَقَامَ بِأَمْرِهِ ٱبْنُهُ يَهُوذَا فَهَزَمَ عَسَاكِرَ أَفْلُنْيُوسَ ثَانِيَةً . وَشُغِلَ أَنْطِيُوخُوسُ بِحُرُوبِ ٱلْفُرْسِ فَزَحَفَ إِلَيْهِمْ مِنْ مَقْدُونِيَةَ وَٱسْتَخْلَفَ عَلَيْهِمِ ٱبْنَهُ أُوبَاتِيرَ وَضَمَّ إِلَيْهِ عَظِيمًا مِنْ قَوْمِهِ ٱسْمُهُ لِيسِيَاسُ . وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَبْعَثُوا ٱلْعَسَاكِرَ إِلَى ٱلْيَهُودِ فَبَعَثُوا

ثَلَاثَةً مِنْ قُوَّادِهِمْ وَهُمْ نِيقَانُورُ وَبَطْلِيمُوسُ وَجُرْجِيَاسُ وَعَهِدَ إِلَيْهِمْ بِإِبَادَةِ ٱلْيَهُودِ حَيْثُ كَانُوا . فَسَارَتِ ٱلْعَسَاكِرُ وَٱسْتَنْفَرُوا سَائِرَ ٱلْأَرْمَنِ مِنْ نَوَاحِي دِمَشْقَ وَحَلَبَ وَأَعْدَاءِ ٱلْيَهُودِ مِنْ فِلَسْطِينَ وَغَيْرِهِمْ . وَزَحَفَ يَهُوذَا بْنُ مَتَّتْيَا مُقَدَّمُ ٱلْيَهُودِ لِلِقَائِهِمْ . بَعْدَ أَنْ تَضَرَّعُوا إِلَى ٱللهِ وَطَافُوا بِٱلْبَيْتِ وَتَمَسَّحُوا بِهِ . وَلَقِيَهُمْ عَسْكَرُ نِيقَانُورَ فَهَزَمُوهُ وَأَثْخَنُوا فِيهِ بِٱلْقَتْلِ وَغَنِمُوا مَا مَعَهُمْ . وَقَبَضُوا عَلَى أَفْلَنْيُوسَ ٱلْقَائِدِ ٱلْأَوَّلِ لِأَنْطِيُوخُوسَ فَأَحْرَقُوهُ بِٱلنَّارِ . وَرَجَعَ نِيقَانُورُ إِلَى مَقْدُونِيَةَ فَدَخَلَهَا وَخَبَّرَ لِيسِيَاسَ وَأُوبَاتِيرَ ٱبْنَ ٱلْمَلِكِ بِٱلْهَزِيمَةِ فَجَزِعُوا لَهَا . ثُمَّ جَاءَهُمُ ٱلْخَبَرُ بِهَزِيمَةِ أَنْطِيُوخُوسَ أَمَامَ ٱلْفُرْسِ . ثُمَّ وَصَلَ إِلَى مَقْدُونِيَةَ وَٱشْتَدَّ غَيْظُهُ عَلَى ٱلْيَهُودِ وَجَمَعَ لِغَزْوِهِمْ فَهَلَكَ دُونَ ذٰلِكَ بِطَاعُونٍ فِي جَسَدِهِ وَدُفِنَ فِي طَرِيقِهِ . وَمَلَكَ أُوبَاتِيرُ وَسَمَّوْهُ أَنْطِيُوخُوسَ بِٱسْمِ أَبِيهِ . وَرَجَعَ يَهُوذَا بْنُ مَتَّتْيَا إِلَى ٱلْقُدْسِ فَهَدَمَ جَمِيعَ مَا بَنَاهُ أَنْطِيُوخُوسُ مِنَ ٱلْمَذَابِحِ وَأَزَالَ مَا نَصَبَهُ مِنَ ٱلْأَصْنَامِ وَطَهَّرَ ٱلْمَسْجِدَ وَبَنَى مَذْبَحًا جَدِيدًا لِلْقُرْبَانِ وَأَصْعَدَ ٱلْمُحْرَقَاتِ وَأَشْعَلَ ٱلنَّارَ وَلَمْ تَنْطَفِئْ إِلَى ٱلْخَرَابِ ٱلثَّانِي أَيَّامَ ٱلْجَلْوَةِ . وَٱتَّخَذُوا ذٰلِكَ ٱلْيَوْمَ عِيدًا سَمَّوْهُ عِيدَ ٱلْمَسَاكِرِ . وَنَازَلَهُمْ لِيسِيَاسُ فَزَحَفَ إِلَيْهِ يَهُوذَا بْنُ مَتَّتْيَا فِي عَسْكَرِ ٱلْيَهُودِ وَثَبَتَ عَسْكَرُ لِيسِيَاسَ فَٱنْهَزَمُوا وَلَجَأَ إِلَى بَعْضِ ٱلْحُصُونِ . وَطَلَبَ ٱلنُّزُولَ عَلَى ٱلْأَمَانِ عَلَى أَنْ لَا يَعُودَ إِلَى حَرْبِهِمْ . فَأَجَابَهُ يَهُوذَا عَلَى أَنْ يَدْخُلَ أُوبَاتِيرُ مَعَهُ فِي ٱلْعَقْدِ وَكَانَ ذٰلِكَ وَتَمَّ

ٱلصُّلْحُ . وَعَاهَدَ أُوبَاتِيرُ ٱلْيَهُودَ عَلَى أَنْ لَا يَسِيرَ إِلَيْهِمْ . وَشُغِلَ يَهُوذَا بِٱلنَّظَرِ فِي مَصَالِحِ قَوْمِهِ

ولاية يوناتان وشمعون اخوي يهوذا

٥٠٦ ثُمَّ خَرَجَ دِيمِتْرِيُوس فِي ثَلَاثِينَ أَلْفًا مِنَ ٱلرُّومِ لِمُحَارَبَةِ ٱلْيَهُودِ . وَخَرَجَتْ عَسَاكِرُهُمْ مِنَ ٱلْقُدْسِ ، وَفَرُّوا عَنْ قَائِدِهِمْ يَهُوذَا وَٱفْتَرَقُوا فِي ٱلشِّعَابِ ، وَأَقَامَ مَعَهُ مِنْهُمْ فَلٌّ قَلِيلٌ وَٱتَّبَعَهُمْ دِيمِتْرِيُوسُ . فَلَقِيَهُ يَهُوذَا وَٱكْمَنَ لَهُ . فَٱنْهَزَمَ ٱلْيَهُودُ وَخَرَجَ عَلَيْهِمْ كَمِينُ ٱلرُّومِ فَقُتِلَ يَهُوذَا فِي كَثِيرٍ مِنْ وُلَاتِهِ وَدُفِنَ إِلَى جَانِبِ أَبِيهِ مَتَّتْيَا . وَلَحِقَ أَخُوهُ يُونَاتَانُ فِي مَنْ بَقِيَ مِنَ ٱلْيَهُودِ بِنَوَاحِي ٱلْأُرْدُنِ وَتَحَصَّنُوا بِبَيْتِ حَجْلَةَ فِي ٱلْبَرِّيَّةِ فَحَاصَرَهُمْ قَائِدُ دِيمِتْرِيُوس هُنَالِكَ أَيَّامًا . ثُمَّ بَيَّتُوهُ فَهَزَمُوهُ وَخَرَجَ يُونَاتَانُ وَٱلْيَهُودُ فِي أَتْبَاعِهِ فَقَبَضُوا عَلَيْهِ . ثُمَّ أَطْلَقُوهُ عَلَى مُسَالَمَةِ ٱلْيَهُودِ وَأَنْ لَا يَسِيرَ إِلَى حَرْبِهِمْ . فَهَلَكَ يُونَاتَانُ إِثْرَ ذٰلِكَ وَقَامَ بِأَمْرِ ٱلْيَهُودِ أَخُوهُمَا ٱلثَّالِثُ شِمْعُونُ . فَٱجْتَمَعَ إِلَيْهِ ٱلْيَهُودُ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ وَعَظُمَتْ عَسَاكِرُهُ وَغَزَا جَمِيعَ أَعْدَائِهِمْ وَمَنْ ظَاهَرَ عَلَيْهِمْ مِنْ سَائِرِ ٱلْأُمَمِ . وَزَحَفَ إِلَيْهِ دِيمِتْرِيُوسُ قَائِدُ ٱلرُّومِ بِأَنْطَاكِيَةَ فَهَزَمَهُ شِمْعُونُ وَقَتَلَ غَالِبَ عَسْكَرِهِ وَلَمْ تُعَاوِدْهُمُ ٱلرُّومُ بَعْدَهَا بِٱلْحَرْبِ إِلَى أَنْ هَلَكَ شِمْعُونُ (لابن خلدون بتصرُّف)

ذكر ملك هرقانس وابنه

٥٠٧ ثُمَّ وَلِيَ أَمْرَ ٱلْيَهُودِ بَعْدَ شِمْعُونَ هِرْقَانُسُ ٱبْنُهُ وَجَمَعَ ٱلْمُلْكَ

وَٱلْكَهَنُوتَ . وَحَاصَرَ فِي وِلَايَتِهِ أَنطِيوخُوسُ أَغْرِيبُوسُ أُورَشَلِيمَ فَفَتَحَ هِرْقَانُسُ قَبْرَ دَاوُدَ ٱلنَّبِيِّ وَوَجَدَ فِيهِ ثَلَاثَةَ آلَافِ قِنْطَارٍ مِنَ ٱلذَّهَبِ كَانَ قَدْ خَزَنَهَا ٱلْقُدَمَاءُ هُنَاكَ . فَأَعْطَى مِنْهَا ثَلَاثَمِائَةِ قِنْطَارٍ لِأَغْرِيبُوسَ وَرَحَلَ عَنْهُ . وَفِي هٰذَا ٱلزَّمَانِ أَخْرَبَ هِرْقَانُسُ مَدِينَةَ شِمْرِينَ وَهِيَ نَابُلُسُ . وَقَامَ بَعْدَ هِرْقَانُسَ مَلِكِ ٱلْيَهُودِ أَرِسْطَابُولُسُ ٱبْنُ يُونَاثَانَ سَنَةً وَاحِدَةً مُتَتَوِّجًا

ملك يوحنا الاسكندر وولديه

٥٠٨ ثُمَّ ٱغْتَالَهُ أَخُوهُ أَنطِيغُونِيسُ وَٱغْتِيلَ مِنْ يُوحَنَّا أَخِيهِ ٱلْآخَرِ ٱلَّذِي سُمِّيَ ٱلْإِسْكَنْدَرَ . وَوَلِيَ سَبْعًا وَعِشْرِينَ سَنَةً وَكَانَ ذَا بَأْسٍ . ثُمَّ مَاتَ يُوحَنَّا ٱلْإِسْكَنْدَرُ مَلِكُ ٱلْيَهُودِ وَخَلَّفَ وَلَدَيْنِ هِرْقَانُسَ وَأَرِسْطَابُولُسَ مُسَمَّيَيْنِ بِٱسْمَيْ عَمَّيْهِمَا . وَكَانَتْ أُمُّهُمَا سِلِينَا أَيِ ٱلْقَمَرُ ذَاتَ سَطْوٍ . فَنَصَبَتْ هِرْقَانُسَ ٱبْنَهَا رَئِيسَ ٱلْكَهَنَةِ وَأَرِسْطَابُولُسَ ٱبْنَهَا ٱلْآخَرَ مَلِكًا . وَبَعْدَ قَلِيلٍ جَلَاهُ بُنْبِيُوسُ قَائِدُ جَيْشِ قَيْصَرَ إِلَى رُومِيَةَ . وَٱسْتَمَرَّ هِرْقَانُسُ أَخُوهُ مَلِكًا لِلْيَهُودِ أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ سَنَةً . وَفِي سَنَةِ سِتٍّ مِنْ مُلْكِ أُوغُسْطُسَ قَيْصَرَ سُبِيَ هِرْقَانُسُ مَلِكُ ٱلْيَهُودِ إِلَى فَارِسَ وَوَلِيَهُمْ هِيرُودُسُ بْنُ أَنطِفَطْرُوسَ ٱلْعَسْقَلَانِيُّ مِنْ قِبَلِ قَيْصَرَ وَهَدَمَ سُورَيْ أُورَشَلِيمَ وَٱحْتَجَزَ عَلَى تَرِكَةِ ٱلْكَهَنُوتِ وَلَمْ يَتْرُكْ أَحَدًا يَتَوَلَّى رِئَاسَةَ ٱلْكَهَنَةِ إِلَّا سَنَةً وَاحِدَةً وَفِي أَيَّامِهِ ظَهَرَ ٱلْمَسِيحُ (لابي الفرج)

العذراء في الهيكل

٥٠٩ قَالَ ٱلطَّبَرِيُّ: وَكَانَتْ حَنَّةُ أُمُّ مَرْيَمَ لَا تَحْبَلُ فَنَذَرَتْ لِلّٰهِ إِنْ حَمَلَتْ لَتَجْعَلَنَّ وَلَدَهَا حَبِيسًا بِبَيْتِ ٱلْمَقْدِسِ عَلَى خِدْمَتِهِ عَلَى عَادَاتِهِمْ فِي نَذْرِ مِثْلِهِ. فَلَمَّا حَمَلَتْ وَوَضَعَتْهَا لَفَّتْهَا فِي خِرْقَتِهَا وَجَاءَتْ بِهَا إِلَى ٱلْمَسْجِدِ. فَدَفَعَتْهَا إِلَى عُبَّادِهِ وَهِيَ ٱبْنَةُ إِمَامِهِمْ فَتَنَازَعُوا فِي كَفَالَتِهَا. وَأَرَادَ زَكَرِيَّاءُ أَنْ يَسْتَبِدَّ بِهَا لِأَنَّ زَوْجَهُ إِيشَاعَ (أَلِيصَابَاتَ) خَالَتُهَا. وَنَازَعُوهُ فِي ذٰلِكَ لِمَكَانِ أَبِيهَا مِنْ إِمَامَتِهِمْ. فَٱقْتَرَعُوا فَخَرَجَتْ قُرْعَةُ زَكَرِيَّاءَ عَلَيْهَا. فَكَفَلَهَا وَوَضَعَهَا فِي مَكَانٍ شَرِيفٍ مِنَ ٱلْمَسْجِدِ لَا يَدْخُلُهُ سِوَاهَا وَهُوَ ٱلْمِحْرَابُ فِيمَا قِيلَ. وَٱلظَّاهِرُ أَنَّهَا دَفَعَتْهَا إِلَيْهِمْ بَعْدَ مُدَّةِ إِرْضَاعِهَا. فَأَقَامَتْ فِي ٱلْمَسْجِدِ تَعْبُدُ ٱللّٰهَ وَتَقُومُ بِسَدَانَةِ ٱلْبَيْتِ فِي نَوْبَتِهَا حَتَّى كَانَ يُضْرَبُ بِهَا ٱلْمَثَلُ فِي عِبَادَتِهَا. وَظَهَرَتْ عَلَيْهَا ٱلْأَحْوَالُ ٱلشَّرِيفَةُ وَٱلْكَرَامَاتُ

ذكر يوحنا المعمدان

٥١٠ وَكَانَتْ خَالَتُهَا إِيشَاعُ زَوْجُ زَكَرِيَّاءَ أَيْضًا عَاقِرًا. وَطَلَبَ زَكَرِيَّاءُ مِنَ ٱللّٰهِ وَلَدًا فَبَشَّرَهُ بِيَحْيَى (يُوحَنَّا) نَبِيًّا كَمَا طَلَبَ لِأَنَّهُ قَالَ: يَرِثُنِي. فَكَانَ كَذٰلِكَ. وَكَانَ حَالُهُ فِي نُشُوئِهِ وَصِبَاهُ عَجَبًا وَوُلِدَ فِي دَوْلَةِ هِيرُودُسَ مَلِكِ بَنِي إِسْرَائِيلَ. وَكَانَ يَسْكُنُ ٱلْقِفَارَ وَيَقْتَاتُ ٱلْجَرَادَ وَيَلْبَسُ ٱلصُّوفَ مِنْ وَبَرِ ٱلْإِبِلِ. وَوَلَّاهُ ٱلْيَهُودُ ٱلْكَهْنُوتِيَّةَ بِبَيْتِ ٱلْمَقْدِسِ. ثُمَّ أَكْرَمَهُ ٱللّٰهُ بِٱلنُّبُوَّةِ وَكَانَ لِعَهْدِهِ عَلَى ٱلْيَهُودِ بِٱلْقُدْسِ

(والصحيح بالجليل) أنتيباس بن هيرودس. وكان يسمى هيرودس باسم أبيه وكان شريرا فاسقا واغتصب امرأة أخيه وتزوجها. ولم يكن ذلك في شرعهم مباحا فنكر ذلك عليه العلماء والكهنوتية وفيهم يحيى بن زكرياء المعروف بيوحنان ويعرفه النصارى بالمعمدان. فقتل جميع من نكر عليه ذلك وقتل فيهم يحيى

خطبة العذراء مريم

٥١١ وأما مريم سلام الله عليها فكانت بالمسجد على حالها من العبادة إلى أن أكرمها الله بالولاية. وفي كتاب أن أمها حنة توفيت لثمان سنين من عمر مريم. وكان من سنتهم أنها إن لم تقبل التزويج يفرض لها من أرزاق الهيكل. فأوحى الله إلى زكرياء أن يجمع أولاد هارون (والصحيح يهوذا) ويردها إليهم فمن ظهرت من عصاه آية يدفعها إليه تكون له شبه زوجة ولا يقربها. وحضر الجمع يوسف النجار فخرج من عصاه حمامة بيضاء ووقفت على رأسه. فقال له زكرياء: يا يوسف هذه عذراء الرب تكون لك شبه زوجة ولا تردها. فاحتملها وهي بنت ثنتي عشرة سنة إلى ناصرة

بشارة الملاك لمريم

٥١٢ فأقامت معه إلى أن خرجت يوما تستسقي من العين. فعرض لها الملك أولا وكلمها ثم عاودها وبشرها بولادة عيسى فحملت وذهبت إلى زكرياء. ثم رجعت إلى ناصرة. ووقع في إنجيل متى أن

يُوسُفَ خَطَبَ مَرْيَمَ وَوَجَدَهَا حَامِلًا قَبْلَ أَنْ يَجْتَمِعَا فَعَزَمَ عَلَى فِرَاقِهَا خَوْفًا مِنَ ٱلْفَضِيحَةِ . فَأُمِرَ فِي نَوْمِهِ أَنْ يَقْبَلَهَا وَأَخْبَرَهُ ٱلْمَلَكُ بِأَنَّ ٱلْمَوْلُودَ مِنْ رُوحِ ٱلْقُدُسِ . وَكَانَ يُوسُفُ صِدِّيقًا وَوُلِدَ عَلَى فِرَاشِهِ يَسُوعُ . (لابن خلدون باختصار)

ميلاد المسيح

٥١٣ أَوْغُسْطُسُ قَيْصَرُ مَلَكَ سِتًّا وَخَمْسِينَ سَنَةً . وَبِٱسْمِهِ سُمِّيَ شَهْرُ آبَ أَوْغُسْطُسَ . وَفِي أَيَّامِهِ جَدَّدَ هِيرُودُسُ مَدِينَةَ نَابُلُسَ وَعَظَّمَ قَصْرَ أَسْطَرَاطُونَ وَسَمَّاهَا قَيْصَرِيَّةَ . وَهِيَ ٱلْمَعْرُوفَةُ بِفِيلِبُّسَ وَبَنَى أَيْضًا مَدِينَةَ جَبَلَةَ . وَفِي ٱلسَّنَةِ ٱلثَّالِثَةِ وَٱلْأَرْبَعِينَ مِنْ مُلْكِ أَوْغُسْطُسَ قَيْصَرَ وَهِيَ سَنَةُ تِسْعٍ وَثَلَاثِمِائَةٍ مِنْ تَارِيخِ ٱلْإِسْكَنْدَرِ وُلِدَ ٱلسَّيِّدُ ٱلْمَسِيحُ مِنْ مَرْيَمَ ٱلْعَذْرَاءِ لَيْلَةَ ٱلثَّلَاثَاءِ فِي ٱلْخَامِسِ وَٱلْعِشْرِينَ مِنْ كَانُونَ ٱلْأَوَّلِ . وَفِي تِلْكَ ٱلسَّنَةِ كَانَ قَدْ أَرْسَلَ قَيْصَرُ ٱلْمَلِكُ كِيرِينُوسَ ٱلْقَاضِيَ مَعَ أَصْحَابِ ٱلْجِزْيَةِ إِلَى أُورَشَلِيمَ . فَصَعِدَ يُوسُفُ خَطِيبُ مَرْيَمَ مِنَ ٱلنَّاصِرَةِ مَدِينَتِهِ إِلَى أُورَشَلِيمَ لِيُثْبِتَ ٱسْمَهُ . وَعِنْدَ مُوَافَاتِهِمْ بَيْتَ لَحْمَ وَلَدَتْ مَرْيَمُ . وَأَتَى ٱلْمَجُوسُ بِأَلْطَافِهِمْ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأَهْدَوْهَا إِلَى ٱلْمَسِيحِ . وَهِيَ ذَهَبٌ وَمُرٌّ وَلُبَانٌ . وَكَانُوا قَدْ مَرُّوا أَوَّلًا بِهِيرُودُسَ وَسَأَلَهُمْ عَنْ أَمْرِهِمْ فَقَالُوا لَهُ : إِنَّ عَظِيمًا كَانَ لَنَا وَهُوَ قَدْ أَنْبَأَنَا بِكِتَابٍ وَضَعَهُ ذَاكِرًا فِيهِ : سَيُولَدُ فِي فِلَسْطِينَ مَوْلُودٌ أَصْلُهُ مِنَ ٱلسَّمَاءِ وَيَتَعَبَّدُ لَهُ أَكْثَرُ ٱلْعَالَمِ . وَآيَةُ ظُهُورِهِ أَنَّكُمْ تَرَوْنَ نَجْمًا غَرِيبًا وَهُوَ يَهْدِيكُمْ إِلَى حَيْثُ هُوَ .

فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَٱحْمِلُوا ذَهَبًا وَمُرًّا وَلُبَانًا وَٱنْطَلِقُوا إِلَيْهِ وَٱلْطِفُوهُ بِهَا وَٱسْجُدُوا لَهُ. وَٱلْآنَ قَدْ ظَهَرَ ٱلنَّجْمُ وَأَتَيْنَا لِيَتِمَّ مَا أُمِرْنَا بِهِ. فَقَالَ لَهُمْ هِيرُودُسُ: قَدْ أَصَبْتُمُ ٱلرَّأْيَ فَٱنْطَلِقُوا وَٱبْحَثُوا عَنِ ٱلصَّبِيِّ نِعِمَّا. فَإِذَا وَجَدْتُمُوهُ فَأَعْلِمُونِي لِأَنْطَلِقَ أَنَا أَيْضًا فَأَسْجُدَ لَهُ. فَمَضَوْا وَلَمْ يَعُودُوا إِلَيْهِ فَغَضِبَ غَضَبًا شَدِيدًا. وَأَمَرَ بِذَبْحِ جَمِيعِ أَطْفَالِ بَيْتَ لَحْمَ مِنِ ٱبْنِ سَنَتَيْنِ وَمَا دُونَ لِعَدَمِ عِلْمِهِ بِوَقْتِ وِلَادَةِ ٱلْمُخَلِّصِ. وَكَانَتْ مَرْيَمُ يَوْمَئِذٍ ٱبْنَةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً وَعُمِّرَتْ إِحْدَى وَخَمْسِينَ سَنَةً. وَكَتَبَ لُنْغِينُوسُ ٱلْفَيْلَسُوفُ إِلَى قَيْصَرَ يُعْلِمُهُ عَنْ مَجِيءِ ٱلْمَجُوسِ قَائِلًا فِي رِسَالَتِهِ: إِنَّ فُرْسَ ٱلْمَشْرِقِ دَخَلُوا سُلْطَانَكَ وَقَرَّبُوا ٱلْقَرَابِينَ لِصَبِيٍّ وُلِدَ بِأَرْضِ يَهُوذَا فَأَمَّا مَنْ هُوَ وَٱبْنُ مَنْ هُوَ فَلَمْ يَبْلُغْنَا بَعْدُ. فَأَجَابَهُ قَيْصَرُ: إِنَّ هِيرُودُسَ عَامِلَنَا عَلَى ٱلْيَهُودِ هُوَ يُعْلِمُنَا مَا أَمْرُ هٰذَا ٱلْمَوْلُودِ وَقَضِيَّتُهُ. وَكَتَبَ قَيْصَرُ إِلَى هِيرُودُسَ يَسْتَعْلِمُهُ ٱلْخَبَرَ. فَكَتَبَ إِلَيْهِ وَعَرَّفَهُ قَوْلَ ٱلْمَجُوسِ لَهُ وَأَنَّهُ ذَبَحَ أَطْفَالَ بَيْتَ لَحْمَ أَجْمَعِينَ لِيَكُونَ قَدْ أَتَى عَلَى نَفْسِ ٱلصَّبِيِّ مَعَهُمْ. وَفِي تِلْكَ ٱللَّيْلَةِ ٱلَّتِي أَتَتِ ٱلْمَجُوسُ هَرَبَ يُوسُفُ مَعَ مَرْيَمَ وَٱلْمَوْلُودِ إِلَى مِصْرَ وَلَبِثُوا بِهَا سَنَتَيْنِ. وَلَمَّا بَلَغَهُمْ مَوْتُ هِيرُودُسَ عَادُوا إِلَى ٱلنَّاصِرَةِ مَدِينَتِهِمْ. وَقَبْلَ أَنْ يَمُوتَ هِيرُودُسُ قَتَلَ ٱمْرَأَتَهُ مَرْيَمَ ٱلَّتِي كَانَتِ ٱبْنَةَ يُوحَنَّا ٱلْإِسْكَنْدَرِ مَلِكِ ٱلْيَهُودِ وَأَخَاهَا وَأُمَّهَا وَبِٱلْجُمْلَةِ كُلَّ مَنْ وُجِدَ مِنْ نَسْلِ ٱلْمُلُوكِ. ثُمَّ حَدَثَ لَهُ ٱسْتِسْقَاءٌ زِقِّيٌّ وَنِقْرِسٌ شَدِيدٌ. وَبَقِيَ فِي عَذَابٍ أَلِيمٍ.

مُدَّةَ سَنَتَيْنِ . ثُمَّ مَاتَ وَوَلِيَ مَكَانَهُ أَرْخِيلَاوُسُ ٱبْنُهُ تِسْعَ سِنِينَ . ثُمَّ ٱعْتَقَلَهُ أُوغُسْطُسُ وَجَعَلَ مُلْكَ ٱلْيَهُودِ أَرْبَاعًا وَوَلَّى فِي ٱلثَّلَاثَةِ ٱلْأَرْبَاعِ ثَلَاثَةً مِنْ إِخْوَةِ أَرْخِيلَاوُسَ وَهُمْ هِيرُودُسُ وَأَنْطِفَطْرُسُ وَفِيلِبُّسُ وَفِي ٱلرُّبْعِ ٱلرَّابِعِ لُوسَانِيَا

ملك طيباريوس قيصر

٥١٤ طِيبَارِيُوسُ قَيْصَرُ مَلَكَ ٱثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ سَنَةً . وَفِي ٱلسَّنَةِ ٱلْأُولَى مِنْ مُلْكِهِ عَرَضَتْ زَلْزَلَةٌ عَظِيمَةٌ وَسَقَطَ فِيهَا مَوَاضِعُ كَثِيرَةٌ وَمَاتَ خَلْقٌ مِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلْمَوَاشِي . وَفِي ٱلسَّنَةِ ٱلسَّابِعَةِ بَنَى هِيرُودُسُ ٱبْنُ هِيرُودُسَ مَدِينَةَ طَبَرِيَّةَ عَلَى ٱسْمِ طِيبَارِيُوسَ ٱلْمَلِكِ . وَفِي ٱلسَّنَةِ ٱلرَّابِعَةِ عَشْرَةَ وَلِيَ بِيلَاطُسُ ٱلْقَضَاءَ عَلَى ٱلْيَهُودِ وَنَصَبَ تِمْثَالَ قَيْصَرَ فِي ٱلْهَيْكَلِ . وَٱضْطَرَبَ لِذٰلِكَ ٱلْيَهُودُ وَبَعْدَ ثَلَاثِ سِنِينَ ٱعْتَمَدَ ٱلْمَسِيحُ مِنْ يُوحَنَّا بْنِ زَكَرِيَّاءَ يَوْمَ ٱلْأَرْبَعَاءِ وَقِيلَ يَوْمَ ٱلْأَحَدِ لِسِتٍّ خَلَوْنَ مِنْ كَانُونَ ٱلْأَخِيرِ . وَكَانَ ٱبْنَ ثَلَاثِينَ سَنَةً وَمِنْ هٰهُنَا بَدَأَ بِإِظْهَارِ ٱلْآيَاتِ ٱلْبَاهِرَةِ وَإِفْشَاءِ سِرِّ مَلَكُوتِ ٱللّٰهِ وَٱلْحَثِّ عَلَى ٱلْعَمَلِ بِسُنَّةِ ٱلْفَضِيلَةِ فَضْلًا عَنْ سُنَّةِ ٱلْعَدَالَةِ

ابجر ملك الرها والمسيح

٥١٥ وَفِي ٱلسَّنَةِ ٱلتَّاسِعَةِ عَشْرَةَ مِنْ مُلْكِ طِيبَارِيُوسَ وَهِيَ سَنَةُ ثَلَاثِمِائَةٍ وَٱثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ أَرْسَلَ أَبْجَرُ مَلِكُ ٱلرُّهَا رَسُولًا ٱسْمُهُ حَنَّانُ إِلَى ٱلْمَسِيحِ بِكِتَابٍ يَقُولُ فِيهِ : مِنْ أَبْجَرَ ٱلْأَسْوَدِ إِلَى يَسُوعَ ٱلْمُتَطَبِّبِ

ٱلظَّاهِرِ بِأُورَشَلِيمَ. أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّهُ بَلَغَنِي عَنْكَ وَعَنْ طِبِّكَ ٱلرُّوحَانِيِّ وَأَنَّكَ تُبْرِئُ ٱلْأَسْقَامَ مِنْ غَيْرِ أَدْوِيَةٍ... فَأَنَا أَسْأَلُكَ أَنْ تَصِيرَ إِلَيَّ لَعَلَّكَ تَشْفِي مَا بِي مِنَ ٱلسَّقَمِ. وَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ ٱلْيَهُودَ يَرُومُونَ قَتْلَكَ. وَلِي مَدِينَةٌ وَاحِدَةٌ نَزِهَةٌ وَهِيَ تَكْفِينِي وَإِيَّاكَ نَسْكُنُ فِيهَا فِي هُدُوءٍ وَٱلسَّلَامُ. فَأَجَابَهُ ٱلْمَسِيحُ بِكِتَابٍ قَائِلًا: طُوبَاكَ أَنَّكَ آمَنْتَ بِي وَلَمْ تَرَنِي. وَأَمَّا مَا سَأَلْتَنِي مِنَ ٱلْمَصِيرِ إِلَيْكَ فَإِنَّهُ يَجِبُ أَنْ أُتِمَّ مَا أُرْسِلْتُ لَهُ وَأَصْعَدَ إِلَى أَبِي. ثُمَّ أُرْسِلُ إِلَيْكَ تِلْمِيذًا لِي يُبْرِئُ سَقَمَكَ وَيَمْنَحُكَ وَمَنْ مَعَكَ حَيَاةَ ٱلْأَبَدِ. فَلَمَّا أَخَذَ حَنَّانُ ٱلْجَوَابَ مِنَ ٱلْمَسِيحِ جَعَلَ يَنْظُرُ إِلَيْهِ وَيُصَوِّرُ صُورَتَهُ فِي مِنْدِيلٍ لِأَنَّهُ كَانَ مُصَوِّرًا وَأَتَى بِهِ إِلَى ٱلرُّهَا وَدَفَعَهُ إِلَى أَبْجَرَ ٱلْأَسْوَدِ. وَقِيلَ إِنَّ ٱلْمَسِيحَ تَمَنْدَلَ بِذٰلِكَ ٱلْمِنْدِيلِ مَاسِحًا بِهِ وَجْهَهُ فَٱنْتَقَشَتْ فِيهِ صُورَتُهُ. وَبَعْدَ صُعُودِ ٱلْمَسِيحِ إِلَى ٱلسَّمَاءِ أَرْسَلَ أَدِّي أَحَدُ ٱلِٱثْنَيْنِ وَٱلسَّبْعِينَ إِلَى ٱلرُّهَا وَأَبْرَأَهُ مِنْ سَقَامِهِ (لابي الفرج باختصار)

كرازة المسيح

٥١٦ ثُمَّ جَاءَ يُوحَنَّا ٱلْمَعْمَدَانُ مِنَ ٱلْبَرِّيَّةِ وَهُوَ يَحْيَى بْنُ زَكَرِيَّاءَ وَنَادَى بِٱلتَّوْبَةِ وَٱلدُّعَاءِ إِلَى ٱلدِّينِ. وَقَدْ كَانَ أَشَعْيَا أَخْبَرَ أَنَّهُ يَخْرُجُ أَيَّامَ ٱلْمَسِيحِ. وَجَاءَ ٱلْمَسِيحُ مِنَ ٱلنَّاصِرَةِ وَلَقِيَهُ بِٱلْأُرْدُنِّ فَعَمَّدَهُ يُوحَنَّا وَهُوَ ٱبْنُ ثَلَاثِينَ سَنَةً. ثُمَّ خَرَجَ إِلَى ٱلْبَرِّيَّةِ وَٱجْتَهَدَ فِي ٱلْعِبَادَةِ وَٱلصَّلَاةِ

وَٱلرَّهْبَانِيَّةِ وَٱخْتَارَ تَلَامِذَتَهُ ٱلِاثْنَيْ عَشَرَ . سِمْعَانُ بُطْرُسُ وَأَخُوهُ أَنْدَرَاوُسُ وَيَعْقُوبُ بْنُ زَبَدِي وَأَخُوهُ يُوحَنَّا وَفِيلِبُّسُ وَبَرْتُلْمَاوُسُ وَتُومَا وَمَتَّى ٱلْعَشَّارُ وَيَعْقُوبُ بْنُ حَلْفَا وَتَدَّاوُسُ وَسِمْعَانُ ٱلْقَانَوِيُّ وَيَهُوذَا ٱلْإِسْخَرْيُوطِيُّ . وَشَرَعَ فِي إِظْهَارِ ٱلْمُعْجِزَاتِ . ثُمَّ قَبَضَ هِيرُودُسُ ٱلصَّغِيرُ عَلَى يُوحَنَّا وَهُوَ يَحْيَى بْنُ زَكَرِيَّاءَ لِنَكِيرِهِ عَلَيْهِ فِي زَوْجَةِ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ . ثُمَّ شَرَعَ ٱلْمَسِيحُ ٱلشَّرَائِعَ مِنَ ٱلصَّلَاةِ وَٱلصَّوْمِ وَسَائِرِ ٱلْقُرُبَاتِ وَحَلَّلَ وَحَرَّمَ . وَظَهَرَتْ عَلَى يَدَيْهِ ٱلْخَوَارِقُ وَٱلْعَجَائِبُ وَشَاعَ ذِكْرُهُ فِي ٱلنَّوَاحِي . وَٱتَّبَعَهُ ٱلْكَثِيرُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَخَافَهُ رُؤَسَاءُ ٱلْيَهُودِ عَلَى دِينِهِمْ وَتَآمَرُوا فِي قَتْلِهِ

٥١٧ وَجَمَعَ عِيسَى ٱلْحَوَارِيِّينَ فَبَاتُوا عِنْدَهُ لَيْلَتَيْنِ يُطْعِمُهُمْ وَيُبَالِغُ فِي خِدْمَتِهِمْ بِمَا ٱسْتَعْظَمُوهُ . قَالَ : وَإِنَّمَا فَعَلْتُــهُ لِتَتَأَسَّوْا بِهِ . وَقَالَ يَعِظُهُمْ : لَيَكْفُرَنَّ بِي بَعْضُكُمْ قَبْلَ أَنْ يَصِيحَ ٱلدِّيكُ ثَلَاثًا وَيَبِيعُنِي أَحَدُكُمْ بِثَمَنٍ بَخْسٍ وَتَأْكُلُوا ثَمَنِي . ثُمَّ ٱفْتَرَقُوا وَكَانَ ٱلْيَهُودُ بَعَثُوا ٱلْعُيُونَ عَلَيْهِمْ . فَأَخَذُوا وَاحِدًا مِنَ ٱلْحَوَارِيِّينَ فَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ وَتَرَكُوهُ . وَجَاءَ يَهُوذَا ٱلْإِسْخَرْيُوطِيُّ وَبَايَعَهُمْ عَلَى ٱلدَّلَالَةِ عَلَيْهِ بِثَلَاثِينَ دِرْهَمًا . وَأَرَاهُمْ مَكَانَهُ ٱلَّذِي كَانَ يَبِيتُ فِيهِ وَأَصْبَحُوا بِهِ إِلَى فِلَاطُسَ (بِيلَاطُسَ) ٱلنَّبَطِيِّ قَائِدِ قَيْصَرَ عَلَى ٱلْيَهُودِ . وَحَضَرَ جَمَاعَةُ ٱلْكَهَنَةِ وَقَالُوا : هٰذَا يُفْسِدُ دِينَنَا وَيُحِلُّ نَوَامِيسَنَا وَيَدَّعِي ٱلْمُلْكَ فَٱقْتُلْهُ . وَتَوَقَّفَ فَصَاحُوا بِهِ وَتَوَعَّدُوهُ بِإِبْلَاغِ ٱلْأَمْرِ إِلَى قَيْصَرَ فَأَمَرَ بِقَتْلِهِ (لابن خلدون)

موت المسيح وصعوده الى السماء

٥١٨ وَفِي هٰذِهِ ٱلسَّنَةِ تَمَّتِ ٱلْأَرْبَعَةُ وَٱلسَّبْعُونَ سَبَةً ٱلَّتِي أَوْحَى ٱللّٰهُ إِلَى دَانِيَالَ ٱلنَّبِيِّ أَنَّ سَبْعِينَ أُسْبُوعًا تَطْمَئِنُّ أُمَّتُكَ ثُمَّ يَأْتِي ٱلْمَلِكُ ٱلْمَسِيحُ وَيُقْتَلُ. هٰذَا إِذَا ٱبْتَدَأْنَا بِتَعْدِيدِهَا مِنْ آخِرِ سَنَةِ عِشْرِينَ لِمُلْكِ أَرْتَحْشَشْتَا ٱلطَّوِيلِ ٱلْيَدَيْنِ. وَهِيَ ٱلسَّنَةُ ٱلَّتِي أُرْسِلَ فِيهَا نَحَمْيَا ٱلسَّاقِي إِلَى أُورَشَلِيمَ وَجَدَّدَ ٱلْعَهْدَ بِتَقْرِيبِ ٱلْقَرَابِينِ وَكَتَبَ عَزْرَا كُتُبَ ٱلْوَحْيِ. وَفِي هٰذِهِ ٱلسَّنَةِ أَعْنِي ٱلتَّاسِعَةَ عَشْرَةَ مِنْ مُلْكِ طِيبَارِيُوسَ قَيْصَرَ صُلِبَ ٱلْمَسِيحُ يَوْمَ ٱلْجُمُعَةِ ٱلثَّالِثَ عَشَرَ مِنْ أَذَارَ. وَكَانَ فِصْحُ ٱلْيَهُودِ يَوْمَ ٱلسَّبْتِ وَإِنَّمَا أَكَلَهُ ٱلْمَسِيحُ مَعَ تَلَامِيذِهِ لَيْلَةَ ٱلْجُمُعَةِ لِتَعَذُّرِ إِتْمَامِهِ فِي وَقْتِهِ بِسَبَبِ صَلْبِهِ نَهَارَ ٱلْجُمُعَةِ. وَكَانَ ٱلصُّعُودُ يَوْمَ ٱلْخَمِيسِ لِثَلَاثٍ خَلَوْنَ مِنْ أَيَارَ. وَصَارَ ٱلْفَنْطِيقُوسْطِي يَوْمَ ٱلْأَحَدِ لِثَلَاثَ عَشْرَةَ لَيْلَةً خَلَتْ مِنْ أَيَارَ. وَفِي هٰذَا ٱلْيَوْمِ سَمِعَ كَهَنَةُ ٱلْيَهُودِ مِنْ دَاخِلِ ٱلْهَيْكَلِ صَوْتَ هَاتِفٍ يَهْتِفُ بِهِمْ قَائِلًا: قَدْ أَزْمَعْنَا عَلَى ٱلْاِنْتِقَالِ مِنْ هٰهُنَا فَرَاعَهُمْ ذٰلِكَ جِدًّا (لابي الفرج)

ابتداء النصرانيّة

٥١٩ ثُمَّ ظَهَرَ عِيسَى لِتَلَامِيذِهِ بَعْدَ صَلْبِهِ وَأَمَرَهُمْ بِتَبْلِيغِ رِسَالَتِهِ فِي ٱلنَّوَاحِي كَمَا عَيَّنَ لَهُمْ مِنْ قَبْلُ. وَعِنْدَ عُلَمَاءِ ٱلنَّصَارَى أَنَّ ٱلَّذِي بُعِثَ مِنَ ٱلْحَوَارِيِّينَ إِلَى رُومَةَ بُطْرُسُ وَمَعَهُ بُولُسُ مِنَ ٱلْأَتْبَاعِ وَلَمْ يَكُنْ حَوَارِيًّا. وَإِلَى أَرْضِ ٱلسُّودَانِ وَٱلْحَبَشَةِ وَيُعَبِّرُونَ عَنْ هٰذِهِ

ٱلنَّاحِيَةِ بِٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي تَأْكُلُ أَهْلَهَا وَٱلنَّاسَ مَتَّى ٱلْعَشَّارُ. وَأَنْدَرَاوُسُ إِلَى أَرْضِ بَابِلَ. وَإِلَى ٱلْمَشْرِقِ تُومَا. وَإِلَى أَرْضِ أَفْرِيقِيَّةَ فِيلِبُسُ. وَإِلَى أَفْسُسَ قَرْيَةِ أَصْحَابِ ٱلْكَهْفِ يُوحَنَّا. وَإِلَى أُورشَلِيمَ وَهِيَ بَيْتُ ٱلْمَقْدِسِ يَعْقُوبُ. وَإِلَى أَرْضِ ٱلْعَرَبِ وَٱلْحِجَازِ بَرْتُلْمَاوُسُ. وَإِلَى أَرْضِ بَرْقَةَ وَٱلْبَرْبَرِ سِمْعَانُ ٱلْقَانَوِيُّ. قَالَ ٱبْنُ إِسْحَاقَ: ثُمَّ وَثَبَ ٱلْيَهُودُ عَلَى بَقِيَّةِ ٱلْحَوَارِيِّينَ يُعَذِّبُونَهُمْ وَيَفْتِنُونَهُمْ. وَسَمِعَ قَيْصَرُ ذٰلِكَ وَكَتَبَ إِلَيْهِ فِلَاطُسُ (بِيلَاطُسُ) ٱلنَّبَطِيُّ قَائِدُهُ بِأَخْبَارِهِ وَمُعْجِزَاتِهِ وَبَغْيِ ٱلْيَهُودِ عَلَيْهِ وَعَلَى يُوحَنَّا قَبْلَهُ فَأَمَرَهُمْ بِٱلْكَفِّ عَنْ ذٰلِكَ. وَيُقَالُ قَتَلَ بَعْضَهُمْ. وَٱنْطَلَقَ ٱلْحَوَارِيُّونَ إِلَى ٱلْجِهَاتِ ٱلَّتِي بَعَثَهُمْ إِلَيْهَا عِيسَى فَآمَنَ بِهِ بَعْضٌ وَكَذَّبَ بَعْضٌ... وَأَمَّا بُطْرُسُ كَبِيرُ ٱلْحَوَارِيِّينَ وَبُولُسُ ٱللَّذَانِ بَعَثَهُمَا عِيسَى إِلَى رُومَةَ فَإِنَّهُمَا مَكَثَا هُنَالِكَ يُقِيمَانِ دِينَ ٱلنَّصْرَانِيَّةِ. ثُمَّ كَتَبَ بُطْرُسُ ٱلْإِنْجِيلَ بِٱلرُّومِيَّةِ وَنَسَبَهُ إِلَى مَرْقُسَ تِلْمِيذِهِ. وَكَتَبَ مَتَّى إِنْجِيلَهُ بِٱلْعِبْرَانِيَّةِ فِي بَيْتِ ٱلْمَقْدِسِ. وَكَتَبَ لُوقَا إِنْجِيلَهُ بِٱلرُّومِيَّةِ وَبَعَثَهُ إِلَى بَعْضِ أَكَابِرِ ٱلرُّومِ. وَكَتَبَ يُوحَنَّا بْنُ زَبْدَى إِنْجِيلَهُ بِرُومَةَ (والصواب بأفسس). ثُمَّ ٱجْتَمَعَ ٱلرُّسُلُ ٱلْحَوَارِيُّونَ بِرُومَةَ (والصحيح بالقدس) وَوَضَعُوا ٱلْقَوَانِينَ ٱلشَّرْعِيَّةَ لِدِينِهِمْ وَصَيَّرُوهَا (بعد موت بطرس) بِيَدِ إِقْلِيمَطْسَ (إِكْلِمَنْضُسَ) تِلْمِيذِ بُطْرُسَ. وَكَتَبُوا فِيهَا عِدَّةَ ٱلْكُتُبِ ٱلَّتِي يَجِبُ قَبُولُهَا. فَمِنَ ٱلْقَدِيمَةِ ٱلتَّوْرَاةُ خَمْسَةُ أَسْفَارٍ وَكِتَابُ يَشُوعَ بْنِ نُونٍ وَكِتَابُ ٱلْقُضَاةِ وَكِتَابُ رَاعُوثَ وَكِتَابُ

يَهُوذَا وَأَسْفَارُ ٱلْمُلُوكِ أَرْبَعَةُ كُتُبٍ وَسِفْرُ ٱلْمَقَابِيِّينَ ثَلَاثَةُ كُتُبٍ وَكِتَابُ عَزْرَا ٱلْإِمَامِ وَكِتَابُ قِصَّةِ هَامَانَ وَكِتَابُ أَيُّوبَ ٱلصِّدِّيقِ وَمَزَامِيرُ دَاوُدَ ٱلنَّبِيِّ وَكُتُبُ وَلَدِهِ سُلَيْمَانَ خَمْسَةٌ. وَنُبُوَّاتُ ٱلْأَنْبِيَاءِ ٱلصِّغَارِ وَٱلْكِبَارِ سِتَّةَ عَشَرَ كِتَابًا وَكِتَابُ يَشُوعَ بْنِ شَارَخَ (سِيرَاخَ). وَمِنَ ٱلْحَدِيثَةِ كُتُبُ ٱلْإِنْجِيلِ ٱلْأَرْبَعَةُ وَكُتُبُ ٱلْقَتَالِيقُونَ سَبْعُ رَسَائِلَ وَكِتَابُ بُولُسَ أَرْبَعَ عَشْرَةَ رِسَالَةً وَٱلْأَبْرَكْسِيسُ وَهُوَ قِصَصُ ٱلرُّسُلِ تَشْتَمِلُ عَلَى كَلَامِ ٱلرُّسُلِ وَمَا أُمِرُوا بِهِ وَنُهُوا عَنْهُ (لابن خلدون)

ولاية هيرودس اغرياس

٥٢٠ وَفِي ٱلسَّنَةِ ٱلْأُولَى مِنْ مُلْكِ غَايُوسَ قَيْصَرَ وَلِيَ هِيرُودُسُ أَغْرِيبَاسُ عَلَى ٱلْيَهُودِ سَبْعَ سِنِينَ. وَفِي هٰذِهِ ٱلسَّنَةِ قَتَلَ بِيلَاطُسُ ٱلْبُنْطِيُّ نَفْسَهُ وَأَرْسَلَ فِيلِكْسُ قَاضِيًا إِلَى أُورَشَلِيمَ وَمَلَأَ مَحَارِيبَ ٱلْيَهُودِ أَصْنَامًا. فَأَرْسَلُوا رَسُولَيْنِ حَكِيمَيْنِ هُمَا فِيلُونُ وَيُوسِيفُوسُ ٱلْعِبْرِيَّانِ إِلَى قَيْصَرَ يَتَضَوَّرُونَ مِنْ صَنِيعِ ٱلنَّاظِرِ. فَمَضَيَا وَٱسْتَعْطَفَاهُ مُتَقَدِّمًا بِإِزَالَةِ مَا كَرِهَ ٱلْيَهُودُ عَنْهُمْ. وَفِي ٱلسَّنَةِ ٱلرَّابِعَةِ وَرَدَ فِطْرُنْيُوسُ ٱلنَّاظِرُ مِنْ رُومَةَ إِلَى أُورَشَلِيمَ وَنَصَبَ صُورَةَ زَاوُسَ أَيِ ٱلْمُشْتَرِي فِي هَيْكَلِ ٱلرَّبِّ. وَتَمَّتْ نُبُوَّةُ دَانِيَالَ ٱلنَّبِيِّ ٱلَّذِي قَالَ: عَلَامَةٌ نَجِسَةٌ قَائِمَةٌ حَيْثُ لَا يَنْبَغِي

ملك قلوذيوس قيصر

٥٢١ ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَ غَايُوسَ قَيْصَرَ قُلُوذِيُوسُ. وَفِي ٱلسَّنَةِ ٱلثَّانِيَةِ مِنْ

مُلْكِهِ ظَهَرَ رَجُلٌ مِصْرِيٌّ بِأَرْضِ يَهُوذَا وَادَّعَى ٱلنُّبُوءَةَ وَأَفْسَدَ خَلْقًا مِنَ ٱلنَّاسِ . وَأَرَادَ أَنْ يَكْبِسَ أُورَشَلِيمَ قَهْرًا فَتَوَجَّهَ إِلَيْهِ فِيلِكْسُ ٱلْبِطْرِيقُ فَقَتَلَهُ وَقَتَلَ عَامَّةَ أَتْبَاعِهِ . وَظَهَرَ أَيْضًا رَجُلٌ يُسَمَّى قُورِنْثُوسَ وَكَانَ يَقُولُ : إِنَّ فِي مَلَكُوتِ ٱللهِ أَكْلًا وَشُرْبًا . وَفِي هٰذَا ٱلزَّمَانِ أَمَرَ قُلُوذِيُوسَ قَيْصَرُ بِإِحْصَاءِ ٱلْيَهُودِ ٱلَّذِينَ فِي سُلْطَانِهِ فَبَلَغَ عَدَدُهُمْ سِتَّمِائَةٍ وَأَرْبَعًا وَتِسْعِينَ رِبْوَةً وَأَرْبَعَةَ آلَافِ نَفْسٍ . وَفِي يَوْمِ عِيدِ ٱلْفِصْحِ وَقَعَ ٱلْيَهُودُ فِي ٱلْخَلْطِ . وَضَغَطَ ٱلنَّاسُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا فَمَاتَ فِي ٱلزِّحَامِ ثَلَاثُونَ أَلْفَ نَفْسٍ . وَكَانَ ٱلْيَهُودُ مُتَفَرِّقِينَ عَلَى سَبْعِ فِرَقٍ . ٱلْأُولَى ٱلرَّبَّانِيُّونَ وَهُمْ كُتَّابُ ٱلنَّامُوسِ وَمُعَلِّمُوهُ . وَٱلثَّانِيَةُ ٱللَّاوِيُّونَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُفَارِقُوا خِدْمَةَ ٱلْهَيْكَلِ . وَٱلثَّالِثَةُ ٱلْمُعْتَزِلَةُ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِقِيَامَةِ ٱلْمَوْتَى وَيَقُولُونَ بِوُجُودِ ٱلْمَلَائِكَةِ وَيَصُومُونَ يَوْمَيْنِ فِي ٱلْأُسْبُوعِ . وَٱلرَّابِعَةُ ٱلزَّنَادِقَةُ ٱلَّذِينَ يَجْحَدُونَ ٱلْقِيَامَـةَ وَٱلْمَلَائِكَةَ . وَٱلْخَامِسَةُ ٱلْمُغْتَسِلُونَ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا يُثَابُ ٱلْإِنْسَانُ إِنْ لَمْ يَغْتَسِلْ كُلَّ يَوْمٍ . وَٱلسَّادِسَةُ ٱلنُّسَّاكُ ٱلَّذِينَ لَا يَأْكُلُونَ شَيْئًا فِيهِ رُوحٌ . وَٱلسَّابِعَةُ ٱلسَّمَرَةُ ٱلَّذِينَ لَا يَقْبَلُونَ مِنَ ٱلْكُتُبِ إِلَّا ٱلتَّوْرَاةَ وَهِيَ ٱلْمُجَسِّمَةُ .

ملك نيرون وعصيان اليهود

٥٢٢ نِيرُونُ قَيْصَرُ مَلَكَ أَرْبَعَ عَشْرَةَ سَنَةً . وَفِي ٱلسَّنَةِ ٱلثَّالِثَةَ عَشْرَةَ مِنْ مُلْكِهِ ٱضْطَهَدَ ٱلنَّصَارَى وَضَرَبَ عُنُقَ بُولُسَ وَصَلَبَ بُطْرُسَ مُنْعَكِسًا . وَعَصَى ٱلْيَهُودُ عَلَيْهِ فَغَزَاهُمْ إِسْفَسْيَانُوسُ ٱلْقَائِدُ مَعَ جُيُوشٍ

كَثِيرَةٍ . وَحَاصَرَ أُورَشَلِيمَ زَمَانًا طَوِيلًا فَلَمَّا دَنَا مِنْ فَتْحِهَا أَتَاهُ ٱلْخَبَرُ بِمَوْتِ نِيرُونَ . فَنَصَبَ إِسْفَسِيَانُوسُ ٱبْنَهُ طِيطُشَ مَكَانَهُ فِي مُحَارَبَةِ ٱلْيَهُودِ . وَنَهَضَ رَاجِعًا إِلَى رُومَةَ . وَغَزَا ٱلْإِسْكَنْدَرِيَّةَ وَفَتَحَهَا وَرَكِبَ فِي ٱلْبَحْرِ وَسَارَ إِلَى رُومَةَ وَمَلَكَهَا (لابي الفرج)

حصار اورشليم وانقراض دولة اليهود

٥٢٣ وَعَظُمَتِ ٱلْفِتَنُ وَٱلْحُرُوبُ بَيْنَ ٱلْيَهُودِ دَاخِلَ ٱلْقُدْسِ وَكَثُرَ ٱلْقَتْلُ وَسَالَتِ ٱلدِّمَاءُ فِي ٱلطُّرُقَاتِ وَقُتِلَ ٱلْكَهَنَةُ عَلَى ٱلْمَذْبَحِ . وَهُمْ لَا يَقْرَبُونَ ٱلصَّلَاةَ فِي ٱلْمَسْجِدِ لِكَثْرَةِ ٱلدِّمَاءِ . وَتَعَذَّرَ ٱلْمَشْيُ فِي ٱلطُّرُقَاتِ مِنْ سُقُوطِ حِجَارَةِ ٱلرَّمْيِ وَمَوَاقِدِ ٱلنِّيرَانِ بِٱللَّيْلِ . وَكَانَ يُوحَنَّانُ أَخْبَثَ ٱلْقَوْمِ وَشَرَّهُمْ . وَلَمَّا ٱنْسَلَخَ ٱلشِّتَاءُ زَحَفَ طِيطُشُ فِي عَسَاكِرِ ٱلرُّومِ إِلَى أَنْ نَزَلَ عَلَى ٱلْقُدْسِ . وَرَكِبَ إِلَى بَابِ ٱلْبَلَدِ يَتَخَيَّرُ ٱلْمَكَانَ لِمُعَسْكَرِهِ وَيَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلسِّلْمِ فَصَمُّوا عَنْهُ وَأَكْمَنُوا لَهُ بَعْضَ ٱلْخَوَارِجِ فِي ٱلطَّرِيقِ فَقَاتَلُوهُ وَخَلَصَ مِنْهُمْ بِشِدَّتِهِ . فَعَبَّى عَسْكَرَهُ مِنَ ٱلْغَدِ وَنَزَلَ بِجَبَلِ ٱلزَّيْتُونِ شَرْقِيَّ ٱلْمَدِينَةِ وَرَتَّبَ ٱلْعَسَاكِرَ وَٱلْآلَاتِ لِلْحِصَارِ . وَٱتَّفَقَ ٱلْيَهُودُ دَاخِلَ ٱلْمَدِينَةِ وَرَفَعُوا ٱلْحَرْبَ بَيْنَهُمْ وَبَرَزُوا إِلَى ٱلرُّومِ فَٱنْهَزَمُوا . ثُمَّ عَاوَدُوا فَظَهَرُوا . ثُمَّ ٱنْتَقَضُوا بَيْنَهُمْ وَتَحَارَبُوا وَدَخَلَ يُوحَنَّانُ إِلَى ٱلْقُدْسِ يَوْمَ ٱلْفِطْرِ فَقَتَلَ جَمَاعَةً مِنَ ٱلْكَهَنَةِ وَقَتَلَ جَمَاعَةً أُخْرَى خَارِجَ ٱلْمَسْجِدِ . وَزَحَفَ طِيطُشُ وَبَرَزُوا إِلَيْهِ فَرَدُّوهُ إِلَى قُرْبِ مُعَسْكَرِهِ . وَبَعَثَ إِلَيْهِمْ قَائِدَهُ نِقَانُورَ فِي ٱلصُّلْحِ فَأَصَابَهُ سَهْمٌ

فَقَتَلَهُ. فَغَضِبَ طِيطُسُ وَصَنَعَ كَبْشًا وَأَبْرَاجًا مِنَ ٱلْحَدِيدِ تُوَازِي ٱلسُّورَ وَشَحَنَهَا بِٱلْمُقَاتِلَةِ. فَأَحْرَقَ ٱلْيَهُودُ تِلْكَ ٱلْآلَاتِ وَدَفَنُوهَا وَعَادُوا إِلَى ٱلْحَرْبِ بَيْنَهُمْ. وَكَانَ يُوحَنَّانُ قَدْ مَلَكَ ٱلْقُدْسَ وَمَعَهُ سِتَّةُ آلَافٍ أَوْ يَزِيدُونَ مِنَ ٱلْمُقَاتِلَةِ وَمَعَ شِمْعُونَ عَشَرَةُ آلَافٍ مِنَ ٱلْيَهُودِ وَخَمْسَةُ آلَافٍ مِنْ أَدُومَ. وَبَقِيَّةُ ٱلْيَهُودِ بِٱلْمَدِينَةِ مَعَ ٱلْعَازَرَ. وَأَعَادَ طِيطُسُ ٱلزَّحْفَ بِٱلْآلَاتِ وَثَلَمَ ٱلسُّورَ ٱلْأَوَّلَ وَمَلَكَهُ إِلَى ٱلثَّانِي فَٱصْطَلَحَ ٱلْيَهُودُ بَيْنَهُمْ وَتَذَامَرُوا وَٱشْتَدَّتِ ٱلْحَرْبُ وَبَاشَرَهَا طِيطُسُ بِنَفْسِهِ. ثُمَّ زَحَفَ بِٱلْآلَاتِ إِلَى ٱلسُّورِ ٱلثَّانِي فَثَلَمَهُ. وَتَذَامَرَ ٱلْيَهُودُ فَمَنَعُوهُمْ عَنْهُ وَمَكَثُوا كَذٰلِكَ أَرْبَعَةَ أَيَّامٍ. وَجَاءَ ٱلْمَدَدُ مِنَ ٱلْجِهَاتِ إِلَى طِيطُسَ وَلَاذَ ٱلْيَهُودُ بِٱلْأَسْوَارِ وَأَغْلَقُوا ٱلْأَبْوَابَ وَرَفَعَ طِيطُسُ ٱلْحَرْبَ وَدَعَاهُمْ إِلَى ٱلْمُسَالَمَةِ فَٱمْتَنَعُوا. فَجَاءَ بِنَفْسِهِ فِي ٱلْيَوْمِ ٱلْخَامِسِ وَخَاطَبَهُمْ وَدَعَاهُمْ وَجَاءَ مَعَهُ يُوسُفُ بْنُ كَرْيُونَ فَوَعَظَهُمْ وَرَغَّبَهُمْ فِي أَمَنَةِ ٱلرُّومِ وَوَعَدَهُمْ وَأَطْلَقَ طِيطُسُ أَسْرَاهُمْ فَجَنَحَ ٱلْكَثِيرُ مِنَ ٱلْيَهُودِ إِلَى ٱلْمُسَالَمَةِ. وَمَنَعَهُمْ هٰؤُلَاءِ ٱلرُّؤَسَاءُ ٱلْخَوَارِجُ وَقَتَلُوا مَنْ يَرُومُ ٱلْخُرُوجَ إِلَى ٱلرُّومِ. وَلَمْ يَبْقَ مِنَ ٱلْمَدِينَــةِ مَا يَعْصِمُهُمْ إِلَّا ٱلسُّورُ ٱلثَّالِثُ. وَطَالَ ٱلْحِصَارُ وَٱشْتَدَّ ٱلْجُوعُ عَلَيْهِمْ وَٱلْقَتْلُ وَمَنْ وُجِدَ خَارِجَ ٱلْمَدِينَةِ لِرَعْيِ ٱلْعُشْبِ قَتَلَهُ ٱلرُّومُ وَصَلَبُوهُ حَتَّى رَحِمَهُمْ طِيطُسُ وَرَفَعَ ٱلْقَتْلَ عَمَّنْ يَخْرُجُ فِي ٱبْتِغَاءِ ٱلْعُشْبِ. ثُمَّ زَحَفَ طِيطُسُ إِلَى ٱلسُّورِ ٱلثَّالِثِ مِنْ أَرْبَعِ جِهَاتِهِ وَنَصَبَ ٱلْآلَاتِ وَصَبَرَ ٱلْيَهُودُ عَلَى ٱلْحَرْبِ وَتَذَامَرَ

ٱلْيَهُودُ وَصَعُبَ ٱلْحَرْبُ وَبَلَغَ ٱلْجُوعُ فِي ٱلشِّدَّةِ غَايَتَهُ. وَٱسْتَأْمَنَ مَنَايُ ٱلْكَاهِنُ إِلَى ٱلرُّومِ وَهُوَ ٱلَّذِي خَرَجَ فِي ٱسْتِدْعَاءِ شِمْعُونَ فَقَتَلَهُ شِمْعُونُ. وَقَتَلَ بَنِيهِ وَقَتَلَ جَمَاعَةً مِنَ ٱلْكَهَنَةِ وَٱلْعُلَمَاءِ وَٱلْأَئِمَّةِ مِمَّنْ حَذِرَ مِنْهُ أَنْ يَسْتَأْمِنَ. وَنَكَرَ ذٰلِكَ أَلِعَازَرُ بْنُ عَنَانِي وَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى أَكْثَرَ مِنَ ٱلْخُرُوجِ عَنْ بَيْتِ ٱلْمَقْدِسِ. وَعَظُمَتِ ٱلْمَجَاعَةُ فَمَاتَ أَكْثَرُ ٱلْيَهُودِ. وَأَكَلُوا ٱلْجُلُودَ وَٱلْخِشَاشَ وَٱلْمَيْتَةَ. ثُمَّ أَكَلَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا. وَعُثِرَ عَلَى ٱمْرَأَةٍ تَأْكُلُ ٱبْنَهَا فَأَصَابَتْ رُؤَسَاءَهُمْ لِذٰلِكَ رَحْمَةٌ وَآذَنُوا فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْخُرُوجِ فَخَرَجَتْ مِنْهُمْ أُمَمٌ. وَهَلَكَ أَكْثَرُهُمْ حِينَ أَكَلُوا ٱلطَّعَامَ. وَٱبْتَلَعَ بَعْضُهُمْ فِي خُرُوجِهِ مَا كَانَ لَهُ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جَوْهَرٍ ضِنَّةً بِهِ. وَشَعَرَ بِهِمِ ٱلرُّومُ فَكَانُوا يَقْتُلُونَهُمْ وَيَشُقُّونَ عَنْهَا بُطُونَهُمْ وَشَاعَ ذٰلِكَ فِي تَوَابِعِ ٱلْعَسْكَرِ مِنَ ٱلْعَرَبِ وَٱلْأَرْمَنِ فَطَرَدَهُمْ طِيطُشُ. وَطَمِعَ ٱلرُّومُ فِي فَتْحِ ٱلْمَدِينَةِ وَزَحَفُوا إِلَى سُورِهَا ٱلثَّالِثِ بِٱلْآلَاتِ. وَلَمْ يَكُنْ لِلْيَهُودِ طَاقَةٌ بِدَفْعِهَا وَإِحْرَاقِهَا فَثَلَمُوا ٱلسُّورَ. وَبَنَى ٱلْيَهُودُ خَلْفَ ٱلثُّلْمَةِ فَأَصْبَحَتْ مُنْسَدَّةً. وَصَدَمَهَا ٱلرُّومُ بِٱلْكَبْشِ فَسَقَطَتْ مِنَ ٱلْجِدَّةِ. وَٱسْتَمَاتُوا فِي تِلْكَ ٱلْحَالِ إِلَى ٱللَّيْلِ. ثُمَّ بَيَّتَ ٱلرُّومُ ٱلْمَدِينَةَ وَمَلَكُوا ٱلْأَسْوَارَ عَلَيْهِمْ. وَقَاتَلُوهُمْ مِنَ ٱلْغَدِ فَٱنْهَزَمُوا إِلَى ٱلْمَسْجِدِ وَقَاتَلُوا فِي ٱلْحِصْنِ. وَهَدَمَ طِيطُشُ ٱلْبِنَاءَ مَا بَيْنَ ٱلْأَسْوَارِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ لِيَتَّسِعَ ٱلْمَجَالُ. وَوَقَفَ ٱبْنُ كَرْيُونَ يَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلطَّاعَةِ فَلَمْ يُجِيبُوا. وَخَرَجَ جَمَاعَةٌ مِنَ ٱلْكَهَنَةِ فَأَمَّنَهُمْ وَمَنَعَ ٱلرُّؤَسَاءُ بَقِيَّتَهُمْ. ثُمَّ بَاكَرَهُمْ طِيطُشُ

بِالْقِتَالِ مِنَ الْغَدِ فَانْهَزَمُوا إِلَى الْأَقْدَاسِ وَمَلَكَ الرُّومُ الْمَسْجِدَ وَصَحْنَهُ. وَاتَّصَلَتِ الْحَرْبُ أَيَّامًا وَهُدِمَتِ الْأَسْوَارُ كُلُّهَا. وَثُلِمَ سُورُ الْهَيْكَلِ وَأَحَاطَ الْعَسَاكِرُ بِالْمَدِينَةِ حَتَّى مَاتَ أَكْثَرُهُمْ وَفَرَّ كَثِيرٌ. ثُمَّ اقْتَحَمَ عَلَيْهِمِ الْحِصْنَ فَمَلَكَهُ وَنَصَبَ الْأَصْنَامَ فِي الْهَيْكَلِ وَمَنَعَ مِنْ تَخْرِيبِهِ. وَنَكَرَ رُؤَسَاءُ الرُّومِ ذٰلِكَ وَدَسُّوا مَنْ أَضْرَمَ النَّارَ فِي أَبْوَابِهِ وَسَقْفِهِ. وَأَلْقَى الْكَهَنَةُ أَنْفُسَهُمْ جَزَعًا عَلَى دِينِهِمْ وَحُرِقُوا. وَاخْتَفَى شِمْعُونُ وَيُوحَنَّانُ فِي جَبَلِ صِهْيُونَ. وَبَعَثَ إِلَيْهِمْ طِيطُشُ بِالْأَمَانِ فَامْتَنَعُوا وَطَرَقُوا الْقُدْسَ فِي بَعْضِ اللَّيَالِي فَقَتَلُوا قَائِدًا مِنْ قُوَّادِ الْعَسْكَرِ وَرَجَعُوا إِلَى مَكَانِ اخْتِفَائِهِمْ. ثُمَّ هَرَبَ عَنْهُمْ أَتْبَاعُهُمْ وَجَاءَ يُوحَنَّانُ مُلْقِيًا بِيَدِهِ إِلَى طِيطُشَ فَقَيَّدَهُ. وَخَرَجَ إِلَيْهِ يُوشَعُ الْكَاهِنُ بِآلَاتٍ مِنَ الذَّهَبِ الْخَالِصِ مِنْ آلَاتِ الْمَسْجِدِ فِيهَا مَنَارَتَانِ وَمَائِدَتَانِ. ثُمَّ قَبَضَ عَلَى فِنْحَاسَ خَازِنِ الْهَيْكَلِ فَأَطْلَعَهُ عَلَى خَزَائِنَ كَثِيرَةٍ مَمْلُوءَةٍ دَنَانِيرَ وَدَرَاهِمَ وَطِيبًا فَامْتَلَأَتْ يَدُهُ مِنْهَا. وَرَحَلَ عَنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ بِالْغَنَائِمِ وَالْأَمْوَالِ وَالْأَسْرَى. وَأُحْصِيَ الْمَوْتَى فِي هٰذِهِ الْوَقْعَةِ فَكَانَ عَدَدُهُمْ أَلْفَ أَلْفٍ وَمِائَةَ أَلْفٍ وَالسَّبْيُ وَالْأَسَارَى مِائَةَ أَلْفٍ. وَكَانَ طِيطُشُ فِي كُلِّ مَنْزِلَةٍ يُلْقِي مِنْهُمْ إِلَى السِّبَاعِ إِلَى أَنْ فَرَغُوا. وَكَانَ فِي مَنْ هَلَكَ شِمْعُونُ أَحَدُ الْخَوَارِجِ الثَّلَاثَةِ ... وَانْقَضَتْ دَوْلَةُ الْيَهُودِ أَجْمَعَ. وَالْبَقَاءُ لِلّٰهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَا انْقِضَاءَ لِمُلْكِهِ

(لابن خلدون باختصار)

نخبة

من كتاب دخول قبط مصر في النصرانية لتقي الدين المقريزي

في تعريف النصارى والمسيح عيسى كلمة الله

٥٢٤ إِعلَمْ أَنَّ ٱلنَّصَارَى أَتْبَاعَ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ سُمُّوا نَصَارَى لِأَنَّهُمْ يَنْتَسِبُونَ إِلَى قَرْيَةِ ٱلنَّاصِرَةِ مِنْ جَبَلِ ٱلْجَلِيلِ. وَيُعْرَفُ هٰذَا ٱلْجَبَلُ بِجَبَلِ كَنْعَانَ. وَهُوَ ٱلْآنَ فِي زَمَانِنَا مِنْ جُمْلَةِ مُعَامَلَةِ صَفَد. وَٱلْأَصْلُ فِي تَسْمِيَتِهِمْ نَصَارَى أَنَّ عِيسَى لَمَّا نَشَأَ بِقَرْيَةِ ٱلنَّاصِرَةِ قِيلَ لَهُ يَسُوعُ ٱلنَّاصِرِيُّ. ثُمَّ تَلَاعَبَتِ ٱلْعَرَبُ بِهٰذِهِ ٱلْكَلِمَةِ وَقَالُوا لِمَنْ آمَنُوا بِعِيسَى نَصَارَى. وَٱلتَّنَصُّرُ ٱلدُّخُولُ فِي دِينِهِمْ

٥٢٥ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱلْمَسِيحَ رُوحَ ٱللهِ وَكَلِمَتَهُ ٱلَّتِي أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ هُوَ عِيسَى. وَأَصْلُ ٱسْمِهِ بِٱلْعِبْرَانِيَّةِ ٱلَّتِي هِيَ لُغَةُ أُمِّهِ إِنَّمَا هُوَ يَشُوعُ وَسَمَّتْهُ ٱلنَّصَارَى يَسُوعَ. وَمَعْنَى يَسُوعَ فِي ٱللُّغَةِ ٱلرَّبَّانِيَّةِ ٱلْمُخَلِّصُ. وَنُعِتَ بِٱلْمَسِيحِ وَهُوَ ٱلصِّدِّيقُ وَقِيلَ لِأَنَّهُ كَانَ لَا يَمْسَحُ بِيَدِهِ صَاحِبَ عَاهَةٍ إِلَّا بَرَأَ. وَقِيلَ ٱلْمَسِيحُ ٱسْمٌ مُشْتَقٌّ مِنَ ٱلْمَسْحِ أَيِ ٱلدُّهْنِ لِأَنَّ ٱلرُّوحَ ٱلْقُدُسَ قَامَ لِجَسَدِ عِيسَى مَقَامَ ٱلدُّهْنِ ٱلَّذِي كَانَ عِنْدَ بَنِي إِسْرَائِيلَ يُمْسَحُ بِهِ ٱلْمَلِكُ وَيُمْسَحُ بِهِ ٱلْكَهَنُوتُ. وَقِيلَ لِأَنَّهُ مُسِحَ بِٱلْبَرَكَةِ. وَقِيلَ هِيَ كَلِمَةٌ عِبْرَانِيَّةٌ أَصْلُهَا مَاشِيحُ وَتَلَاعَبَتْ بِهَا ٱلْعَرَبُ وَقَالَتْ مَسِيحٌ. وَكَانَ مِنْ خَبَرِهِ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أَنَّ مَرْيَمَ بَيْنَمَا هِيَ فِي مِحْرَابِهَا بَشَّرَهَا ٱللهُ تَعَالَى بِعِيسَى. فَحَمَلَتْ بِعِيسَى كَمَا تَحْمِلُ ٱلنِّسَاءُ لٰكِنْ مِنْ

غيرِ ذَكَرٍ . ثُمَّ وَضَعَتْ بعدَ تِسعَةِ أَشْهُرٍ بِقَرْيَةِ بَيْتَ لَحْمَ مِنْ عَمَلِ مَدِينَةِ ٱلْقُدْسِ فِي خَامِسِ عِشْرِينَ كَانُونَ ٱلْأَوَّلِ . وَقَدِمَتْ رُسُلُ مَلِكِ فَارِسَ فِي طَلَبِهِ وَمَعَهُمْ هَدِيَّةٌ لَهُ فِيهَا ذَهَبٌ وَمُرٌّ وَلُبَانٌ . فَتَطَلَّبَهُ هِيرُودُسُ مَلِكُ ٱلْيَهُودِ بِٱلْقُدْسِ لِيَقْتُلَهُ وَقَدْ أُنْذِرَ بِهِ . فَسَارَتْ بِهِ مَرْيَمُ وَهُوَ طِفْلٌ عَلَى حِمَارٍ وَمَعَهَا يُوسُفُ ٱلنَّجَّارُ حَتَّى قَدِمُوا أَرْضَ مِصْرَ فَسَكَنُوهَا مُدَّةَ أَرْبَعِ سِنِينَ وَقِيلَ سَبْعِ سِنِينَ . ثُمَّ عَادُوا فَنَزَلَتْ بِهِ مَرْيَمُ قَرْيَةَ ٱلنَّاصِرَةِ مِنْ جَبَلِ ٱلْجَلِيلِ وَٱسْتَوْطَنَتْهَا فَنَشَأَ بِهَا عِيسَى حَتَّى بَلَغَ ثَلَاثِينَ سَنَةً . فَصَارَ هُوَ وَيَحْيَى (يُوحَنَّا) بْنُ زَكَرِيَّاءَ إِلَى نَهْرِ ٱلْأُرْدُنِّ فَٱغْتَسَلَ عِيسَى فِيهِ وَمَضَى إِلَى ٱلْبَرِّيَّةِ وَأَقَامَ بِهَا أَرْبَعِينَ يَوْمًا لَا يَتَنَاوَلُ طَعَامًا وَلَا شَرَابًا . ثُمَّ طَافَ ٱلْقُرَى وَدَعَا إِلَى ٱللهِ تَعَالَى وَأَبْرَأَ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأَحْيَا ٱلْمَوْتَى بِإِذْنِ ٱللهِ . وَبَكَّتَ ٱلْيَهُودَ وَأَمَرَهُمْ بِٱلزُّهْدِ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلتَّوْبَةِ مِنَ ٱلْمَعَاصِي . فَآمَنَ بِهِ ٱلْحَوَارِيُّونَ وَكَانُوا قَوْمًا صَيَّادِينَ وَعَدَدُهُمُ ٱثْنَا عَشَرَ رَجُلًا . وَكَذَّبَ عِيسَى عَامَّةُ ٱلْيَهُودِ وَضَلَّلُوهُ وَٱتَّهَمُوهُ بِمَا هُوَ بَرِيءٌ مِنْهُ وَكَانَتْ لَهُ وَلَهُمْ عِدَّةُ مُنَاظَرَاتٍ آلَتْ بِهِمْ إِلَى أَنِ ٱتَّفَقَ أَحْبَارُهُمْ عَلَى قَتْلِهِ وَطَرَقُوهُ لَيْلَةَ ٱلْجُمُعَةِ . وَأَخَذُوهُ وَأَتَوْا بِهِ إِلَى بِيلَاطُسَ ٱلنَّبَطِيِّ شِحْنَةِ ٱلْقُدْسِ مِنْ قِبَلِ ٱلْمَلِكِ طِيبَارْيُوسَ قَيْصَرَ . وَرَاوَدُوهُ عَلَى قَتْلِهِ وَهُوَ يُدَافِعُهُمْ عَنْهُ . حَتَّى غَلَبُوهُ عَلَى رَأْيِهِ بِأَنَّ دِينَهُمُ ٱقْتَضَى قَتْلَهُ فَأَمْكَنَهُمْ مِنْهُ

رسالة الحواريين والسبعين

٥٢٦ ثُمَّ ٱجْتَمَعُوا بَعْدَ رَفْعِهِ بِعَشَرَةِ أَيَّامٍ فِي عُلِّيَّةِ صِيُونَ ٱلَّتِي يُقَالُ لَهَا ٱلْيَوْمَ صِهْيُونُ خَارِجَ ٱلْقُدْسِ. وَظَهَرَتْ لَهُمْ خَوَارِقُ فَتَكَلَّمُوا بِجَمِيعِ ٱلْأَلْسُنِ. فَآمَنَ بِهِمْ فِيمَا يُذْكَرُ عِنْدَ ذٰلِكَ زِيَادَةٌ عَلَى ثَلَاثَةِ آلَافِ إِنْسَانٍ. فَأَخَذَهُمُ ٱلْيَهُودُ وَحَبَسُوهُمْ فَظَهَرَتْ كَرَامَتُهُمْ وَفَتَحَ ٱللّٰهُ لَهُمْ بَابَ ٱلسِّجْنِ لَيْلًا. فَخَرَجُوا إِلَى ٱلْهَيْكَلِ وَطَفِقُوا يَدْعُونَ ٱلنَّاسَ. فَهَمَّتِ ٱلْيَهُودُ بِقَتْلِهِمْ وَقَدْ آمَنَ بِهِمْ نَحْوُ ٱلْخَمْسَةِ آلَافِ إِنْسَانٍ فَلَمْ يَتَمَكَّنُوا مِنْ قَتْلِهِمْ. وَتَفَرَّقَ ٱلْحَوَارِيُّونَ فِي أَقْطَارِ ٱلْأَرْضِ يَدْعُونَ إِلَى دِينِ ٱلْمَسِيحِ. فَسَارَ بُطْرُسُ رَأْسُ ٱلْحَوَارِيِّينَ وَٱسْمُهُ شِمْعُونُ ٱلصَّفَا إِلَى أَنْطَاكِيَةَ وَرُومَةَ. فَٱسْتَجَابَ لَهُ بَشَرٌ كَثِيرٌ وَقُتِلَ فِي خَامِسِ أَبِيبَ وَسَارَ أَنْدَرَاوُسُ أَخُوهُ إِلَى نِيقِيَةَ وَمَا حَوْلَهَا فَآمَنَ بِهِ كَثِيرٌ. وَسَارَ يَعْقُوبُ بْنُ زَبَدَى أَخُو يُوحَنَّا ٱلْإِنْجِيلِيِّ إِلَى ٱلْأَنْدَلُسِ فَتَبِعَهُ جَمَاعَةٌ وَقُتِلَ. وَسَارَ يُوحَنَّا ٱلْإِنْجِيلِيُّ إِلَى بَلَدِ آسِيَا وَأَفْسُسَ فَكَتَبَ إِنْجِيلَهُ بِٱلْيُونَانِيِّ بَعْدَ مَا كَتَبَ مَتَّى وَمَرْقُسُ وَلُوقَا أَنَاجِيلَهُمْ فَوَجَدَهُمْ قَدْ قَصَّرُوا فِي أُمُورٍ فَتَكَلَّمَ عَلَيْهَا. وَكَانَ ذٰلِكَ بَعْدَ رَفْعِ ٱلْمَسِيحِ بِثَلَاثِينَ سَنَةً. وَكَتَبَ ثَلَاثَ رَسَائِلَ وَمَاتَ وَقَدْ أَنَافَ عَلَى مِائَةِ سَنَةٍ. وَسَارَ فِيلِبُّسُ إِلَى قَيْسَارِيَّةَ وَمَا حَوْلَهَا وَقُتِلَ بِهَا وَقَدِ ٱتَّبَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ ٱلنَّاسِ. وَسَارَ بَرْثُولُمَاوُسُ إِلَى أَرْمِينِيَةَ وَبِلَادِ ٱلْبَرْبَرِ وَوَاحَاتِ مِصْرَ فَآمَنَ بِهِ كَثِيرٌ وَقُتِلَ. وَسَارَ تُومَا إِلَى ٱلْهِنْدِ وَقُتِلَ هُنَاكَ. وَسَارَ مَتَّى ٱلْعَشَّارُ إِلَى

فِلَسْطِينَ وَصُورَ وَصَيْدَا وَمَدِينَةِ بُصْرَى. وَكَتَبَ إِنْجِيلَهُ بِالْعِبْرَانِي بَعْدَ رَفْعِ الْمَسِيحِ بِتِسْعِ سِنِينَ وَقُتِلَ بَعْدَ مَا اسْتَجَابَ لَهُ بَشَرٌ كَثِيرٌ. وَقُتِلَ يَعْقُوبُ بْنُ حَلْفَا فِي الْقُدْسِ. وَسَارَ يَهُوذَا مِنْ أَنْطَاكِيَةَ إِلَى الْجَزِيرَةِ فَآمَنَ بِهِ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ. وَسَارَ شِمْعُونُ إِلَى سُمَيْسَاطَ وَحَلَبَ وَمَنْبِجَ وَبِزَنْطِيَةَ فَقُتِلَ. وَسَارَ مَتِّيَاسُ إِلَى بِلَادِ الشَّرْقِ وَسَارَ بُولُسُ الطَّرَسُوسِيُّ إِلَى دِمَشْقَ وَبِلَادِ الرُّومِ وَرُومَةَ فَقُتِلَ فِي خَامِسِ أَبِيبَ

٥٢٧ وَتَفَرَّقَ أَيْضًا سَبْعُونَ رَسُولًا أُخَرُ فِي الْبِلَادِ فَآمَنَ بِهِمِ الْخَلَائِقُ. وَمِنْ هٰؤُلَاءِ السَّبْعِينَ مَرْقُسُ الْإِنْجِيلِيُّ. وَمَضَى إِلَى بُطْرُسَ بِرُومَةَ وَصَحِبَهُ وَكَتَبَ الْإِنْجِيلَ عِنْدَهُ بِالْفَرَنْجِيَّةِ بَعْدَ رَفْعِ الْمَسِيحِ بِاثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً. وَدَعَا النَّاسَ بِرُومَةَ وَمِصْرَ وَالْحَبَشَةِ وَالنُّوبَةِ. وَأَقَامَ حَنَانِيَا أُسْقُفًا عَلَى الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ وَخَرَجَ إِلَى بَرْقَةَ وَكَثُرَتِ النَّصَارَى فِي أَيَّامِهِ وَقُتِلَ فِي ثَانِي عِيدِ الْفِصْحِ بِالْإِسْكَنْدَرِيَّةِ (٦٢ للمسيح). وَمِنَ السَّبْعِينَ أَيْضًا لُوقَا الْإِنْجِيلِيُّ الطَّبِيبُ تِلْمِيذُ بُولُسَ (والاصح انه ليس من السبعين). كَتَبَ الْإِنْجِيلَ بِالْيُونَانِيَّةِ بَعْدَ رَفْعِ الْمَسِيحِ بِعِشْرِينَ سَنَةً ثُمَّ قُتِلَ (٧٥)

٥٢٨ وَكَانَ بُطْرُسُ لَمَّا نَزَلَ بِأَنْطَاكِيَةَ أَقَامَ بِهَا دَارِيُوسَ (أَفُودِيُوسَ) بَطْرَكًا وَأَنْطَاكِيَةُ إِحْدَى الْكَرَاسِيِّ الْأَرْبَعَةِ الَّتِي لِلنَّصَارَى وَهِيَ رُومِيَةُ وَالْإِسْكَنْدَرِيَّةُ وَالْقُدْسُ وَأَنْطَاكِيَةُ فَأَقَامَ دَارِيُوسُ بَطْرَكَ أَنْطَاكِيَةَ سَبْعًا وَعِشْرِينَ سَنَةً وَهُوَ أَوَّلُ بَطَارِكَتِهَا وَتَوَارَثَ مِنْ بَعْدِهِ الْبَطَارِكَةُ بِهَا الْبَطْرَكِيَّةَ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ وَدَعَا شِمْعُونُ الصَّفَا بِرُومِيَةَ

خمساً وعشرين سنة فآمنت به بطركيّة وسارت إلى القدس وكشفت عن خشبات الصليب وسلّمتها إلى يعقوب الأسقف وبنت هناك كنيسة وعادت إلى رومية وقد اشتدّت على دين النصرانية فآمن معها عدّة من أهلها . ولمّا قتل الملك نيرون قيصر بطرس رأس الحواريين برومة أقيم من بعده لينوس بطرك رومة . وهو أوّل بطرك صار على رومة . وقام من البطاركة بها واحداً بعد واحد إلى يومنا هذا الذي نحن فيه . ولمّا قتل يعقوب أسقف القدس على يد اليهود هدموا بعده البيعة وأخذوا خشبة الصليب والخشبتين معها ودفنوها وألقوا على موضعها تورباً كثيراً فصار كوماً عظيماً حتّى أخرجتها هيلاني أم قسطنطين . وأقيم بعد قتل يعقوب سمعان ابن عمّه . فمكث اثنتين وأربعين سنة أسقفاً ومات فتداول الأساقفة بعده الأسقفية بالقدس واحداً بعد آخر

بطاركة الاسكندرية والاضطهادات العشرة

٥٢٩ ولمّا أقام مرقس حنانيا بطرك الإسكندرية جعل معه اثني عشر قسّاً وأمرهم إذا مات البطرك أن يجعلوا عوضه واحداً منهم . ويقيموا بدل ذلك القس واحداً من النصارى حتّى لا يزالوا أبداً اثني عشر قسّاً . فلم تزل البطاركة تعمل من القسوس إلى أن اجتمع الثلاثمائة والثمانية عشر كما ستراه إن شاء الله تعالى . وكان بطرك الإسكندرية يقال له البابا من عهد حنانيا هذا أوّل بطاركة

ٱلإِسْكَنْدَرِيَّةِ إِلَى أَنْ أُقِيمَ دِيمِتْرِيُوسُ وَهُوَ ٱلثَّانِي عَشَرَ مِنْ بَطَارِكَةِ ٱلإِسْكَنْدَرِيَّةِ . وَلَمْ يَكُنْ بِأَرْضِ مِصْرَ أَسَاقِفَةٌ فَنَصَبَ ٱلأَسَاقِفَةَ بِهَا وَكَثَّرُوا بِقُرَاهَا . وَصَارَ ٱلأَسَاقِفَةُ يُسَمُّونَ ٱلْبَطْرَكَ ٱلأَبَ . وَٱلْقُسُوسُ وَسَائِرُ ٱلنَّصَارَى يُسَمُّونَ ٱلأُسْقُفَ ٱلأَبَ وَيَجْعَلُونَ لَفْظَةَ ٱلْبَابَا تَخْتَصُّ بِبَطْرَكِ ٱلإِسْكَنْدَرِيَّةِ وَمَعْنَاهَا أَبُ ٱلآبَاءِ . ثُمَّ ٱنْتَقَلَ هٰذَا ٱلِٱسْمُ عَنْ كُرْسِيِّ ٱلإِسْكَنْدَرِيَّةِ إِلَى كُرْسِيِّ رُومَةَ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ كُرْسِيُّ بُطْرُسَ رَأْسِ ٱلْحَوَارِيِّينَ فَصَارَ بَطْرَكُ رُومَةَ يُقَالُ لَهُ ٱلْبَابَا . وَٱسْتَمَرَّ عَلَى ذٰلِكَ إِلَى زَمَنِنَا ٱلَّذِي نَحْنُ فِيهِ . وَأَقَامَ حَنَانِيَا فِي بَطْرَكِيَّةِ ٱلإِسْكَنْدَرِيَّةِ ٱثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ سَنَةً . فَأُقِيمَ بَعْدَهُ مِيلِيُو (ميليوس او ابيليوس ٨٤) فَأَقَامَ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً وَتِسْعَةَ أَشْهُرٍ وَمَاتَ . وَفِي أَثْنَاءِ ذٰلِكَ ثَارَ ٱلْيَهُودُ عَلَى ٱلنَّصَارَى وَأَخْرَجُوهُمْ مِنَ ٱلْقُدْسِ فَعَبَرُوا ٱلأُرْدُنَّ وَسَكَنُوا تِلْكَ ٱلأَمَاكِنَ . وَكَانَ بَعْدَ هٰذَا بِقَلِيلٍ خَرَابُ ٱلْقُدْسِ وَجَلْوَةُ ٱلْيَهُودِ وَقَتْلُهُمْ عَلَى يَدِ طِيطُشَ بَعْدَ رَفْعِ ٱلْمَسِيحِ بِنَحْوِ أَرْبَعٍ وَأَرْبَعِينَ سَنَةً . فَكَثُرَتِ ٱلنَّصَارَى فِي أَيَّامِ بَطْرَكِيَّةِ مِيلِيُو وَعَادَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ إِلَى ٱلْقُدْسِ بَعْدَ تَخْرِيبِ طِيطُشَ لَهَا . وَبَنَوْا بِهَا كَنِيسَةً وَأَقَامُوا عَلَيْهَا سِمْعَانَ أُسْقُفًا

٥٣٠ ثُمَّ أُقِيمَ بَعْدَ مِيلِيُو بِٱلإِسْكَنْدَرِيَّةِ فِي ٱلْبَطْرَكِيَّةِ كِرْتِيَانُو (كِرْدُو ٨٧) وَفِي أَيَّامِ ٱلْمَلِكِ تِرِيَانُوسَ قَيْصَرَ أَصَابَ ٱلنَّصَارَى مِنْهُ بَلَاءٌ كَبِيرٌ وَقَتَلَ مِنْهُمْ جَمَاعَةً كَثِيرَةً وَٱسْتَعْبَدَ بَاقِيَهُمْ . فَنَزَلَ بِهِمْ بَلَاءٌ لَا يُوصَفُ فِي ٱلْعُبُودِيَّةِ حَتَّى رَحِمَهُمُ ٱلْوُزَرَاءُ وَأَكَابِرُ ٱلرُّومِ وَشَفَعُوا

فِيهِم. فَمَنَّ عَلَيْهِم قَيْصَرُ وَأَعْتَقَهُمْ. وَمَاتَ كِرْتِيَانُو بَطْرَكُ الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ (١٠٧) وَكَانَ جَيِّدَ السِّيرَةِ. فَقُدِّمَ بَعْدَهُ أَبْرِيمُو (افرام) فَأَقَامَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً. وَاشْتَدَّ الْأَمْرُ عَلَى النَّصَارَى فِي أَيَّامِ الْمَلِكِ أَدْرِيَانُوس قَيْصَرَ وَقَتَلَ مِنْهُمْ خَلَائِقَ لَا يُحْصَى عَدَدُهُمْ. وَقَدِمَ مِصْرَ فَأَفْنَى مَنْ بِهَا مِنَ النَّصَارَى. وَخَرَّبَ مَا بُنِيَ فِي مَدِينَةِ الْقُدْسِ مِنْ كَنِيسَةِ النَّصَارَى. وَمَنَعَ الْيَهُودَ مِنَ التَّرَدُّدِ إِلَيْهَا وَأَنْزَلَ عِوَضَهُمْ بِالْقُدْسِ الْيُونَانِيِّينَ وَسَمَّى الْقُدْسَ إِيلِيَا. فَلَمْ يَتَجَاسَرِ الْيَهُودُ أَنْ يَدْنُوا مِنَ الْقُدْسِ. وَأُقِيمَ بَعْدَ مَوْتِ أَبْرِيمُو بَطْرَكُ الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ يُسْطُس (١١٩) فَأَقَامَ إِحْدَى عَشْرَةَ سَنَةً. فَخَلَفَهُ أُومِيذُو (١٣٠) فَأَقَامَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً. ثُمَّ أُقِيمَ بَعْدَهُ مَرْقِيَانُو (١٤٣) بَطْرَكُ الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ وَأَقَامَ تِسْعَ سِنِينَ وَسِتَّةَ أَشْهُرٍ. فَقُدِّمَ بَعْدَهُ عَلَى الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ كُلُوتِيَانُو (١٥٣) فَأَقَامَ أَرْبَعَ عَشْرَةَ سَنَةً. وَفِي أَيَّامِهِ اشْتَدَّ الْمَلِكُ أَرَالِيَانُوسُ (اوريليوس) قَيْصَرُ عَلَى النَّصَارَى وَقَتَلَ مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا. وَقُدِّمَ عَلَى كُرْسِيِّ الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ بَعْدَ كُلُوتِيَانُو أَغْرِيبُو (أغريبنوس) بَطْرَكًا أَقَامَ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً. وَفِي أَيَّامِ بَطْرَكِيَّتِهِ اتَّفَقَ رَأْيُ الْبَطَارِكَةِ بِجَمِيعِ الْأَمْصَارِ عَلَى حِسَابِ فِصْحِ النَّصَارَى وَوَقْتِ صَوْمِهِمْ وَرَتَّبُوا كَيْفَ يُسْتَخْرَجُ وَوَضَعُوا الْحِسَابَ الْأَبْقَطِيَّ وَبِهِ يَسْتَخْرِجُونَ مَعْرِفَةَ وَقْتِ صَوْمِهِمْ وَفِصْحِهِمْ وَاسْتَمَرُّوا عَلَى مَا رَتَّبُوهُ فِيمَا بَعْدُ. وَكَانُوا قَبْلَ ذٰلِكَ يَصُومُونَ بَعْدَ الْغِطَاسِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا كَمَا صَامَ الْمَسِيحُ وَيُفْطِرُونَ فِي عِيدِ الْفِصْحِ لِأَنَّ عِيدَ الْفِصْحِ كَانَتْ

بَعْدِهِ بِالْإِسْكَنْدَرِيَّةِ مَكْسِيمُوسُ (٢٦٥) فَأَقَامَ بَطْرَكًا اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً فَأُقِيمَ بَعْدَهُ تَاوُنَا (٢٨٧) بَطْرَكًا مُدَّةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً وَمَاتَ. وَكَانَتِ النَّصَارَى قَبْلَهُ تُصَلِّي بِالْإِسْكَنْدَرِيَّةِ خِفْيَةً مِنَ الرُّومِ خَوْفًا مِنَ الْقَتْلِ. فَلَاطَفَ تَاوُنَا الرُّومَ وَأَهْدَى إِلَيْهِمْ تُحَفًا جَلِيلَةً حَتَّى بَنَى كَنِيسَةَ مَرْيَمَ بِالْإِسْكَنْدَرِيَّةِ فَصَلَّى بِهَا النَّصَارَى جِهَارًا. وَاشْتَدَّ الْأَمْرُ عَلَى النَّصَارَى فِي أَيَّامِ الْمَلِكِ أُورِيلِيَانُوسَ قَيْصَرَ وَقَتَلَ مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا. وَلَمَّا كَانَتْ أَيَّامُ دِقْلِطِيَانُوسَ قَيْصَرَ خَالَفَ عَلَيْهِ أَهْلُ مِصْرَ وَالْإِسْكَنْدَرِيَّةِ فَقَتَلَ مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا. وَكَتَبَ بِغَلْقِ كَنَائِسِ النَّصَارَى. وَأَمَرَ بِعِبَادَةِ الْأَصْنَامِ وَقَتْلِ مَنِ امْتَنَعَ مِنْهَا. فَاسْتُشْهِدَ خَلَائِقُ كَثِيرَةٌ جِدًّا. وَأُقِيمَ فِي الْبَطْرَكِيَّةِ بَعْدَ تَاوُنَا بُطْرُسُ (٣٠٠) فَأَقَامَ إِحْدَى عَشْرَةَ سَنَةً وَقُتِلَ بِالْإِسْكَنْدَرِيَّةِ بِالسَّيْفِ لِامْتِنَاعِهِ مِنَ السُّجُودِ لِلْأَصْنَامِ. فَقَامَ بَعْدَهُ تِلْمِيذُهُ أَرْشِلَاوُسُ (اشيلاس ٣١١) فَأَقَامَ سَنَتَيْنِ وَمَاتَ. وَبِدِقْلِطِيَانُوسَ هٰذَا وَقَتْلِهِ نَصَارَى مِصْرَ يُؤَرِّخُ قِبْطُ مِصْرَ إِلَى يَوْمِنَا هٰذَا. ثُمَّ قَامَ بَعْدَهُ مَكْسِمِيَانُوسُ قَيْصَرُ فَاشْتَدَّ عَلَى النَّصَارَى وَقَتَلَ مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا حَتَّى كَانَتِ الْقَتْلَى مِنْهُمْ تُحْمَلُ عَلَى الْعَجَلِ وَتُلْقَى فِي الْبَحْرِ

تنصُّر قسطنطين وبدعة آريوس وحرمهُ

٥٣٢ ثُمَّ قَامَ بَعْدَ أَرْشِلَاوُسَ فِي بَطْرَكِيَّةِ الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ إِسْكَنْدَرُوسُ تِلْمِيذُ بُطْرُسَ الشَّهِيدِ فَأَقَامَ ثَلَاثًا وَعِشْرِينَ سَنَةً وَمَاتَ فِي ثَانِي عِشْرِينَ بَرْمُودَه. وَفِي بَطْرَكِيَّتِهِ كَانَ مَجْمَعُ النَّصَارَى بِمَدِينَةِ نِيقِيَةَ. وَفِي أَيَّامِهِ

كَتَبَ ٱلنَّصَارَى وَغَيرُهُمْ مِنْ أَهْلِ رُومَةَ إِلَى قُسْطَنْطِينَ وَكَانَ عَلَى مَدِينَةِ بِزَنْطِيَةَ يَحُثُّونَهُ عَلَى أَنْ يُنقِذَهُمْ مِنْ جَوْرِ مَكْسَنْطِيسَ وَشَكَوْا إِلَيْهِ عُتُوَّهُ فَأَجْمَعَ عَلَى ٱلْمَسِيرِ لِذٰلِكَ. وَكَانَتْ أُمُّهُ هِيلَانِي مِنْ أَهْلِ قُرَى مَدِينَةِ ٱلرُّهَا قَدْ تَنَصَّرَتْ عَلَى يَدِ أُسْقُفِ ٱلرُّهَا وَتَعَلَّمَتِ ٱلْكُتُبَ. فَلَمَّا مَرَّ بِقَرْيَتِهَا قُسْطُسُ صَاحِبُ شُرْطَةِ دِقْلِطْيَانُوسَ رَآهَا فَأَعْجَبَتْهُ فَتَزَوَّجَهَا وَحَمَلَهَا إِلَى بِزَنْطِيَةَ مَدِينَتِهِ فَوَلَدَتْ لَهُ قُسْطَنْطِينَ وَكَانَ جَمِيلًا. فَأَنْذَرَ دِقْلِطْيَانُوسَ مُنَجِّمُوهُ بِأَنَّ هٰذَا ٱلْغُلَامَ قُسْطَنْطِينَ سَيَمْلِكُ ٱلرُّومَ وَيُبَدِّلُ دِينَهُمْ فَأَرَادَ قَتْلَهُ فَفَرَّ مِنْهُ إِلَى ٱلرُّهَا وَتَعَلَّمَ بِهَا ٱلْحِكْمَةَ ٱلْيُونَانِيَّةَ حَتَّى مَاتَ دِقْلِطْيَانُوسُ فَعَادَ إِلَى بِزَنْطِيَةَ فَسَلَّمَهَا لَهُ أَبُوهُ قُسْطُسُ وَمَاتَ فَقَامَ بِأَمْرِهَا بَعْدَ أَبِيهِ إِلَى أَنِ ٱسْتَدْعَاهُ أَهْلُ رُومَةَ. فَأَخَذَ يُدَبِّرُ فِي مَسِيرِهِ فَرَأَى فِي مَنَامِهِ كَوَاكِبَ فِي ٱلسَّمَاءِ عَلَى هَيْئَةِ ٱلصَّلِيبِ وَصَوْتًا مِنَ ٱلسَّمَاءِ يَقُولُ لَهُ: ٱحْمِلْ هٰذِهِ ٱلْعَلَامَةَ تَنْتَصِرْ عَلَى عَدُوِّكَ فَقَصَّ رُؤْيَاهُ عَلَى أَعْوَانِهِ. وَعَمِلَ شَكْلَ ٱلصَّلِيبِ عَلَى أَعْلَامِهِ وَبُنُودِهِ وَسَارَ لِحَرْبِ مَكْسَنْطِيسَ بِرُومَةَ. فَبَرَزَ إِلَيْهِ وَحَارَبَهُ فَٱنْتَصَرَ قُسْطَنْطِينُ عَلَيْهِ وَمَلَكَ رُومَةَ. وَتَحَوَّلَ مِنْهَا فَجَعَلَ دَارَ مُلْكِهِ قُسْطَنْطِينِيَّةَ. وَكَانَ هٰذَا ٱبْتِدَاءَ رَفْعِ ٱلصَّلِيبِ وَظُهُورِهِ فِي ٱلنَّاسِ فَٱتَّخَذَهُ ٱلنَّصَارَى وَعَظَّمُوهُ. وَأَكْرَمَ قُسْطَنْطِينُ ٱلنَّصَارَى وَدَخَلَ فِي دِينِهِمْ فِي ٱلسَّنَةِ ٱلثَّانِيَةَ عَشْرَةَ مِنْ مُلْكِهِ عَلَى ٱلرُّومِ. وَأَمَرَ بِبِنَاءِ ٱلْكَنَائِسِ فِي جَمِيعِ مَمَالِكِهِ وَكَسَّرَ ٱلْأَصْنَامَ وَهَدَمَ بُيُوتَهَا وَعَمِلَ ٱلْمَجْمَعَ بِمَدِينَةِ نِيقِيَةَ.

وَسَبَبُهُ أَنَّ ٱلْإِسْكَنْدَرُوس بَطْرَكَ ٱلْإِسْكَنْدَرِيَّةِ مَنَعَ آرِيُوسَ مِنْ دُخُولِ ٱلْكَنِيسَةِ وَحَرَمَهُ لِمَقَالَتِهِ وَنَقَلَ عَنْ بُطْرُسَ ٱلشَّهِيدِ بَطْرَكِ ٱلْإِسْكَنْدَرِيَّةِ أَنَّهُ قَالَ عَنْ آرِيُوسَ أَنَّ إِيمَانَهُ فَاسِدٌ وَكَتَبَ بِذٰلِكَ إِلَى جَمِيعِ ٱلْبَطَارِكَةِ . فَمَضَى آرِيُوسُ إِلَى قُسْطَنْطِينَ وَمَعَهُ أُسْقُفَانِ فَٱسْتَغَاثُوا بِهِ وَشَكَوُا ٱلْإِسْكَنْدَرُوسَ فَأَمَرَ بِإِحْضَارِهِ مِنَ ٱلْإِسْكَنْدَرِيَّةِ فَحَضَرَ هُوَ وَآرِيُوسُ. وَجَمَعَ لَهُ ٱلْأَعْيَانَ مِنَ ٱلنَّصَارَى لِيُنَاظِرُوهُ. فَٱسْتَحْسَنَ ٱلْمَلِكُ قُسْطَنْطِينُ كَلَامَ إِسْكَنْدَرُوسَ وَأَمَرَهُ أَنْ يَحْرِمَ آرِيُوسَ فَحَرَمَهُ. وَسَأَلَ ٱلْإِسْكَنْدَرُوسُ ٱلْمَلِكُ أَنْ يُحْضِرَ ٱلْأَسَاقِفَةَ . فَأَمَرَ بِهِمْ فَأَتَوْهُ مِنْ جَمِيعِ مَمَالِكِهِ وَٱجْتَمَعُوا بَعْدَ سِتَّةِ أَشْهُرٍ بِمَدِينَةِ نِيقِيَةَ وَعَدَدُهُمْ ثَلَاثِمِائَةٍ وَثَمَانِيَةَ عَشَرَ. فَمَالَ قُسْطَنْطِينُ إِلَى قَوْلِهِمْ وَأَعْرَضَ عَمَّا سِوَاهُ. وَأَقْبَلَ عَلَى ٱلثَّلَاثِمِائَةِ وَٱلثَّمَانِيَةَ عَشَرَ وَأَمَرَ لَهُمْ بِكَرَاسِيَّ وَأَجْلَسَهُمْ عَلَيْهَا . وَدَفَعَ إِلَيْهِمْ سَيْفَهُ وَخَاتَمَهُ وَبَسَطَ أَيْدِيَهُمْ فِي جَمِيعِ مَمْلَكَتِهِ . فَبَارَكُوا عَلَيْهِ وَوَضَعُوا لَهُ كِتَابَ قَوَانِينِ ٱلْمُلُوكِ وَقَوَانِينِ ٱلْكَنِيسَةِ وَفِيهِ مَا يَتَعَلَّقُ بِٱلْمُحَاكَمَاتِ وَٱلْمُعَامَلَاتِ وَكَتَبُوا بِذٰلِكَ إِلَى سَائِرِ ٱلْمَمَالِكِ . وَكَانَ رَئِيسَ هٰذَا ٱلْجَمْعِ ٱلْإِسْكَنْدَرُوسُ وَأَسْطَاسُ بَطْرَكُ أَنْطَاكِيَةَ وَمَقَارِيُوسُ أُسْقُفُ ٱلْقُدْسِ . وَوَجَّهَ سِلْطُوسُ (سلوسترس) بَطْرَكُ رُومَةَ بِقِسِّيسَيْنِ ٱتَّفَقَا مَعَهُمْ عَلَى حَرْمِ آرِيُوسَ فَحَرَمُوهُ وَنَفَوْهُ . وَوَضَعَ ٱلثَّلَاثِمِائَةِ وَٱلثَّمَانِيَةَ عَشَرَ ٱلْأَمَانَةَ ٱلْمَشْهُورَةَ عِنْدَهُمْ وَأَوْجَبُوا أَنْ يَكُونَ ٱلصَّوْمُ مُتَّصِلًا بِعِيدِ ٱلْفِصْحِ عَلَى مَا رَتَّبَهُ ٱلْبَطَارِكَةُ فِي أَيَّامِ ٱلْمَلِكِ

أوراليوس قيصر كما تقدم. وانصرفوا من مجلس قسطنطين بكرامة جليلة. والإسكندروس هذا هو الذي كسر الصنم النحاس الذي كان في هيكل زحل بالإسكندرية وكانوا يعبدونه ويجعلون له عيدا في ثاني عشر هتور ويذبحون له الذبائح الكبيرة. فأراد الإسكندروس كسر هذا الصنم فمنعه أهل الإسكندرية. فاحتال عليهم وتلطف في حيلته إلى أن قرب العيد. فجمع الناس ووعظهم وقبح عندهم عبادة الصنم وحثهم على تركه وأن يعمل هذا العيد لميكائيل رئيس الملائكة الذي يشفع فيهم عند الإله فإن ذلك خير من عمل العيد للصنم فلا يتغير عمل العيد الذي جرت عادة أهل البلد لعمله. فرضي الناس بهذا ووافقوه على كسر الصنم فكسروه وأحرقوه وعمل بيته كنيسة على اسم ميكائيل فلم تزل هذه الكنيسة بالإسكندرية إلى أن حرقها جيوش الإمام المعز لدين الله لما قدموا في سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة. واستمر عيد ميكائيل عند النصارى باقيا يعمل في كل سنة

وجدان الصليب وانتشار شيعة آريوس

٥٣٣ وفي السنة الثانية والعشرين من ملك قسطنطين سارت أمه هيلاني إلى القدس وبنت بها كنائس للنصارى. فدلها مقاريوس الأسقف على الصليب وعرفها ما عملته اليهود. ثم دلوها على الموضع فحفرته فإذا قبر وثلاث خشبات. زعموا أنهم لم يعرفوا الصليب المطلوب من الخشبات الثلاث إلا بأن وضعت كل واحدة منها على

مَيْتٍ قَدْ بَلِيَ. فَقَامَ حَيًّا عِنْدَمَا وَضَعَتْ عَلَيْهِ خَشَبَةً مِنْهَا. فَعَمِلُوا لِذَلِكَ عِيدًا عُرِفَ عِنْدَهُمْ بِعِيدِ الصَّلِيبِ. وَعَمِلَتْ لَهُ هِيلَانِي غِلَافًا مِنْ ذَهَبٍ وَبَنَتْ كَنِيسَةَ الْقِيَامَةِ وَأَقَامَتْ مَقَارِيُوسَ عَلَى بِنَاءِ بَقِيَّةِ الْكَنِيسَةِ. وَكَانَتْ مُدَّةُ مَا بَيْنَ وِلَادَةِ الْمَسِيحِ وَظُهُورِ الصَّلِيبِ ثَلَاثَمِائَةٍ وَثَمَانِي وَعِشْرِينَ سَنَةً

٥٣٤ ثُمَّ قَامَ فِي بَطْرَكِيَّةِ الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ بَعْدَ الْإِسْكَنْدَرُوسِ تِلْمِيذُهُ. أَثَانَاسِيُوسُ الرَّسُولِيُّ (٣٢٦). فَأَقَامَ سِتًّا وَأَرْبَعِينَ سَنَةً وَمَاتَ بَعْدَ مَا ابْتُلِيَ بِشَدَائِدَ وَغَابَ عَنْ كُرْسِيِّهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ. وَفِي أَيَّامِهِ جَرَتْ مُنَاظَرَاتٌ طَوِيلَةٌ مَعَ أُوسَابِيُوسَ الْأُسْقُفِ آلَتْ إِلَى حِرْمِهِ وَفِرَارِهِ. فَإِنَّهُ تَعَصَّبَ لِآرِيُوسَ وَقَالَ: إِنَّ الْإِنْجِيلَ لَمْ يَقُلْ إِنَّ الْمَسِيحَ خَلَقَ الْأَشْيَاءَ وَإِنَّمَا قَالَ: بِهِ خُلِقَ كُلُّ شَيْءٍ لِأَنَّهُ كَلِمَةُ اللهِ الَّتِي بِهَا خَلَقَ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَإِنَّمَا خَلَقَ تَعَالَى جَمِيعَ الْأَشْيَاءِ بِكَلِمَتِهِ فَالْأَشْيَاءُ بِهِ كُوِّنَتْ لَا أَنَّهُ كَوَّنَهَا. وَإِنَّمَا الثَّلَاثُمِائَةِ وَالثَّمَانِيَةَ عَشَرَ تَعَدَّوْا عَلَى آرِيُوسَ وَفِي أَيَّامِهِ بَعَثَتْ هِيلَانِي بِمَالٍ عَظِيمٍ إِلَى مَدِينَةِ الرُّهَا فَبُنِيَ بِهَا كَنَائِسُهَا الْعَظِيمَةُ

٥٣٥ فَلَمَّا قَامَ قُسْطَنْطِينُ (قُسْطَنْسُ) بْنُ قُسْطَنْطِينَ فِي الْمُلْكِ بَعْدَ أَبِيهِ غَلَبَتْ مَقَالَةُ آرِيُوسَ عَلَى الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ وَأَنْطَاكِيَةَ وَالْإِسْكَنْدَرِيَّةِ وَصَارَ أَكْثَرُ أَهْلِ مِصْرَ آرِيُوسِيِّينَ وَاسْتَوْلَوْا عَلَى مَا بِهَا مِنَ الْكَنَائِسِ وَمَالَ الْمَلِكُ إِلَى رَأْيِهِمْ وَحَمَلَ النَّاسَ عَلَيْهِ. وَأَخْبَرَ كِيرِلُّسُ أُسْقُفُ الْقُدْسِ أَنَّهُ ظَهَرَ مِنَ السَّمَاءِ عَلَى الْقَبْرِ الَّذِي بِكَنِيسَةِ الْقِيَامَةِ شِبْهُ صَلِيبٍ مِنْ نُورٍ فِي يَوْمِ عِيدِ الْعَنْصَرَةِ بِعَشَرَةِ أَيَّامٍ مِنْ شَهْرِ أَيَّارَ فِي السَّاعَةِ الثَّالِثَةِ

مِنَ ٱلنَّهَارِ حَتَّى غَلَبَ نُورُهُ عَلَى نُورِ ٱلشَّمْسِ . وَرَآهُ جَمِيعُ أَهْلِ ٱلْقُدْسِ عِيَانًا . فَأَقَامَ فَوْقَ ٱلْقَبْرِ عِدَّةَ سَاعَاتٍ فَآمَنَ مِنَ ٱلْيَهُودِ وَغَيْرِهِمْ عِدَّةُ آلَافٍ

اضطهاد يوليانوس الجاحد وشيعة مقدونيوس

٥٣٦ ثُمَّ لَمَّا مَلَكَ يُولِيَانُوسُ ٱبْنُ عَمِّ قُسْطَنْطِينَ ٱشْتَدَّتْ نِكَايَتُهُ بِٱلنَّصَارَى وَقَتَلَ مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا وَمَنَعَهُمْ مِنَ ٱلنَّظَرِ فِي شَيْءٍ مِنَ ٱلْكُتُبِ . وَأَقْفَلَ ٱلْكَنَائِسَ وَٱلدِّيَارَاتِ وَنَصَبَ مَائِدَةً كَبِيرَةً عَلَيْهَا أَطْعِمَةٌ مِمَّا ذَبَحَهُ لِأَصْنَامِهِ وَنَادَى : مَنْ أَرَادَ ٱلْمَالَ فَلْيَضَعِ ٱلْبَخُورَ عَلَى ٱلنَّارِ وَلْيَأْكُلْ مِنْ ذَبَائِحِ ٱلْحُنَفَاءِ وَيَأْخُذْ مَا يُرِيدُ مِنَ ٱلْمَالِ . فَٱمْتَنَعَ كَثِيرٌ مِنَ ٱلرُّومِ وَقَالُوا : نَحْنُ نَصَارَى . فَقَتَلَ مِنْهُمْ خَلَائِقَ وَمَحَا ٱلصَّلِيبَ مِنْ أَعْلَامِهِ وَبُنُودِهِ . وَفِي أَيَّامِهِ سَكَنَ ٱلْقِدِّيسُ أَنَارِيُونُ (إِلَارِيُون) بَرِّيَّةَ ٱلْأُرْدُنِّ وَبَنَى بِهَا ٱلدِّيَارَاتِ . وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ سَكَنَ بَرِّيَّةَ ٱلْأُرْدُنِّ مِنَ ٱلنَّصَارَى . وَلَمَّا مَلَكَ يُوبِنْيَانُوسُ عَلَى ٱلرُّومِ وَكَانَ مُتَنَصِّرًا أَعَادَ كُلَّ مَنْ فَرَّ مِنَ ٱلْأَسَاقِفَةِ إِلَى كُرْسِيِّهِ . وَكَتَبَ إِلَى أَثَانَاسِيُوسَ بَطْرَكِ ٱلْإِسْكَنْدَرِيَّةِ أَنْ يَشْرَحَ لَهُ ٱلْأَمَانَةَ ٱلْمُسْتَقِيمَةَ . فَجَمَعَ ٱلْأَسَاقِفَةَ وَكَتَبُوا لَهُ أَنْ يَلْزَمَ أَمَانَةَ ٱلثَّلَاثِمِائَةِ وَٱلثَّمَانِيَةَ عَشَرَ . فَثَارَ أَهْلُ ٱلْإِسْكَنْدَرِيَّةِ عَلَى أَثَانَاسِيُوسَ لِيَقْتُلُوهُ . فَفَرَّ فَأَقَامُوا بَدَلَهُ لُوقِيُوسَ وَكَانَ آرِيُوسِيًّا . فَٱجْتَمَعَ ٱلْأَسَاقِفَةُ بَعْدَ خَمْسَةِ أَشْهُرٍ وَحَرَمُوهُ وَأَعَادُوا أَثَانَاسِيُوسَ إِلَى كُرْسِيِّهِ فَأَقَامَ بَطْرَكًا إِلَى مَوْتِهِ

٥٣٧ فَخَلَفَهُ بُطْرُسُ (٣٧٣) ثُمَّ وَثَبَ ٱلْآرِيُوسِيُّونَ عَلَيْهِ بَعْدَ سَنَتَيْنِ فَفَرَّ مِنْهُمْ وَٱسْتَجَارَ بِبَطْرَكِ رُومَةَ وَأَعَادُوا لُوقِيُوسَ فَأَقَامَ ثَلَاثَ سِنِينَ

وَوَثَبَ عَلَيْهِ أَعْدَاؤُهُ فَفَرَّ مِنْهُمْ فَرَدُّوا بُطْرُسَ فَأَقَامَ إِلَى مَوْتِهِ. وَكَانَ فِي أَيَّامِهِ وَالِنْسُ مَلِكَ الرُّومِ وَكَانَ آرِيُوسِيًّا. وَنَفَى سَائِرَ الْأَسَاقِفَةِ لِمُخَالَفَتِهِمْ لِرَأْيِهِ وَقَامَ فِي بَطْرَكِيَّةِ الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ طِيمَاتَاوُسُ (٣٨٠) فَأَقَامَ خَمْسَ سِنِينَ وَمَاتَ. وَفِي أَيَّامِهِ كَانَ الْمَجْمَعُ الثَّانِي مِنْ مَجَامِعِ النَّصَارَى بِقُسْطَنْطِينِيَّةَ (٣٨١). فَاجْتَمَعَ مِائَةٌ وَخَمْسُونَ أُسْقُفًا وَحَرَمُوا مَقْدُونِيُوسَ عَدُوَّ رُوحِ الْقُدُسِ وَكُلَّ مَنْ قَالَ بِقَوْلِهِ. وَسَبَبُ ذٰلِكَ أَنَّهُ قَالَ بِأَنَّ رُوحَ الْقُدُسِ مَخْلُوقٌ. وَحَرَمُوا مَعَهُ غَيْرَ وَاحِدٍ لِعَقَائِدَ شَنِيعَةٍ تَظَاهَرُوا بِهَا فِي الْمَسِيحِ. وَزَادَ الْأَسَاقِفَةُ فِي الْأَمَانَةِ الَّتِي رَتَّبَهَا الثَّلَاثُمِائَةِ وَالثَّمَانِيَةَ عَشَرَ: وَنُؤْمِنُ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ الرَّبِّ الْمُحْيِي الْمُنْبَثِقِ مِنَ الْآبِ. وَحَرَمُوا أَنْ يُزَادَ فِيهَا بَعْدَ ذٰلِكَ شَيْءٌ أَوْ يُنْقَصَ مِنْهَا شَيْءٌ. وَفِي أَيَّامِهِ بُنِيَتْ عِدَّةُ كَنَائِسَ بِالْإِسْكَنْدَرِيَّةِ وَاسْتُتِيبَ جَمَاعَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْ مَقَالَةِ آرِيُوسَ. وَرَدَّ الْمَلِكُ أَغْرَدِيَانُوسُ كُلَّ مَنْ نَفَاهُ وَالِنْسُ مِنَ الْأَسَاقِفَةِ. وَأَمَرَ أَنْ يَلْزَمَ كُلُّ وَاحِدٍ دِينَهُ مَا خَلَا الْمَنَانِيَّةَ

٥٣٧ ثُمَّ أُقِيمَ بِكُرْسِيِّ الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ تَاوُفِيلَا (٣٨٥–٤١٢). وَاشْتَدَّ الْمَلِكُ تَاوُدَاسِيُوسُ عَلَى الْآرِيُوسِيِّينَ وَأَمَرَ فَأُخِذَتْ مِنْهُمْ كَنَائِسُ النَّصَارَى. وَأَسْقَطَ مِنْ جَيْشِهِ مَنْ كَانَ آرِيُوسِيًّا وَطَرَدَ مَنْ كَانَ فِي دِيوَانِهِ وَخَدَمِهِ مِنْهُمْ. وَهَدَمَ بُيُوتَ الْأَصْنَامِ. وَفِي أَيَّامِهِ بُنِيَتْ كَنِيسَةُ مَرْيَمَ بِالْقُدْسِ

. القديس كيرلس وهرطقة نسطوريس

٥٣٨ ثُمَّ أُقِيمَ عَلَى بَطْرَكِيَّةِ الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ كِيرِلُّسُ (٤١٢) فَأَقَامَ

اثْنَتَيْنِ وَثَلاثِينَ سَنَةً وَمَاتَ. وَفِي أَيَّامِهِ كَانَ ٱلْمَجْمَعُ ٱلثَّالِثُ مِنْ مَجَامِعِ ٱلنَّصَارَى بِسَبَبِ نَسْطُورِيُسَ بَطْرَكِ قُسْطَنْطِينِيَّةَ. فَإِنَّهُ مَنَعَ أَنْ تَكُونَ مَرْيَمُ أُمَّ عِيسَى. وَقَالَ: إِنَّمَا وَلَدَتْ مَرْيَمُ إِنْسَانًا اتَّحَدَ بِمَشِيَّةِ ٱللهِ يَعْنِي عِيسَى فَصَارَ ٱلِاتِّحَادُ بِٱلْمَشِيَّةِ خَاصَّةً لَا بِٱلذَّاتِ وَإِنَّ إِطْلَاقَ ٱلْإِلٰهِ عَلَى عِيسَى لَيْسَ هُوَ بِٱلْحَقِيقَةِ بَلْ بِٱلْهِبَةِ وَٱلْكَرَامَةِ. وَقَالَ فِي خُطْبَةِ يَوْمِ ٱلْمِيلَادِ: إِنَّ مَرْيَمَ وَلَدَتْ إِنْسَانًا وَأَنَا لَا أَعْتَقِدُ فِي ٱبْنِ شَهْرَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ ٱلْإِلٰهِيَّةَ وَلَا أَسْجُدُ لَهُ سُجُودِي لِلْإِلٰهِ. فَلَمَّا بَلَغَ كِيرِلُّسَ بَطْرَكَ ٱلْإِسْكَنْدَرِيَّةِ مَقَالَتُهُ نَسْطُورِيُسَ كَتَبَ إِلَيْهِ يُرْجِعُهُ عَنْهَا فَلَمْ يَرْجِعْ. فَكَتَبَ إِلَى بَطْرَكِ رُومَةَ وَإِلَى يُوحَنَّا بَطْرَكِ أَنْطَاكِيَةَ وَإِلَى يُونَالِيُوسَ أُسْقُفِ ٱلْقُدْسِ يُعَرِّفُهُمْ بِذٰلِكَ. فَكَتَبُوا بِأَجْمَعِهِمْ إِلَى نَسْطُورِيُسَ لِيَرْجِعَ عَنْ مَقَالَتِهِ فَلَمْ يَرْجِعْ. فَتَوَاعَدَ ٱلْبَطَارِكَةُ عَلَى ٱلِاجْتِمَاعِ بِمَدِينَةِ أَفَسُسَ فَاجْتَمَعَ بِهَا مِائَتَا أُسْقُفٍ وَٱمْتَنَعَ نَسْطُورِيُسُ مِنَ ٱلْمَجِيءِ إِلَيْهِمْ بَعْدَ مَا كَرَّرُوا ٱلْإِرْسَالَ فِي طَلَبِهِ غَيْرَ مَرَّةٍ. فَنَظَرُوا فِي مَقَالَتِهِ وَحَرَمُوهُ (٤٣١). وَنُفِيَ إِلَى ٱلصَّعِيدِ فَنَزَلَ مَدِينَةَ إِخْمِيمَ وَأَقَامَ بِهَا سَبْعَ سِنِينَ وَمَاتَ فَدُفِنَ بِهَا. وَظَهَرَتْ مَقَالَتُهُ فَقَبِلَهَا بَرْصُومَا أُسْقُفُ نَصِيبِينَ وَدَانَ بِهَا نَصَارَى أَرْضِ فَارِسَ وَٱلْعِرَاقِ وَٱلْمَوْصِلِ وَٱلْجَزِيرَةِ إِلَى ٱلْفُرَاتِ وَعُرِفُوا إِلَى ٱلْيَوْمِ بِٱلنَّسْطُورِيَّةِ

اوطاخي وديوسقوروس وحرمهما في مجمع الخلقيدوني

٥٣٩ ثُمَّ قَدِمَ تَاوُدَاسِيُوسُ ٱلصَّغِيرُ مَلِكُ ٱلرُّومِ فِي ٱلثَّانِيَةِ مِنْ مُلْكِهِ دِيُسْقُورُسَ بَطْرَكًا بِٱلْإِسْكَنْدَرِيَّةِ (٤٤٤). فَظَهَرَ فِي أَيَّامِهِ مَذْهَبُ

أُوطَاخِي أَحدِ ٱلْقُسُوسِ بِٱلْقُسْطَنْطِينِيَّةِ . وَزَعَمَ أَنَّ جَسَدَ ٱلْمَسِيحِ لَطِيفٌ غَيْرُ مُسَاوٍ لِأَجْسَادِنَا وَأَنَّ ٱلِٱبْنَ لَمْ يَأْخُذْ مِنْ مَرْيَمَ شَيْئًا. فَٱجْتَمَعَ عَلَيْهِ مِائَةٌ وَثَلَاثُونَ أُسْقُفًا وَحَرَمُوهُ. ثُمَّ صَارَ ٱلْمَجْمَعُ ٱلرَّابِعُ مِنْ مَجَامِعِ ٱلنَّصَارَى بِمَدِينَةِ خَلْقَدُونِيَةَ (٤٥١) وَسَبَبُهُ أَنَّ دِيُوسْقُورُسَ بَطْرَكَ ٱلْإِسْكَنْدَرِيَّةِ قَالَ: إِنَّ ٱلْمَسِيحَ جَوْهَرٌ مِنْ جَوْهَرَيْنِ وَطَبِيعَةٌ مِنْ طَبِيعَتَيْنِ وَمَشِيئَةٌ مِنْ مَشِيئَتَيْنِ . وَكَانَ رَأْيُ مَرْقِيَانَ وَٱلنَّصَارَى أَنَّهُ جَوْهَرَانِ وَطَبِيعَتَانِ وَمَشِيئَتَانِ وَأُقْنُومٌ وَاحِدٌ فَوَافَقَهُ ٱلْأَسَاقِفَةُ عَلَى رَأْيِهِ مَا خَلَا دِيُوسْقُورُسَ وَسِتَّةَ أَسَاقِفَةٍ فَإِنَّهُمْ لَمْ يُوَافِقُوا ٱلْمَلِكَ. فَحُرِمَ دِيُوسْقُورُسُ وَنُفِيَ وَأُقِيمَ عِوَضَهُ بُرْطَارِسُ (٤٥١). وَأَمَّا دِيُوسْقُورُسُ فَإِنَّهُ تَوَجَّهَ فِي نَفْيِهِ فَعَبَرَ عَلَى ٱلْقُدْسِ وَفِلَسْطِينَ وَعَرَّفَهُمْ مَقَالَتَهُ فَتَبِعُوهُ وَقَالُوا بِقَوْلِهِ. وَقَدَّمَ عِدَّةَ أَسَاقِفَةٍ يَعْقُوبِيَّةٍ وَمَاتَ وَهُوَ مَنْفِيٌّ . وَسَبَبُ تَسْمِيَةِ ٱلْيَعْقُوبِيَّةِ بِهٰذَا أَنَّ دِيُوسْقُورُسَ كَانَ لَهُ تِلْمِيذٌ ٱسْمُهُ يَعْقُوبُ وَكَانَ يُرْسِلُهُ وَهُوَ مَنْفِيٌّ إِلَى أَصْحَابِهِ فَنُسِبُوا إِلَيْهِ . وَفِي أَيَّامِهِ ظَهَرَ ٱلْفِتْيَةُ أَهْلُ ٱلْكَهْفِ . وَفِي أَيَّامِ مَرْقِيَانَ وَثَبَ أَهْلُ ٱلْإِسْكَنْدَرِيَّةِ عَلَى بُرْطَارِسَ ٱلْبَطْرَكِ وَقَتَلُوهُ فِي ٱلْكَنِيسَةِ وَحَمَلُوا جَسَدَهُ إِلَى ٱلْمَلْعَبِ ٱلَّذِي بَنَاهُ بَطْلِيمُوسُ وَأَحْرَقُوهُ بِٱلنَّارِ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ مَلَكِيُّ ٱلِٱعْتِقَادِ (٤٥٧) وَمَلَكَ زِينُونُ وَأَكْرَمَ ٱلْيَعْقُوبِيَّةَ وَأَعَزَّهُمْ لِأَنَّهُ كَانَ يَعْقُوبِيًّا . وَفِي أَيَّامِهِ ٱحْتَرَقَ ٱلْمَلْعَبُ ٱلَّذِي بَنَاهُ بَطْلِيمُوسُ. وَلَمَّا مَلَكَ نَسْطَاسُ أَغْرَاهُ سَاوِيرُوسُ عَلَى تَأْثِيرِ ٱعْتِقَادِ ٱلْيَعْقُوبِيَّةِ فَأَمَرَ أَنْ يُكْتَبَ إِلَى جَمِيعِ مَمْلَكَتِهِ بِقَبُولِ قَوْلِ دِيُوسْقُورُسَ وَتَرْكِ ٱلْمَجْمَعِ

ٱلْخَلْقِيدُونِيِّ . فَبَعَثَ إِلَيْهِ بَطْرَكُ أَنْطَاكِيَةَ بِأَنَّ هٰذَا ٱلَّذِي فَعَلْتَهُ غَيْرُ وَاجِبٍ وَأَنَّ ٱلْمَجْمَعَ ٱلْخَلْقِيدُونِيَّ هُوَ ٱلْحَقُّ . فَغَضِبَ ٱلْمَلِكُ وَنَفَاهُ وَأَقَامَ بَدَلَهُ . وَفِي أَيَّامِ يُسْطَانُوسَ أُقِيمَ أَسْتِيرْيُوسُ فِي بَطْرَكِيَّةِ ٱلْإِسْكَنْدَرِيَّةِ فَجَدَّ بِرُجُوعِ ٱلنَّصَارَى إِلَى رَأْيِ ٱلْمَلَكِيَّةِ فَقَبِلَ نَصَارَى مِصْرَ ٱلْأَمَانَةَ وَوَافَقَهُ رُهْبَانُ دِيَارَاتِ بُومَقَارَ . وَفِي أَيَّامِ يُوسْطِينِيَانُوسَ ثَارَتِ ٱلسَّامِرَةُ عَلَى فِلَسْطِينَ وَهَدَمُوا كَنَائِسَ ٱلنَّصَارَى وَقَتَلُوا جَمَاعَةً مِنْهُمْ . فَبَعَثَ ٱلْمَلِكُ جَيْشًا قَتَلُوا مِنَ ٱلسَّامِرَةِ خَلْقًا كَثِيرًا وَجَدَّدَ بِنَاءَ ٱلْكَنَائِسِ وَأَنْشَأَ مَارِسْتَانًا بِبَيْتِ ٱلْمَقْدِسِ لِلْمَرْضَى وَوَسَّعَ فِي بِنَاءِ كَنِيسَةِ بَيْتِ لَحْمٍ وَبَنَى دَيْرًا بِطُورِ سِينَاءَ . وَعَمِلَ فِيهَا حِصْنًا حَوْلَهُ عِدَّةُ قَلَالٍ وَرَتَّبَ فِيهَا حَرَسًا لِحِفْظِ ٱلرُّهْبَانِ . وَفِي أَيَّامِهِ كَانَ ٱلْمَجْمَعُ ٱلْخَامِسُ مِنْ مَجَامِعِ ٱلنَّصَارَى وَفِيهِ حُرِمَ أُرِيجَانِسُ لِقَوْلِهِ بِتَنَاسُخِ ٱلْأَرْوَاحِ (٥٥٣) . وَفِي أَيَّامِ فُوقَا مَلِكِ ٱلرُّومِ بَعَثَ كِسْرَى مَلِكُ فَارِسَ جَيْشَهُ إِلَى بِلَادِ ٱلشَّامِ وَمِصْرَ فَخَرَّبُوا كَنَائِسَ ٱلْقُدْسِ وَفِلَسْطِينَ وَقَتَلُوا ٱلنَّصَارَى وَسَبَوْا مِنْهُمْ سَبْيًا وَأَخَذُوا قِطْعَةً مِنْ عُودِ ٱلصَّلِيبِ . فَسَارَ هِرَقْلُ إِلَى بِلَادِ فَارِسَ وَغَلَبَ ٱلْفُرْسَ وَدَارَتْ رَحَى ٱلْحَرْبِ عَلَى كِسْرَى وَرَجَعَ هِرَقْلُ ظَافِرًا . ثُمَّ دَخَلَ ٱلْقُدْسَ وَقَدْ تَلَقَّاهُ ٱلنَّصَارَى بِٱلْأَنَاجِيلِ وَٱلصُّلْبَانِ وَٱلْبَخُورِ وَٱلشُّمُوعِ . ثُمَّ رَمَّمَ ٱلْكَنَائِسَ وَجَدَّدَهَا وَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ ظَهَرَ ٱلْإِسْلَامُ فِي أَيَّامِهِ وَخَرَجَ مُلْكُ مِصْرَ وَٱلشَّامِ مِنْ يَدِ ٱلنَّصَارَى ذِمَّةً لِلْمُسْلِمِينَ

(تَمَّ بِحَوْلِهِ تَعَالَى)

فهرس الجزء الاول من كتاب مجاني الادب